سردم
العربي

فصلية تعنى بالتواصل الثقافي الكردي - العربي
تصدر عن دار سردم للطباعة والنشر

السنة السادسة- العدد (٢٤) ربيع ٢٠٠٩

موقع المجلة على الإنترنيت
www.serdam.info

المراسلات
عن طريق مدير التحرير
nawzadaa@yahoo.com
آسيا سيل: ٠٧٧٠١٤٢٠٩٠٩
سانا تيل: ٠٧٥٠١١٨٠١٤٢

مطبعة دار سردم للطباعة والنشر

■ المقالات تعبر عن آراء الكتاب انفسهم ولا تعكس بالضرورة رأي المجلة
■ يخضع ترتيب المواد لاعتبارات فنية

رئيس مجلس الادارة والمدير المسؤول
شێركۆ بێكەس

مدير التحرير
نوزاد احمد اسود

المستشار الثقافي
محيي الدين زەنگەنە

المدير الفني
جمال درويش

محتويات العدد

سردم العربي - العدد (24) 2009

محتويات العدد

موقعنا الالكتروني الجديد

www. serdam.org
www.serdam.net
www.serdam.info



(ما حدث في حلبجة ••)

محي الدين زەنگەنه

من هذا العنوان البارد، الابرد من الصقيع انطلق. وعبر هذه البوابة الجليدية، اريد العبور.. والدخول، عفوا، الاقتراب، ما استطيع، لو استطعت.. من جحيم حلبجة، وملامسة نيرانها البركانية المندلقة، التي لاتخمد ولا تهمد.. ولكن عن بعد!!

و.. معذرة سلفا.. اذا اخفقت ولم استطع.. واني لمخفق قطعا.. وغير مستطيع اكيدا.. ومع ذلك.. لابد من المحاولة..

ابتداء ارى ان الحديث عن حلبجة.. وعن (ماحدث في حلبجة..) اقول الحديث حسب.. ولا اقول انشاء خطاب صداح.. ولا تدبيج مقالة محكمة.. ناهيك عن ابداع قصيدة فريدة.. او ملحمة خارقة.. في اطار خلاق.. وتحت شكل بتول اعذر.. لم يحرث ارضها قلم.. وفي صياغة باهرة، بجمالها خاصة تليق بقامة حلبجة الشامخة..الشامخة على الرغم من سائر محنها.. ورغم انف كل القتلة.. وتحديا لكل ما جرى ووقع وحدث فيها.. لابد ان اعترف بأن حديثا كهذا.. يتطلب ويستوجب لغة خاصة.. لغة تنحت مفرداتها من خصوصية حلبجة نفسها.. التي لاتضاهيها ولاتدانيها ولاتشبهها.. اية لغة اخرى..

اني ودون الخوف من السقوط في المبالغة.. اقول:

ان اللغة، اية لغة، او على الاقل.. لأقل لغتي انا، تحديدا وتخصيصا، وبعيدا كل البعد عن التواضع.. عاجزة عجزا تاما واكيدا.. وسيلتف حولها الشلل، في احسن الاحوال وافضل احتمال.. لا في مفاصلها واجزائها و وشائج أرتباطها ببعضها.. او في القدرة على صهرها وسبكها في قالب فني.. و عقلاني حسب. ولا في حروفها وكلماتها التي تنبني منهما بالضرورة.. وتخلق وتتكون بهما.. فقط. وانما وبالقوة نفسها. في روحها وفي نسغ حياتها وفي فتحات تنفسها ومسامات جلدها.. وايضا في عروقها.. في اوردتها وشرايينها وشعيراتها التي تمدها بالدم والدفء والحرارة والديمومة..

وكل ذلك ليس بسبب سموم الخردل وسائر انواع السموم الفتاكة المتنوعة الاخرى.. التي تفتقت عنها وأباحت استخدامها حفنة عقول مريضة شريرة.. لكي تخترق احشاء ارضنا الحنون المعطاء.. فنزلت الى اعمق اعماقها.. بعد ان جالت وتنزهت بابشع صورة، باسنانها المنشارية في ارجائها الساكنة الامنة، سيولا من الرصاص المصهور.. وتاخبطت حول جذورها وفتنها لتبذر فيها العقم والجدب وتحيل ترتبها السخية الكريمة.. الى صخور متيبسة واحجار صلدة، هي في الاحوال كلها ارق وانعم من تصخر قلوب تلك المخلوقات المشوهة الشاذة التي زرعتها في رحم الارض والزرع والنسل.. واكثر احساسا ورأفة من مشاعرها.. ان كانت تملك، افتراضا، قلوبا ومشاعر واحاسيس، بين ضلوعها.. وانما ايضا بسبب تلك الصورة الحيوانية -مع الاعتذار الشديد لكل حيوانات الدنيا.. حتى اشدها وحشية وافتراسا.. ولسائر الديناصورات والماموثات المنقرضة.. والافاعي والعقارب السامة- التي تتموضع في اطرها، مخلوقات شاذة منحرفة.. تدعي زورا وبهتانا، انتسابها الى الانسان.. بلا خجل وبوقاحة ما بعدها وقاحة. وهي تتنفس. او بالاحرى تختلس وتسرق هواء عصرنا.. وتطفو على السطح.. وتبحلق بصفاقة بعيون لاتستحي الى عيون الازهار والاطفال.. والينابيع والجمال.. لا لكي تتمعن فيها وتبتهج بها.. وانما لكي تفقأها وتطفئها.. في محارجها..

كلما امتطيت اجنحة ذاكرتي المتكسرة.. وحلقت بها الى الوراء، الى يوم السادس عشر من اذار — عام الف وتسعمئة وثمانية وثمانين، اي قبل واحد وعشرين عاما.. وجدت نفسي اعيش يوما دمويا اخر بكل شعرة من شعرات جسمي.. وما تزال ترشح به كل مسامة من مسامات جلدي.. وتحيا.. فيه كل خلية من خلايا ذاكرتي.. يوما اسود اخر من ايام الممارسات البعثية السود الطوال.. العديدة التي لاتعد ولاتحصى والتي اتخمت بها ذاكرة التاريخ المعاصر حد الامتلاء والتقيوء.. ايام البعث.. ذي الرسالة.. الدموية الخالدة.. الابدية في القتل والفتك والوأد.. انه يوم ٨ شباط الدامي من عام

١٩٦٣، الذي عشته وعشت فواجعه حتى النخاع.. وكاد يقضي علي كما قضى على عشرات الالوف من اخوتي واحبتي.. لولا كردستان التي ضمتني واحتضنتني.. فانقذتني من موت محقق..

ان يوم السادس عشر من اذار.. قد خرج من رحم الثامن من شباط النتن الموبوء.. الذي أطلقوا عليه، من شدة تعلقهم به «عروس الثورات!!!» العروس التي واقعها كل زناة الليل والنهار.. فلم تلد الا الشواذ والمنحرفين والمشوهين.. من اعتى انواع القتلة والمجرمين.

من المؤكد ان كلمات من قبيل، فاجعة، مأساة، كارثة، جينوسايد. وسواها وسواها من المفردات والالفاظ والعبارات والتعابير التي تزخر بها قواميس المترعين بالحقد والكراهية والبغض.. والعداء لكل ماهو انساني وجميل، تغدو كائنات او بالاحرى اشياء، بلا روح ولا دم ولا خجل.. وفي برودة.. الصقيع والجليد والموتى.. بلا قدرة على التحليق في فضاءات الكون.. لتتحدث وتتكلم.. وتعلن الاقل من القليل.. من. (ماحدث في حلبجة ..) أو قد جرى و وقع في «شباط» الاسود.

وهي جازما.. مبتورة الارجل.. لا تستطيع ان تدب في دروب الدنيا وازقتها.. وفي طرقها ومسالكها.. لتبث في هوائها رائحة التفاح المتعفن.. الموبوء والمجرثم حتى النوى. ولا تروي للعالم الحقائق والوقائع الدامية عن الانسان الكردي الذي يذوي واقفا.. ويتجوف من كل ماتحت الجلد من لحم وعظم.. ويغدو كيسا مفرغا من الهواء ثم لا يلبث الكيس ان يحترق.. ليتلاشى هذا الانسان الذي كان قبل هنيهات حسب مليئا بالامال والاحلام ومشاريع الحياة الزاهرة.. ولا يعود سوى اثر بعد عين.. شاهدا على انسانية هذه الحيوانات المفترسة، المنتصبة على ساقين. ويروي حكايات عن الشجر الذي يتداعى على عرشه.. والعصفور الذي يتفحم في عشه.. بين أفراخه.. والعشب الاخضر الطري.. المبلول بحرق الجد والكد.. والمنقوع بدموع عذابات السنوات الطوال واوجاعها.. تتغير الوانه المتعددة الزاهية.. ليجلله لون واحد.. مستقى من احقاد القلوب السود..

لكن العشب.. المكلل بالسواد.. يبقى اكثر طروة واوفر جمالا.. واشد اشعاعا.. واشرافا.. وابهى رونقا.. من «هم» اصحاب الوجوه السود.. والارواح السوداء والانفاس الشريرة الشوهاء.

تتردد اللغة.. لغتي.. وتراوح في مكانها.. بل وترتد الى الجوف.. او تختنق. وهي في طريقها الى حلبجة.. واذ تبلغها تحترق في سعير (ماحدث في حلبجة..) حالها حال عصافير كردستان واعشاب كردستان ومياه كردستان.. فلا تقوى على البوح.. بـ.. (ماحدث في حلبجة..) اذ تخفق في الانتظام في قلائد تعانق جيد حلبجة.. او تتحرك عبر افعال تحريضية.. وتسلسل في حروف من نار.. و.. نور.. لتطوف الدنيا تتخطى الزمان وتتجاوز المكان.. الى كل زمان وكل مكان.. وتحقق وجودها في زمان حلبجة.. وتسكن في سويداء حلبجة.. وتخاطب الكون والوجود.. عن.. (ماحدث في حلبجة..)

ان المقارنة بين (ماحدث في حلبجة..) وما حصل في اي مكان من الامكنة وفي اي زمان من الازمنة.. منذ زمان نياندرتال وقابيل الذي قتل اخاه هابيل.. تعد نوعا من الفكاهة السمجة.. لانه ببساطة شديدة لاوجه للمقارنة.. و حتى ساعة داست قدم اخر انسان وجه القمر..

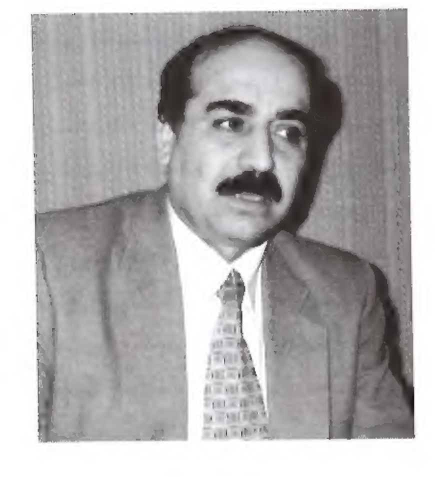
في تلك الايام الاذارية الصافية ولياليها البيض.. الاكثر صفاء و ألقا .. بنجومها المعلقة في السماء.. واضوائها المرشوشة على الارض.. التي تهفو فيها القلوب وتتعانق.. وتنطلق الارواح وتتداخل.. في محبة ووئام وسلام.. وحيث الطبيعة كلها تشارك الانسان الكردي الافراح.. وتصلي.. وتترقب العام الجديد.. تجدد ذكرى كاوه الحداد.. الانسان البسيط.. الشجاع.. الذي تمثلت في مطرقته.. ارادة الشعب.. والتاريخ.... ان تغني.. وتنشد.. انشودة انتصار الانسان القادر على خلق قدره.. و وجوده.. وغده.. هرع احفاد ضحاك الذين لايروق لهم الغناء.. فعمدوا الى اسكاته بسمومهم وحقدهم الاسود..

ولكن هيهات: ستغني حلبجة.. اغنيتها.. للحياة.. للحرية.. لكردستان.. وسيظل غناؤها.. يعلو ويعلو.. يوما بعد يوم.. وعاما بعد عام.. مادام.. ثمة زمان.

لسنا من دعاة الثار.. ولا من طلاب الانتقام.. ولم نكن يوما كذلك.. ولن نكون ولكن لاينبغي ان ندع الجريمة تمر بلا عقاب.. فاتعس الازمنة زمان.. ترى فيه الجريمة.. ولا ترى فيه العقاب..

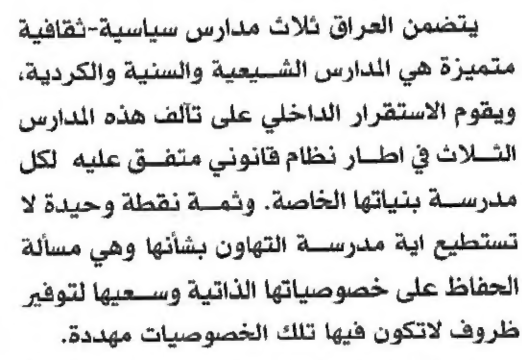
٢٠٠٩/٣/٢

السليمانية



المدراس السياسية الثلاث في العراق وامكانية التعايش السلمي فيما بينها

فريد اسسرد



يتضمن العراق ثلاث مدارس سياسية-ثقافية متميزة هي المدارس الشيعية والسنية والكردية، ويقوم الاستقرار الداخلي على تآلف هذه المدارس الثلاث في اطار نظام قانوني متفق عليه لكل مدرسة بنياتها الخاصة. وثمة نقطة وحيدة لا تستطيع اية مدرسة التهاون بشأنها وهي مسألة الحفاظ على خصوصياتها الذاتية وسعيها لتوفير ظروف لاتكون فيها تلك الخصوصيات مهددة.

ان اية واحدة من هذه المدارس الثلاث مرتبطة بالبنيات الاجتماعية التي تمثلها ويضفي هذا الارتباط نوعا من المسؤولية على العلاقة القائمة بينها. وينتج عن هذه العلاقة مصالح مادية معقدة، محددة وفق قواعد صارمة، ولكن واضحة.

ان معرفة الاطر العامة لكل مدرسة يمكن ان يضمن فهما اعمق للسيرورة التي سارت عليها انشطة كل مدرسة على حدة وتحديدا ادق للفروقات القائمة فيما بينها.

المدرسة الشيعية

تقوم المدرسة الشيعية على الدين. ان لذلك قطعا دوافعه التاريخية. ويقوم مضمون الفكرة الرئيسية للمدرسة الشيعية على انشاء بنيات سياسية لاتتعارض مع الدين وقابلة لخدمته. لكن هذه الفكرة في حد ذاتها جديدة على الفكر الشيعي، لأن السياسة لم تدخل الفكر الشيعي الا في وقت متأخر نسبيا. وعلى الرغم من طغيان

الطابع الديني على منظومة الافكار في المدرسة الشيعية، فهي ليست دينية صرفة. ويستدل من فتوى الشيرازي، الصادرة في عام ١٩٢٠، حول عدم جواز انتخاب غير المسلم للامارة على المسلمين، ان الفتوى لاتختص بالدين فحسب بل تتجاوزه الى الوطن. ويدل مضمونها على ربط محكم بين الدين والوطنية[١]. ويمكن اعتبار الفتوى اول اشارة واضحة وصريحة الى مفهوم الوطنية في المدرسة الشيعية. لقد تركت فتوى الشيرازي اثرا كبيرا في الشارع المنادي بضرورة قيام حكومة وطنية[٢]. وفق هذا، فالوطنية كانت المدخل الى السياسة.

ولم تتقرر الوطنية عبر حماس عابر. لكن ميزة الوطنية في المدرسة الشيعية هي ارتباطها بالدين، وعليه فهي من حيث مكوناتها الفكرية وطنية مدعومة بالدين. يفسر ذلك الى حد كبير سبب تأييد المدرسة الشيعية لتولي ملك سني ملوكية العراق في بداية ظهورمشروع تأسيس الدولة العراقية. اعتمدت المدرسة الشيعية في ذلك على الاصل وليس على المآل. ونقطة الانطلاق هنا هي ان الملك السني الذي لم تعارض المدرسة الشيعية توليه حكم العراق منتم الى البيت الهاشمي، ما يعني انه يعود بجذوره الى فاطمة، بنت النبي محمد وزوجة الامام علي بن ابي طالب.

ضمت المدرسة الشيعية اتجاهات عدة، اكثرها راديكالية تلك التي طالبت بتولي الشيعة قيادة العراق وجعل التشيع مذهبه الرسمي، ما يعني في جوهره ميلا الى انشاء حكومة ثيوقراطية شيعية. وقد لاحظ آرنولد ولسن، نائب الحاكم الملكي العام في العراق، خلال الانتفاضة الشيعية في عام ١٩٢٠ ان بعض المجتهدين الذين ساهموا في تحريك الانتفاضة سعوا الى انشاء ثيوقراطية شيعية[٣].

ويدل سعي بريطانيا لاقامة ادارة مستقلة للاماكن الشيعية المقدسة[٤] على مدى ادراكها لدور العامل الديني في الحياة العامة للشيعة. وفي عام ١٩٢٠ لم يكن الشيعة يرغبون في حكومة تقوم على يد بريطانيا. لقد حث هذا الموقف رجال الدين الشيعة في الكاظمية على المطالبة بتأليف حكومة منتخبة. وكان العامل المباشر لتلك المطالبة هو الانباء التي تناهت عن اعتزام بريطانيا تنصيب سني رئيسا لمجلس وزراء مؤقت في العراق[٥]. اما العامل غير المباشر فكان نفور الشيعة من قيام حكومة يرأسها سني مدعوم من بريطانيا. ولم تكن المطالبة بحكومة منتخبة امراً عرضيا. فقد تعمد رجال الدين الشيعة في الكاظمية المطالبة بانتخاب الحكومة نظرا لادراكهم ان اي انتخاب حر من شأنه ان يرفع شيعيا او من تدعمه المرجعية الشيعية لمنصب رئاسة الوزراء. تعد تلك المطالبة اول اشارة واضحة الى ادراك العلاقة بين مبدأ الانتخاب ومصلحة الاكثرية. ومع تشكيل الحكومة المؤقتة، بدأ عهد مطبوع بسوء التفاهم والتشكك في النوايا. لقد دفع ذلك المدرسة الشيعية الى مراجعة موقفها من فيصل نفسه. لاحقا، صار جليا ان المدرسة الشيعية لم تعد تنظر الى فيصل مثلما كانت تنظر اليه قبل ان يبدأ سوء التفاهم.

عمليا، وبعيدا عن التأثيرات الايديولوجية، ادركت المدرسة الشيعية قوة تأثير الوزن الجيوبوليتيكي للسكان الشيعة في العراق واقامت نظريتها على الربط المحكم بين حجم السكان والحق في الحكم. وشكلت هذه النظرية عماد المدرسة الشيعية طوال عشرات السنين. وجرى تفسير الوضع في العراق على انه عمليا اغتصاب

للسلطة وتهميش لاكثرية من حقها ان تنال حقوقا اكثر. والوقع السايكولوجي لهذا التفسير واضح جلي وقد ادى احيانا الى تدعيم الميل الى التشدد. لكن ذلك لم ينزع عن المدرسة الشيعية نزعتها الانسانية بشكل عام نظرا لمتانة الارتباط التاريخي بمبدأ معاداة الظلم والطغيان.

المدرسة السنية

من الواضح ان الجذور التاريخية للعناصر الايديولوجية المكونة للمدرسة السنية هي بالاساس جذور دينية، لكن التطورات اللاحقة ساهمت في بروز اتجاهات علمانية قوية عززت التعددية الفكرية في صفوفها. ويقوم عماد المدرسة السنية على الدمج بين المقتضيات السياسية والبرغماتية بشكل رئيسي. تاريخيا، يوجد على الاقل عاملان رئيسيان ساهما في بلورة الرؤية الايديولوجية للمدرسة السنية، اولهما هو الصراع الايراني-العثماني الذي جعل السنة يميلون الى تركيز امنهم على تحالف باستطاعته التصدي للنزعات التوسعية الايرانية. ودفع ذلك السنة الى اتباع سياسة ودية تجاه العثمانيين. وثانيهما، هو تغير الخارطة الديموغرافية-الطائفية في العراق ابتداءً من القرن التاسع عشر، وهو تغير ادى الى تحول المنطقة الممتدة من جنوب بغداد حتى شط العرب الى منطقة شيعية بفعل النشاط التبشيري الواسع للمرجعية الشيعية. وفي بداية القرن العشرين تفاقم احساس السنة بقوة زخم التمدد الشيعي ولاح آنذاك ان تصحيح البنيات السايكولوجية صار معقدا للغاية.

وفي اواخر الحقبة العثمانية وعت المدرسة السنية اهمية الاندماج بين السنة والعثمانيين من اجل ضمان امن السنة. وبالفعل، فقد استعان العثمانيون بالسنة اكثر من غيرهم. وحقق ذلك للسنة وعيا اكبر بأهمية الاندماج مع سياسة الدولة. ومن الناحية العملية، حصل السنة عن طريق ذلك على كوادر ادارية كفوءة وعلى اقتصاد افضل وحياة اكثر تمدنا. وفي الحين الذي ابدى فيه الشيعة نوعا من الانعزال لاسباب ايديولوجية، وهو ما اسفر في النهاية عن عدم تعاونهم مع المؤسسات الرسمية العثمانية، اظهر السنة مزيدا من الانفتاح واندمجوا مع تلك المؤسسات. هكذا طبعت المرحلة الاخيرة من الحقبة العثمانية بتعاون وثيق بين السنة العراقيين والعثمانيين وفتور في العلاقات بين الشيعة والعثمانيين، وهو فتور لم يصل على اية حال الى درجة التصادم والتنازع.

ان مفهوم الدولة في المدرسة السنية هو اكثر وضوحا مما هو عليه في المدرستين الشيعية والكردية. وقد تنبه البريطانيون الى ذلك منذ عام ١٩١٧. ويلاحظ ان بلاغ الجنرال ف. س. مود القائد العام للقوات البريطانية في العراق، الصادر في ١٩ اذار ١٩١٧، لم يوجه الى كل العراقيين بل الى سكان ولاية بغداد وحدها. وتضمن البلاغ دعوة للاشتراك في تصريف الشؤون المدنية «بالتعاون مع المثلين السياسيين لحكومة بريطانيا العظمى»[6].

لاحقاً، تولى السنة ادارة المناطق الشيعية وقد ابدى زعماء الشيعة اعتراضا على ذلك[7]. ومن الواضح ان البريطانيين فعلوا ذلك لانهم كانوا يبحثون عن حلفاء يدعمون مشروعهم في العراق وربما يكونوا ارادوا من ذلك ايضاً بث الفرقة بين السنة والشيعة. ومهما كان السبب فذاك لا ينفي استعداد السنة للتعاون مع بريطانيا من اجل الحصول على مكاسب تجنى من ادارة السلطة.

وعلى اثـر ذلـك زاد اعتمـاد البريطانيين على السنة.

وفي عام ١٩٢٠ انشأت بريطانيا حكومة مؤقتة في العراق برئاسة السني عبدالرحمن النقيب ضمت اربعة وزراء سنة وثلاثة وزراء شيعة ويهوديا.

وفي قبولها بفيصل ملكا على العراق، اعتمدت المدرسة السنية على اصلين رئيسيين معلنين هما اصول فيصل الارستقراطية الدينية وكونه سنيا. اما الاصل الثالث غير المعلن فكان نظرة السـنة الى فيصل باعتباره رمز لعصر قادم يكون فيه السنة العنصر الاكثر تفوقا في العراق.

وفي المدرسـة السـنية تكتسـب الدولة اهمية خاصة. ومن الناحية العملية، استغل السنة قدرة الدولـة لمواجهة الاختـلاف العرقي مـع الاكراد والاختلاف الطائفي مع الشـيعة واعتبروا ان اهم شـروط الدولة المهابة هو مركزيتها وقدرتها على تحديـد مصير واحد لجميع السـكان بغض النظر عن اعراقهم وطوائفهم.

المدرسة الكردية

ان الظرف التاريخي الذي نشـأت فيه المدرسة الكردية معقد للغاية. وبالامكان اعتبار الفترة من خـروج العثمانيين من العـراق في عام ١٩١٨ حتى صدور قـرار عصبة الامم القاضـي بضم الاكراد الى العراق في عـام ١٩٢٤، المرحلة التي وضعت فيها المقومات الاساسية للمدرسة الكردية.

حتى عام ١٩٢٢ جرى التعامل مع اقليم كردستان كاقليم ذو وضـع خاص. ولم يكـن البريطانيون قد اسـتقروا على رأي نهائي بشـأن مصير الاكراد ومستقبلهم. وفي عام ١٩٢١ قرر مؤتمر القاهرة ابقاء الاقليم خارج نطـاق الدولة العراقية ريثما تقرر بريطانيـا مصيره النهائـي[8]. ان فكرة ضم الاكراد الى العـراق كانت غريبة عن العرب. ففي عام ١٩١٩ صدر عن ممثلي الشيعة والسنة بيان في ٢٢ كانون الثاني اقترحوا فيه تشـكيل «دولة عربية واحدة على رأسـها ملك مسلم»[9]. ويلاحظ من العبارة ان العرب ركزوا على نقطتين جوهريتين وهما عدم تقسيم الاقليم العربي على اساس طائفي (شيعي-سني) الى دولتين، وهو ما يفصح عنه تعبير «دولة عربية واحدة» وضرورة تمليكها الى مسـلم دون الخوض في تفاصيل مذهبية.

وقد اكد مؤتمـر القاهرة مطالب العرب. ففي رسـالته الى النائب لويد جورج، اشـار ونسـتون تشرتشل وزير المستعمرات البريطانية الى قضيتين لهما علاقة بالطابع العربي للدولة المزمع تشكيلها وهي اختيار ملك من اصل عربي و «قيام حكومة عربية فعالة»[10].

وتعكـس الاسـئلة الثلاثـة التـي صاغهـا البريطانيون للاسـتفتاء علـى مصير العراق ميلا الى تشـكيل دولة لا صلة لهـا بالاكراد. وهنا ايضا يتكرر تعبير «دولة عربية واحدة» الذي يتضمن اشـارة واضحة الى وحدة الشـيعة والسنة في اطار دولة واحدة. وفي تلك الاسئلة تتردد كلمة «عربي» مرتين، مرة في السؤال الاول ومرة كصفة لرئيس الدولـة. وهذا المعنى معبر عنـه بوضوح في اكثر من وثيقة، بينها رسـالة المجتهد الشيعي الشيرازي الى الرئيس الامريكي ولسـن في ١٣ شباط ١٩١٩ التي طالـب فيها بضرورة قيـام «دولة عربية جديدة مستقلة اسلامية وملك مسلم»[11].

وتركز المدرسة الكردية بدقة على هذه المرحلة الهامة. والنقطة الاساسية هنا هي ان فكرة انضمام الاكـراد الى العراق كانت عنـد خروج العثمانيين

مـــن العراق في عام ١٩١٨ فكــرة غريبة عن الاكراد لكن رؤية الاكراد الى الطريقة التي كان يفترض ان يقرروا فيها مصيرهم ومستقبلهم لم تكن واضحة. ومن وجهة نظر المدرســة الكردية ان وضع خيار واحد امام الاكــراد وهو الحاقهم بالعراق من دون ضمانات يتضمن قدرا كبيرا من الاجحاف.

ان المكونين الاساسيين في المدرسة الكردية هما الخصوصية القوميـــة والادارة الذاتية. اما مفهوم حق تقرير المصير، المؤدي الى الانفصال، فهو مفهوم حديـــث جرى التطرق اليـــه في غالب الاحيان اما لتعزيـــز الدعايـــة للمســألة الكردية اســتنادا الى المقتضيـــات الايديولوجيـــة واما لتوســـيع هامش المناورة في الصراع مع بغداد.

ولقد اعطى احتلال بريطانيا لبغداد في عام ١٩١٨ خـــلال الحـــرب العالميـــة الاولى فرصة اكبر لـــبروز فكرة الحكم الذاتي الكردي. وهذه الفكرة لـــم تكن غريبـــة لا على البريطانيـــين ولا على الاكراد. وقد تطرق اليها البريطانيون مع الاكراد في الداخـــل، مع الشـــيخ محمود في الســـليمانية والســـيد طه شـــمزيني في راوندوز، كما تطرقوا اليهـــا في مباحثاتهـــم مع اكراد الخـــارج، كما هو الحال عندما خاض الســـير برســـي كوكس غمار نقاش حول الموضوع مع الجنرال شـــريف باشـــا خندان في عام ١٩١٨ في مارســـيليا بفرنسا[٦]. وعد الموضوع مـــن اكثر الحلول انســـجاما مع الوضع الكـــردي والاقليمي. لكن النقطـــة المحورية التي روجت لها المدرسة الكردية لاحقا هي ان العراق ليس في حقيقته ســـوى نتـــاج صفقة تمت بين السنة وبريطانيا، حصل فيها السنة على الموصل وكردستان، وحصلت فيها بريطانيا على النفط. اما الاكراد فلم يحصلوا على شيء.

تحليل عام

علـــى الرغم مـــن الخلافات التي بـــدا بعضها جوهريا بين المدارس الثـــلاث، فقد لوحظ انه في الفترة من ١٩٢٦ حتى ١٩٥٨ حدث تقارب موضوعي بين المدارس الثلاث، وقد تدعم التقارب من خلال الحركة الوطنية التي جعلت عدوها المباشر متمثلا في التحالـــف القائم بين النظام الملكي والغرب، وهو تحالف لم يحظ بتأييد الشـــعب. لقد اعتبرت كل مدرسة ان اهدافها او البعض منها يمكن ان يتحقق بشـــكل افضل فيما لو اتيح اجراء تغيير من شأنه الاطاحة بالتحالف مع الغرب.

وفي مثالـــين على الاقل، يتوضـــح اثر البنيات الايديولوجية للمدارس الثلاث على سياسة الدولة. فبعد الاطاحة بالنظام الملكي في عام ١٩٥٨، تشـــكل مجلـــس رئاســـي مؤلف من ثلاثة اعضـــاء ينتمي كل منهـــم الى احدى المجموعـــات الثلاث. وعكس الدســـتور المؤقت الصـــادر في ٢٧ تموز الحد الادنى من الاهداف الرئيسية لكل مدرسة.

فقد خلصـــت المادة الثانيـــة الى اعتبار العراق جـــزءً من العالم العربي، ما يعبر بدقة عن واحدة من اهم مبادىء المدرســـة الســـنية. ولم تكن هذه المادة هي الوحيدة المعبرة عن الاتجاهات السياسية للمدرسة السنية. فقد ضم الدستور نقاطا اخرى، ربما كان اهمها المادة ١٦ التي تضمنت اشارات قوية الى تقديـــس الدولة والمادة ١٧ التي تعطي الانطباع باقرار دور سياســـي للجيش. وعبرت المادة الثالثة عن مبدأ الشراكة في الوطن بين العرب والاكراد، ما يعكس التأثر بالمدرسة الكردية. فيما تضمنت المادة ١٢ المختصة بمســـألة صيانة حريـــة الاديان والتي تتضمن عمدا كلمة ((شـــعائر)) اشارة صريحة الى واحدة من مطالبات المدرســـة الشيعية. وضمنت

المادة التاسعة المساواة بين افراد المدارس الثلاث كمبدأ عام.

لكن التقارب الذي حدث في تلك الفترة بين المدارس الثلاث، لم تتوفر له مقومات الاستمرار. فقد شهدت السنوات اللاحقة فتورا في العلاقة بين المدارس الثلاث. ان مبدأين هامين سادا العراق السابق ساهما الى ابعد الحدود في تعكير العلاقة بين المدارس الثلاث وهما مبدأ المركزية وتقديس الدولة، مبدآن بالامكان دمجهما في مبدأ واحد نظرا للترابط الوثيق بينها.

ان مبدأ المركزية مبدأ لا يلائم البلدان المتنوعة في بنياتها العرقية واللغوية والدينية. وعندما لاتبدي الدولة تساهلا في مركزيتها، يعني ذلك اخفاقها في اقامة علاقة ودية مع مواطنيها لأن مبدأ المركزية لايستقيم الا مع علاقة غير متوازنة بين المركز والاقاليم. ان تاريخ العراق القديم يبدأ بعصر الدويلات السومرية، ما يعني ضمنا انتفاء الحاجة الى المركزية. وتفصح المجتمعات التي ظهرت لاحقا في بابل جنوبا وآشور شمالا وفي المقاطعات الجبلية الكردية ذات الاستقلال الذاتي، ان قدامى العراقيين احتفظوا لانفسهم بقدر مناسب من الخصوصية. وفي التاريخ الحديث يمكن ملاحظة ان العثمانيين لم يخضعوا ولايات العراق الثلاث لسلطة مركزية واحدة الا في حالات استثنائية وقد راعوا في سياستهم خصوصيات المجتمعات العراقية المتمايزة.

واسوأ ما في المركزية هو اعتمادها على القوة. هكذا، فأن العراق السابق روج لنظرية مفادها ان قوة الدولة هي وحدها الكفيلة بالحفاظ على وحدة الاراضي وان تحقيق المطالبات الاقليمية من شأنه ان يؤدي الى بروز دولة غير قادرة على انجاز مهامها المركزية. وهذا بدوره، نتج عنه مفهوم تقديس الدولة على النمط الالماني.

ان الاندماج الذي حصل لاحقا بين الطبقة السياسية الحاكمة والدولة جعل الطبقة السياسية الحاكمة ترى ذاتها كتعبير عن ارادة الدولة. وهذا بدوره جعل سياسات العراق السابق تتسم باللاواقعية منذ البداية. فحتى عام ١٩٥٨ وهي الحقبة التي شهدت تطورا في العلاقة بين العراق وكل من الغرب وايران، كثيرا ما تم وصف الاكراد المطالبين بالحقوق القومية بالموالين للشيوعية وقلما جرى التطرق الى الروابط التي تربط الشيعة العراقيين بايران. وابتداءً من عام ١٩٥٨، وهو العام الذي شهد بداية خروج العراق من المعسكر الغربي واتباع الدولة سياسة يسارية، وبسبب التدهور التدريجي في علاقة العراق بالغرب وايران، فقد تم الترويج على نطاق واسع لنظرية ارتباط الاكراد بالغرب ومخططاته وارتباط الشيعة العراقيين بايران.

ان هذا الواقع اوجد ظرفا صارت فيه الدولة تشك في اخلاص جزء من مواطنيها. يضاف الى ذلك ان الطبقة السياسية الحاكمة صارت لا تميز بين النقد الذي يوجه الى سياستها والنقد الذي يوجه الى الدولة. وهذه النظرة غير القادرة على التمييز بين الاشياء، جعل الدولة في مواجهة صعبة مع جزء كبير من مواطنيها.

وعلى الرغم من ان العراق شهد محاولات لايجاد سبل مناسبة لحل المشاكل، فأن حجم المشاكل لم يكن يتناسب مع درجة سعي الدولة لايجاد الحلول. ففي عام ١٩٣١ حاولت الدولة ايجاد حل للمطالبات اللغوية عن طريق اصدر قانون اللغات المحلية. ولم يؤدي ذلك القانون الى ايجاد حل للفتور بين الاكراد والدولة وظلت النواقص

التـــي رافقت القانون واســلوبه وطريقة تطبيقه تعرقل امكانية ظهور فرصة لتحسين العلاقة بين الاكراد والدولة. وفي عام ١٩٥٨ لم ينتج عن الاشارة الى مفهوم الشراكة في الدستور المؤقت سوى مجلس رئاسي شكلي بدون اية صلاحيات حقيقية. وفشل مشروعان لتطبيق اللامركزية في العراق في عامي ١٩٦٣ و ١٩٦٦، ولم يمنح قانون المحافظات الصادر في عام ١٩٦٩ الصلاحيات المطلوبة للمحافظات. جلي ان سبب فشل هذه المحاولات يعود بالدرجة الرئيسية الى ان الدولـــة لم تتنـــاول بدقة جوهر المشـــكلة وظلت مصرة على بعض التغييرات الشكلية. هكذا، استمرت المشاكل لأن الحلول الشكلية لم تكن قادرة على ايجاد حلول جديرة بالمشاكل الكبيرة. واثبتت التجربة العراقية ان الحلول لايمكن تأسيسها على مجـــرد النيات الحســـنة وان الحلـــول اذا لم تمس جوهر المشكلة تظل مجرد خطوة قابلة للفشل.

ان واحدة من اهم المشـــاكل في العراق الســـابق هي ان الدولة لم تتحول الى ســـلطة عامة ضامنة للخضـــوع الاختيـــاري للمواطنـــين ومعـــبرة عن الشراكة ومساهمة في تقليص حجم التشنجات، بل تحولت الى طرف متورط في المشـــاكل. وثمة دمج بـــين الحقوق والادوات. وان مفاهيم مثل المواطنة والديمقراطيـــة يجب ان تتدعـــم بخطوات هامة لأن المواطنـــة او الديمقراطية غير قادرة لوحدها على ضمان الاســـتقرار. هنا يســـتدعي الامر ايلاء اهتمـــام كاف بأهمية مواضيع من قبيل المســـاواة، الشـــراكة، والاقرار القانوني بالحقوق وبدون هذا تظـــل المواطنـــة او الديمقراطية مجـــرد مفاهيم فاترة وعاجزة عن صياغة الحلول.

ولا ريـــب ان ضمـــان المســـاواة او الشـــراكة او الاقرار القانوني بالحقوق توفر الفرصة للحصول على ادوات تعـــزز تحويل هكذا مواضيع الى عمل. وبالفعل، فأن المساواة او الشراكة طالما ظلت شكلية او نظريـــة، فهي مجرد ديكـــور. اما اذا تحولت الى واقع ملموس، فأنه يمكن ان ينتج عنها ادوات مادية عظيمـــة الاثر في المجتمع مثل المدارس والجمعيات والتشكيلات السياسية والثقافية، ناهيك عن اثرها السايكولوجي.

الخاتمة

لقد فشـــل العـــراق الســـابق في ايجـــاد علاقة مستقرة بين مكوناته. وتعني هذه التجربة ان من غير الممكن اســـتمرار العراق موحدا ومستقرا دون اســـتبدال علاقات القوة بعلاقات حرة وطوعية. ان الشـــرطين الاساســـيين لقيام علاقات رضائية ومقبولة هما ايجاد شراكة حقيقية وتكوين دولة لامركزية.

في العراق الســـابق جرى التركيز على المســـاواة اكثر من الشـــراكة. لكن نظرية المســـاواة لم تجد حـــلا للمشـــاكل. وتوضـــح التجربـــة العراقية ان المســـاواة لوحدها، التي تعبر في صيغتها الدستورية عن مفهوم المواطنـــة، مبدأ لا يضمن الهدوء. ومن الناحية الدستورية فالعراق السابق لم يكن بعيدا عن المساواة. وهذا المبدأ وارد في الدساتير العراقية كمـــا هو واضح في المادتين ٦ و ١٨ من دســـتور عام ١٩٢٥ والمادة ٩ من دســـتور عام ١٩٥٨ والمادة ١٩ من دســـتور عام ١٩٦٤ والمادة ٢١ من دســـتور عام ١٩٦٨. وحده مفهوم الشراكة، المستند على صيغة قانونية محددة معبرة عن الحقوق والواجبات، كفيل بفتح الابواب نحو الحل.

ان اول اشـــارة الى الشراكة في وثيقة رسمية قد وردت في عام ١٩٥٨ في الدستور العراقي المؤقت. لكن

هذه الشراكة لم تتحقق الا بعد ٤٧ عاما، وذلك في دستور عام ٢٠٠٥. وتفصح طوال المدة التي استغرقها الانتقال من اللاشراكة الى الشراكة، عن المصاعب التي واجهت العراقيين في سعيهم لايجاد صيغة مناسبة لتنظيم العلاقة فيما بينهم.

ان مفهوم الشراكة يتضمن بقدر كاف معاني المساواة والمواطنة ومن شأن هذا المفهوم ان يساهم في ايجاد ارضية لعلاقات مستقرة. ان الشراكة التي يتضمنها الدستور الحالي تنزع عن الدولة صفة تهديد الخصوصيات المحلية. وفي العراق السابق فأن السلوك السياسي للدولة الخالي من مفهوم الشراكة، ساهم في ترسيخ الاحساس بالغبن، ذلك ان الدولة تورطت في سياسات آلت الى تهديد الخصوصيات المحلية، مثلما عليه الحال في اجراءات التغيير الديموغرافي ومنع الشعائر الدينية.

وعندما يحدد مفهوم الشراكة بشكل قانوني، مثلما هو عليه الحال الآن، تتوفر ظروف مناسبة للانتقال من مفهوم تقديس الدولة الى مفهوم تقديس الشراكة. لكن مفهوم الشراكة في التجربة العراقية مرتبط بمفهوم اخر هو مفهوم لامركزية الدولة الذي يتضمن حق الاقاليم في الاحتفاظ بخصوصياتها دون ان يعد ذلك خروجا عن القانون.

ان شعور الانتماء الى العراق يتعزز بالقدر الذي يترسخ فيه مفهوم الشراكة المندمج مع مفهوم اللامركزية. ومن مآثر هذا النظام انه يعطي الفرصة لتطور العلاقات المستقرة وينهي المضامين السيئة لمفهومي الاغلبية والاقلية. وبهذا المعنى فأن مستقبل العراق يتوقف على مدى الالتزام بمفهوم الشراكة المندمج مع مفهوم اللامركزية. وبهذا المعنى ايضا، فأنه طالما ظلت الدولة لا تهدد الخصوصيات المحلية وطالما كانت الخصوصيات المحلية لا تشكل تهديدا للدولة وطالما كانت الخصوصيات المحلية لا تهدد بعضها بعضا، فأن درجة استقرار العلاقات كافية لضمان الاستمرار.

الهوامش:

[1] نديم عيسى، الفكر السياسي لثورة العشرين، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢، ص ٤٣.

[2] عبدالله فهد النفيسي، دور الشيعة في تطور العراق السياسي الحديث، دار النهار للنشر، بيروت، ١٩٧٣، ص ١٢١-١٢٢.

[3] نديم عيسى، المصدر السابق، ص ٦٤.

[4] السيد عبدالرزاق الحسني الثورة العراقية الكبرى، الطبعة السادسة، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٩٢، ص ٣٨٨.

[5] نفس المصدر، ص ٣٩٧.

[6] عبدالله فهد النفيسي، المصدر السابق، ص ٢٠٤-٢٠٥.

[7] نفس المصدر، ص ١٦٧.

[8] ديفيد كورن، الشخصان اللذان الحقا الاكراد بالعراق: برسي كوكس وآرنولد ولسن، مجلة riwangey cihan، العدد الرابع، السنة الثانية، اربيل، ١٩٩٥، ص ٢٧. (باللغة الكردية).

[9] عبدالله فهد النفيسي، المصدر السابق، ص ١٢٥.

[10] نفس المصدر، ص ١٧٢.

[11] نديم عيسى، المصدر السابق، ص ١٠٩.

[12] سروة اسعد صابر، كردستان من بداية الحرب العالمية الاولى الى نهاية مشكلة الموصل ١٩١٤-١٩٢٦، مؤسسة موكرياني للطباعة والنشر، اربيل، ٢٠٠١، ص ٧٧.



شهادة

عمّا أسدته مجلة (الثقافة) للكُرد

جلال زنكَابادي

«كلّ متفرّج: جبان أو خائن»
(فرانز فانون)

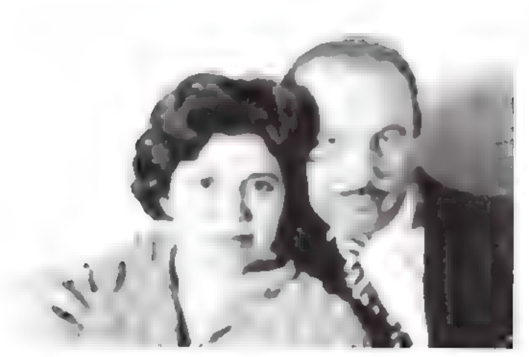
بمثابة استهلال

«...ليتنـــي أســـتطيع أن أتحدث بتجرّد عن إنســـان قدّم كلّ شـــيء للغير ولم يأخذ شيئاً...عن إنسان ضحّى بالكثير ممّا يتمسّك به ويتكالب عليه آخرون، من أجل شعبنا العراقي الكريم، ومن أجل مســـتقبل وآفاق ثقافة تقدّميـــة عراقية(.......) ليتني أســـتطيع أن أتحدث عن ذلك الإنسان، الذي ظل يدافع بعناد وصلابة عن خطّ إختطّه لنفسه، في مجالات نشـــاطه العام، ولم يبال في أيّة فترة من مراحل حياته الصعبـــة بما يلاقي من عدم فهم، أو مـــن نكـــران وجحود. ولم يهتم كثـــيراً أن يعي البعض تلـــك المواقف، أو لايعيهـــا؛ إيماناً منه بأن شمس الحقيقة تسطع رغم الغيوم، وانه في النهاية لايصح إلاّ الصحيح...»(1)

لم أجد البتّة أنصف، أصدق وأبلغ من الفقرة السالفة ؛ لأستهل بها هذا المبحث، والتي إستذكرت بهـــا المربية الفاضلة د. ســـعاد محمد خضر رفيق حياتها وكفاحها الفكري المديد والصديق الصدوق لشـــعبنا الكردي، فقيدنا الغالي د. صلاح خالص، صاحب إمتياز مجلة(الثقافة) ورئيس تحريرها.

وهنا لابدّ من الإشارة إلى أنني استقيت أغلب المعلومات الـــواردة عن مجلة(الثقافة) ومســـيرتها الظافرة طوال عقدين تقريباً؛ بصفتي قارئاً متتبعاً لها منـــذ صدورها في ١٩٧١، ثم مســـاهماً فيها منذ أوائل١٩٧٣ ، ومن ثم محـــرراً متطوّعاً (بلا راتب)

فيها خلال السنوات(١٩٧٧-١٩٨٨) حيث حصلت على عضوية نقابة الصحافيين العراقيين؛ لعملي فيها (وأُنهيت عضويتي النقابية فور احتجاب المجلة *) وهو العمل الصحافي الوحيد، الذي مارسته منذ انخراطي في عالم الثقافة حتى انتفاضة١٩٩١ المجيدة. ولقد حظيت بعشرات اللقاءات والحوارات الحميمية الصميمية مع الأفاضل: د. صلاح خالص، د. سعاد و نجلهما الموهوب والنبيه سعد (الذي غدا كاتباً قديراً ناشطاً على صفحات الإنترنيت، والذي هبّ مشكوراً لتزويدي بسيرتيّ والديه...) بل أصبحت منذ تدشين التواصل معهم بمثابة ابن عزيز موثوق به لعائلتهم المثقفة الكريمة(**) ولقد أضطررت؛ لتعددية مساهماتي وتنوعها في بعض الأعداد، إلى النشر بهذه الأسماء المستعارة: ديوجينوس/ أبو أورفيوس/ أبو وضاح/ (الثقافة) / وحتى بلا إسم/ بالإضافة إلى أسمائي الإعتيادية : جلال حسين ورده/ جلال ورده/ وجلال زنكَابادي... وأرجو المعذرة لهذه الإشارة، التي أضطرّني إليها الإلتزام بالأمانة الأدبية والعلمية، وإلاّ فأنا لست ممن يستسيغون الحديث عن ذواتهم بمناسبة وبدون مناسبة؛ فكلّي يقين راسخ من ان أعمال المرء تظل أقوى وأبلغ وأفصح لسان له؛ مهما تفاقم واستفحل الجحود ونكران كفاح جندي مجهول مثلي! ويكفيني الشرف أن بضعة أدباء مغاربة وجزائريين، ومنهم الأديب الكبير الراحل محمد زفزاف قد ذكروا لبعض الأدباء الكرد(خلال أحد مهرجانات المربد) بأن مجمل اطلاعهم على الأدب الكردي يقتصر على مجلة(الثقافة) وخصوصاً ترجمات وكتابات جلال ورده ، في حين نرى هنا وهناك من يطلق نعت(سفير الثقافة الكردية إلى لغة الضاد) على نفر من كتبة (الفتافيت)!



د. صلاح خالص وعقيلته د. سعاد محمد خضر

(١)

لايخفى على الدارس المتمعّن للمشهد البانورامي الثقافي الكردي المعاصر، أن المنجز الثقافي في كردستان العراق والعراق عموماً هو الأبرز حجماً ونوعاً وتقدماً، بالمقارنة مع سائر نظائره في الأجزاء الأخرى لكردستان، ويليه منجز كُرد الإتحاد السوفياتي(البائد) لاسيما كُرد أرمينيا. وطبعاً يعود سبب هذا الترتيب بالدرجة الأولى إلى تطوّر جناح الحركة التحررية الكردية في هذا الجزء من كردستان الكبرى وتقدمه الطليعي على أجنحته الأخرى؛ بحيث أثمر نضاله المتواصل: حكمدارية الشيخ محمود، وإتفاقية ١١/آذار/١٩٧٠، ثم حكومة إقليم كردستان الراهنة إثر الإنتفاضة العظمى في ربيع ١٩٩١،ناهيكم عن حجم الإنتلجنسيا(من الأرومة الكردية) المشهود على الساحة الثقافة العراقية عموماً، أمّا بالدرجة الثانية فيعود السبب عموماً إلى الزخم الملحوظ لحركة مجمل التيّار الوطني، الديموقراطي والتقدمي على الساحة السياسية العراقية، خلال بعض فترات تاريخ العراق الحديث، والذي تتوّج بثورة ١٤تموز١٩٥٨ المغدورة، والتي حرّفت لاحقاً

عن أهدافها. ولقد إفتقرت تركيا وإيران وسوريا إلى هكذا وضع، ففي تركيا مازال (منذ أواسط عشرينات القرن العشرين) كابوس الأتاتُركية الطورانية جاثماً على صدور شعوبها بلا محطات إستراحة للتنفس الديموقراطي الحقيقيّ، غير(الصوري الوقائي) المكرّس لديمومة حكم السلطات العسكريتارية الفاشية.

ولايقتصر المنجز المقصود طبعاً على ما في اللغة الكردية وإقليم كردستان حصراً، بل يتعداهما إلى الكرد في عموم العراق وإلى منجزهم باللغتين الكردية والعربية ذي العلاقة بالقضية والثقافة الكرديتين. ثمة ينسحب حكمنا السالف أيضاً على تقدم المنجز الثقافي للكرد بالعربية على نظائره للكرد باللغتين التركية والفارسية، في حين يليه منجز كُرد الإتحاد السوفياتي(البائد) باللغتين الروسية والأرمنية على وجه الخصوص. وهذا يعني من بين مايعنيه أن المثقفين الكرد العراقيين هم الأفضل استثماراً وتكريساً للعربية(لغة الحكّام) في سبيل قضيتهم القومية بكلّ أبعادها السياسية والثقافية والإجتماعية، بالمقارنة مع أشقائهم في تركيا وإيران (في ما يتعلّق بمنجزاتهم باللغتين التركية والفارسية) وهنا تجدر الإشارة إلى المنجز الثقافي الملحوظ (باللغة العربية) للمثقفين الكُرد السوريين، والذي يجسّد نهوضهم العارم، خلال ثمانينات وتسعينات القرن العشرين، والذي يُنتَظر منه الكثيرمستقبلاً. لربما يبدو حكمنا هذا غيرمفهوم أو مجحفاً لدى البعض، بل لدى الكثيرين غير المطلعين بدقة وشمولية على مشاهد الثقافة الكردية المجزأة، وهذا يتطلّب منّا مبحثاً آخر يستند إلى استقراء الأمثلة والأدلة والقرائن الكافية، أمّا هنا فقد اكتفينا بالإشارة الإستنتاجية.

وثمة أيضاً نقطة مهمة جداً تستوجب ألا وهي، ليس هناك مثقفون ترك وإيرانيون(نقصد غير الكُرد) يبزون نظراءهم من أشقائنا العرب(العراقيين خاصة) في مواقفهم الإيجابية المحمودة وتناولهم لمواضيع الكرد وكردستان بموضوعية، إلاّ ماندر كالمفكر التركي الكبير إسماعيل بيشكجي، والروائي الإيراني الكبير محمود دولت آبادي. ففي العراق لم يعد « الجبل وحده صديق الكرد» حيث إنبرى أصدقاء غير قليلين من المثقفين والساسة العرب يناصرون القضية الكردية بأيّ شكل من الأشكال، ولأيّ مقصد من المقاصد، كلّ واحد منهم في مضماره وحسب قدراته وإجتهاداته، حتى أن بعضهم ألّف أو ترجم كتباً تتعلّق بالكرد وكردستان، ومنها تآليف قيّمة رفيعة المستوى لأمثال الأساتذة الكبار: د. شاكر خصباك، عباس العزاوي، صديق الدملوجي، عبدالرزاق الحسني، عزيز شريف، د. فوزي رشيد وزهير كاظم عبود.......ومنهم من أغدق أكبر الأفضال على الثقافة الكردية كالمربي الكبير الدكتور صلاح خالص، الذي كان وراء إرسال كوكبة من الطلبة الكرد العراقيين إلى البلدان الأوربية (الإتحاد السوفياتي بالأخص) لإستكمال دراساتهم العليا في شتى الإختصاصات : الأدبية والعلمية والفنية، بعد ثورة ١٤تموز١٩٥٨ حين كان مديراً للمعارف في العراق، ناهيكم عن فتح بوّابة مجلته(الثقافة) على مصراعيها ، منذ مطلع سبعينات القرن العشرين، للمثقفين الكرد؛ ليصولوا ويجولوا على صفحاتها، بكلّ ما في جعبهم وأحراراً من قبل ومن بعد.

إن ما أسلفناه يُعَدّ علامة بارزة من علامات ثقل الشعب الكردي في مجمل مناحي الحياة

الثقافية والسياسية على صعيد العراق كله. ولئن سيكشف مبحثنا هذا عن حجم النشاط الثقافي للمثقفين الكرد في مجلة(الثقافة) فإنه سيصبح دليلاً وشاهداً على جانب مهم من جوانب كفاح المثقفين الكرد لإيصال صوت الكرد على صفحات مجلات وجرائد لم يصدرها الكرد أنفسهم، وبغير اللغة الكردية، وهو الذي لم يوله الباحثون والمختصون الكرد وغيرهم أيّ اهتمام يُذكر للأسف الشديد، في حين لم يزل جلّ اهتمامهم ينصبّ على الصحف الصادرة من قبل الكرد أنفسهم باللغة الكردية وغيرها...وهو موضوع يستحق رسالة ماجستير على أقل تقدير.

(٢)

كانت مجلة(الثقافة) ثقافية عامة، تصدر شهرياً «لاتقتصر على جانب واحد من جوانب المعرفة، وإنّما تهتم بقضايا الثقافة المعاصرة، التي يعنى بها المثقف عموماً، وقد قسمت أبوابها إلى ماتراه مهمّاً وحيوياً من هذه الثقافة»[٢] وكانت ملتزمة بالإتجاهات العلمية التقدّمية في الفكر والمعرفة، كما انها تميّزت بديموقراطيتها، حيث كان مايُنشَر على صفحاتها «يعبّر في الأساس عن آراء الكتّاب ومواقفهم..»[٣] إنطلاقاً من إيمان المجلة «بالديموقراطية وحرية الرأي والتعبير»[٤] وهكذا ضمنت تعددية الأصوات، في ظلّ جناحيها المتجسّدين بالإتجاهين العلمي والديموقراطي، بل وأفلحت في إستقطاب « كوكبة من الأقلام النظيفة الشريفة، التي لاتنتظر جزاءً»[٥] وبذلك قدّمت تجربتها « دروساً بليغة على إمكانية إستقلالية النظرة، وقهر الرعب والخوف، ومجابهة الواقع بالمبدئية»[٦] «رافضةً كلّ وصاية فارغة المحتوى ممّن يقدّم نفسه صاحب الحق الوحيد في إبداء الرأي، والذي يرى ان الجميع على خطأ..»[٧] ولقد واصلت المجلّة « نضالها ضد الأحادية الفكرية والوصائية على كلّ مايخصّ الفرد في أكثر خصوصيّاته حميميّة..»[٨] و «ضد كلّ مصادرة لحرية الإجتهاد وإبداء الرأي؛ في سبيل الوصول إلى الحقيقة»[٩]

ولأن للكلمة الشريفة، الصادقة والنبيلة حضورها وتأثيرها الفعّال وسط بيادر النفاق والإبتذال، فإن ثمنها باهظ جداً؛ ولذا أصبحت (الثقافة) غدت وظلت محفوفة بصعوبات جمّة، وطالما اعترضت العراقيل والعقبات المفتعلة مسيرتها الدائبة، بل وتعرّضت غير مرّة إلى المساءلة مباشرة من قبل أعلى أزلام السلطات الإعلامية العفلقية، كلطيف نصيف جاسم وزير الثقافة والإعلام ،الذي إستقبل الدكتور خالص وأسمعه كلاماً غير لائق بمربّ ومفكر مثله، وهاني وهيّب السكرتير الخاص للدكتاتور صدّام... وعليه فقد تعرّضت للتعتيم والتحجيب والإيقاف بصورة غير مباشرة، بحيث توقفت عن الصدور ثلاث سنوات كاملة(حزيران١٩٨٤- حزيران١٩٨٧) طبعاً لأسباب خارجة عن إرادة وطاقة أسرة تحريرها والكتاب المواظبين على النشر فيها. أجل؛ فقد كفّت وزارة الإعلام (المهيمنة على كلّ شيء)عن تجهيزها بالورق اللازم الذي كانت تزوّد به المطبوعات بسعر مناسب، وقطعت مبلغ الـ (٨٠٠ دينار) ثمن نشر إعلانات مطبوعات وزارة الثقافة على صفحاتها الأخيرة، وهو الدعم الوحيد، الذي كانت تتلقاه المجلة(حسب علمي) وكانت بدورها تحوّله إلى مطابع(دار الحرية) الحكومية مقابل طباعة المجلة، والتي كفّت أيضاً عن طباعتها،

مثلمـا كفت ماتسـمّى بـ (الدار الوطنية للنشـر) عـن توزيعها بإيعاز غوبلز العفلقي، وكان التوزيع يتـم بمخطـط خبيث لتحقيـق غاية السـلطة العفلقية، حيث كانوا يرسـلون أكثر من ثلثيها إلى البلدان العربية(وخاصة شـمال افريقيا) والبلدان الشيوعية والإشتراكية؛ لإعطاء صورة ديموقراطية وانفتاحية عن النظام العفلقي، في حين كان تداول المجلة ممنوعاً في القوات المسـلحة، بل و في المعاهد والكليـات، فضلاً عن ان رجال الأمن كانوا يبلغون أصحاب المكتبات والأكشـاك بحجبها وعدم عرضها في الواجهات، وتزويدهم بأسـماء متابعيها! أمّا بث الإشـاعات المغرضة ضدها من قبـل الكثيرين من (حشع) ومن الكرد المتعفلقين ، بل من العاملين في أجهزة النظام البعثي ومؤسساته الثقافية وحتى الإسـتخبارية والقمعية ، فهي من العجب العجاب، ومنها ان جهاز المخابرات هو الذي يقف وراء إصدار مجلة (الثقافة)!! وذلك في محاولة لئيمة وخبيثة منهم لتشـويه سـمعتها في أوسـاط الإنتلجنسـيا الجامعيـة والثقافية العراقيـة والعربية، في حين أراد أصحـاب القـرار الثقافي البعثي لهـا أن تكون بمثابة (مانعة صواعق) وعلامة دعائية دالّة على ديموقراطيتهم...وهنا يمكن تصوّر حجم المفارقة المخزية، حين سـارعت جريدة(طريق الشـعب) غير مرة إلى إعادة نشـر مقـالات الدكتور خالص الداعية الجسـور إلى حرية الفكر والديموقراطية وإصلاح الأوضاع التربوية والجامعية والإقتصادية، في ١٩٧٧-١٩٧٨ أي بعد خفوت شـموع سـنيّ عسل (الجبهة الوطنيـة)! وبالطبع دسّ العفالقة بعض أزلامهم من الكتاب وحتى الأساتذة الجامعيين (من ذوي الماضي الشيوعي، ومن الألوان المغايرة للونهم ظاهريـاً) (ومنهم قاص وصحـافي هصور بارز في جريدة (الثورة/ لسـان حال البعث) لمايزل يصول ويجـول بانتهازيته الحربائية المكشـوفة للقاصي والدانـي) والباحث القدير الدكتور واثق الدايني؛ بغيـة إحتوائهـا وتحريفها عن مسـارها الفكري المبدئي، ولكن هيهات هيهات؛ فقد إحتوتهم المجلة بحيـث تعرضوا للمسـاءلة من قبـل أربابهم إثر فشلهم في تحقيق المهمة المنوطة بهم! وهنا سأكشف أيضاً النقـاب عن إحدى المؤامـرات الخبيثة ضد المجلة ومصير رأسـها المدبر(د. ج. ك) والذي كان من أبرز المساهمين فيها! فبعدما لم يمتثل المفكر الجليل خالص لتنفيذ مقاصد السـلطة العفلقية الغاشمة؛ توقفت المجلة عن الصدور لثلاث سنوات؛ فسعى العفالقة إلى إيجاد البديل الممتثل؛ فوجدوه في (الدكتـور ج. ك) وبضعـة من أشـباهه، منهم الشـاعر المغمور(د. س/ شيوعي سـابق) و الناقد والروائي (س. ب/ درويش عبدالرحمن الربيعي) ولقد أولني (الدكتور ج.ك) مرتين؛ لجسّ نبضي متحججـاً بالإطلاع على عـدد من قصائدي، التي قيّمها قائلاً(بحضور صديقنا المشـترك الوسـيط ع.ح.أ/ المقيم في هولندا):- « حسب إطلاعي الواسع على الشعر باللغات : العربية، الروسية، الفرنسية والإنكليزية؛ إنك شـاعر لاتشبه أحداً، ولايشبهك أحد» وبالطبع عرض عليّ موضوع إستئناف إصدار المجلة مـن جديد؛ بصفتها منـبراً منحته الدولة للمثقفين التقدميين والديموقراطيين المستقلين، وليس لفلان من الناس حصـراً، وعارضاً عليّ أن أكون سكرتير تحرير لها، لكنني شكرته واعتذرت في الوقت نفسـه برويّة عن المشاركة بحجة مقنعة جداً، ألا وهـي كوني جندياً إحتياطاً بالإضافة إلى سكناي في أربيل. ويبدو أن الدكتور(ج.ك) وصحبه الموالـين كانوا قد وعدوا أيضاً بتأسـيس (حشـع

كارتوني) خادم لتكتيكات البعث وستراتيجياته، ولمّا فشلوا كـ (مقاولين) في في تنفيذ المهمة ؛ تعرض قائدهم (ج.ك) فترة سنتين أو أكثر للسجن. الذي أثر في وضعه النفسي تأثيراً مدمراً، وفي كتاباته التي راح يحشوها بالشعارات والطروحات العفلقية بمناسبة وبدون مناسبة، بل ولم يتوان عن تدبيج التقارير المؤذية(كما حصل للمترجمة والكاتبة الكبيرة المغدورة د. حياة شرارة، ولوالدها) وان ما تعرض له الدكتور(ج.ك) يجلو ديدن البعث مع عملائه الراسبين في امتحان العمالة!

و «هكذا توقفت المجلة عن الصدور، وخسرت الصحافة في العراق والأدب والثقافة الأصيلة منبراً حرّاً رفيعاً نزيهاً بعيداً عن الإسفاف والتهريج، ودون أن تسير في خط لايليق بنهجها» كما يقول الأستاذ مثري العاني[١٠]

وهنا لابدّ من وقفة تجلو تفاصيل وملابسات إصدار هذه المجلة في مطلع سبعينات القرن العشرين، حتى احتجابها أو حجبها النهائي في١٩٨٨ ، وهي بالتأكيد خافية على غيري وغير أمثالي القلائل، القريبين جداً من المربي الكبير خالص والمفكرة الفاضلة د. سعاد، حيث اطلعت على الحقائق التي طالما حاول وسعى البعض إلى تشويهها. وهاهي خلاصة قصتها بكل أمانة:

كان الدكتور صلاح خالص، بعد نيله شهادة الدكتوراه من باريس، وعودته إلى العراق، واشتغاله بالتدريس الجامعي، وانخرط مع أبرز المثقفين المتحمسين أمثال: مهدي الرحيم، صفاء الحافظ، إبراهيم كبة، فيصل السامر، عبد الملك نوري ومحمود صبري..، لإصدار مجلة (الثقافة الجديدة) في ١٩٥٣، والتي تكرّست بصورة غير مباشرة لخدمة(حشع) وقد صدر منها ٣أعداد إبان العهد الملكي، وعددها الرابع بعد قيام ثورة١٤تموز ١٩٥٨ وحينذاك أيضاً عيّن الدكتور خالص مديراً عاماً للمعارف في وزارة المعارف، ولكنه بعد انحراف قادة الثورة واستفحال الهجمة الرجعية الشرسة أُقيل في ١٩٦٢ من منصبه، وعيّن ملحقاً ثقافياً في الإتحاد السوفياتي؛ فشد الرحال مع عقيلته الدكتورة سعاد إلى هناك، ولكن انقلاب ٨شباط الأسود في١٩٦٣حال دون استمراره في وظيفته؛ فبقيا هناك يمارسان التدريس الجامعي، حتى عودتهما إلى العراق في أواخر١٩٦٨ أو أوائل ١٩٦٩ لمارسة التدريس ومواصلة إصدار مجلة (الثقافة الجديدة) حين أخذ العفالقة بعد انقلابهم الثاني في ١٧تموز١٩٦٨ يستبدلون تكتيكاتهم لتحقيق ستراتيجيتهم الشوفينية- الفاشية البميّتة،بطرق وأساليب ماكيفلية، إستمرأتها فصائل القوى الوطنية التقدمية؛ لنيل مكاسب آنية تافهة، مخدوعة بالعفالقة الذين كانوا يتقنّعون بشتى الأقنعة يغازلون (حشع/ جناح اللجنة المركزية، الموالي للسوفيات) ويضربون(حشع/ جناح القيادة المركزية/ الكفاح المسلح)، يقرّبون (جناح مام جلال الطالباني) ويضربون (حناح البارزاني) ثم يبرمون إتفاقية مع الجناح الأخير، ثم ينقلبون عليه بعد ابرام صفقة(الجبهة الوطنية) وخاصة مع(حشع/ ذي التبعية السوفياتية) ووووو.... ينقلبون على حشع بعد تقوية شوكتهم ؛ إثر انتكاسة الحركة الكردية المسلحة في آذار١٩٧٥ ؛ بفعل إتفاقية الجزائر المشؤومة، المباركة من قبل تحالف القوى الإمبريالية وغير الإمبريالية، كالاتحاد السوفياتي المشيد بخرافة (التطوّر اللارأسمالي!) في العراق وغيره.

لنعد إلى قصة ميلاد(الثقافة) بعد ترك صاحبها

لمجلة (الثقافة الجديدة) العائدة إلى الصدور في١٩٦٩ وبعد سنة دبّ الخلاف بين الدكتور خالص والدكتورة سعاد، اللذين كانا يبتغيان تعريق الماركسية والشيوعية ومراعاة الخصوصيات العراقية، أسوة بالشيوعية الأوربية(الفرنسية والإسبانية والإيطالية..) وبين أغلب قادة حشع المتزمتين الذيليين للسوفيات، ممن كانوا يريدون لمجلة (الثقافة الجديدة) أن تكون نسخة كاربونية طبق الأصل لمجلتي (قضايا السلم والإشتراكية) و(الوقت) لاجمين أفواه المجتهدين...ولرجحان كفة الستالينيين المتصخرجين؛ أضطر الدكتور خالص وعقيلته الدكتورة إلى الإنسحاب من حومة الصراع اللامتكافيء....ولئن كان صدّام الشاب الظامىء إلى أعلى عليين السلطة بأيّ ثمن حسب « الغاية تبرر الوسيلة» و « فرّقْ، تسُدْ» فقد سارع إلى التقرّب من الدكتور خالص وراح يجامله أقصى مجاملة، بل زاره في منزله مغدقاً وعوده المعسولة؛ طمعاً في تكريس صيته الحسن ونشاطه الثقافي المشهود لمراميه الستراتيجية المبيّتة، ومنها فبركة (حشع كارتوني) بديلاً لحشع الحليف للبعث(في الوقت المناسب) على غرار (الأحزاب الكردية الكارتونية: الحزب الثوري...والحزب الديموقراطي..) وهو الأمر الذي رفضه الدكتور رفضاً قاطعاً، مكتفياً بإصدار مجلة(الثقافة) بشرط ستراتيجي(وافق عليه صدّام تكتيكياً) الا وهو عدم خضوع المجلة لأية رقابة...وعليه ورد ذكر مجلة (الثقافة) في (التقرير السياسي) لحزب البعث عام ١٩٧٤ كمنبر ممنوح للديموقراطيين المستقلين....وهكذا فقد « أريد لمجلة (الثقافة) أن تكون خطاً مغايراً لخط مجلة(الثقافة الجديدة)» (١١) أي ان السماح بإصدار (الثقافة) « كان محاولة من سلطة البعث لدق إسفين بينها وبين مجلة(الثقافة الجديدة) إلاّ أن ذلك لم يحصل؛ فقد إلتزمت مجلة(الثقافة) خطّاً وطنياً تقدمياً لايتلاءم مع ما خطط لها الآخرون؛ لذا بدأت المجلة تتعرض لمحاولات الإحتواء، ووضع العراقيل في طريقها؛ لحرفها عن الخط الذي إختطته، خاصة بعد توقف مجلة (الثقافة الجديدة) عن الصدور»[١٢]

برغم ما أسلفناه؛ ظلت مجلة(الثقافة) «نبراساً للفكر العلمي التقدمي، الذي إختارته شعاراً وهدفاً لها»[١٣] خصوصاً في أواخر سبعينات القرن العشرين وثمانيناته، حينما خلت الساحة الصحافية من نظيراتها. ولم تتوان عن تأدية رسالتها الأدبية-الفكرية بكل أمانة ، وطالما كانت تنتقد بجرأة نادرة الأجهزة والمؤسسات الثقافية والتربوية والإقتصادية، والظواهر السلبية على الصّعد كافة؛ فلاعجب إن طغى عليها التعتيم حتى في الصحف، التي كانت تتحاشى نشر أخبار صدور أعدادها، ناهيكم عن تقديم عروض أو قراءات لأعدادها، بالإضافة إلى سحب بعض أعدادها من المكتبات بعد توزيعها، وشحنها إلى معمل الورق في البصرة! وكانت كما أسلفنا محظورة التداول في أوساط القوات المسلحة، وشبه محظورة في الأوساط الأخرى التربوية والثقافية..وكذلك محاولات احتوائها والإلتفاف عليها لإصدارها من قبل أسرة تحريرأخرى(إنتهازية عميلة للسلطة العفلقية) وهي المحاولة التي باءت بالفشل وهي قيد التخطيط. أجل؛ ظلت (الثقافة) محافظة على استقلاليتها، و « استطاعت بمساعدة كتابها وقرائها المؤمنين برسالتها؛ أن تذلل العقبات التي اعترضت سبيلها، وأن تشق طريقها وتحقق تقدماً ملحوظاً ، في كل عدد من أعدادها، نحو

الهـدف، الذي وضعته نصب عينها، ألا وهو خدمة الفكـر العلمي والثقافة التقدمية، والإلتصاق أكثر فأكثـر بمشـاكل العصر ومعالجتها بشـكل علمي موضوعـي..»[١٤] حتى غـدا في مقدورها أن ترفد فعلاً «الثقافـة العلمية الحقيقيـة، التي لاتزيّف الواقـع، ولاتغيّـر الحقيقة، ولاتجعـل من الفكر مجرد وسيلة للإستغلال والإبتزاز..»[١٥]

إذنْ، كان لابـدّ لمجلة(الثقافة) مـن أن تكافح كفاحاً مريراً، في سـبيل برهنة مصداقية رسالتها الفكريـة، وهي مدركـة بعمـق " ان الوصول إلى الحقيقـة العلمية، لابـدّ أن يمر عبر حرية الفكر والتعبير" (١٦) فليس صدفة أو اعتباطاً، إذ اجتمعت علـى صفحاتها أقـلام خيرة الكتـاب والمترجمين التقدميـين- الديموقراطيين من العراقيين عرباً وكرداً وآشـوريين وكلداناً...بل من الأشقاء العرب المصريين والجزائريين...بصورة نادرة المثيل، ممّا منحها هذا الإحتشـاد مكانة مرموقة ومتميزة في أوساط قرائها العراقيين وغيرهم ، في شتى الأوساط : الأكاديمية، الإنتلجنسية والشعبية.

ولإسـتكمال صورة(الثقافة) وتوضيح هويتها الصحافية، سندرج مواصفاتها أدناه:

مجلة ثقافية عامة، مقرها بغداد، حيث تطبع فيها. صاحب امتيازها ورئيس تحريرها: د.صلاح خالص. سكرتيرة تحريرها: د.سعاد محمد خضر، وقد تسـنمت رئاسـة التحرير بعد وفاة الأسـتاذ خالـص، وصدرت في عهدها تسـعة أعـداد. كانت المجلة تصدر شـهرياً بصورة منتظمة في بداية كل شهر، حيث كان عددها الأول في كل سنة يصدر في شهر كانون الثاني، وغالباً ما يصدر في كل تشرين الثانـي عدد مزدوج حامل لرقم(١١-١٢) أمّا شـهر كانـون الأول من كل سـنة فـكان بمثابة عطلتها السـنوية. ولم يقتصر الإزدواج العددي على شهر تشـرين الثاني من كل سـنة، وإنما تعداه أحياناً إلى أعدادهـا الأخرى، لأسـباب ذاتية وموضوعية. ولـم يكن عدد صفحاتها ثابتاً، بل متفاوتاً يتراوح بين(١٤٠-٢٥٦صفحـة) مـن (القطـع المتوسـط: ١٤×٢١سـم تقريباً) وكان عدد نسـخها المطبوعة يـتراوح بـين(٥٠٠٠- ٦٠٠٠ نسـخة). كان تصميم غلافها الأول ثابتاً على مدار كل سـنة، ولكل شهر لونه الخاص: الأحمر للعـد الأول، الأصفر للثاني، الأخضـر للثالث....والرصاصي للعدد الأخير، لكن هـذه الوتيرة لـم تكن ثابتـة دائماً. أمّـا غلافها الأخير فـكان يحمل في أكثر الأحيـان لوحة فنية أو تخطيطاً لفنان عراقي، بالإضافة إلى إسم المجلة باللغة الفرنسـية، ورقم عددها وتاريخ صدورها بالشهر والسنة. بدأ ثمنها بـ (١٠٠فلس) ثم زيد إلى (١٥٠فلساً) ثم إلى (٢٥٠ فلساً) ومن ثم إلى(٧٥٠فلساً) ولقـد صدر أول عدد لها في شـهر كانـون الثاني سـنة١٩٧١ وآخر عـدد لها في شـباط ١٩٨٨وتخللت سـنوات صدورها فترة التوقـف التي دامت ثلاث سـنوات كما ذكرنا سـالفاً، وبذلك يكون المجموع المجازي لأعدادها الصـادرة (١٨٠عدداً) وعليه تعد (حسـب اطلاعـي) أطـول المجـلات الأهلية(غير الحكومية) عمراً في العـراق خلال النصف الثاني من القرن العشـرين، وأكبرها في مجموع صفحات أعدادها، وأكثرها تنويعاً ثقافياً[١٧]

وهنـا علينـا أن نأخذ في الحسـبان بأن المجلّة قـد توقفت عن الصـدور ثلاث سـنوات بالتمام (حزيـران١٩٨٤- حزيران١٩٨٧) ولـم يصدر منها غير(٥ أعداد) في ١٩٨٤ و(٧أعداد) في ١٩٨٧ و (عددين) في ١٩٨٨ واحتوى عددها الصادر في ايار١٩٨٣ (السنة الثالثة عشر) ستة أعداد ضمنياً(٦-١٢)

(٣)

جليّ ان اهتمام مجلة(الثقافة) - بصفتها منبراً مستقلاً، ديموقراطيا وتقدمياً- بالكرد شعباً و قضيةً وثقافةً، نبع أصلاً من موقفها المبدئي، الملتزم بقضية حقوق الإنسان والديموقراطية المترابطة جدلياً مع القضية القومية. ومن هذا المنطلق كانت تنفرد بين سواها من الصحف العربية- العراقية بتهنئة شعبنا الكردي بمناسبة أعياد نوروز وذكرى اتفاقية آذار ١٩٧٠كل عام، وفي مايلي مقتطف من إحدى تلك التهاني:

" تنتهز(الثقافة) فرص قدوم المناسبات السعيدة في شهر آذار، شهر المحبة والإخاء والسلام، لتقدم لشعبنا الكردي أعمق التهاني وأطيب التمنيات، راجية له المزيد من التقدم والإزدهار وتحقيق مطامحه القومية، في إطار عراق ديموقراطي متقدم مزدهر، ووحدة صلبة متينة مع الشعب العربي في العراق وجميع الأقليات القومية..إن مجلة (الثقافة) تكرر بهذه المناسبة تصميمها وعهدها بأن تكون أداةً لتعميق الأخوّة العربية الكردية..."[١٧]

وهنا لايهمنا الخطاب السياسي الوارد في افتتاحيات المجلة، التي شبهها الفقيد العظيم د. خالص نفسه ذات مناقشة بيننا، في فترة (الجبهة الوطنية)، بخصوص مديحه الطفيف للحكومة، شبهها بحدوة الحصان التي تعلق على الأبواب درءً لخطر العيون الحاسدة، بل وقال مفحماً إيّاي: "دعك من الإفتتاحيات التي لاتتجاوز الواحدة منها ثلاث صفحات، فهي باسمي وعلى مسؤوليتي، وهي بمثابة صمام أمان وتمرير ويقع وزرها عليّ، أمّا أنتم الشباب إذا فيكم خير، هاتوا مافي جعبكم، وصولوا وجولوا على ماتبقى من صفحات أعداد المجلة".

حقاً لاتعدو الكتابة السياسية غالباً أكثر من معالجات آنية تكتيكية ، مقارنة بالطروحات الثقافية ذات البمدى الستراتيجي، وهو ماتحقق في احتضان (الثقافة) لثقافتنا الكردية كمّاً وكيفاً، لايدانيه أيّما احتضان لمجلة عربية أخرى، حتى (الثقافة الجديدة) لحشع طوال تاريخها، بل ولايضاهيه في المستوى المرموق حتى الأقسام العربية الملحقة بالمجلات والجرائد الكردية، خلال تلك الفترة، فقد استطاعت(الثقافة) تغطية أكبر مساحة ممكنة من مشهد الحياة الثقافية الكردية: المشكلات، الندوات، المناقشات، المؤتمرات، الحوارات، اللقاءات، المهرجانات الأدبية والفنية، المعارض الفنية، العروض المسرحية، الإصدارات الجديدة، المقالات والدراسات النقدية،بالإضافة إلى ترجمات النصوص: الشعرية، القصصية والمقالية والبحثية، بل ثمة مذكرات رفعها اتحاد الأدباء الكرد لم تستطع الوصول إلى مرأى ومسمع الرأي العام؛ لولا صفحات(الثقافة) مثلما حصل في أوائل سبعينات القرن العشرين وأوائل ثمانيناته[١٨]

وتكمن الأهمية الكبرى للمساهمة الكردية في مجلة(الثقافة):

١-لأن المجلة لم تخضع للرقابة المباشرة، بموافقة الحكومة، وهو الشرط العظيم، الذي إشترطه الدكتور خالص على صدام (دكتاتور المستقبل) منذ البداية، بل حسب حزب البعث ونظامه المجلة من العطايا الديموقراطية، لتكون لسان حال المستقلين الوطنيين من الديموقراطيين والتقدميين، ثم ان الدكتور خالص لم يلزم أحداً باتباع طروحاته المتناثرة في مقالاته الإفتتاحية. ولقد توافرت الحرية للمثقفين الجريئين لنشر ماتحسبه الصحف الأخرى محظوراً، أو شبه

محظـور، ثمة عشـرات الشـواهد والقرائن، لعل أسطعها: مذكرتا إتحاد الأدباء الكرد، مقالة للأستاذ عبدالمجيد لطفي، فصول كتاب (كردستان في عهد السـلام/ للدكتور احمد عثمان ابي بكر)، قصائد وقصص لأدباء كـرد مغادرين العراق أو ملتحقين بالكفـاح المسـلح، وعشـرات المقالات والدراسـات الناقدة والمنتقدة للأوضاع الثقافية والإجتماعية من نقـد الجامعات حتى المسلسـلات التلفزيونية مروراً بالظواهر السلبية كافة، وكذلك العديد من مقالات ودراسـات وترجمـات وقصائد كاتب هذه السطور(ج. زنكَابادي) ومنها مقالة(طوبى لمن؟!) المنشورة في خاتمة هذا المبحث.

٢-لكـون خط (الثقافة)الفكـري مغايراً لخط النظام الحاكم وأذياله؛ فقد حظيت المجلة بحضور جيد، وكانت مقروءة في الوسـط الجامعي ووسط النخبـة الأدبيـة والفنية، فضلاً عـن وصولها إلى غالبية مدن العراق وقصباته، بما فيها من مكتبات وأكشـاك بيع الصحف ومكتباتها العامة....وكذلك إلى نخبة من قراء ومثقفي مصر وبلدان الشـمال الإفريقـي، والعديد من المستشـرقين السـوفيات والفرنسـيين والطليان والإسـبان...وقد افتقرت غالبية الصحف العراقية الأخرى إلى هذه الميزة.

٣-كانـت (الثقافة) من المجلات القليلة المعترف بهـا في الجامعـات العراقيـة، والتعويـل عليها في الترقيات العلمية الأكاديمية.

حصاد الثقافة الكردية في (الثقافة)

والآن حـان تقديم تفاصيل حصيلة جردي التمشـيطي لأعداد المجلـة كافة مـن أولها حتى آخرها خلال (كانون الثاني١٩٧١- شباط١٩٨٧) على الوجه الآتي:

الشعر:

فيّـض لأكثر من (٦٠ شـاعراً) كردياً، قديماً وحديثـاً، كلا التعريـف بهم والترجمـة لهم، أو التعريـف بلاترجمـة، أو الترجمـة بلاتعريـف، ومنهم:

الملا الجزيري/ علي الحريـري/ فقي طيران/ عبدالرحيـم مولوي/ نالـي/ حاجي قادر كويي/ مهـري/ قانع/ دلـدار/ كامران موكـري/ محمد صالح ديلان/ علي فتاح دزيي/ حسيب قرداغي/ عزيـز سـليم/ ع.ح.ب/ احسـان فؤاد/ شـيركو بيكَـس/ محمد حمـه باقي/ انور قـادر الجاف/ فرهاد (انور)شاكلي / لطيف هلمت/ احمد تاقانه/ عبدالله بشيو/ محمد البدري/ صلاح شوان/ سامي شـورش/ مدحت بيخو/ جلال البرزنجي/ مارف كَول/ نوزاد رفعت/ عبدالرحمن مزوري/ حسـن سـليفاني/ خليل دهوكي/ محسن قوجان/ احمد قرنـي/ تيلي امـين/ بهجت هـروري/ بدل رفو المزوري/ جوهر كرمانج/ هاشـم سـراج/ دلشاد مريواني/ محمد امين بنجويني/ دلشاد عبدالله/ كريم دشـتي/ عباس عبدالله يوسف/ محمد باوه كر/ نجيب بالايي/ سعدالله بروش/ انور مصيفي، عالية عبدالكريم وجـلال ورده زنكَابادي. ولقد بلـغ عدد القصائد والقطع الشـعرية(١٩٩ قصيدة وقطعة) ترجم (ج. ورده زنكَابادي) أكثر من(٧٠) منها، وكان بعض الشـعراء منهم ملتحقاً بالحركة التحررية المسـلحة، أو خارج العراق! ويتجلى من قائمة أسماء الشعراء مدى الإحاطة بالمشهد الشعري الكردي(العراقي خاصة) والديموقراطية السائدة في التعددية الجيلية والمشارب السياسية والفكرية والمذاهب الأدبية..

وهنـا تجدر الإشـارة إلى ملـف (هذه بعض

الأصوات وهـذا بعض رنينها) الـذي أعده ترجم قصائـده: آزاد مولـود، والذي راجعـه ونقحه(ج. زنكَابادي) وكان وراء نشـره(دون أن يذكر اسمه) والمنشور على الصفحات (٢١٠-٢٣٨) في العدد السادس (ت٢سنة ١٩٨٧) والذي ضم اصوات النخبة الطليعية من الشعراء الشباب آنذاك، فلولا مجلة(الثقافة)؛ لما رأى النور في تلك الفترة الحالكة من تاريخ كردستان العراق، وقد برز أولئك الشعراء لاحقاً، متصدرين المشهد الشعري، بعد إنتفاضة آذار١٩٩١ ومازالوا...

ولـو قيّض جمـع وتحرير هـذه القصائد والقطـع لإصدارها في كتاب بعنوان(ديوان الشـعر الكردي / في الثقافة)؛ لكان أكبر وأفضل بانوراما(في ٥٠٠صفحة من القطع المتوسط، على الأقل) للشعر الكردي خلال عقديّ السـبعينات والثمانينات من القرن العشـرين،ناهيكم عـن القدامى، لاتنقصها سوى بضع قصائد لبضعة شعراء آخرين مهمين.

القصة القصيرة:

نشـرت(الثقافة) (٢٥ قصة قصيرة) لخمسـة عشـر كاتباً، من شـتى الأجيال والمذاهب الأدبية، وقد ترجـم منها (ج.ز) (١٢ قصة) ويمكن جمعها وتحريرها واصدارها في كتاب كبير:

د.معروف خزندار/ حسين عارف/ محرم محمد امين/ د. كاوس قفطـان/ محمد موكري/ رؤوف بيكَرد/ احمد محمد اسـماعيل/ احلام منصور/ سـلام منمي/ مصطفى زنكَنه/ صدرالدين عارف و عبدالله طاهر البرزنجي....

وهنا تجدر الإشـارة إلى نشـر ترجمتي لقصة (الأرجوحة) للكاتـب القدير محمد موكري، قبل نشـرمتنها بالكردية؛ والذي أضطر القائمون على مجلة (بيان) أو (روشـنبيريي نوي) نشرها بعدما أسقط في أيديهم؛ إثر نشرها بالعربية!

المقالات والدراسات:

بلغ عدد المقالات والدراسات المؤلفة والمترجمة، والمتابعات(التقاريـر الخبريـة) المنشـورة علـى صفحات(الثقافـة) (١٣٢....) وأبرز المسـاهمين في هذا المجال هم:

د. احمـد عثمان ابو بكر: (٣١حلقة) من كتابه الوثائقي المهم (كُردستان في عهد السلام، بعد الحرب العظمى الأولى) والذي رفضت المجلات الأخرى نشره، بالإضافة إلى العديد من المقالات والدراسات...

جـلال وردة زنكَابـادي: (١٣) مقالة ودراسـة مترجمة ومؤلفة، في شؤون الثقافة الكردية،بالإضافة إلى العشـرات من المقـالات والترجمات في شـؤون الثقافية العالمية.

الأسـتاذ زبير بـلال اسـماعيل: (١٠) مقالات ودراسات.

الكاتـب عبدالغني علي يحيـى: (٣٢) تقريراً (رسـالة كردسـتان الثقافية) مع بضع ترجمات لنصوص شعرية وقصصية.

وهنا تجدر الإشـارة إلى أسـماء آخرين رفدوا المجلـة بمسـاهماتهم رغم قلة عددهـا: د. كمال مظهر احمد/ د. معروف خزندار/ د. عبدالسـتار شريف/ د. فؤاد حمه خورشيد/ د.نافع عقراوي/ شـكور مصطفى/عبدالله قادر كَوران/عبدالرقيب يوسـف/ عبدالمجيد لطفي/ اسـماعيل رسـول/ محمد الملا كريم/ نورالدين محمد سعيد/ فاضل كريم احمد/ ابراهيم باجلان/ آزاد مولود/ عادل كَرمياني/فيصـل دباغ/ رمـزي الحاج عقراوي / د. عبدالله حداد/ كمـال غمبار/ محمود زامدار/ وعبدالله قرداغي....

اللقاءات والحوارات:

نشرت (الثقافة) الكثير من اللقاءات والحوارات مع أبرز الوجوه الأدبية والفنية الكردية، ومنهم:

د. معروف خزندار/ احمد سالار/ حسيب قرداغي/ كريم شارزا/ طلعت سامان/ عبدالرقيب يوسف/ محمد صالح ديلان/ عزيز كَردي/ بيربال محمود/ محمد توفيق وردي/ عبدالعزيز خانقاه/ خورشيدة بابان، مصطفى صالح كريم و كَزيزة...

اللوحات والتخطيطات:

نشرت (الثقافة) على الأغلفة الأخيرة لبضعة أعداد بضع لوحات وتخطيطات للفنانين الكرد: محمد عارف/ عزيز سليم/ دارا محمد علي/ و اسماعيل خياط...وآخرين، والتي زوّد كاتب هذه السطور، المجلة بها.

مساهمات الكتاب العرب وغيرهم في الشأن الكردي:

ساهم بعض الكتاب العرب والآشوريين في تناول الشأن الكردي الثقافي خاصة وفي مقدمتهم المغفور له الدكتور صلاح خالص في العديد من الإفتتاحيات، والأساتذة : علي منهل، جليل كمال الدين، ابو دعد، ناظم متي ، ناصر يوسف وسعدي المالح.

مساهمات الكرد في شؤون الثقافة العربية والعالمية:

ساهم الأدباء والباحثون والمترجمون(من الأرومة الكردية) ممن يكتبون بالعربية ويترجمون إليها عن اللغات الأخرى، ساهموا أكبر مساهمة (خارج إطار الشأن الكردي) في رفد المجلة بالكثير من: النصوص الشعرية والقصصية والمسرحية والمقالات والدراسات ذات المستوى الرفيع، ومنهم:

د. حسين قاسم العزيز(الفيلي)/ د. احمد عثمان أبو بكر/ نورالدين محمد سعيد(الراحل المأسوف على شبابه)/ الشاعر عبدالستار نور علي(الفيلي)/ عبدالمجيد لطفي/ جودت بلال اسماعيل/ يوسف الحيدري/ ابراهيم باجلان/ هيرو كَوران/ ابراهيم سعيد الجاف/ فائز محسن/ عبد الرزاق الخالدي(الكلهري)/ جلال جميل الخالدي(الكلهري)/ ريدار انور محمود/ محمد احمد العلي(المندلاوي)/ عبدالرحمن عبدالقادر/ محيي الدين زنكَنه/ ومدوّن هذه السطور(ج. زنكَابادي) ولقد ناهزمجموع صفحات مساهماتهم أكثر من ألف صفحة.

لقد برهنت (الثقافة) بإحتضانها الحميم لشتى جوانب الثقافة الكردية، وبهذا الحجم والنوعية؛ ان ثمة تفهماً جيداً محموداً للقضية الكردية من قبل شخصيات ثقافية وطنية كبيرة، لها وزنها وصيتها المشهودان داخل العراق وخارجه؛ ممّا يُعد مكسباً كبيراً وخطوة جريئة وواسعة على درب الحوار الثقافي وتدشين التآخي المنشود، محطمة لقماقم غيتوات الشكوك والظنون المتبادلة!

ورغم ان المساهمة الكردية في (الثقافة) لم تبلغ مستوى الطموح المرجو؛ لكنها كانت ومازالت هي المتميزة عددياً ونوعياً وسط نظيراتها في سائر الصحف العربية(العراقية) منذ ولادة الصحافة في العراق حتى الآن، بل وتعد من أسطع الأدلة على ثقل الكرد وحضورهم في شتى محاور الحياة الثقافية في العراق. ولعلها تعد أيضاً من أهم المصادر والمراجع للباحثين العرب وحتى الكرد

أنفسهم لدراسة جوانب مهمة من حركة الثقافة الكردية المعاصرة، خلال أحرج الحقب!

أمّا لماذا لم تبلغ المساهمة الكردية مستوى الطموح؛ فلغياب التنسيق نهائياً حتى بين المثقفين الكرد المساهمين فيها، فلم يتم استغلال تلك الفسحة الكبيرة الحرة المتاحة بصورة مبرمجة، حيث ظل نشرهم فيها إنفرادياً، متذبذباً، متفاوتاً ومتبايناً في عدد المساهمات ومستواها النوعي، ثم إن القارىء اللبيب الحصيف سيدرك حتماً علل وأسباب قصور المثقفين الكرد، بل حتى قصور زملائهم العراقيين الآخرين في استغلال منبر(الثقافة)، وذلك عبر مجمل مبحثنا، والتي شخصناها بذيلية بعض المثقفين الكرد للحزب (القائد!) وجبن بعضهم الآخر، و بالنسبة لبعض آخر إنعدام الرواتب والمكافآت والأضواء المنشودة، المبذولة ببذخ في صحافة الدولة والحزب؛ مادام حتى حاملو الهوية الصحافية للعاملين في (الثقافة)، وأنا منهم، لم يحظوا بأي مكسب يُذكر من النقابة، بل حتى لم يشملهم تخفيض أثمان مطبوعات وزارة الثقافة والإعلام بنسبة ٥٠٪ حسب التقليد المتبع في مكتبات(الدار الوطنية) المتناثرة في بغداد ومراكز المحافظات! وأعتقد بأن الكاتب الوحيد الذي إستفاد استفادة هائلة من تلك الهوية الصحفية(الخلّبيّة) هو الزميل شاكر نوري، الذي ساعدته،الهوية التي دبّرت الحصول عليها وأرسلتها إليه بالبريد المسجّل، في أواخر ١٩٧٧ أو أوائل ١٩٧٨ ساعدته في الحصول على إقامة عمل في باريس، ريثما حصل على إقامة دراسة، حتى نيله شهادة الدكتوراه! أمّا أنا فقد سبب لي لونها الأحمر غير مرة وجع رأس في (سيطرات الإنضباطية)! لكوني عضواً مشاركا، حيث كان لون هوية العضو العامل المتفرغ للصحافة أخضر، ولمّا علم زميلي الشاعر اللطيف المعشر صلاح شوان بمحنتي (حين كنت مساقاً لخدمة الإحتياط وبأمس الحاجة إلى هوية مجدية أعبر بها السيطرات) قال:

- أعطني فقط صورتين؛ سأدبّر لك هوية تجديك حتى لو كنت هارباً!

- أخشى أن تدبر لي هوية(جحش)!

(أي هوية الأفواج الخفيفة التي إنخرط فيها مئات الألوف من الفارين الكرد وغيرهم، بينهم الكثير من المثقفين، وكانت تسمي بأفواج الدفاع الوطني!)

- لا ياعزيزي، سأدبّر لك هوية جحشية أخرى أفضل، خلال يومين أو ثلاثة.

(وإذا به يجلب لي مشكوراً هوية إتحاد الأدباء والكتاب العراقيين، والتي كانت مجدية فعلاً في اجتياز السيطرات... علماً بأني لم أحبّذ البتة الإنتساب لذلك الإتحاد، ولا لنقابة الصحفيين إلاّ اضطراراً وعلى مضض... حيث أجبرتني السيطرات اللعينة على حمل تينك الهويتين، بل ولاحقتني مفارقة منغصة بفعل هوية الإتحاد؛ إذ طالما أدرجوا اسمي في قائمة أعضاء الإتحاد، طبعاً مع أغلب الأدباء العراقيين المدعويين (دعوة خلّبيّة بمعنى العبارة) إلى مهرجانات المرابد، و "الذي يدري؛ يدري. والذي لايدري؛ قبضة عدس"!

لقد كانت (الثقافة) بإلتزامها المبدئي برسالتها التقدمية الديموقراطية، وجديتها المشهودة رئة سليمة وقوية نادرة لتنفس الثقافة الكردية الحقيقية؛ فلاغرو إن صارت مصدراً ومرجعاً وسجلاً حافلاً لحركتنا الثقافية إبان سبعينات وثمانينات القرن العشرين، مهما غدرها التعتيم والتجاهل، بل بات مصيرها مصير كل جندي

مجهول جريء مستبسل ومستميت، يطوي الطمس والجحود والنكران دوره وذكره وذكراه!

أجل: إن مسيرة (الثقافة) الظافرة ونهايتها المؤسية ستظلان من أهم الدروس والعبر المأثورة، لا في تاريخ الصحافة والثقافة العراقيتين فحسب، بل وفي حياتنا الثقافية الكردية، حيث هدمت المجلة أسوار الفيتو الثقافي بجرأة ، مدشنة الحوار الثقافي بكل مافي وسعها بين إنتلجنسيا القوميتين الرئيستين في العراق، و ساعية بكل حرص وصميمية إلى تعزيز وترسيخ أواصر ومداميك التآخي بين إثنيات وأطياف العراق كافة.

عراقيل ومعوّقات:

لإفتقار مجلة(الثقافة) إلى التمويل المناسب والدعم الكافي: لم يكن في مقدورها صرف الرواتب والمكافآت لمحرريها والمساهمين فيها (إلاّ ماندر) وللسبب نفسه: كان إخراجها الفني متواضعاً جداً، حيث لم يكن في المقدور نشر الصور والخرائط والرسومات التوضيحية فيها إلاّ ماندر. وكانت الأخطاء المطبعية تشوب صفحاتها بصورة ملحوظة: حيث لم يعمل فيها مصححون ومدققون لغويون، بالمفهوم المتعارف عليه في العمل الصحافي، علماً بأن المغفور له الدكتور خالص والدكتورة سعاد وأولادهما والقلائل من المتطوعين(أحياناً) يقومون بالعمل الروتيني المجهد آنذاك.

يمكننا القول الجازم: لم ولن توجد لحد الآن مجلة أخرى صادرة من قبل العرب العراقيين وغيرهم، قد أسدت مثل هذه الخدمة الكبيرة التي أسدتها مجلة (الثقافة) للثقافة الكردية المحاصرة، في أحلك الفترات (ثمانينات القرن العشرين بالأخص) حيث أتاحت الفرصة لإطلاع قراء ومثقفين حتى في مصر والشمال الافريقي والعديد من المستشرقين الفرنسيين والروس وغيرهم، على مشهد الثقافةالكردية عبر قرابة ألفي (٢٠٠٠ صفحة): ١٩٩ قصيدة وقطعة شعرية، ٢٥ قصة قصيرة، أكثر من ١٥٠ مقالة ودراسة ومقابلة وحوار وبضع لوحات وتخطيطات فنية، فضلاً عن قرابة ألف (١٠٠٠) صفحة أخرى في شؤون الثقافة العربية والعالمية لأدباء وباحثين ومترجمين من الأرومة الكردية، أي مايمكن نشره في ثلاثين كتاباً من القطع المتوسط، على الأقل.

بعد أستقرائنا لعطاء (الثقافة) الفريد على ساحة الصحافة العربية، ومن أجل استكمال المشهد عبر المقارنة: لابد من ذكر المجلات الآتية، المجايلة لـ (الثقافة) إذ شهد عقد سبعينات القرن العشرين بالأخص إزدهاراً صحافياً عددياً ونوعياً نوعمّا، بصدور مجلات تعنى بالثقافة الكردية، وأكثرها مزدوجة اللغة، أي بالكردية والعربية:

١- رؤژى كوردستان= شمس كردستان: بداية السبعينات- أواخر الثمانينات.

٢- گۆڤارى كۆڕى زانيارى كورد= مجلة المجمع العلمي الكردي، مجلة الهيئة الكردية لاحقاً: ١٩٧٣- بداية التسعينات.

٣- ئوتونومي= الحكم الذاتي: منتصف السبعينات- بداية التسعينات.

٤- كاروان= المسيرة(الصواب: القافلة، لكن السلطة العفلقية فرضت مفردة تناسب ايديولوجيتها): ١٩٨٢- ١٩٩١، وقد إستأنفت وزارة ثقافة إقليم كردستان إصدارها منذ مطلع ١٩٩٣ باللغتين الكردية والعربية (على حدة) حيث أنيطت سكرتارية تحرير(القافلة/العربية) بـ (ج. زنكَبادي) وسرعان ما اغتالها الإحتراب

الأخـوي المقيت، وعمرها سـنة واحدة (٤ أعداد) أمّا عددها الخامس فقد تمسخ على أيدي نفر من العفلقـزادات، بحيث خجلـوا حتى من توزيعها في المكتبات! طبعاً إثر استقالتي منها، لكوني مستقلاً ورافضاً لإحتراب الحزبين الكبيرين.

٥- باشـكوي نووسـري كورد= ملحـق الأديب الكردي: بضعة أعداد(١٩٨٦- منتصف التسعينات)

٦- الثقافة الجديدة(١٩٦٩- حتى الآن)

يعـد عطـاء(الثقافـة) العـددي والنوعـي نداً لأفضـل ما في أية مجلة مـن هاتيك المجلات، بل يتجـاوز أكثرهـا، بالرغم من توافـر الدعم الكبير المـادي والمعنـوي والفني لهاتيـك المجلات، بالقياس إلى الإمكانات المتواضعة جداً لـ (الثقافة) فضلاً عن محاربتها بشتى الأساليب الجهنمية!

إذنْ، أليس ظلماً وإجحافاً لايغتفران أن يتجاهل الباحثون الكـرد (الذين يكتبـون في هذا المجال) عطاء(الثقافة) الهائل والفريد؟ ثم أليس تناسـي أهل(الثقافة) جحوداً ونكران جميل، لاسـيما من لدن العديـد من الدكاترة الكـرد ، الذين حصلوا على شهاداتهم بفضل الدكتور صلاح خالص؟

لكي تتأكدوا من فحوى تسـاؤلاتي المشروعة، إقـرؤوا معـي ماكتبـه الأديب المعروف حسـين عارف وآخرون مشـيدين بجميـل بعض المجلات والمطبوعات لإيلائها الإهتمام بالثقافة الكردية:

- "... لنتمعّـن في المبادرة الفريـدة (و أقولها فريـدة، لأنهـا الأولى مـن نوعها حسـب علمي) التـي أقدمت عليها مجلة(الأقـلام) الغراء بعددها (٢،٣ شـباط و آذار ١٩٨٤) بتخصيـص ملف للقصة الكردية"[١٩]

إن (المبـادرة الفريـدة) التي أشـادها وهوّلها الأستاذ حسين عارف وتناسى فيض فضل(الثقافة) لم تتعد ١٠قصص قصيرة مع مقالتين ودراستين، بغـض النظر عن مسـتواها الترجمي! ولقد عاود الأستاذ نفسه الكرة مبهوراً بإنجازات أخرى قائلاً:

-"... وخلاصـة القول اننا بكتابنا الثالث هذا، إلى جانب كتابينا (عشرون قصة كردية مترجمة) و (الذئـاب) نكون قد أنجزنـا حتى الآن فخورين بمهمة تعريفكم بنماذج من نتاجات ٢١ شـاعراً و ٣٠ قاصـاً و ١٠ كتاب من إخوتكم الأدباء الكرد"[٢٠]

والكتـاب الثالث المقصود يضم ٦٧ قطعة شـعرية لواحد وعشـرين شـاعراً، ١٤ قصة قصيرة لأربعة عشر قاصاً و ١١مقالة لعشـرة كتاب. وكل ماذكره هـو مجمل المنجزات (باللغـة العربية) لـ (الأمانة العامة للثقافة والشـباب) آنذاك على مدى عشـر سنين!

والأنكـى من هـذا الموقـف هو تجاهـل ذكر مجلة(الثقافـة) تجاهلاً لايُغتفر من قبل السـيد عبدالكريم فندي الدوسـكي في دراسته (مسارات تطور الثقافة الكردية)[٢١] علماً بأنه تجشـم عناء تمشـيط سـائر الصحـف، وتوقف مشـيداً حتى بأفضـال مجـلات: وعي العمـال/ التبـغ/ المرأة/ الثـورة الزراعية...والتي لم تخصص أفضلها أكثر من بضع صفحات، ناهيكم عن مضمونها الدعائي ومستواها الهزيل!

ولعل مايحز في النفس أكثر أن الباحث المؤرشف الدؤوب المعروف مصطفى نريمان، لم يتطرق ولو بجملـة واحدة إلى دور وفضـل مجلة (الثقافة) في خدمة الثقافة الكردية!

وعليـه مابرحـت التسـاؤلات الآتيـة تأخذ بخناقي:

- هل يجهل هؤلاء وغيرهم من الأدباء والباحثين الكـرد وجود مجلة(الثقافة) وقد سـاهم بعضهم

فيها، أو نشرت فيها ترجمات لبعض نتاجاته أو كُتب عنه فيها؟!

- هل تناسوا (الثقافة) وتجاهلوها عمداً، ولماذا؟!

- هل كانت (الثقافة) في قائمة التابوات و(المسكوت عنه)؟!

وهنا لابدّ أن أسترسل في أحد تساؤلاتي:

- لقد كانت (الثقافة) غير خاضعة لرقابة الدولة ومشرعة الأبواب دائماً لإستقبال ثمرات كل قلم خيّر، وقد أكّد الراعي الكبير د. خالص لأكثر المثقفين الكرد الذين إلتقوه والتقاهم ولي بالذات غير مرة بأنه مستعد لتخصيص ملف (٦٠ صفحة) للثقافة الكردية، يحرره مثقفون كرد بلا أيّ تدخل منه، إذنْ لماذا كان المثقفون الكرد القادرون على المشاركة الدائبة فيها قلائل، أو مقلين في مساهماتهم، أو حتى مقاطعين لها، وخاصة قبيل وبعد انهيار الجبهة الوطنية واعتلاء صدام الدكتاتور العرش العفلقي؟! أهو التقاعس، وكان أكثرهم ناشطاً جداً في النشر على صفحات الصحف الحكومية؟! أهو الخوف؛ لكون(الثقافة) شبه ممنوعة، وكان مثل النظام العفلقي معها مثل(بلاّع الموسى)؟! أهو فقر(الثقافة) المالي، حيث كان يتعذر عليها أن تدفع أيّة مكافآت ولو رمزية، بالمقارنة مع سخاء صحف الدولة و(الحزب القائد!)؟!

أعتقد يمكن استنتاج الأجوبة من التساؤلات نفسها، ناهيكم عمّا في المبحث عموماً، فقد تيقنت فعلاً ان الجبن كان له الدور الكبير؛ فقد كان أكثر المثقفين يخشون شراءها واقتناءها! يليه انعدام المكافآت؛ فمثلاً كف كاتب مسرحي بارزعن النشر فيها بعد مساهمة واحدة؛ لإنعدام المكافآت، كما بيّن لي شخصياً، في حين واصل الأستاذ حسين الجليلي النشر فيها حتى الرمق الأخير، وكذا الحال مع الأديب (المأسوف على شبابه) نورالدين محمد سعيد، والأساتذة:عبدالمجيد لطفي، حسين العزاوي، قاسم عبدالأمير عجام، خليل الطيّار، كفاح محمود، عادل كامل، جمال جمعة، رسمية محيبس، رشيد مجيد، د. خالد العزي، د. جليل كمال الدين، مثري العاني وآخرين لاتكفي هذه الفسحة لدرج أسمائهم، راجياً منهم المعذرة؛ لأن مبحثي يتعلق بالثقافة الكردية حصراً. والمفروض أن ينبري باحثون عراقيون (من العرب خاصة) لدراسة المنجز الثقافي العربي في مجلة (الثقافة) خصوصاً في العهد الدكتاتوري الذي إشتد سواده يوماً تلو يوم؛ فسيستنتجون ما يتجاوز بكثير أستقراءات واستنتاجات الباحث القدير سلام عبود في كتابه المهم (ثقافة العنف في العراق)

وهنا يكفي أن أقدم شهادة الفنان الكاريكاتيريست المبدع كفاح محمود، الوفي (في زمن عزّ فيه الوفاء والإعتراف بالجميل) لإلقاء الضوء على شخصية الإنسان والمفكر د. خالص راعي (الثقافة) المنيرة:

"كنت في المرحلة الثانية من دراستي في اكاديمية الفنون الجميلة ، يوم توجهت بصحبة صديقي المسرحي خليل الطيار الى مكتب مجلة الثقافة في الباب الشرقي، والتي كان يصدرها الراحل الدكتور صلاح خالص، الذي كان يجلس وحيداً في البناية، ذلك الرجل الذي اسعده قدومنا عليه، وكانت سعادتنا بذلك الشيخ الرائع اكثر واكثر حيث منحنا الحب والتقدير وسلمنا المجلة كلّها.

وكان خليل الطيار يحرر المجلة من الالف الى الياء، وكنت اصمم واخط العناويين الرئيسة مع رسوم للسكيتشات الداخلية وارسم لوحة المجلة في الغلاف الاخير.

الدكتور صلاح خالص انسان بكل ما تزخر به هذه الكلمة من المعاني وهو يجسدها سلوكاً فكرياً وحياةً احسسّناها لحظة ادخلنا الى بيته واحتضننا حداً نحسد عليه في زمن كان الحديث والصحبة مع مفكر مثله اشبه بالحلم لشباب في بدء الطريق. انه معلم كبير اتذكره واقول في حقه ماقاله احد الحكماء «ابي جاء بي الى الارض، ومعلمي ارتقى بي الى السماء» المعلم صلاح خالص الذي فتح بيته وقلبه لي والذي تعلمت من سلوكه، العلمية والدقّة الصحفية والامانة، اقول في حقه ماقالة افلاطون، الذي شكر ربه على خلقه في زمن سقراط»[٢٢]

ولأعد إلى الجحود الكردي بحق أصدقاء خلص عظماء للشعب الكردي وقضيته العادلة وثقافته المجسّدة لهويته القومية، المتعرضة دوماً للغزو والطمس والتشويه. فقد إستعدى المتعفلقون من الكرد العاملين في: مديرية الثقافة الكردية، جريدة(العراق) و الأمانة العامة للثقافة والشباب في منطقة كردستان للحكم الذاتي ، والأوساط الجامعية إستعدوا بضع مرات بتقاريرهم الخبيثة واللئيمة أعلى أصحاب القرار الثقافي والإعلامي البعثيين على مجلة (الثقافة) على انها وكر للمخربين والحاقدين على (الحزب القائد!) و(الثورة العربية!) و(القائد الضرورة!) ناهيكم عن تعتيمهم الدائم على صدور أعداد المجلة ونشر الإشاعات الخبيثة ضدها...وهكذا صب أعداء الفكر الطيب والإبداع الحقيقي جام ضغينة حسدهم على (الثقافة) مثيرين حفيظة السلطات الفاشية- الشوفينية، حتى اغتالوها.

ومابرح (مثقفو) فلول العفالقة والستالينيين والطائفيين المخضرمين المتحاصصين يفبركون لهم تواريخ نضالية زاهية (زائفة) ويعتمون في الوقت نفسه ماشاء لهم التعتيم على كل نور أو بصيص حق في العهد العفلقي المباد، كمجلة (الثقافة) المقاومة ذات الدور الفريد في حقبة الطاعون الفاشي وفي ظل الكابوس العفلقي متناسين ، متجاهلين ولاغين لدورها الشريف.

لعلّ في التذكير بالجحود ونكران الجميل دروساً وعبراً:

إنني لأتحدى إن كانت جريدة (التآخي) في دورتها الجديدة بعد سقوط النظام العفلقي ولحدّ الآن، وفي أجواء الحرية والديموقراطية، قد قدّمت مايضاهي ربع ماقدمته مجلة الثقافة عدداً ونوعاً، في أجواء الكبت والقمع والإستبداد قبل عقود، حتى مع استغلال رئيس تحريرها (التآخي) بإعادة نشر أحد كتبه المنشورة من جديد في حلقات؛ ويا له من إفلاس شنيع!

ولعلّ ما يحزّ في النفس أكثر ما نشهد هنا وهناك من تمجيد لهذه الجريدة أو تلك المجلّة؛ لأياديها البيضاء في احتضان الثقافة الكردستانية، وهي لاتستحقه! فمثلاً، يقول الشاعر والكاتب حسن سليفاني عن جريدة (الأديب) البغدادية، بمناسبة تدشين السنة السادسة من مشوارها الذي نتمنى دوامه: «بلاشك، الأديب الآن هي أنموذج يُقتدى بها في المجال الصحفي الثقافي بلامنازع في العراق لجديتها وانحيازها التام للإبداع الثقافي أيّاً كان شكله ولونه ومصدره، و بخاصة انها فتحت صفحاتها لنصوص الأدب الكردي برحابة صدر وصدق، وساهمت بالتعريف لحد ما بأسماء ثقافية من الوسط الكردستاني»[٢٣] وهنا أيضاً أتحدى إن كانت (الأديب) وعبر ست سنوات في أجواء الحرية والديمقراطية، قد قدّمت للثقافة

الكردية مايضاهي عطاء سـنة واحدة من سـنيّ عطـاءات (الثقافـة) ناهيكـم عـن ان (الأديب) وأمثالهـا (حسـب سـتراتيجيّلتها الخفيّـة، لكن المتجلّيّة فعليّـاً) لاتحتضن وبرحابة صدر وصدق إبداعات - المثقفين الكردستانيين – ذات المستوى المرموق(الند أو المتخطّي لمستوى نظيره العربي) إنّما تكتفي تكتيكيّاً بالنزر اليسـير من المستويات غـير المهـددة لمنـزلات نجومها وخطـف الأضواء منهـا (حتـى في لغتها العربية نفسـها) كقطع في إكسسـواراتها، وتحت وصاياتهـا، ليس إلاّ، ناهيكم عن نزعاتها الشـوفينية الإسـتعلائية! وأغلبيتها ترحّـب، وعلـى مضـض حتـى، بالأدبـاء الكرد وغيرهم من المندمجين، المنسـلخين عن قضاياهم القومية، أي أولئك الذين يتماهون مع قضايا(الأمة العربية) ولي مع بعضها تجارب مريرة، ساكشـف عن تفاصيلها في مناسبات أخرى مناسبة!

وهنـا ينبغـي على الأدبـاء والمثقفـين الكرد عموماً، بما فيهم الساسـة الوطنيون الشـرفاء، أن يدركـوا جيـداً حقيقة حجم المسـاهمة الكردية النوعية البارزة والمؤثـرة على صفحات (الثقافة) الغـراء، وإنها ما كان يُقيّض لها أن تتجسّـد بذلك الحجـم والنوع والحضـور؛ لولا تفانـي إخوتهم الكتّـاب والمترجمـين والباحثـين الكـرد والعرب والآشوريين.... والذين طالما ظل أكثرهم ومازالوا جنوداً مجهولين لايحظون بغير الجحود والنكران والتجهيـل والإقصاء والتهميش، ويمثل كاتب هذه السـطور أبرز وأسـطع الأمثلة. ليس هذا فحسب، بـل عليهم أن يدركوا، من قبل ومن بعد، انه لولا وجود مفكر متنور تقدمي ديموقراطي كبير مثل الدكتور صلاح خالص ومفكرة تقدمية متحمسة كعقيلته الدكتورة سعاد محمد خضر؛ لما كان ثمة لهذا المنجز الثقافي وجود أصلاً!

فمتى سـيحتفي المثقفون الكـرد بأصدقائهم الخلّـص أمثـال: شـاكر خصباك، عزيز شـريف وصلاح خالـص وآخرين قدّم كلّ واحد منهم من العطاء الثقافي والموقف المسـاند ما لم يقدّم عشره الشاعر الجواهري صاحب التمثالين المنصوبين في أربيل والسـليمانية، والذي إمتدح الحكام العفالقة بمـا فيهم: البكر وابنه محمد وصـدّام الدكتاتور الأرعن..بمئات الأبيات!

طوبى لمن؟!
(في ذكرى د.صلاح خالص)

لم أحظ بالتتلمذ على الدكتور صلاح خالص، لكننـي حظيـت بالتعـرف إليه، منـذ منتصف السـبعينات، ثم كانت لنا العشـرات مـن اللقاءات الحميمـة والحوارات العميقة، التـي تجلى عبرها عراقياً أصيـلاً وبصراوياً صميمياً، تتجسّـد فيه دماثة الخلـق والطيبة والصـدر الرحب والرؤية الموضوعيـة والبصيرة الثاقبة والصـبر الأيّوبي... أجل، فقد شـهدت عن كثب صراعه البطولي مع المرض والعمى وبتر ساقيه، ناهيكم عن اللاإكتراث الصقيعـي من قبـل ناكري الجميـل والجاحدين وقـوى الظلام ؛ ممّا جعلني أصدّق فحوى رواية « والفولاذ سـقيناه» لإستروفسكي ، وأدركها إبداعياً، بعد سنين طويلة من قراءتها!

يقيناً ان مسـار هـذا المثقف الوطني الغيور قد تواشـج مـع تاريـخ حركة التحـرر الوطني في أنصـع صفحاتـه، لاسـيما قبل ثـورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ومابعدها...فمـن يجـرؤ أن ينكـر دوره المؤثـر في المحافل الثقافيـة والوطنية، منذ أوائل الخمسـينات حتى رحيله المأسـاوي قبل سـنة؟

أوَلَم يكن من أصدق وأخلص دعاة تحرر العراق واستقلاله ووحدته الوطنية وتآخي قومياته؟ أوَلَم يكن من أشد المناهضين لكل أنماط الثقافة المعادية لطموحات الشعوب المشروعة؟ أوَلَم يكن مدافعاً مستميتاً عن الكرامة الإنسانية والعدالة الإجتماعية والثقافة التقدمية؟ أوَلَم يكن ضد كل أشكال التمييز العنصري؟ وأخيراً وليس آخراً، ألَم يكن صديقاً مبدئياً لشعبنا الكردي ومناصراً لحقوقه وطموحاته المشروعة؟!

هكذا علمنا هذا المربي الفذ أعظم الدروس: ان الإنسان موقف، المثقف موقف، الكلمة موقف والفعل موقف ، في موقف شمولي هو الإيمان بعدالة المبدأ وعزة الذات الإنسانية الخلاقة... ولذا أشهد الآن روحه الطاهرة مع كوكبة من الأرواح المنيرة : حسين مروّة، جكَر خوين، فيض احمد فيض، معين بسيسو، يلماز كوناي، سعيد سلطانبور، نجيب سرور، عبدالخالق معروف، فكتور كَارا، هيمن كردستاني، حسين الجليلي، بنيامين مولويز وغيرهم من أولئك الأحياء بيننا، بل ومابعدنا حتماً؛ ماداموا قد اختاروا دحرَ الموت مع سبق الإصرار! **

ومع ذلك.. ماأقسى غياب أجساد أولئك الحاضرين في ضمير التاريخ والمستقبل! آه ! ليس في وسع المرء إلاّ أن ينحني اعترافاً بالجميل أمام ثراكم الطاهر وذكراكم الملهمة...

وأخيراً، لابدّ من أن أسأل:

- أليس الشعب الكردي مديناً لهذا الصديق المتفاني ؟ ألَم يكن لـع الحق علينا في: نعي، أو تأبين، أو أربعينية، أو رثاء.....وهذا كله ليس سوى بعض وفاء؟!

لكنْ واأسفاه!

واخجلتاه!

حقاً يظل المرء في حيرة:

- أ هو نكران للجميل؟!
- أ هو التعتيم البليد؟!
- أ هو الجبن وأزمة الشجاعة؟!
- أم ماذا؟!!!

إنّما يظلّ عزاؤنا ان مربياً ومفكراً كبيراً كصلاح خالص يظلّ أكبر من أن يحتاج إلى كلمات أشباه الأحياء، الذين هم الأحوج إلى ...والرثاء! ناهيكم عن كلمات من يسفحون الأحبار الغزيرة من أجل التكسّب الوضيع!

ثم يظلّ عزاؤنا الأكبر في ما تركه من تراث ثقافي كبير ورسالة سامية مقتفاة، ولعل ثمة بعض العزاء أيضاً في عودة ابنته الكريمة (الثقافة) إلى استئناف مسيرتها الظافرة، حيث ترعاها وتحدب عليها المفكّرة والأم الواعية، المستميتة والدؤوبة د. سعاد محمد خضر...

فطوبى لكل من ينتصر على موته يا أباسعد!*** (٢٤)

بطاقة تعريفية:

الدكتور صلاح عبدالرحمن خالص

- من مواليد البصرة ١٩٢٥
- خريج دار المعلمين العالية، وحاصل على شهادة الدكتوراه في الأدب الأندلسي من جامعة السوربون بباريس.
- كان عضواً في الجبهة الوطنية (١٩٥٧) عن اليسار المستقل، قبيل سقوط الحكم الملكي. وقد شهدت خمسينات القرن الماضي نشاطاً سياسيا وإعلامياً مشهوداً له.

- عمل مديراً عاماً للمعارف بعد ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ثم انتقل إلى التدريس في جامعة موسكو منذ مطلع الستينات حتى عودته الى العراق في أوائل عام ١٩٦٨، حيث عمل أستاذاً في جامعة بغداد حتى احالته على التقاعد عام ١٩٨٤ بقرار من مجلس قيادة الثورة «لمقتضيات المصلحة العامة»! وقد تجاوزت خدمته الجامعية على الاربعين عاما، أشرف خلالها على العشرات من رسائل الماجستير وأطروحات الدكتوراه.

- ترأس تحرير مجلّة (الثقافة الجديدة) منذ عام ١٩٥٤، ثم مجلة (الثقافة) خلال الفترة (١٩٧١-١٩٨٧)، حيث نشر عشرات الإفتتاحيات والبحوث في مجلّتيّ (الثقافة الجديدة) و(الثقافة) كما نشرت له العديد من المطبوعات العربية اقتباساً منهما...

- عضو مؤسس في نقابة الصحفيين العراقيين واتحاد الأدباء العراقيين واتحاد الصحفيين العرب وعضو جمعية المعلمين العراقية

- أهم مؤلفاته المتخصصة: اشبيلية في القرن الخامس الهجري/ المعتمد بن عباد/ محمد بن عمار الأندلسي/ وكتاب عن جان جينيه.

- قضى المرحوم حياته عاملاً بصمت ودأب وعناد؛ من أجل نشر الفكر العلمي التقدمي. وكان عاشقاً لشتّى الثقافات ، وخصوصاً للثقافتين العربية والكردية، إذ كان يحلم أن تتآخى تينك الثقافتان وتتآزرا لبناء عراق حر وديمقراطي، ومن هذا المنطلق عمل على تكوين جبهة ثقافية تقدمية تروّج لمفاهيم السلم والعدالة الإجتماعية، ضمّت الكثيرين من المثقفين العراقيين عرباً وكرداً وآخرين...

الدكتورة سعاد محمد خضر

- من مواليد الاسكندرية، مصر عام ١٩٢٨

- حاصلة على شهادة الدكتوراه في الأدب المقارن من جامعة موسكو، وقد حصلت على الليسانس من جامعة الإسكندرية عام ١٩٥٣.

- درست في جامعة بغداد/ كلية الاداب — قسم اللغة الفرنسية وفي المعهد الفرنسي ببغداد خلال السنوات (١٩٥٣ - ١٩٥٨) وساهمت في تأسيس القسم الفرنسي باذاعة بغداد والاشراف على تحرير المادة الاخبارية حتى السفر إلى موسكو حيث عملت استاذا مساعدا في معهد اللغات الشرقية وجامعة موسكو، ثم عادت إلى التدريس في جامعة بغداد خلال السنوات (١٩٦٨ -١٩٧١) حيث أحيلت على التقاعد بقرار من مجلس قيادة الثورة «لمقتضيات المصلحة العامة»!

- عملت سكرتيرة لتحرير مجلة (الثقافة الجديدة) حتى عام ١٩٧٠ ثم سكرتيرة لمجلّة (الثقافة) خلال الأعوام (١٩٧١-١٩٨٤) ورئيسة لتحريرها حتى اغلاقها عام ١٩٨٧.

- كانت عضوة في نقابة الصحفيين و اتحاد الادباء ونقابة المعلمين

- شدّت رحالها إلى اليمن عام ٢٠٠٠ حيث تعمل أستاذة بجامعة صنعاء/كلية الآداب لحد الآن.

- نشرت العشرات من من الأبحاث والمقالات والكتب المؤلفة(بالعربية) والمترجمة عن اللغات: الفرنسية، الروسية، الإنكليزية والإسبانية ، والتي تضيق هذه الفسحة بتعدادها، ومنها: الأدب الجزائري المعاصر/ الواقعية الإشتراكية كما يراها الواقعيون الإشتراكيون/ موجز نظرية الدولة والقانون/ القاموس الروسي- العربي بالإشتراك مع شرباتوف/ الأوروشيوعية والدولة/ المرئي واللامرئي لميرلوبونتي/ الأكراد ومستقبل تركيا...

هوامش وإشارات:

* كنت أتتبع مجلة (الثقافة) باحتراز(بتأثير إشاعات الشيوعيين وغيرهم ضدها) فلم أنشر على صفحاتها شيئاً حتى ١٩٧٣ ثمّ قاطعت النشر عموماً حتى أواخر ١٩٧٦ كموقف من حرب ١٩٧٤- ١٩٧٥على كردستان، ثمّ التهجير والتبعيد اللذين تعرضت أنا وعشيرتي إليهما...أمّا تواصلي الحميم مع المجلّة فيعود إلى الدعوات المتكررة من أستاذيّ الأجيال الدكتور صلاح خالص والدكتورة سعاد محمد خضر، اللذين تعرّفا إليّ عن طريق مواضيع صديقي وقريبي الكاتب والمترجم والروائي شاكر نوري، والتي كانت أغلبيّتها تصل المجلّة ليس فقط بعد مراجعتي وتنقيحي لها، بل حتى بخطّي الحسن! منذ أوّل موضوع له منشور فيها حتى خريف١٩٧٧ ومنها مايتعلّق بالأدب السوفياتي والفكر الماركسي.

** تأكيداً لزعمي هذا، في ١٩٨٧ إعتمدت الأمّ المفكرة الكبيرة د. سعاد على تزكيتي لمليونير شاب (ع. ب.أبو ر/ كان يدّعي كونه شاعراً شعبياً وتقدميّاً) بغية ابرام صفقة لشراء مطبعة بإسم مجلة(الثقافة) من أوربا، على أن تؤول ملكيتها إليه مقابل (١٠٠الف دينار) وطبع المجلّة بالمجان لثلاث سنوات، لكنني لمْ أزكّه خشية العواقب الوخيمة المحدقة بالعائلة المثقفة الكريمة، بعد معايشتي ومراقبتي الدقيقتين خلال بضع لقاءات وحوارات وحتى سهرات في بيته ومزرعته....علماً بأنه عرض عليّ منحي دار مشتمل وسيّارة، فضلاً عن (١٠آلاف دينار) بالحلال من العائلة الكريمة حسب وعدها، بمجرّد توقيع طرفيهما على العقود القانونية. ولقد لامني أقرب الأصدقاء والأقرباء على تفويت تلك الفرصة الأسطورية، التي كانت ستحوّلني إلى شبه مليونير بين ليلة وضحاها، قياساً بالوضع الإقتصادي آنذاك، دون التعرّض إلى أيّة تبعات أو مساءلات قانونية في أسوأ الأحوال، إذ كان ن مثلي مثل الشعرة المنسلّة من العجين، لكوني مجرد مزكّ بجملة أو جملتين حتى غير مدوّنتين، ولكن هيهات أن يخون الأمانة من هو مثلي.... وعليه فقد قاطعني المليونير الشاعر نهائيّاً بعد أن أسقط في يده، رغم إنه كان يبدي لي أقصى الإعجاب بي، بل التقديس! وهذه القصة واحدة من بضع أخرى من قبل ومن بعد!

*** منشورة على (صص١١و١٢) من مجلة (الثقافة) العدد الثاني /شباط/ ١٩٨٨ وهو العدد الأخير، الذي سحبت السلطات الأمنية نسخه من المكتبات، على حد علمي، وكفت بعده عن الصدور نهائياً. وقد تقصّدت حينها ألاّ أوضّح أيّاً من الأسماء المختارة بدقة ، كتكتيك لتمرير غايتي الجلية لذوي الألباب والحصافة والفراسة، امّا الآن فيمكنني ذلك وأراه ضرورياً:

- حسين مروّة: المفكر اللبناني المعروف وشهيد الفكر التقدمي .

- جكَر خوين: الشاعر والمناضل الكردي السوري، الذي قضى نحبه في منفاه بالسويد.

- فيض احمد فيض: الشاعر والمناضل الباكستاني المعروف.

- معين بسيسو: الشاعر والمناضل الفلسطيني المعروف.

- يلماز كَوناي: الفنان السينمائي الشهير والأديب المناضل، الكردي الأصل من تركيا، والذي قضى نحبه في منفاه في باريس.

سعيد سلطانبور: الشاعر والفنان المسرحي المناضل، الإيراني الذي أعدمته سلطات آيات الله!

- نجيب سرور: الفنان المسرحي والشاعر والمفكر المصري المناضل المعروف.

- عبدالخالق معروف: الكاتب المناضل والعالم الكردي القدير، الذي إغتالته المخابرات العراقية.

- فكتور كَارا: المغني المناضل الشيلاني الشهير، الذي أعدمته سلطات بينوشيت الفاشية.

- هيمن كردستاني: الشاعر والمناضل الكردي الإيراني المعروف.

- حسين الجليلي: الكاتب والباحث الشيوعي، المناضل، الــذي تمسّــك بفكره حتــى الرمق الأخــير، وقد عاش في بعقوبة، وهو من أهل (الشطرة) أصلاً.

- بنيامين مولويز: الشــاعر والمناضل ، الذي أعدمته سلطات جنوب افريقيا الشوفينية.

١- الثقافة/ ع١/ حزيران ١٩٨٧/ السنة ١٥ (ص١٠)

تعــود (الثقافــة) ويرحل صلاح..../ بقلم: د. ســعاد محمد خضر.

٢- الثقافــة/ ع٢/ تمــوز١٩٨٧/ الســنة ١٥(ص١٥٩) إيضاحات.

٣- م.س، والصفحة نفسها.

٤- م.س، والصفحة نفسها.

٥- الثقافة/ ع٧/ كانون الأول١٩٨٧/ السنة١٥/ (ص٦)

(الثقافة) وحصاد السنين/ د. سعاد محمد خضر.

٦- م.س والصفحة نفسها.

٧- م .س والصفحة نفسها

٨- م .س (صص ٧-٨)

٩- م .س (ص٧)

١٠- مجلة الصوت الآخر/ ع/١١٣ في ١٣أيلول٢٠٠٦)

أيام مع صلاح خالص/ مثري العاني.

١١- م.س/ مثري العاني

١٢- م.س/ مثري العاني

١٣- الثقافة/ع١/ السنة١٥(ص١٠) تعود.......

١٤- الثقافــة/ع١/ كانــون الثانــي١٩٧٤/ الســنة الرابعة(ص٣)

الإفتتاحية/ د.صلاح خالص.

١٥- م.س، والصفحة نفسها.

١٦- م.س، والصفحة نفسها.

١٧- الثقافة/ع٣/ آذار١٩٧٧/ السنة السابعة (ص١٦)

اعمــق التهانــي واطيــب التمنيات لشــعبنا الكردي/ د.صلاح خالص

١٨- الثقافة/ع٢/ شباط ١٩٨٣/ السنة١٣

١٩- عشــرون قصة كردية مترجمــة/ ترجمة: جلال زنكَابادي وآخرين/

منشــورات مجلة كاروان/ اربيل ١٩٨٥/ تقديم: حسين عارف/(ص٤)

٢٠- مختارات من الأدب الكردي/ نخبة من المترجمين والكتاب/

منشــورات مجلة كاروان/ اربيل١٩٨٦/ تقديم: حسين عارف/(ص٦)

٢١- مجلــة(الأديب الكردي/ باللغة العربية) ع٢/ ١٩٨٦ بغداد/

مســارات تطور الثقافة الكرديــة/ عبدالكريم فندي الدوسكي.

٢٢- الإنترنيت/ الفنان كفاح محمود.

٢٣- جريدة الأديب/ ع(١٧٩) ١٧/ ك١/ ٢٠٠٨ بغداد

٢٤- الثقافة/ع٢/ شباط١٩٨٨/ السنة١٦/ (صص١١و١٢)

في الذكرى الأولى لرحيل د.صلاح خالص، طوبى لمن؟!/ جلال زنكَابادي.

قراءة في أصول العقائد البارزانية

الدكتور فرست مرعي

صدر للسيد «فريد أسَسَرد» القيادي في الإتحاد الوطني الكردستاني ومدير مركز كردستان للدراسات الإستراتيجية في مدينة السليمانية كتاب تحت عنوان (أصول العقائد البارزانية)، والكتاب يتكون من مقدمة وستة فصول وملاحق، كل فصل منها يشتمل على مبحثين ما عدا الرابع والخامس فإنهما يضمان ثلاثة مباحث.

الفصل الأول: الاصول، ويتعلقان بالبحث عن اصول هذه العقائد البارزانية التي تظهر في الاصول الاسماعيلية (= الشيعة الغلاة)، والاصول الصوفية (= النقشبندية وما لحقها من تصوف فلسفي).

الفصل الثاني: التستر والمكاشفة، أي التقية (= دور الستر)، ومرحلة المكاشفة (= دور الظهور).

الفصل الثالث: البنيات الاجتماعية، وتتعلق بـ(سوسيولوجيا العلاقات) ومفهوم الملة (= مصطلح خاص بالبارزانيين يعني الاتباع).

الفصل الرابع:الرموز وعوامل التماسك، ويشتملان على: نظام الطاعة، والعمامة الحمراء التي يعتمرها البارزانيون دون غيرهم من الاكراد، وخدان وهو مصطلح له مفهوم خاص.

الفصل الخامس: السنوات العصيبة، وهو فصل تاريخي يتناول سنوات النفي (= أي نفي قادة البارزانيين الى وسط وجنوب العراق)، والسنوات الاخيرة (= من عمر الشيخ احمد البارزاني)، المدرسة الخورشيدية (= المدرسة التي ورثت تراث الشيخ احمد البارزاني.).

الفصل السادس: بارزان وسلالة الشيوخ (= البحث عن جغرافية وتاريخ قرية بارزان، واصول سلالة شيوخ بارزان).

تحديد المفاهيم

في المقدمة تناول اساسرد تحديد مفهوم البارزانيين كمدخل الى الدراسة. فالبارزانيون كما هو سائد عنهم لا يشكلون قبيلة بحد ذاتها، ولم يعرف نظامهم الاقتصادي أي نوع من الاقطاع، فهم يشكلون اتحاداً قبلياً ظهر الى عالم الوجود في العقد الاول من القرن العشرين حينما إنقسمت قبيلة الزيبارالى قسمين إثر النزاع الذي حدث بين اغوات الزيبار وشيوخ بارزان، وتحول الى صراع دموي كان النصر فيه حليف شيوخ بارزان، مما ادى الى تشعب الزيباريين الى قسمين : قسم بقي خاضعاً للاغوات وهؤلاء استقروا في المنطقة الواقعة غرب نهر الزاب الكبيروكانوا موالين للحكومات التي تعاقبت على حكم العراق، والقسم الاخر انتصروا لشيوخ بارزان وهم المعروفون بالبروزيين (= مقابل الشمس) الساكنين اصلاً شرق نهر الزاب الكبير، وانضمت اليهم قبل وبعد ذلك عشائر اخرى مجاورة بتأثير الدعوة الصوفية النقشبندية كالشيروانيين والمزوريين والدولمريين وغيرهم.

ويبدو ان تاريخ بارزان يبدأ منذ العقد الثالث من القرن التاسع عشر حينما سلم الشيخ طه النهري خلافة الطريقة النقشبندية الى الشيخ تاج الدين البارزاني رأس عائلة الشيوخ في بارزان.

ويذكر الكاتب بأن تراكم الثروة في مشيخات نهري(= الواقعة في كردستان تركيا قرب الحدود العراقية) وسورجي (= شرق الموصل، وبرادوست (= شمال شرق بارزان قرب الحدود الايرانية)، أدى الى تحول زعاماتها الدينية الى ارستقراطية دينية – زراعية، في حين لم تظهر بين البارزانيين حتى زوال مشيختهم في عام ١٩٦٩ بوفاة الشيخ احمد البارزاني أية زعامة ارستقراطية دينية – زراعية.

ويشير الكاتب بان حدثين ساهما في تفعيل العقائد البارزانية وتعاظم دور التكية النقشبندية في الحياة العامة للبارزانيين وهما : الهزيمة التي مني بها البارزانيون في صراعهم ضد القبيلة البروارية وحلفائهم من المسيحيين الجبليين (= التياريين) في زمن يقع مابين ١٨٢٠ و ١٨٣٠، ونجم عنها ابادة ممثلي الارستقراطية الزراعية (= اغوات بارزان) الامر الذي مهد لتولي شيوخ الطريقة النقشبندية زمام الامور، اما الحدث الثاني فهو الهزيمة التي لحقت بالشيخ عبيدالله النهري في حربه ضد الدولة القاجارية (= ايران) عام ١٨٨٠، مما الى توترالعلاقات بين الدولتين العثمانية والقاجارية، وكان من نتائج ذلك ان نفت السلطات العثمانية الشيخ عبيدالله واسرته الى الحجازباعتباره من رعاياها. وبسبب الفراغ الذي حصل بانهيار سلطة مشيخة نهري تطلعت بارزان في عهد الشيخ محمد (= والد الشيخ احمد وملا مصطفى) الى ممارسة دور اكبر في الحياة اعتبارا من عام ١٨٩٥.

الأصول الإسماعيلية والصوفية الغالية للعقائد البارزانية

افترض الكاتب منذ البداية بان هناك اصلين محتملين للعقائد والافكار البارزانية: اصل اسماعيلي واصل تصوفي. والافتراض الاخر هو انه حدث إندماج بين هذين الاصلين مما كان له تأثيركبيرعلى البنية الايديولوجية للعقائد البارزانية.

من البداية حاول الكاتب ادخال البارزانيين

ضمن منظومة من الافكار والعقائد التي تخالف - منهج اهل السنة والجماعة - مذهب الغالبية العظمى من الكرد، أي بعبارة اخرى اعتبرهم فرقة باطنية على غرارالفرق الباطنية الاخرى: كالاسماعيلية والدروز والنصيرية (العلويين)، لان عنوان الكتاب اصلاً يشي بهذه الفكرة.

ويعترف الكاتب بان ثمة تاريخ طويل يفصل بين ظهور الاسماعيليين والبارزانيين، ولكنهم أي الاسماعيليين تركوا اثار واضحة على البنيات الدينية – الفلسفية للفرق التي جاءت بعدهم، لان تحليل المناخات الفكرية للعقائد البارزانية تكشف عن وجود نواة اسماعيلية واضحة فيها.

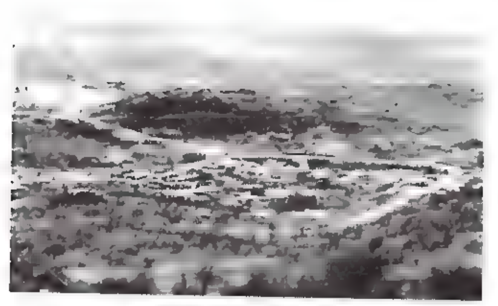
نظرية رفع التكاليف

عند بحث الكاتب حول رؤاهم (= الاسماعيلية) عن ذات الله سبحانه وتعالى، يرى بانهم تبنوا نظرية الفيض الافلاطونية التي رتبت الوجود ترتيباً يقف في أوله المبدأ الاول (الله سبحانه وتعالى) ثم العقل الكلي، ثم النفس الكلية، ثم المادة، وذهبوا الى ان العلاقة بين هذه الموجودات وبين الله سبحانه وتعالى، ليست علاقة خلق أو إيجاد من الله بل علاقة فيض أو صدور، بمعنى ان المبدأ الاول فاض منه العقل الكلي، ومن العقل الكلي صدرت النفس الكلية، ثم العالم المادي من النفس الكلية. وكان هذا مدعاة لقولهم بانكار صفات الله، رغم قولهم بوجود الله تعالى ولكنهم جردوه من كل صفة ونعت، وبالتالي روجوا لما معناه انه غير قابل للادراك، وان العقل البشري عاجز عن ادراك كنهه، ووصل بهم الامر الى الحد الذي قدموا فيه تبريراً لالغاء الشعائر الاسلامية (رفع التكاليف) : من صلاة وصوم وحج وغيرها

فريد اسسرد



اصول العقائد البارزانية



مركز كردستان للدراسات الاستراتيجية

– لانه طالما كان الله غير قابل للادراك فان هذه الشعائر تؤدي لا لله الذي لا يدرك انما لمظاهره الخارجية.

نعم قد تلتقي العقائد الاسماعيلية والعقائد البارزانية في مسألة رفع التكاليف، لانها محاولة لتوفير متطلبات معرفة الله (= الغنوصية) والاتصال به دون المرور بمحطة الشريعة.

وبعد ان يجري الكاتب مقارنة بين عقائد بعض الفرق الباطنية كالدولة الاسماعيلية(النزارية) التي أقامها (حسن الصباح) في جبال آلموت جنوب شرق بحر قزوين في سنة ٤٨٣ه، والعقائد البارزانية سيصل الى نتيجة مفادها أن مرحلة - المكاشفة عند البارزانيين – تقابل - دور الظهور عند الاسماعيليين- كما أن العقائد البارزانية تطرح نفسها كعقائد بلا طقوس، أي ان اتباعها غير ملزمين بأداء أية تكاليف شرعية.

وما لم يذكره الكاتب، فان الصحفي الامريكي

(جوناثان راندل) أشار في كتابه (امة في شقاق) الصفحة ٤٥٢ ((في الثلاثينيات (من القرن العشرين) اتهم البريطانيون والاكراد المعادون للبرزانيين، الشيخ احمد بأنه اوجد طائفة تبيح حرية العلاقات الجنسية، وأكل لحم الخنزير، وعدم أداء الصلوات الخمس يوميا. وربما يكون هدف هذه التهم، تشويه صورة الشيخ احمد وطروحاته القومية في أعين الاكراد المتدينين، لكن جبال الشرق الاوسط، شكلت على مر العصور ملجأ للطوائف والاقليات الدينية المختلفة مثل العلويين، واليزيديين، والدروز، فضلاً عن سائر المذاهب المسيحية. وقد روى لي عبالسلام البرزاني، ان احد اتباع الشيخ احمد قال له ذات مرة، ان الناس ينتقدونه لانه لايصوم ولا يصلي يومياً. فرد عليه (هذا كل ما يقولونه) ؟ ورداً على سؤال عما اذا كان الشيخ احمد قد أسس فعلاً طائفة خاصة، أجابني عبد السلام البرزاني بحذر قائلاً (قد لا يخلو هذا القول من الصحة) ثم استشهد بآية قرآنية "يا ايها الذين امنوا صلوا علكم تذكرون" (لاحظ ركاكة التعبير القرآني)، وقال : (نحن نشدد على التذكُر فقط، وليس على الصلاة. فبعض الناس يؤكدون ان على الانسان ان يصلي خمس مرات يومياً، وثلاث مرات فقط في بعض الايام. لكن اذا كنت تتذكر الله، فستذكره وانت نائم، وعندما تعمل، وعندما تمشي، وفي كل ما تفعله)).

ففي العقائد الاسماعيلية يقترن الغاء الفرائض بعقيدة – يوم القيامة – وقد طور الميثاق الاجتماعي الاسماعيلي عقائد تنبؤية تتعلق بيوم القيامة. واذا كان قد تم الاعلان عن الغاء الفرائض، فذاك لأنه بعد توصل الاسماعيليين الى المعاني المستورة للنصوص المقدسة لم يعد لأداء الفرائض أي معنى. وفي سوريا تولى الزعيم الاسماعيلي النزاري (راشدالدين سنان) إعلان طور القيامة في النصف الثاني من القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي.

ومن شأن التمعن في التصور الدرزي لالغاء الفرائض ان يوضح البنيات الاخلاقية في عصر إنتفت فيه الحاجة الى الغاء التكاليف. اعتبر الدروز ان التكاليف سقطت عنهم لأنهم تجاوزوها ولم تعد لهم بها حاجة ورأوا ان كل فريضة في كفة الميزان تعادل معنى اخلاقياً في الكفة الاخرى.

وبشأن التكتم الذي تبديه العقائد البارزانية فانه من الصعوبة بمكان التوصل الى معرفة الاسلوب الذي أعلنت فيه التكية إسقاط التكاليف. هذا التخلي الارادي عن التكاليف بقدر ما خفف من صرامة الالتزام الميكانيكي بالتكاليف، فرض بالقدر نفسه الالتزام الاشد صرامة بالمعايير الاخلاقية. حيث يصل الكاتب الى القول " يمكن النظر الى ذلك باعتباره ميلاً الى التحرر من القيود التي تعيق تدفق التجربة الروحية دون الخروج من الاطار العام للاسلام".

وعلى النقيض من كثير من العقائد الباطنية المشابهة، لاتحتوي البنية العقائدية البارزانية على ادبيات دينية. لقد قدمت مشيخة بارزان لاتباعها عقائد بسيطة خالية من الاداب المكتوبة والطقوس المتبعة , ولم تنبثق عن هذه العقائد بنية فلسفية متكاملة، لكن مشيخة بارزان حققت توازناً بين التخلي عن الشعائر الاسلامية المتبعة من صلاة وصوم وحج، وبين الحفاظ على البنيات الاخلاقية الصارمة. هذا النجاح الذي يستحق الثناء حسب - تعبير الكاتب – حققه الدروز قبلهم بمئات السنين.

نظرية وحدة الوجود

يحاول الكاتب جاهداً ربط منظومة الافكار البارزانية بنظرية وحدة الوجود المبنية اصلاً على فكرة نظرية الفيض الافلاطونية التي صاغها الصوفي المشهور (ابن عربي)، وفي وحدة الوجود ليس العالم آتياً من العدم او بالصدفة، بل هو مظهر من مظاهر التجلي الالهي. هذه الفكرة بنفس المضمون موجودة في عقائد (المدرسة الخورشيدية)، وهي مدرسة وضع اسسها الشيخ احمد البارزاني في منتصف الستينيات من القرن الماضي واكتسبت اسمها من اسم زعيمهم، خورشيد، ابن اخت الشيخ احمد الذي كان يفترض ان يتولى قيادة مشيخة بارزان بعد رحيل الشيخ احمد في عام ١٩٦٩.

وعلى السياق نفسه فان المدرسة الخورشيدية تعبر عن هذه الفكرة العريقة بنص قريب جداً من النص المستخدم في نظرية وحدة الوجود، يقول: ((لا شيء يأتي من العدم لأن العدم يعني العدم))

وهناك نقطة مهمة ان نظام التربية الروحية لفريق المصطفين الذي تشكل في ستينات القرن الماضي على يد الشيخ احمد البارزاني، إعتمد على مجموعة من ادبيات التراث الصوفي بينها ادبيات الصوفي الحلولي (الحلاج).

إذن ان مصطلح (خدان) الذي فسره الكاتب على انه يعبر عن خصوصية تفرد بها بعض زعماء المشيخة كالشيخ عبد السلام الثاني واخيه الشيخ احمد، واجه معارضة من قبل خصوم البارزانيين حسب الكاتب، الذين استغلوا تعدد المعاني اللغوية للقب للطعن في صحة البنيات الايديولوجية للعقائد البارزانية واعتباره رمزاً من رموز الالوهية،أسبغه البارزانيون على شيوخهم.

وبهذا الصدد يذكر المستشرق البريطاني (سبنسر ترمنجهام) في كتابه (الفرق الصوفية في الاسلام) الصفحة ١٩٨-١٩٩: «كانت دعاية الشيخ خالد ناجحة في جعل أعضاء العائلات القادرية الهامة في كردستان تتحول الى النقشبندية، مع تأثير ملموس على التاريخ اللاحق للقومية الكردية، أما عبدالله بن الملا صالح الشهير بعد أن أصبح نقشبنديا جعل نهري هي مركزه وجاءت عائلة حيث سيطرت على السلطة الدينية، خاصة في ظل عبيد الله (١٨٧٠-١٨٨٣م) الذي فرض سلطته على منطقة واسعة، وقد كان على عداء مع عائلة اخرى هي عائلة البارزاني، وقام احد خلفاء خالد والمدعو تاج الدين بتوطيد نفسه في برزان وهي منطقة كردية في شمال عراق، واصبح فرعه عاملا في القومية الكردية، وقد كسب ابن تاج الدين، عبدالسلام وحفيده محمد مكانة روحية سامية بين القرويين في الجبال شمال نهرالزاب، الذين تخلو عن الولاء القادري، وجاءوا لتكوين تجمع قبلي جديد هو البرزاني- المستقل فعلا عن السلطة العثمانية.وفي سنة ١٩٢٧م لصقت الفرقة سمعة سيئة خاصة حين اعلن احد تلاميذ شيخها الخامس ان شيخه او سيده هو تجسيد لله، وانه هو نبيه وقد عاش هذا النبي عدة شهور فقط ومات الدين الجديد معه، وكذلك فان التأريخ اللاحق للبرزانيين لم يكن لهم مكان في تأريخ الفرق الدينية».

ومن الجدير بالاشارة انه في ١٩٢٧/٩/١ قام الزعيم الكردي ملا مصطفى البارزاني بالاشتراك مع اخيه محمد صديق في قتل النبي المزعوم حسب المستشرق (سبنسر ترمنجهام) الذي يكنى بـ(ملاجوج) في الاوساط الشعبية، وملاي ملا محمود حسب الكاتب البارزاني ايوب بن بابو،

وقد سببت هذه الحادثة صدمة عظيمة لشيخ بارزان (الشيخ احمد) أفقدته الثقة بأخويه(ملامصطفى ومحمد صديق) طوال حياته وسببت له جروحاً لم تندمل قط، انظر كتاب (المقاومة الكردية للاحتلال ١٩١٤-١٩٥٨) لمؤلفه أيوب بارزاني، الصفحة ٦٧-٦٨.

مبدأ التناسخ

يذكر الكاتب بناءً على معلومات مستقاة من البارزانيين الى ان الشيخ احمد حث المتعلمين من أتباعه على مطالعة آداب تتصل بالفلسفة، وحدد على نوع واضح مطاليبه فشدد على قراءة مؤلفات ثلاثة من أصحاب التصوف الفلسفي أو العارفين حسب الكاتب وهم: الحلاج، وابن عربي، وجلال الدين الرومي. إن تحديد الاسماء بهذه الدقة من شأنه ان يسلط الضوء على المنحى الفلسفي لأنشطة الشيخ المعرفية. وبالتالي فان اطلاع الشيخ احمد على مؤلفات الثلاثة المذكورة يعطينا فرصة لافتراض انه حازعلى درجة عالية من الثقافة الفلسفية المتمثلة في طروحات هؤلاء المتمثلة بالفناء في الله، ووحدة الوجود أي إتحاد الانسان بالله، أي وحدة اللاهوت والناسوت. وفي الحقيقة فان افكار هؤلاء الثلاثة كانت مزيجاًمن العقائد الهندية (=التناسخ)، واليونانية (=نظرية الفيض الافلاطونية)، والمجوسية الزرادشتية (=المخلص، المنقذ، الانسان الكامل) التي سادت الحقبة السابقة لظهورهم، وهذا ما ألقى بكلكله على العقائد البارزانية، ولكن مع ذلك فانه من الصعوبة بمكان تحديد رؤية العقائد البارزانية لمفهوم التناسخ أو مفهوم تجدد الحياة بعد الموت، فضلاً عن العلاقة بين الروح والجسد ومآل الروح بعد الموت . ويمكن للمتعمن في اصول العقائد البارزانية ان يوفر مادة مناسبة لأيجاد صلة بينها وبين عقائد سابقة كما ذكرنا ادعت حصولها على معرفة بالغة القيمة بمآل الروح بعد الموت. وفي الوقت نفسه لايمكن إهمال جاذبية الدلالات التي تشير الى مفاهيم بدائية قد تكون من بقايا عقيدة التناسخ أو قريبة جداً منها. وفي كل الاحوال فانه لم يتم رصد نشاط من شأنه ان يوحي بأن المشيخة جهدت للترويج لمفاهيم واضحة المعالم حول التناسخ، وفي عهد الشيخ احمد جرى التكتم بشكل كبير على هذا الموضوع . وبحسب الكاتب أسسرد فأن هناك نقطة مهمة من غير الممكن التهاون بشأنها وهي أن – الحركة الخورشيدية – وهي حركة قامت بشكل أساسي برعاية الشيخ وإستمرت بعده، روجت لمفاهيم ليس صعباً تصنيفها كمفاهيم لها صلة مباشرة أو غير مباشرة بموضوع تجدد الحياة بعد الموت وإنتقال الروح من جسد الى آخر (= عقيدة التناسخ).

المهدي

يذكر الكاتب بأن نظرية المهدي لا تحتل أي مكان في العقائد البارزانية ، لكن (باسيل نيكيتين) المستشرق الروسي المختص بالشؤون الاجتماعية الكردية، يشير في كتاباته الى ان البارزانيين لم يكونوا بمعزل عن معرفة نظرية المهدي . واستناداً الى نيكيتين فان اول ذكر للمهدي بين البارزانيين قد تم في عهد الشيخ عبد السلام الاول المتوفي في عام ١٨٨٤ . ويبدو من سرد نيكيتين للاحداث ان اتباع الشيخ عبد السلام الاول كانوا يريدون ان يجعلوا من المهدوية اداة تعطي للبارزانيين هوية ايديولوجية قوية لكن الشيخ لم يؤيد تلك الفكرة

وابدى تحفظاً شديداً عليها. لقد حث أتباعه على امور اعتبرها اكبر من طاقته ولا تتضمن معنى المسؤولية من قبيل الاستعداد لاستعداء العثمانيين والعمل على إسقاطهم بحجة انهم لم يعودوا يمثلون الاسلام الحقيقي وانهم فقدوا الحق في الخلافة.

وعلى السياق نفسه فان المؤرخ الموصلي (صديق الدملوجي) يؤكد ظاهرة الغلو عند شيوخ بارزان وأتباعهم نقلاً عن سالنامات الدولة العثمانية، حيث يذكر في كتابه (إمارة بهدينان) ما نصه: "ففي سنة ١٢٩٣ رومي الموافق ١٨٧٣م إستدعى الوالي العثماني في الموصل الشيخ عبد السلام (الاول) ابن الشيخ تاج الدين الى الموصل إثر تسرب معلومات عن قيام حركة باطنية في منطقة الزيبار شمال شرق مدينة الموصل، ترمي الى الغلو في شيوخ بارزان النقشبنديين والاعتقاد بما لايتفق ما هو معلوم في الدين الاسلامي بالضرورة، وكانت الحكومة العثمانية قد تلقت هذه الحركة باهتمام زائد وخافت من عواقبها حيث أمضى الشيخ عبد السلام ثلاثة أشهر في الموصل ، وكان من نتيجتها مجيء حوالي ثلاثمائة من أفراد العشيرة الزيبارية التابعين بالولاء له، وقد مات أكثرهم بمرض التيفوئيد حيث لم تهتم الحكومة العثمانية بهم ولكنهم ظلوا على عقائدهم ..."

ويبدو ان الكاتب فريد أسَسَرد قد توهم عندما قال بأن الشيخ عبد السلام الاول قد وقف بثبات ضد فكرة إدعاء المهدية، حيث انه اكدها فيما سبق من قوله، ولكنه يستطرد قائلاً بأن خليفته، ابنه الشيخ محمد(١٨٢٧-١٩٠٢) لم يقاوم الضغوط، فبعد فشل ثورة الشيخ عبيدالله النهري عام ١٨٨٠ ونفيه من قبل السلطات العثمانية الى الحجاز، ظهرت فكرة إعلان المهدوية من جديد وحاول البارزانيون إستغلال الفراغ الذي نشأ بزوال مشيخة نهري لتوسيع سلطانهم. وأيد الشيخ محمد (جد مسعود البارزاني) فكرة إعلان المهدوية وخطط للاستيلاء على الموصل، تمهيداً للتوجه الى اسطنبول وإسقاط الخلافة العثمانية. لكن والي الموصل انقذ المدينة من تهديدات البارزانيين وعن طريق الخدعة حسب الكاتب أسسرد، نزع اسلحة البارزانيين وقبض على زعيمهم الشيخ محمد، فيما بعد تمكن الشيخ محمد واثنان من أتباعه من الهرب من الموصل والعودة الى الجبال، أما أتباعه فقد نفت السلطات العثمانية اعداداً منهم الى طرابلس في ليبيا. وبفشل هذه الحركة، أختفت فكرة المهدي بين البارزانيين.

وتجدر الاشارة ان المستشرق باسيل نيكيتين الذي اصبح قنصلاً لروسيا في مدينة اورميه الايرانية أثناء الحرب العالمية الاولى يذكر في كتابه المؤلف باللغة الفرنسية (الكرد دراسة سوسيولوجية وتاريخية) ترجمة الدكتور نوري الطالباني رواية نقلاً عن العالم الكردي (الملا سعيد) ما نصه: "كان الشيخ محمد وريث الشيخ عبد السلام رجل دين قليل الثقافة اي نصف ملا كما يطلق على امثاله في كردستان. كان رجلاً لجوجاً، ولكنه بدأ بالتبشير فكثر عدد أتباعه، وكان الرجال والنساء يجتمعون في يومي الثلاثاء والجمعة في بارزان، ويعلن الشيخ لهم التوجه (الارشاد). ويتلخص هذا العرف الديني عند الكرد في ان الشيخ يجلس بين اتباعه المريدين ويتلو عليهم سلسلة اسماء الشيوخ من طريقته، بينما يعمل مريدوه بعض الضوضاء ويطلقون صيحات خاصة. وباختصار -يضيف الملا سعيد- ان هذا يعتبر مخالفاً للتمدن والعقل

الرزين. ومع ذلك فان الشيخ موضوع البحث كان يلجأ الى هذه الاساليب الفظة والمقبولة مع ذلك لدى عقلية مستمعيه وغيرهم للوصول الى قيادة الكرد من اتباعه. وفي الحقيقة ازداد نفوذ الشيخ محمد هذا كثيراً بعد إبعاد الشيخ عبيدالله النهري من قبل الروم (العثمانيين).

العمامة الحمراء

يذكر الكاتب أسَسرد أنه من بين كل القبائل الكردية يعتمر البارزانيون وحدهم عمامة حمراء، يحمل اللون الاحمر مدلولات تتصل بجذور العقائد البارزانية. وقد ظلت هناك فكرة خاطئة لم تثبت صحتها على الاطلاق، تربط بين اللون الاحمركشعار للبارزانيين وبين الشيوعية. بيد أن هذا الربط لااساس له من الصحة على الاطلاق حتى بين البارزانيين، ثمة من يرى ان إختيار العمامة الحمراء يرتبط بمرحلة عودة البارزانيين من المنفى في روسيا عام ١٩٥٨ بعيد. على ان هذه الفكرة تطرح عن جهل اكثر مما تطرح كتأييد لتأثير الشيوعية في البارزانيين، وهي لا تستند على مرتكزات قوية لأن البارزانيين اتخذوا العمامة الحمراء شعارا لهم قبل لجوئهم الى روسيا في عام ١٩٤٧. عليه فإن خطل الربط بين الشعار البارزانيين وشعار الشيوعية لا يحتاج الى أدلة.

ان اول إشارة واضحة الى العمائم الحمراء وردت في عام ١٩٠٩ في قصيدة تمجد معركة قادها الشيخ عبدالسلام الثاني البارزاني ضد إقطاعيي (آغوات) قبيلة الزيبار.

ولما كان اليزيديون يعتمرون العمامة الحمراء لتمييزهم عن غيرهم، فان بعض المصادر تشير الى وجود صلة ما بين ما يعتمره البارزانيون واليزيديون، كراية او شعار كرمز لمعتقد اجتماعي محدد.

وحسب الكاتب فان الرمز الاحمر في العقائد البارزانية يقابل عادة الختان عند المؤمنين، وبالتحديد عند اليهود والمسيحيين الاوائل والمسلمين. ان الغاية الرئيسية من الختان في الاديان الثلاثة هي التمييز بين المؤمنين وغير المؤمنين، وعلى الشاكلة نفسها فان المشيخة البارزانية وجدت ضرورة في أن تتخذ تدابير مناسبة للتمييز بين أتباعها المؤمنين بالعقائد البارزانية وبين غيرهم من غير المؤمنين بتلك العقائد.

بالاضافة الى ذلك، يذكر الكاتب أسسرد بأن هناك نقطة جديرة بالتمعن، يعمد بعض البارزانيين الى دفن العمامة الحمراء مع الميت، وتوضع العمامة الى جانب الجثمان في القبر ولا تتبع هنا أية طقوس، يلفت النظر الى ان هذه العادة لسيت عامة بين البارزانيين ولاتعطي المصادر الشفاهية البارزانية أية توضيحات عنها. لكن عادة دفن المتاع الخاص بالموتى سادت قبل ظهور الاسلام وهي تشكل اشارة الى إعطاء دور ايسكاتولوجي (أخروي) للمتاع الخاص الموضوع في القبر مع الميت. وقد عرف المصريون القدماء هذه العادة على نطاق واسع وجرى ذلك اعتبار ذلك جزء من ايمان المصريين بحياة ما بعد الموت.

وقد أصبحت العمامة الحمراء رمزاً لغالبية المقاتلين الكرد الذين شاركوا في القتال تحت زعامة ملا مصطفى البارزاني في الحركة التي قادها ضد الحكومة العراقية إعتباراً من عام ١٩٦١ لغاية عام ١٩٧٥، والتي سميت في أدبيات الاكراد بثورة ايلول.

ولا زال العديد من الاكراد يعتمرون العمامة

الحمراء كرمز للولاء للاسرة البارزانية من ناحية المعتقد، او كأعضاء في الحزب الديمقراطي الكردستاني الذي يتزعمه نجل ملا مصطفى البارزاني مسعود البارزاني.

المدرسة الخورشيدية

خلال الفترة الاخيرة من حياة الشيخ احمد لم ينفك عن التفكير في الاسلوب الذي يضمن انتقالاً سلمياً للسلطة الى الشيخ المقبل، وبحسب عملية الاستخلاف التي جرت في الماضي، يبدو جلياً ان المشيخة لم تعتمد على نقل السلطة الى الشيخ المقبل الا بناء على توصية، تكون على الاغلب شفاهية صادرة من الشيخ السابق. وتعود جذور هذه الطريقة في الاستخلاف الى الاسلوب الذي اتبعته كل الطرق الصوفية قبل ان يتحول حق الاستخلاف الى حق وراثي.

ويبدو ان الشيخ احمد لم يكن مصمماً على إستخلاف أي من أولاده عثمان، ومحمد خالد، ونذير، أو ابن أخيه سليمان، ان الاسباب التي جعلته يستبعد هؤلاء جميعاً تتعلق على الاغلب باعتقاده حسب الكاتب أسَسَرد، أن بين أتباعه من هو أصلح منهم لتولي المسؤولية. هناك على الاقل اشارتان ضمنيتان في الفترة من منتصف الستينات حتى أوائل عام١٩٦٩ تحملان على الظن ان الشيخ احمد كان يفكر في تعيين -خورشيد- خلفاً له.

لم يكن خورشيد سليل اسرة ارستقراطية دينية، كانت امه هي السيدة مريم أخت الشيخ احمد، ويبدو ان علاقة الشيخ مع اخته كانت حميمة، وهذا ما حثه على رعاية خورشيد، ويرى الكاتب ان السلوك اليومي لخورشيد واختلاطه مع افراد اسرة الشيوخ قد ترك آثاراً إيجابية في هوى الشيخ جعله يفكر في إعداده للمستقبل.

والاشارتان الاساسيتان اللتان يمكن عدهما جديرتين بالتمعن واللتين تفصحان عن نية الشيخ احمد، يمكن تلمسهما من حادثتين مخطط لهما في عام ١٩٦٨، في ربيع ذلك العام بعد أن جاء الشيخ الى تكية بارزان، طلب من أتباعه أن يذهبوا الى حيث خورشيد في قرية شري الواقعة على الضفة الجنوبية (الغربية) لنهر الزاب الكبير، هكذا نظم أهالي بارزان مسيرة حاشدة تاركين قريتهم متجهين نحو شري، حيث استقبلهم خورشيد وخطب فيهم خطبة عادية تتعلق بضرورة الالتزام بوصايا الشيخ احمد. تكمن اهمية هذا الحدث في انه اول اشارة واضحة الى ان الشيخ احمد كان يخطط لتهيئة خورشيد للظهور بمظهر الزعيم المقبل للمشيخة.

وفي صيف العام نفسه أرسل الشيخ احمد في طلب خورشيد، وعندما اقترب خورشيد من بارزان، خرج الشيخ بنفسه لاستقباله ولم يعقه عن ذلك المرض الذي ألم به. لقد فهم الاتباع ان الشيخ احمد قد صمم على إستخلاف خورشيد.

بعد رحيل الشيخ احمد في عام، ١٩٦٩ اعتبر الشيخ عثمان ابن الشيخ احمد انه احق بخلافة والده، وقد تصرف بالفعل كشيخ معترف به، واتخذ من التكية مركزاً له ومارس طقوس المشيخة، وحاز على اعتراف جمهور غفير من البارزانيين، أما خورشيد فانه لم يعلن مشيخته على الاطلاق، لعوامل عديدة منها الخوف من حدوث شق في صفوف البارزانيين، فضلاًانه لم يكن راغباً أو بالاحرى قادرا في تشكيل قوة مسلحة لمواجهة الشيخ عثمان، رغم ان عدداً من البارزانيين اعتبروه الشيخ الشرعي لمشيخة بارزان، وهؤلاء

الاتباع عرفوا باسم الخورشيديين)، وهذه التسمية هي مجرد إشارة تعريفية أكثر من كونها دلالة على خط فكري جديد أو مختلف عن الخط الفكري السابق أو السائد لدى البارزانيين، إن التعبير الذي يفضله ايوب بارزاني (ابن عم مسعود البارزاني) استخدامه هو (جماعة شرى)، نسبةً الى القرية التي صارت مركز الخورشيديين ابتداءً من عام ١٩٦٩، وان اتباع خورشيد لا يزالون يعتبرون ان المشيخة قد تم إغتصابها بسبب عامل القوة والامر الواقع الذي فرضه الشيخ عثمان أكثرمن إعتماده على الشرعية التي كان الشيخ احمد قد اسبغها على ابن اخته، وإن لم يعلنها صراحة.

لقد أثارت هذه القضية جدلاً واسعاً بين البارزانيين تشبه الى حدٍ ما (مع الفارق) وهي ان حجة الخورشيديين تشبه حجة الشيعة الذين يرون ان النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) نص صراحة على تعيين الامام علي خلفاً له وذلك في خطبة غدير خم، كذلك إعتبر الخورشيديون ان الاشارات التي عبر عنها الشيخ احمد تشكل دليلاً واضحاً على رغبته في ان يخلفه خورشيد.

هكذا وجدت المشيخة نفسها تواجه وضعاً لم تألفه من قبل. فلاول مرة في تاريخها تظهر مشكلة الزعامة الدينية، إن أي من الفريقين لم يستطع ان يقنع جميع البارزانيين بشرعيته، ذلك لان كليهما الشيخ عثمان وخورشيد كانا بحاجة الى تفويض واضح جلي من الشيخ احمد بأحقيته في المشيخة، لذا فحسب الكاتب أسَسَرد تعرضت المشيخة البارزانية الى أزمة شرعية القيادة . هكذا فانه من الناحية العملية انتهت مشيخة بارزان في عام ١٩٦٩ برحيل الشيخ احمد.

ولتعزيز سلطته فقد اعتقل الشيخ عثمان خورشيد ونفاه الى منطقة نائية مانعاً أتباعه من الاتصال به، وقد استمر ذلك النفي حتى عام ١٩٧٤. وفي إعتقاد الكاتب ان سياسة الشيخ عثمان لم تكن ترتكز على تفادي الازمات، فبعد عامين من إعلان نفسه زعيماً دينياً للبارزانيين (سنة ١٩٧١)، تفجرت الخلافات بينه وبين ملامصطفى البارزاني زعيم الثورة الكردية، لاحقاً ضمن الشيخ عثمان دعم الحكومة العراقية له. وينقل الكاتب عن مذكرات (شكيب عقراوي) أحد قيادي جهاز مخابرات الحزب الديمقراطي الكردستاني (الباراستن) سابقاً، التي تشير الى خطط كان يفترض أن تؤدي في النهاية الى سيطرة الجيش العراقي على بارزان، لكن إعتراض (الشيخ محمدخالد) أخ الشيخ عثمان على التعاون مع بغداد أحبط تلك الخطط. وعلى إثرها التحق الشيخ عثمان مع عدة مئات من أتباعه بالحكومة العراقية في منتصف عام ١٩٧٤، في ذروة القتال الذي كان يجري آنذاك بين الحركة الكردية والحكومة العراقية. وابتداءً من ذلك حاز الشيخ محمد خالد ثقة عمه ملا مصطفى، وهذا ما ولد الانطباع بأن عمه يقبل به زعيماً دينياً للبارزانيين.

مهما يكن، يرى الخورشيديون ان مشيخة بارزان استمرت حتى عام ١٩٨٣، وانها انتهت باعدام خورشيد وعدة آلاف من البارزانيين على يد نظام الرئيس السابق صدام حسين بسبب ما أشيع عن تعاون الحركة الكردية بقيادة الاخوين ادريس ومسعود نجلي ملا مصطفى البارزاني مع الحكومة الايرانية إبان حرب الثماني سنوات.



مندلي قبل التعريب البعثي

محمد مندلاوي

الإسم و التأريخ

نرى في كتب التأريخ من هنا و هناك مَن يشير الى اسم هذه المدينة، على سبيل المثال ذكرها هيرودوت بإسم (اردريكا)[1]. الأكثر تداولاً في العصر الحديث، ما ذكره ياقوت الحموي في كتابه معجم البلدان، حيث أنه ينقل عن أبي مظفر السمعاني ما يلي: (البندنيجين: لفظه لفظ التثنية، ولاأدري ما «بندنيج» مُفرده و إن أبا حمزة الأصبهاني قال بأنه يوجد موضع بناحية العراق يسمى «وندنيكان»[2] و عُرّب على البندنيجين ولم يفسر معناه. وهي بلدة مشهورة في طريق النهروان من ناحية الجبل (كوردستان) من أعمال بغداد يُشبه أن تُعد في نواحي مِهرجان قَذق، وحدثني العماد بن كامل البندنيجي الفقيه، قال «البندنيجين» إسم يُطلق على عدة محال متفرقة غير متصلة البنيان، بل كل واحدة منفردة لاترى الأخرى، لكن نخل الجميع متصلة وأكبر محلة فيها يقال لها «باقُطايا»). يذكر ياقوت الحموي في معجمه في مكان آخر بإضافة النون إليه و بذلك يصبح إسمها «باقطناي»، و بها سوق و دار الإمارة ومنزل القاضي، ثم بُوَيقيا و ثم سوق جميل و ثم فشلتْ). هذا كل شئ نقله لنا ياقوت الحموي عن «وندنيكان، بندنيجين، بندنيج».

حسب رأي البعثة البريطانية التي زارت المدينة سنة ١٩٦٦ الميلادية، فأن تأريخ مدينة مندلي، يمتد الى ستة آلاف سنة قبل الميلاد. كانت مندلي إحدى مدن دولة لولو، الذين هم أجداد اللور، و من ثم أصبحت إحدى مدن الإمبراطورية الميدية الكوردية.

بعـد الميديـين، تـوالى عليها، حكـم الأخمينيين الفـرس والبارتيين. بعد تأسـيس الإمبراطورية الساسانية، على يد هردشـيرالأول، عادت مندلي، الى أحضان السـلالة الساسانية الكوردية. في العهود الإسلامية، كانت تابعة للإمارات الكوردية، كإمارة بنو عناز، التي حكمت من، سـنة (٣٨٠) الى (٥١٠) للهجرة و كانت هذه الإمارة تحكم مناطق شاسعة من كوردسـتان مثـل (كرمانشـاه) و (حلوان) و (شـهرزور) و (داقوق) و (دسـكرة) و(مندليج)[٣] و (النعمانية). هذه الإمارة دام حكمها ١٣٠ سـنة، وكان سلطانها يشمل، كما أسلفنا، كلاً من كرمانشاه و ديالى و كركوك و السليمانية وجزء من محافظة كـوت في بلاد ما بين النهرين. كانت مندلي أيضاً، تابعـة للإمارة الحسـنوية و من ثـم تبعت إمارة بابـان، والتي كانـت عاصمتها السـليمانية. بعد ذلك وقعـت مندلي تحت براثن الإ حتلال التركي العثماني لزمن طويل حتى وقعت الحرب العالمية الأولى، حيـث إنتصـرت الحلفاء فيها سـنة ١٩١٨ و بذلـك إنتهى حكـم العثمانيين الأتـراك الى غير رجعة. عند تأسـيس الكيان السياسي العراقي، تم ضم القسم الجنوبي من كوردستان الى هذا الكيان الجديد، و بذلك أصبحـت مدينة مندلي بدورها جزءً من الكيان المذكور.

تعرضت مندلي عبر العصور الى غزو و إحتلال من قبل شـعوب عديدة. أهم الشـعوب المحتلة لها هي العرب المسـلمون والأتـراك العثمانيون، حيث أنّ العـرب لم يمسـوا واقعها وهويتهـا خلال فترة وجودهم فيهـا، فرحلوا عنهـا، راجعين الى مركز الخلافـة، تاركـين المدينة لأهلها. بعـد العرب جاء العثمانيون الذين قوضوا الدولة العباسـية وقتلوا الخليفة العباسـي و إتخذوا من إسـطنبول عاصمة للخلافـة العثمانية. ثـم نصّبوا أنفسـهم خلفاء على المسـلمين ورفعوا راية الجهاد! حاملين سيوف الإسـلام في أيديهم وقلوب المغول في صدورهم. نشر الأتراك جيوشهم في أصقاع العالم لإستعباد شعوبها، وإحتـلال أوطانهـا وكانت كوردسـتان إحدى تلك الأوطان التـي رزحت تحت حكمهم الإسـتبدادي، حيث نشروا الرعب والفزع في جميع مدنها. مندلي واحدة من تلك المدن التي إحتلوها وبنوا فيها حامية عسكرية لتنفيذ فرمانات السلطان. كان العثمانيون عند زحفهم على المدن يصطحبون معهم عوائلهم، حيث يستقرون في تلك المدن بعد إحتلالها، ومندلي واحـدة من تلك المدن التي إسـتقرت فيها ثلة من الجنـود العثمانيين مع عوائلهـم في إحدى أحيائها المسماة ب «بوياقي». بعد إنهيار الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى، تشـتت هؤلاء الأتراك في مدن العراق وكوردسـتان، وبقي عـدد منهم في مدينة مندلي، يعيشون بين ظهراني الكورد.

تأسـس الكيان العراقي وفـق مقررات مؤتمر القاهرة سـنة (١٩٢١). عُقد هذا المؤتمر بإشـراف بريطانيا العظمى، و بإشـراف مباشـر من وزير المسـتعمرات البريطاني آنذاك «ونسـتون»، حيث أتفق في هـذا المؤتمر على تنصيـب الأمير فيصل ملـكاً على العـراق و أُتخذ قرار ظالـم أثناءه، و ذلك بالتنكر للحقوق المشروعة للشعب الكوردي في إقليم جنوب كوردسـتان في تأسيس دولتهم أسوة بشعوب العالم الأخرى.

بعد إ نتهاء المؤتمر التآمري المذكور و إسـتتاب الحكم بعد تنصيب الأمير فيصل، الذي تمّ إستيراده مـن شـبه الجزيرة العربيـة من قِبل الإسـتعمار البريطاني، بدأت المأساة الكوردية داخل هذا الكيان المصطنـع و بـدأ التعريب وإرهـاب الدولة المنظم

ضد الشعب الكوردي في هذا الجزء من كوردستان. بعد تنصيبه ملكاً على العراق بفترة وجيزة، زار فيصل الأول مدينة خانقين واستحوذ في هذه المدينة على قطع أراضي شاسعة سُميت ب(الأراضي الأميرية). إتبع الساسة العراقيون الآخرون الذين حكموا الكيان العراقي خلال حقبة سوداء و التي إستمرت لمدة ٨٢ سنة، حيث أنهم إستولوا على أراضي الكورد ومنحوها للمستوطنين العرب، كما فعله ياسين الهاشمي رئيس الوزراء العراقي في العهد الملكي، الذي قام بتوطين العرب في أجزاء من كركوك و بنى مدينة الحويجة للمستوطنين العرب القادمين من تكريت والرمادي والمناطق المتاخمة للحدود السورية و السعودية. رشيد علي الكيلاني و أخيراً الحكم البعثي العروبي، ساهما بنفس الدور العنصري تجاه الشعب الكوردي. مندلي واحدة من تلك المدن الكوردية التي عانت من سياسة العروبيين العنصرية منذ تأسيس هذا الكيان بعصا الساحر البريطاني إلى آخر يوم من نظام حكمهم الدموي والذي أُسقط في ٩ نيسان سنة ٢٠٠٣.

الموقع الجغرافي

تقع مدينة مندلي على تخوم سلسلة چكا سور (جبال حمرين) و في جنوب عاصمة الإقليم هولير، حيث تبعد عنها حوالي ٤٠٠ كيلو متر. تقع مندلي في شرق العراق و تبعد عن بغداد، عاصمة العراق ١٦٠ كيلو متر، وهي أقرب مدينة الى العاصمة العراقية من الحدود الإيرانية. كانت مندلي مع سومار وبقية المناطق المتاخمة لها، تشكل وحدة جغرافية واحدة الى أن تم ترسيم الحدود بين الدولة العثمانية و الدولة الإيرانية، حيث تم تقطيع أوصال الجسد الكوردي بين الفرس والأتراك ومن ثم العرب الذين نالوا جزء من الكعكة الكوردية.

تحيط بمدينة مندلي مدن كوردية من كل الجوانب، حيث تقع مدينتا بدره وجصان الى الجنوب منها، بينما من الشمال تحدها مدينة خانقين العريقة وقرى مكاتو وكاني ماسي. من الشرق يحدها إقليم شرق كوردستان، حيث مدينتا سومار وگيلان اللتان لا تبعدان عن مندلي سوى بضعة كيلو مترات و تفصلهما عن مندلي جبال اسور. في غرب مدينة مندلي تقع بلدة «ورازرو» التي تم تعريب إسمها الى بلدروز[4] و تقع مدينة شاربان في شمال غربها. تحيط بمدينة مندلي العديد من البلدات والقرى الكوردية، كقلادة تطوق عنق العروس. لو خرجنا الى خارج المدينة و تجولنا حولها، متجهين من الغرب الى الشرق، ستصادفنا ناحية قازاني في القسم الجنوب الغربي منها و نمر بعد ذلك بقرى ديشخ و دوورو و كپرىو كچكوتيل ثم جارية (قرية الشهيد جوامير سايه مير). بالإنحدار قليلاً الى اليسار، نشاهد قرى أوارآسياوه و ثم نصل الى الطريق العام الواقع الى الغرب من الحدود الإيرانية العراقية الذي يجاوره مركز الحدود المعروف ب»كومه سن» التي تعني (ربوة الصخور). عند إنحدارنا نحو الأسفل «كومه سن»، ستلوح لنا قرية گرمَوندي و من ثم عشائر وقرى قلولس و الى اليسار منها تظهر لنا قرية «پتكوكر» و بعدها «طياره خانه» ومن ثم تنتهي مسيرتنا بالوصول الى مدينة مندلي ثانية.

العشائر الكوردية المعروفة

في الوقت الحاضر، يسكن في مندلي بالإضافة الى الكورد، المستوطنون العرب الذين جئ بهم

من غرب ووسط العراق الى هذه المدينة من قبل الحكومات العروبية المتعاقبة على دست الحكم في العراق. يتألف سكان مندلي من العشائر والقبائل الكوردية العريقة، منها قبيلة كلهر التي تُشكّل قسماً كبيراً من سكان المدينة وأطرافها. هذه القبيلة هي من أكبر القبائل الكوردية في عموم كوردستان، حيث تنتشر مدنها وقراها في إقليمَي شرق و جنوب كوردستان، في كرمانشاه و إسلام آباد و إيوان و إيلان و قصر شيرين و خانقين و كركوك و بغداد و شاربان و مندلي. نفوس هذه القبيلة تقدر بحدود مليون ونصف مليون نسمة، و أفخاذها هي: كالدي (خالدي)، شياني، سياسيا، كاظم خاني، خمان، تلش، كرما، كله جو، شوان، قوامى، منصوري، الوندي، مايشتي، هارون آبادي، شاهيني، مويش ايـر، باى، زينل خاني، كمره، كياني. من العشائر الأخرى هي عشيرة ملكشاهي التي هي في الأصل إتحاد قبلي و هي تشكل إحدى مكونات سكان مندلي، منها، باى، و(بولي)، و(خزل)، ولها تواجد في مدن كوردستانية أخرى وفي بغداد. في مندلي، تسكن أيضاً عشيرة بدره ي (بـه يره ى). من العشائر الكبيرة الأخرى في مندلي هي عشيرة باجلان ولهذه العشيرة فرعان هما جمور و قازانلو، وهي أيضاً فرع من اللك و اللك هو فرع من اللر. تنتشر أبناء هذه العشيرة في قوره تو و هورين و شيخان و قصر شيرين و قازانية و مندلي. عشيرة الزنگنه هي أيضاً أحد فروع اللر في هذا القضاء ولها حضور في مدن عديدة في كوردستان و كانت لها صولات وجولات في التاريخ. هناك عوائل كوردية داخل مندلي تحمل لقب اللر. في مندلي توجد عشيرة هنيمني الكبيرة و إحدى أحياء مندلي تحمل إسم هذه العشيرة. من المكونات الأخرى في هذه المدينة هي عشيرة أركوازي المعروفة ولهم وجود أيضاً في خانقين وكركوك و مدن كوردستانية أخرى . من المكونات الأساسية في مندلي هي عشيرة هواسي المعروفة. تعيش في مندلي أيضاً عشيرة گوران، حيث أن أفراد هذه العشيرة لا يزالون يعتنقون ديانات آبائهم و أجدادهم القديمة. هناك عشائر كوردية عديدة أخرى في هذه المدينة. توجد في مندلي عوائل من البيات، يُقال أنهم من بقايا المغول ويتحدثون شيئاً من التركية وهم يقولون أنهم ينتمون الى العنصر العربي، إلا أن أفرادها الساكنين في مندلي يتحدثون باللغة الكوردية. هناك أعداد من كورد مندلي تنكروا لقوميتهم كي يتسنى لهم الحصول على شهادة الجنسية العراقية و حدث هذا خلال فترة الحكم البعثي العروبي البائد. إنّ المواطن الكوردي وخاصةً (الفيلي) كان محروماً من الحصول على الوثيقة المذكورة. وضع قانون الجنسية الجائر من قِبل السلطة البعثية المقبورة و كان الهدف منه هو النيل من الشعب الكوردي.

الأحياء و الأسواق

توجد في مدينة مندلي عدة أحياء وأسواق وهي: بازار كورا (السوق الكبير)، داخل هذه السوق توجد عدة محلات للحدادة، يُطلق عليها إسم بازار آسن كريل (سوق الحدادين) و هناك بازار َبزازَيل (سوق البزازين) و بازاربيچك (السوق الصغير)[5] و قه لابالي و قه لا ميرحاج (قلم حاجي) و قه لاجميل بيا و هنيمني و قس اساني و نانوايل و جامع و بوياقي و ال قرمزي (هذه المحلة تقع بين هنيمني و بوياقي و هي غير القرمزي التي

تقــع قرب باقوبة الحفرة التــي يتم جلب التربة منهــا لتعبيد ســطوح البيوت قبــل حلول فصل الشــتاء) و نقيِّــب و دربوحين و آغــه يل. لهذه الأحياء فروع تابعة لهــا أو متصلة بها، مثلاً «قه لابالى» كانت تتبعها «علي جني» و «كوي به باخ» التي كانت تضم عدة بيوت. «سقاق» هو فرع آخر داخل «قــه لا بالي». جزء مــن الطريق الواقع بين «قــه لا بالي» و «بازار گورا» هو مســقف و يُســمى بـ(طاق ســيد نوري). كان للمدينة مركز تجمع ليلي يُســمى سَــرجو (رأس النهــر) و فيه مقاهي وعدة محلات وحســينية ومســتوصف و كان المشرف على المســتوصف شخص إسمه «مام» وهو يُشــكّل جزءً من «قه لابالــي». كانت لبازار بيچك و هنيمني أيضاً توابع، منها «كل نعلبنيل»، حيــث هنا كان يتم تركيب حــدوة حوافر الخيل و «نجاريــل» (النجارين) و «جُبلهيل» (الندافين) و يتــم فيها خياطــة اللحفان و ما شــابه. المركز الرئيســي في المدينة الذي كانت التسمية الرسمية له هي «ســراى». تم تعريب هذا الإســم من قِبل العروبيين، حيــث سُــميت بـ(القائمقامية) فيما بعد. «ســراى» إســم كوردي إنتقل عبر الزمن الى لغــات أخرى وهو يعني (البيت الكبير الذى يقع في مفترق الطرق، أي الطريق العام و هو إســم مركب مؤلف من كلمتين هما «سَــر» التي تعني (الرأس) و «را» أي (طريــق)، أما الياء فهي لاحقة). يوجد في مندلي مركز، أو سوق صباحي، حيث يتم فيه بيــع المواد المختلفــة، كالدجــاج و البيض الخ، في الهواء الطلق وهذه المنطقة تســمى ميان (ميدان). توجد أرض منبسطة بين «قه لابالي» و «كارى» التي مســاحتها واســعة جداً و تسمى ب «ميرزا»، حيث تجتمــع عندها أهالي مندلي في عيد نوروز و يقومون بإداء الدبكات الكوردية وممارسة سباق الخيــل و إطلاق االعيارات الناريــة من البنادق و المسدســات و ألعــاب ترفيهية أخــرى متبقية من التقاليد القديمة التــي صارعت الزمن وحافظت على ديمومتها وبقائها و تنتقل من جيل لآخر.

الآثار ومراقد الأولياء والمساجد والمقابر

على جانب الطريق بــين مندلي و «ورازرو» تقع «تمه رميل» التي قد تكون عبارة عن موقع أثري. بالقرب من «ام نفت» (نهر النفط)[٦]، توجد مجموعة أثرية تســمى «كشك». على بُعد مسافة قريبة من «قه لابالى»، يقع الأثر الساســاني، «قه لاســفي» (القلعة البيضاء). هذه القلعة التي نال منها الزمن وأصبحت مجرد عبارة عن تلة ترابية ترتفــع عن الأرض لعشــرات الأمتار، تشــق عنان الســماء و كأنها تشكو أيام أمجادها الغابرة. تذهب اليهــا الناس في أعياد النوروز وفي «ســنزه وه در» للتنزه (في اليوم الثالث عشــر بعــد عيد نوروز، تــترك العوائــل الكوردية بيوتهــا وتقضي يومها خارج المنــزل. الرقم (١٣) هو رقم مشــؤوم عند الكورد، كما عند الشــعوب الأخرى). في مقربة من «قه لاســفي»، توجد مقبرة قديمة تســمى «باوه قريــش» و من المرجح أنّ فيهــا بعض الآثار التي تعود لعصــور قديمة. تقع بالقرب منها مســاكن عشيرة هواســي الكوردية المعروفة. هناك مناطق أثرية أخرى حول مدينة مندلي، مثل بيان و تل تمرخان و منطقة دووبان و قه لاى كونه (القلعة القديمة). في مندلي آثار كثيرة أخرى، لكن الذاكرة لاتسعفني الآن لذكرها.

أما مراقد الأولياء ورجال الدين في المدينة، فهي: على جانب طريق «ورازرو» — مندلي، يقع مقام

«نبـي تهران» و بالقرب من «قازاني» يقع مرقد بـاوه أرزين[٧] و هناك داخل مدينة مندلي مراقد «باوه حافظ» و «سـي شـعبان» (سـيد شعبان) و «سـي رحمان» (سـيد رحمان) و «شيخ منلي» (شيخ مندلي) و مقام «باوه طاهر». على مقربة من مدينة مندلي، تقع مراقد «حجي يوسـف» و «عباس علي» و قبر الشيخ عبد الله شيرواني الذي هو عالم دين كوردي. توجد في مندلي ثلاث مقابر هي مقـبرة «باوه قريش» و هـذه قديمة لا يتم دفن الموتى فيها. أما المقبرتان الأخريان اللتان كان أهالي مندلي يدفنون فيهما موتاهم في السـتينات والسبعينات من القرن الماضي، هما مقبرة «باقوبة كونـه» و «باقوبة نو». توجد مقبرة صغيرة عند مدفن «سي شعبان».

توجد تكية للكورد خلف محلة «قلم حاجي» حيث يقومون بإحياء الشعائر و المراسم الدينية فيها. في بازار بيجك، يقع جامع «گورا» (المسجد الكبير) الذي يعود للكورد الشيعة. وان إمام وخطيب هذا المسجد هو «آغه سـيد». الحسينية التي تقع في «سَـرجو» هي أيضاً مركز تجمع الشيعة الكورد والخطيـب فيها هـو رجل الدين الكـوردي «ملا عزيز». كانت هناك لجنة تشـرف على الحسينية و مكونة من الوجوه الكوردية حاج شاواز و كاكي نورعلـي و عمران عبدي و سـيد إبراهيم وحاج فاضل ولي. الخدمات كان يشـرف عليها عباسـي. «باى بى» الحسـينية كان شـقيق عباسي، المدعو الماسـي. كانت هنـاك في هنيمني أيضاً حسـينية يشرف عليها حاج فاضل وعلى ضفاف «جو بازار» يقع مسـجدان أحدهمـا للطائفة السُـنية، حيث يؤدون فيه الصلاة والطقوس الدينية و روّاد هذا الجامـع كانوا قلة من الكورد السـنة والتركمان و بعض العرب المستوطنين و الموظفين، وكانوا يأتون بخطيب كوردي لهذا المسـجد مـن أربيل، نتيجة إنعدام رجال دين فيهم لقلة عددهم في مندلي. كان معظمهم يعملون في السـلك الحكومي. مقابل هذا المسجد، يوجد مسجد للكورد الشيعة، خاص لصلاة الظهيرة والعصر و بعد إداء الصلاتين المذكورتين، تُقفل أبوابه. الدروشـه عند بعـض الكورد كانت موجـودة في مندلي، حيث كان هنـاك في المدينة إخـوان إثنان هما درويش محمد و درويش نبي و كانا يتجولان في القـرى الواقعة في محيط مندلي لكسب عيشهم. وكان في مندلي درويش آخر إسمه «قارمـان» و كان صاحب تكية و يسـكن في محلة «بوياقي».

المقاهي والمطاعم والمطحنتان

كباقـي المـدن الكوردسـتانية، كان في مندلي، العديـد مـن الچايخانات (مقاهـي). عند دخول المدينة، تُشاهَد أمام السراي مايخانه وبيره يملأها شخص إسـمه طالب، وبالقرب من «الميدان» على الجانب الأيمن، توجد چايخانة فهد، وبعدها بقليل چايخانــة عله، ثم چايخانة داود داغره. في داخل البـازار هناك چايخانة خورشـيد، ثـم چايخانة حسـين جانالي، ثم بعد مسافة قصيرة منها وعلى الجانب الأيسر تقع چايخانة سليمان. قرب الجامع بجانـب بازار بزازخانه (سـوق البزازين)، هناك ثلاث چايخانـات واحدة لـ«تعبانـي» والثانية ل «جباري» و الثالثة لـ«سـتاري» و جميع أصحاب هـذه الچايخانـات في مندلـي هم مـن الكورد، بإستثناء شخص واحد وهو «داود داغره» الذي هو مـن بقايا المغول وكان بالإضافة الى اللغة الكوردية يتحدث شيئاً من التركية.

لم تكن يومها توجد مطاعم في مندلي لتقديم الرز وماشابه، بل كان هناك مطعمان فقط للكباب، أحدهما يملكه «ملا جمعه» والثاني كان صاحبها المدعو «كرمه كبابچی» (كريم كبابچی). الأول كان يسكن في «قلم حاجي» و الثاني على ما أظن كان يسكن في مَحَلة نانَوايان (محلة الخبازين) والإثنان كانا من الكورد. كان يوجد في «بازار گورا» مطعم صغير لبيع الكبد (معلاك)، وصاحبه كان «قاسم شيره» (أبعده نظام صدام سنة ١٩٨٠ الى إيران). في نهاية الستينيات من القرن الماضي، إفتتح شخص كوردي آخر مطعم يقدّم مأكولات مختلفة وكان يقع مطعمه قرب كازينو البلدية وإسم صاحب المطعم كان «سلمان».

كانت هناك في مندلي مجزرة واحدة و المعروفة في مندلي ب»قساوخانه» وتقع بجوار مقام «باوه طاهر». هناك في مندلي مطحنتان، الأولى كان يملكها «سيد درويش» و «ميرزا نورعلي» و هما من الكورد، والثانية كانت لشخص لا أتذكر إنتماءه القومي و كان إسمه «عبد هزار».

الأنهر و البساتين و المزارع

النهر الكبير القادم من إقليم شرق كوردستان (إيران)، يقع منبعه في جبل «بانكول» الواقع في ناحية أيوان. تصب في هذا النهر مياه عدة ينابيع في «سَراو أيوان» و يرفده منبع آخر يسمى «خُران». هذه أهم المنابع التي ترفد هذا النهر، إضافةً الى مياه الأمطار و مياه ذوبان الثلوج في جبال كوردستان. هذا النهر، له إسمان هما «كن اير» و «بلال» في كلا الجانبين من كوردستان، أي عند أهل أيوان و سومار و زرنه ومندلي. يدخل هذا النهر أراضي مندلي عند ناوتنا (المضيق) الواقع في سلسلة (جبال حمرين)، ثم ينحدر الى الأسفل ليخترق بساتين النخيل والمزارع، ومن ثم يتشعب الى عدة أنهر، حيث تسقي تلك البساتين والمزارع. مع تكوين هذه التشعبات، يتغير إسم النهر تبعاً للمناطق التي يمر بها. في موضع يُسّمى بـ«خدرشل» (خضر الأعرج)، وفي موضع آخر يُسّمى بـ«خرقازاني» (شط قازاني)، وفي موضع ثالث يُسّمى بـ«سكريهودي» (سد اليهودي)، بينما يُسّمى النهر قرب «قس اسانی» بـ«قلمبه» (العميق)، وفي مكان آخر ب»خراه» (الشط)، وقرب الحسينية بـ«جواه» (النهر)، و الموقع إستمد اسمه من هذا النهر حيث يُسّمى بـ«سَرجو» أي (رأس النهر) وفي السوق يسمى بـ«جوبازار» أي (نهر السوق) وبعد إجتيازه لهذا السوق، يصل الى قرب محلة «قلم حاجي» وهناك يُسّمى بـ«بوير» أي (المنخفض المائي)، ثم يترك النهر مندلي متجهاً نحو منطقة سهلية خارج البلدة. يوجد في مندلي شلال واحد يقع قرب مرقد «باوه حافظ» و يُسّمى بـ«شادروان سَرآسياوه» أي (سد مقدمة المطحنة).

هناك عدد من الأشخاص الذين يتولون مسؤولية توزيع المياه بين أصحاب البساتين و المزارع، ويُقال لصاحب هذا العمل «ميرآو» (أمير المياه -- مسؤول المياه) وكانوا ثلاثة هم قادر ميرآو و علي اسكولي. كانت هناك بالقرب من «قه لابالي» ماكنة لسحب المياه الجوفية لسقي المزارع، وكان المشرف عليها رجل اسمه «رشاه» (رشيد). كانت هذه الماكنة معروفة بإسم «مكينة آواى رشاه» (ماكنة ماء رشيد). في الجانب الآخر من محلة «قه لابالي» وعلى طريق «اتاوار» كان يوجد خزان مياه مندلي الرئيسية (تانكي) بين

البساتين. كان المشرف عليه رجل يُدعى «بَيرام»، وللتحبب في اللغة الكوردية كان الناس ينادونه بـ«بيراه». هذا الخزان يعرف أيضاً بتانكياى بيراه. هو والد اللواء الشهيد صبحي، مدير شرطة مندلي الذي أستشهد في أواسط سنة ٢٠٠٧ على أيدي الإرهابيين.

مندلي معروفة ببساتين نخيلها التي تمتد على مد البصر وأكبر بستان في مندلي إسمه «ابوله» الذي له بابان، باب واقع في «قه لابالى» و بالقرب من بستان جعفره و صاحبه هو رحمان بالبالى، و باب في «اوى بهباخ» قرب بستان «سَاله» لصاحبه خورشيده، والد الكوردي الغيور محمد الذي هو أحد تجار بغداد.

تُزرع في مندلي أكثر من مائة نوع من أنواع التمور مثل أشرسي و الدقل و البرين و خستاوي و الزهدي و التمر الأزرق و السخ. هناك نوع من التمور الجيدة، الذي يوجد فقط في مندلي و يُسّمى بـ«ميرحاج». تشتهر مندلي برمّانها الطيب المذاق و رمان «حسيناوي» هو أطيب أنواع الرمان في مندلي.

هناك في مندلي موسم خاص لشتل الخس. هناك عدة بساتين خاصة بهذه النبتة، منها بستان محمد كافيه، الواقع على ربوة قرب باقوا، و بستان قادر هياله الواقع خلف بيت رستم آغا، و بستانان يقعان على طريق بازار گورا، أحدهما يعود لعباسه أبو خضر، والثاني لسلماني، وبالقرب من مكينة رشاه، يوجد بستان خس آخر لحسن غدي. هناك بين «قسبساني» و «سرجو» و «قه لابالي» أرض واسعة بالإضافة الى الخس، يُزرع فيها جميع أنواع الخضروات. وهي عبارة عن أرض منخفضة تسمى بـ«بالبالى»، وحتى أنّ صاحبها لُقّب بهذا الإسم «رحمان بالبالى». عادة الكورد في مندلي، يلقبون الشخص حسب مهنته. تم إعدام رحمان بالبالى من قِبل نظام صدام بتهمة واهية لا أساس لها من الصحة، و هي رفضه لتغيير قوميته الكوردية التي ينتمي اليها الى القومية العربية التي هي غريبة عليه وعلى مدينته. هناك مزرعة أخرى للخس والخضروات كان صاحبها اسمه برهومي، ومزرعة أخرى لموسى شاكل، جميع هؤلاء هم مواطنون كورد.

في أطراف مندلي، توجد أرض زراعية واسعة جداً، كان يملكها الشخصية الكوردية «كاكي نورعلي». أستولى عليها حكومة البعث عنوة و وزعها على خمسين شخصاً من المستوطنين العرب، و صادر نظام البعث بقية محلاته و أملاكه، ليس لذنب سوى أنه رفض التعريب و الإضطهاد اللذين طالا أهل مندلي الأصلاء على يد نظام البعث العروبي الدموي.

المصوران و الحلاقون و فرن الصمون و التليفون

كان في مندلي مصور واحد، إسمه طالب، وكما أسلفت، المهنة تصبح لقب عند الكورد، فكانوا ينادونه بـ«طالب مصور». كان لديه آلة تصوير قديمة ذات الصندوق والكيس الأسود. في أواسط الستينيات من القرن الماضي، إنتقل شخص من قرية «اتاوار» التي تقع بالقرب من مندلي، الى المدينة وأصبح المصور المنافس لطالب، و كان إسمه حسين و لديه بعض الآلات الحديثة للتصوير و يلتقط صوراً كبيرة وملونة ويضعها في إطارات بطريقة فنية تجذب الزبائن.

كان في مدينتنا كاتب عرائض واحد إسمه حسين ويسمى حسين أرضحالاى، حيث لُقب

بلقــب المهنة التي زاولها طيلة حياته و كان يكتب العرائــض بيده، حيث لم يكن يمــك آلة طابعة. هناك في مندلي عدد من الحلاقين الذين يزاولون هــذه المهنة، وهم قادري الــذي كان حلاقاً ويقلع الأســنان أيضــاً، و جبار ار يعمل كحــلاق و يقلع الأســنان، أما عســكره فهو حلاق فقــط، وصالون حلاقتــه يقع في بازار كلاشــكريل (ســوق بائعي الأحذيــة)، وهذا الســوق جزء من بــازار گاورا، وأكــبري كان أيضــاً حلاقاً، وملا عبــد، و جبور، والحلاق العصري أحمد خانمه، و كان صالونه يقع بجانــب علوة ميرزالي. هؤلاء الحلاقون في مندلي، جميعهم ينتمون الى القومية الكوردية بإســتثناء جبور الذي قوميته تركمانية على ما أظن.

فرن الصمون الوحيد في مندلي أتى به في نهاية الخمسينات من القرن الماضي، الشخصية الوطنية الكوردية «كاكي نورعلــي». في مندلي كان يوجد إسكافي واحد فقط إسمه «كبالي». ماء مندلي مالح و غير صالح للشرب، لذلك خصصت البلدية تانكر كبير لجلب المياه العذبة يومياً من مدينة «ورازرو» و كانت تبيعها للمواطنين بسعر رمزي. كان سائق التانكر إســمه رحيم فاني، والبائع إســمه قاساه. بإســتثناء دائرة البريد التي كانت عندها تليفون واحــد، كان هنــاك تليفون آخر في بــازار گورا في محل كاظم قواي، وهو من الشــخصيات الكوردية المعروفة في مندلي، وكان يسكن قه لولس.

بعض الشخصيات والوجوه المعروفة

ســايمير آغا، كان رئيس عشــائر قَــه لَولوس، وبعــده كان يأتــي المناضــل العتيد حميد شــفي والشــخصية الفذة كاكي نورعلي و حسينه دوسه (علــى مــا أظن هو جد الشــهيد ســلمان داود) و عزالديــن النقيب، صهر والي اشــتاو (أمير إمارة إيــلام) و عبــد الســتار البياتي و حاج شــاواز و باوبانــي الــذي هو شــخصية معروفــة حتى في الســتينيات، أنشــد الناس أشــعار في هذا الرجل، ومنها بيت شــعر بقــى عالقاً في الذاكــرة يقول: (هه له كومه سه ناتا وه قازاني ... اشتى ها له اير حوام باوبانى)، أي: من كومه سنا حتى قازاني ... الجميع خاضع لحكم باوبانى. و «كومه سنا» هي نقطة الحدود بين إيران والعراق في أقصى الشرق، وقازاني ناحية تابعة لمندلي في أقصى جنوب غرب و رفعت البي و يوســف خليفــه و أحمدي نزاه و حسن باتاه و علاه ماماه و ميرزا نورعلي و كاظم قواي و سيد حســين و كان من الرماة الماهرين و رســتم آغا و مهدي باولي و ياسين دوراه و فرمان مــن أهال كــبري و كان بطل مصــارع في الجيش و ســيد درويــش وهناك العديد من الشــخصيات والعوائل المعروفــة في مندلي، حيث أنه ليس هنا مجال لذكر الجميع.

الخانات والحمامات وبعض الشخصيات الفكاهية

في هــذه المدينة كانت توجد ثلاث خانات (دار الضيافة)، الخــان الأول كان مقابل مدرســتنا، لا أتذكر إســم صاحبه، لكنني كنتُ أشــاهد الكورد المبعدين من المدن الكوردســتانية الأخرى بزيهم الكــوردي يرتادون هــذا الخــان. في مقابل مقهى «داود داغــره» كان يقع خان مســعود، بالإضافة الى المنــام، كان يقدم بعــض الوجبات الغذائية. في بازار كلاشكَريل (سوق الخفافين)، كان يوجد خان إكرام سايَخان و كان يقدم الشاي، وفي داخله كانت تباع أنواع مختلفة من الحيوانات.

في فترة الســتينيات من القــرن الماضي، كانت

لا توجد وسائل الترفيه في مندلي ولا في عموم كوردستان. المادة الترفيهية الوحيدة كان يقوم بها بعض الشخصيات الفكاهية، كحميد أخو سلاه، و جافره (جعفره)، وجمال هواسلي، و ناسري ئيبته، والحمال المعروف ولاه هناري، و عدة أشخاص أخرين، حيث لاتسعفني الذاكرة في ذكر أسمائهم، و كانوا ذوي تصرفات كاريكاتيرية يدخلون البهجة والسرور في قلوب أهل المدينة. المجبر الوحيد في مندلي آنذاك، كان الشخصية المحترمة والفكاهية والمحبب لدى جميع أهل المدينة، الكوردي، صاحب محل البقالة في بازار گورا، ملا عبد، والد إسماعيل و الذي كان موضع إحترام الجميع دون إستثناء.

كان هناك في مندلي حمّامان فقط، أحدهما يملكه حجي عبدالنبي، وهو كوردي كان يسكن في هنيمني، والآخر يملكه بيت البلبي و يقال أنهم من ذوي أصول تركمانية وكانوا من المذهب السني و يتكلمون اللغة الكوردية.

كلمة حق

استناداً إلى ما ذكرناه، لابد لنا من كلمة لإحقاق الحق و فضح الباطل، وهي إعادة الحق الى أصحابها الشرعيين، الذين قاسوا الويلات على يد نظام صدام المقبور، ومن ثم إعلان الهوية الكوردستانية رسمياً لهذه المدينة المنكوبة بطريقة لا لبس فيها، لتعود مع شقيقاتها خانقين و كركوك ومخمور الى أحضان إقليم جنوب كوردستان لكي تنتهي و إلى الأبد آثار سياسة التعريب العنصرية المقيتة، وتعود المدينة الى سابق عهدها الذهبي، عهد ما قبل الإنقلاب البعثي الأسود الذي تم في سنة ١٩٦٨.

في إحدى المرات، قرأتُ مقالة لأحد الكُتّاب، يقول فيها بأنّ مندلي هي مدينة تركمانية. أنا أتساءل هل في العراق أو كوردستان مدينة خاصة بالتركمان أو مدينة أكثريتهم من الأقلية التركمانية؟! الجواب سيكون بدون أدنى شك: كلا، حيث أنّ حضورهم في بعض المدن كان حضور عسكري، حيث أتى بهم العثمانيون كجندرمة لحماية الطرق العسكرية وما شابه، وقبل آل عثمان، إستقدمهم العباسيون كمقاتلين للدفاع عن عرش الدولة العباسية في بغداد وبعض المدن الأخرى. كل منا يعلم جيداً بأنه لا وجود لمدينة دون قرية، أو قرى، إذاً لماذا لا نرى وجود قرية تركمانية واحدة بين مئات القرى الكوردية المحيطة بمندلي، أو خانقين، أو بدره؟!

في عصر الإمبراطوريات، تعرضت مندلي الى هجمات وغزوات المحتلين، من الفرس القدماء الى العرب المسلمين. يُقال بأنّ علي بن أبي طالب قاتل في هذه المدينة، وهناك أثر تاريخي باقٍ الى يومنا هذا يُسمى بـ«مقام علي»و هذه دلالة علي محاولة السيطرة على هذه المدينة من قِبل العرب. بعد العرب، جاء العثمانيون، ومن ثم العروبيون الذين حاولوا تغيير معالم المدينة، وأسماء الأحياء والقرى، وكل شئ يرتبط بالأرض و الثقافة و التأريخ. رغم المآسي والكوارث التي ألحقت بهذه المدينة المكافحة، فأنها تنهض في كل مرة من تحت الركام، شامخة أبية تعلن عن هويتها الكوردية الأصيلة و لم تستطع أن تنال منها لا حوافر خيولهم في العصور الغابرة ولا عجلات مدرعاتهم في العصر الحديث ولا سياساتهم الشوفينية الهوجاء في السنين العجاف.

لم يكن هناك تواجد عربي في مدينة مندلي إلا في السنين الأخيرة بفضل الحكام العروبيون،

حيث تم إستقدامهم الى مندلي و إستيطانهم وإعطائهم الإمتيازات السخية والهبات، بالإضافة الى منحهم دور وأراضي الكورد المنهوبة وإطلاق أيديهم للإعتداء على أهالي مندلي. دعونا نلقي نظرة على موقع مندلي بموضوعية وحيادية ونحتكم الى عقولنا لكي لا نظلم أحداً. يخبرنا التأريخ والإستكشافات بأن المدينة قد بُنيت في زمن غابر قبل ميلاد المسيح بآلاف السنين. في تلك الحقبة، كان العرب في وطنهم الأم، ألا وهو جزيرة العرب (الخليج). الفرس كانوا في إقليم فارس (شيراز)، والكورد كانوا أيضاً في وطنهم كوردستان وكانوا يُدعون آنذك بـ«لولو» (هؤلاء هم أجداد الكورد اللر) أو الميديون. الآن لنرى موقع مندلي وبُعده عن مَواطن هذه الشعوب. إذا قسنا بُعد مندلي عن الجزيرة العربية، فهو لا يقل عن ١٥٠٠ كيلومتر، و بُعدها عن شيراز، وطن الأم للفرس، هو تقريباً نفس المسافة أي ١٥٠٠ كيلومتر. والآن لننظر بُعد موطن الكورد عن مندلي الذي هو ليس بأكثر من ١٠ كيلومترات، هذا إذا إفترضنا أنّ هناك بُعد أصلاً لأن في الأساس هي مدينة كوردية وبُناتها هم الكورد. أشرنا الى هذه المقارنة فقط لمن لايعلم الموقع الجغرافي للمدينة. أرجوا من كل إنسان ذي بصيرة وضمير ليقرأ التأريخ و يرى الجغرافية و يشاهد واقع هذه المدينة، ويقول كلمة حق يُراد بها باطل فُرض بقوة الحديد والنار والقتل والتشريد، والإضطهاد والتعريب والتهجير. إن كانت المدينة عربية كما إدعى المقبور صدام حسين، فلماذا قام بتبديل أسماء القرى والمحلات والأحياء بقرارات رسمية. إنّ كان سكان مندلي هم من العرب، من أين جاءت هذه الأسماء الكوردية التي أزالها النظام، حيث تم تغيير إسم «كاري» الى «١٤تموز» و «بازار گورا» (سوق الكبير) الى «١٧ تموز» و «قه لا بالي» الى «١٤ رمضان» و «بوياقي» إلى «حرية» و «قه لا جميل بيا» إلى «بعث» و «نقّيب» إلى «عروبة»؟!!. يقول علي الوردي في كتابه لمحات إجتماعية من تاريخ العراق الحديث، صفحة (١١٩) ما يلي: (تقع مندلي قريباً من الحدود الإيرانية، وتبعد عن شاربان بنحو ستين كيلومتر، وتقطن بالقرب منها عشائر عربية كساعدة والبوجواري والحامد. (الساعدة قدموا من العمارة وإستقروا في جم نفت (نهر النفط) والبوجواري جاؤوا من أطراف سامراء وإستقروا قرب ام نفت أيضاً، والعوادل أتوا من الكوت و سكنوا أطراف مندلي، هذه العشائر سكنت وإستقرت خارج مندلي بعشرات الكيلو مترات لكن ضمن الوحدة الإدارية للقضاء). ويضيف الوردي قائلاً: عندما اندلعت الثورة في شاربان في ١٤ آب ١٩٢٠، حاولت العشائر القريبة من مندلي مهاجمتها ونهب ما فيها من أموال حكومية وأسلحة. فلمّا علم أهل مندلي بذلك، صمموا على الدفاع عن بلدتهم فأعدوا أسلحتهم، وصاروا يحرسون مداخل البلدة خشية أن تباغتهم العشائر منها. يذكر الوردي العشائر العربية خارج محيط مندلي الذين يتربصون ويريدون إلحاق الأذى بالمدينة، (ولا نرى ذكراً لهم في المدينة سوى لأفراد منهم وجلهم موظفين في سلك (الدولة)، ويقول علي الوردي في صفحة (١٢٠) بأن عشيرة البوجواري نهبت عدداً من الحيوانات تعود لبعض أهالي مندلي، ثم يقول كان في مندلي يومذاك نحو (١٥٠) يهودياً، في أوائل ايلول وصل الى مندلي رجل بدوي اسمه (أبو طبر) وأخذ هذا الرجل يتغلغل بين الأهالي يدعوهم الى نهب أموال اليهود وانتهاك حرماتهم

ولكنــه لم ينجــح في دعوته. بعــد عرضنا لواقع مندلي في الســنين الخوالي، قبل دنســها من قبل نظــام البعث المجرم، يتضح للجميع بأن أســماء و ســكان الأحياء والقرى هي كوردية و كذلك أسماء الأنهر و البســاتين. إنّ ٩٨٪ من أصحاب البساتين والمزارع وأصحاب المهن الحــرة والوجوه المعروفة في مندلــي هم من الكورد الذين صمدوا وحافظوا علــى هويتهم الكوردية، رغــم المصاعب والويلات التي حلت بهم،وهم الآن بإنتظار ســاعة الخلاص، ســاعة العودة الى حضن إقليم جنوب كوردســتان لتأخذ المدينة وضعها الطبيعي مع شقيقاتها، المدن الأخرى في الإقليم الكوردستاني.

الهوامش:

(١) في إقليم شرق كوردستان، هناك عدة قرى تحمل إســم «ريكا»، و «ريك»، و «ريك آباد» هي قريــة تابعة لمدينة مهاباد، و «ريــك آباد» قرية أخرى في مدينة أرومية، و «ريك آباد» إسم قرية ثالثة في «خوي»، و «ريكا» قرية في كرمانشاه.

(٢) «وندنيــكان»، «بندنيجين»، «بندنيج»، «مندليج»،»كــورازرو» هي كلمــات غير عربية، نطقهــا وتدوينها لا تجاري اللفــظ العربي، يقول ياقــوت الحموي، نقلاً عن حمزه الأصبهاني، الى أن «وند نيكان» تــم تعريبها الى «بند نيجين» و في الوقت نفســه يقول ياقوت بــأن حمزه الأصبهاني لــم يذكر معناها. بالإضافة الى الجذور الفارســية لـ«حمزة»، فهو كان ضليعاً باللغة العربية وله باع بالمعرّبات. إذاً كيف لايعرف معنى هذا الإســم، إذا كان الإسم فارسياً و هذا يدل على أن الإسم المذكور هو غير فارســي و إنما كــوردي؟ لذلك كان يجهل معنى الإســم. أنا إبن هذه المدينة وســوف أتناول معنى إسم مدينتي في مقال لاحق.

(٣) في كتــاب شــهرزور- الســليمانية لعباس العزاوي ص (١٢٤) جاءت بإسم مندليج.

(٤) جــاء في كتــاب معجــم البلــدان لياقوت الحموي، الرحالة والشاعر واللغوي (برازروز) نحن نتســاءل إذا كان إسم المدينة هو «بلد الروز»، إذن لماذا يدونه ياقوت الحموي ب»برازروز». إن كانت الكلمة عربية، وهو العالم باللغة، أيجهل هذه الكلمة البسيطة؟ إنّ الإسم هو بكل وضوح (ورازرو) وهو دونه وفــق النطق العربي لأن الكلمة غير عربية فتكون صعبة التلفظ لناطقي الضاد، وهناك أسماء كثــيرة قام المؤرخون العرب بتغييرها كي تناســب النطــق العربي مثل «آتروباتبــان» التي أصبحت «آذربيجــان»و «أســبهان» أصبحــت «أصفهــان» و تهــران الــذي صار عنــد العرب «طهــران» و «ملاتية» أصبحت «ملاطي» و «أرزروم» تحولت الى «أرض الروم» و «قرمسين» الى «كرمانشاه» و «موسيل» الى «الموصل» و «أوستريا» الى «النمسا» و «فينيســيا» الى «بندقيــة» و «هنباريــة» الى «المجر» و هكذا الى آخره.

(٥) سكان«بازار بيجك»هم من العشائر الكوردية مثل هنيمني وغيرها، كانوا يزوروننا في «قه لابالي» و كنــا نتحدث نفس اللهجة الكوردية. لا توجد في اللغــة الفارســية كلمــة «بيجــك»، الفرس يقولون «كاه»، و إذا كان الإسم فارسياً، كان الإسم المذكور ســيُدعى بـ«بازار گورا» و ليس بـ«بياه» الكوردية.

(٦) للأســف بعــض الكتاب الكــورد يكتبون عن طريق الخطأ (جســر النفط). في جميع أنحاء العالم الإســم يكتب كما هو نحــن الكورد إذا أردنا أن نكتــب «الناصرية» أيجب علينــا أن نبحث في

أصل معنى التسمية ثم نكتبها؟ للأسف هذا الذي يحصل مع بعض الكُتاب الكورد، حيث يدونون الأسماء الكوردية بعقلية عربية و هذه جريمة بحق التاريخ والحقيقة. كلنا يعلم إن إسم هذا النهر منذ أن وجد هو «جم نفت» (نهر النفط) لأن التربة على جانبي النهر دهني و نفطي، إن صح التعبير (أعتقد يوجد نفط في تلك المنطقة)، أساساً لم يكن يوجد جسر أصلاً على النهر، بُني الجسر في نهاية الخمسينيات من القرن الماضي، بينما النهر موجود منذ زمن سحيق. لعدم وجود أنهر في الصحراء، نرى فقدان المنطقة لجسور لعدم الحاجة إليها. أرجو من هؤلاء الكُتاب الأفاضل و وسائل إعلامنا الإنتباه لمثل هذه الهفوات الخطيرة لأنّ الأنظمة العروبية تصرف مبالغ طائلة لتعريب الأسماء الكوردية، و بعملنا هذا نحقق الأهداف العنصرية لتلك الأنظمة و نقدمها لها على طبق من ذهب و مجاناً.

(٧) بتفسير خاطئ، يقول البعض أنه سُمي بهذا الإسم خوفاً عليه و للتمويه لكي لا يكتشفه الأعداء، وهذا خطأ جسيم وتجني على الحقيقة، حيث أن الكورد بعد أن أصبحوا مسلمين، لم يتركوا معتقداتهم و موروثاتهم الدينية القديمة بين ليلة وضحاها، حيث أنها بقيت خالدة في وجدانهم الى يومنا هذا، نراه مسلماً، إلا أنه عندما يقسم، يحلف بـ«باوه يادكار» أو «داود كَوسوار». لونفترض جدلاً أنه سُمي بهذا الإسم، كما يُدعى للتمويه، لدينا في مندلي مقبرة «باوه قريش» كما أسلفت «باوه حافظ» و «باوه طاهر». هل هذه التسميات تمت للتمويه؟! إسم «باوه» متداول لليوم في عموم كوردستان، و هذا الإسم موجود، كـ«باوه محمود»، و «باوه شاليار»، و «باوه يادكار»، و هذه الأسماء من المحرّمات عند المسلمين لأنها من بقايا الديانات الكوردية القديمة. إذن كيف يتخذونه إسماً للتمويه وهو من المحرمات في الإسلام؟ من جانب آخر لايقبل الإسلام هذا الإسم لأن المسيحين يتداولونها ويقدسونها والإسلام يعتبره شرك بالله، عندما يقول المسيحيون(بإسم الأب والإبن وروح القدس)، وكذلك تسمية رجل الدين المسيحي بهذا الإسم الأب أبونا أي، باوه باللغة الكوردية، مرفوضة في العقيدة الإسلامية.

كمال مظهر باحث جاد وأستاذ نبيل

عبدالباسط سيدا

كمال مظهر مؤرخ جاد، واسم مرموق في ميدان الدراسات الكردية وتاريخ العراق الحديث. من القلائل الذين يجمعون بين وفرة النتاج العلمي والكفاءة المنهجية؛ هذا إلى جانب الأصالة والالتزام بالموضوعية. وقد أهّلته هذه السمات الراسخة لديه ليكون في مقدمة المؤرخين الكرد المعاصرين الذين تُعد آثارهم مصادر موثوقة، يعود إليها الباحثون في نطاق الدراسات ذات الصلة بالتاريخ الكردي المعاصر؛ أو تلك التي تتمحور حول تاريخ العراق الحديث. وهنا أتذكر جيداً شهادات الأساتذة العراقيين الذين التقيت بهم في ليبيا ما بين عام ١٩٩١ و١٩٩٤، أولئك الذين وجدوا أنفسهم مضطرين للخروج بعد النتائج الكارثية التي حلّت بهم بعد حرب الكويت عام ١٩٩١. فهؤلاء على الرغم من ارتباطهم القسري - على الأغلب- بالسياسة الرسمية في ذلك الحين، كانوا يعبرون عن إعجابهم وتقديرهم لجهود الأستاذ الدكتور كمال مظهر البحثية، ويشيدون بدقته وأمانته العلميتين.

وما يضفي أهمية خاصة على نشاط مظهر البحثي الدؤوب في المرحلة المعاصرة هو معاناة الجهد التأريخي في الوسط الكردي، والعربي أيضاً، من التخبط والتبعثر بين التفصيلات المملة، والخضوع لتوجهات النزعات المنغلقة على ذواتها بأوجهها المختلفة من سياسية وطائفية وقومية؛ وهيمنة القصور المعرفي، الناجم عن أحادية الرؤية، وتجاهل الحقائق والمعطيات التي لا تتناغم وتتوافق مع الرغبات التي تسيّر البحث،

وتحدد مفاصله وأهدافه؛ أما النتائج فهي غالباً ما تتمثل في استخلاصات تفتقر إلى النزاهة المتسقة مع الوقائع، والتماسك المنطقي، الأمر الذي يؤدي إلى المزيد من الإرباك والإحباط في الوقت ذاته.

ولعل ما نواجهه من سيل المبالغات، والابتعاد عن الدقة على صعيد مادة البحث، والافتقار إلى المنهجية في سياق التعامل مع المعطيات؛ أو الوصول إلى خلاصات عجائبية لا تصمد أمام النقد الخبير؛ لعل كل ذلك يعتبر حصيلة منطقية منبثقة عن المقدمات الخاطئة التي ينطلق منها البحث التأريخي بين الكرد والعرب وغيرهما من شعوب المنطقة، التي تعاني من التخلف والفقر والدكتاتوريات بأسمائها وأشكالها المتعددة.

ومن باب التداعي، أذكر هنا حادثة جرت معي في أواخر الثمانينات، وهي المرحلة التي كنت أعد فيها نفسي للانتهاء من أطروحة الدكتوراه التي ناقشتها لاحقا في قسم الفلسفة بكلية الآداب- جامعة دمشق عام ١٩٩١، وعنوانها: من الوعي الأسطوري إلى بدايات التفكير الفلسفي النظري- بلاد ما بين النهرين تحديداً، فقد جمعتني الصدفة وحدها مع أحد بائعي القطع الأثرية الذين لا يُحمد ذكرهم عادة، وذلك في مجلس أحد الأصدقاء. في تلك الجلسة وجّه الحضور إليّ جملة من الأسئلة حول التاريخ القديم للمنطقة وتداخلاته، في حين أن صاحبنا كان صامتاً طوال الوقت، يتابع ما نناقشه، ونتبادل بخصوصه الآراء والتعليقات في إطار دردشة عامة - إذا صح التعبير- تتسم بها الجلسات العفوية عادة. ولكن فجأة وجدته منتفضاً ليواجهني بسؤال غير متوقع قائلاً: هناك مملكة كردية أصيلة ظهرت في المنطقة قبل أكثر من أربعة آلاف سنة هل



تعرفها؟ نظرت إليه مستغرباً مبتسماً، لاعتقادي بأن في الأمر دعابة، أو رغبة في التعجيز، ثم أجبته: لا، والله ليست لدي أية معلومات حول هذا الموضوع. ما اسم هذه الدولة وأين موقعها؟ فأجاب على الفور: إنها أورارتو. قلت: حسناً، وما هي الدلائل والإثباتات التي تؤكد ذلك. نظر إلي من طرف عينه بعنجهية تواري جهل صاحبها، ثم أردف قائلاً: الأورارتيون كرد وكرد. اقسم بشرفي وشرفك أنهم كرد أقحاح. حينئذٍ كان من الطبيعي أن ينفجر المجلس كله بالضحك، وتركنا الموضوع عند ذاك الحد. لكن الطامة الكبرى تتجسّد في أن العقلية هذه هي المتحكمة في غالبية الدراسات التاريخية - إذا جاز لنا أن نعطيها هذا الاسم- المستعجلة التي تُنجز هذه الأيام من قبل الكرد وغير الكرد في منطقتنا، والأخطر في الموضوع أن قسماً من تلك الدراسات يتستّر بعباءة الأكاديمية، الأمر الذي يُمعن في تضليل الناس، ودفعهم نحو

استنتاجات ما أنزل الله بها من سلطان.

إن مرحلتي التوثيق والتصنيف هنا الأساس الذي لا يستغني عنه أي جهد تأريخي بحثي طموح. ونحن معشر الكرد من أكثر الناس إهمالا لهاتين المرحلتين على الرغم من أهميتهما القصوى وخطورتهما التي لا تُقاس. فتراثنا هو شفوي في جلّه -لأسباب وعوامل لا مجال لتناولها الآن- وهو تراث غني حافل، لكنه يتعرض - وما زال- لإهمال قاتل، أدّى إلى اختفاء جزء كبير منه مع رحيل أولئك الذين كانوا يحتفظون به في صدورهم.

كم من لجان طوعية أهلية أو رسمية شُكلت لتوثيق هذا التراث وتصنيفه، ليكون مادة أولية لمؤرخي المستقبل؟ كم من هيئة أو مجموعة بحثية تأسست لتبنّي مسألة توثيق اليوميات الكردية، توثيق تقتصر مهمته على ذكر مآسي الكرد، والإجراءات الاضطهادية التي تطبق بحقهم من دون توقف؟ كم من لقاءات جادة نظمت بين المهتمين بمثل هذه الموضوعات لتبادل الخبرات والمعارف، وتقديم الإمكانيات اللازمة لمن يحتاج إليها من الجيل الجديد؟ تساؤلات تطرح وتستوجب التمعن والتأمل من قبل أصحاب الشأن.

قبل أسابيع دُعيت إلى فيينا لإلقاء محاضرة حول حريق سينما عامودة الذي كان في ١٣ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٠، وكعادتي قبل كل محاضرة، هيأت نفسي قدر المستطاع احتراماً للحضور الكريم الذي من حقه على المحاضر أن يسمع كلاماً مفيداً، يثق بمصداقيته. ولبلوغ ذلك بحثت عن مادة معرفية يمكن الاعتماد عليها بعيداً عن القيل والقال، وقصص الخيال الشعبي التي غالباً ما تبتعد عن الحقيقة مع التقادم الزمني، وتحت تأثير المشاعر وطغيان الانفعالات. لم أجد أمامي سوى كتاب المرحوم ملا أحمد نامي المؤلف بالكردية وعنوانه وفق الترجمة العربية: حريق سينما عامودة؛ إلى جانب كتاب المحامي حسن دريعي: عامودة تحترق، وكنت قد قرأتهما مرات عدة، ومع ذلك أعود إليهما باستمرار حينما يتصل الأمر بسينما عامودة، على أمل الوصول إلى إجابات أكثر إقناعا بخصوص الأسئلة المفتوحة. هذا إلى جانب شذرات عابرة عثرت عليها في الكتاب الهام الذي يُعدّ بالفعل جهداً توثيقياً لمرحلة معاصرة لم يطلع عليه القسم الأكبر من الجيل الكردي الشاب ، والكتاب المعني هنا هو من تأليف الأخ سامي ملا أحمد نامي وعنوانه: صور من التاريخ المفقود، فالكتب الثلاثة تشكّل مع بعضها جهداً هاماً يمكّن من تكوين تصور أولي يلامس ما حدث بالفعل، هذا على الرغم من الانتقادات التي قد توجه إليها، وبصرف النظر عن الثغرات التي تعاني منها. ولكن السؤال الذي يفرض ذاته هنا، و يخص ما نحن بصدده، هو: كم عدد الحوادث والمآسي والآلام التي تعرض لها الشعب الكردي، وذهبت في أدراج الرياح، وكأنها لم تكن؟ أي حدث لا يُوثّق لن يبقى في ذاكرة الأجيال؛ وكل ما لا تعيه ذهنية الذات العارفة لا يُقرّ بوجوده. نحن غالباً ما نقفز من فوق مراحل التوثيق والتنصيف، ومن ثم المعاينة والمقارنة، والتأمل والتمعن، لنصل مباشرة إلى مرحلة استخلاص النتائج وإصدار الأحكام القيمية المتناغمة مع الرغبات غير المشبعة، أو التوجهات السياسية الآنية، الموائمة لتطلعات هذا الزعيم، أو ذاك المدغدغة لعواطف الناس وحسهم الجيّاش.

في الصيف الفائت حضرت فعاليات المؤتمر الدولي الـ ٥٤ للآشوريات الذي احتضنته جامعة

فيتزبـورغ بألمانيـا في الفـترة ما بـين ٢٠ إلى ٢٥ تموز/يوليو ٢٠٠٨، تـرأس المؤتمر الباحث الألماني الشهير غرنوت فيلهلم الذي يُعد الباحث الأول على الصعيد العالمي في ميدان الدراسـات الحورية؛ وقد ترجم الأخ الاستاذ الدكتور فاروق اسماعيل مشكوراً كتابـه الهام في هذا المجال إلى اللغة العربية، وصُدر عن دار جدل عـام ١٩٩٦ تحت عنوان: الحوريون-تاريخهم وحضارتهم. ما يدفعني إلى هذا الاسترسال هو أن الدراسة المتأنية للتاريخ الحوري من مختلف النواحي، خاصة ما يتصل منها بالانتشار والثقافة واللغة، تدفـع بالباحث إلى اعتماد نظرية فحواها أن الحوريين هم من الشـعوب القديمة التي ربما تشكل منها الشعب الكردي لاحقاً. وقد ناقشت هذا الأمـر مع الأخ فاروق وغيره من الباحثين القلائل في هذا الميدان. إلا أن هذه النظرية تحتاج إلى جهد بحثي مكثّف على مختلف الأصعدة قبل أن يتمكن المرء من اعتمادها.

علـى أي حـال، أعـود إلى مؤتمر الآشـوريات المشـار إليه. حيث جمعتنـي الفرصة مع باحثين شـابين واعدين من سورية، وأخر شاب كردي من كردسـتان العراق؛ وكان المناخ مواتياً لنخوض معاً في جملة من الموضوعات، علمية وسياسية وغيرها؛ وكان التفاهم هو سـيد الموقف، الأمر الذي يوحي بآمال كبرى، ويعزز الثقة بالأجيال المثقفة الشابة، هـذا على الرغم من المنغّصـات التي نواجهها هنا وهنـاك. ما لفـت نظري في الباحثـين العربيين هـو ابتعادهما عن التعصـب والرغبة في التواصل مع الأخر المختلف، هـذا إلى جانب الحس الوطني السليم الغيور على الوطن وأهله. أما ما استوقفني في الباحث الكردي الشـاب كما أسـلفت فهو الهدوء والتواضع المشـوب بالخجل المـؤدب، وابتعاده عن الغرور والادّعاء، على الرغم من معرفته الواعدة، وإمكانياته البحثية التي تبشّـر بالخير. تناقشـت معه بخصوص الحوريين باعتباره طالب دكتوراه في ميدان الدراسـات اللغويـة الخاصة بالحوريين؛ وكان الاتفـاق هو الأسـاس فيما بيننـا من جهة ضـرورة وأهمية متابعة البحث الجاد الذي ينبغي أن يشـمل سائر المجالات وعلى كل المستويات. قلت له: إذا كنّا نقرّ بالأصـل الحوري للكرد، فعلينا أن نثبت ذلك بالقرائن العلمية، وندخل إلى قاعة هذا المؤتمر، ونعلن على الباحثين المختصين القادمين من جميع أنحـاء العالم نتائج بحثنا، ونكون على اسـتعداد للمناقشة، والاسـتماع إلى الآراء المخالفة، نتفاعل معها، ونرد على التسـاؤلات بنَفَس علمي يمتلك القدرة على إعادة النظر في خلاصات بحثه إذا ما اقتضت المعطيات ذلك.

أما بالنسـبة إلى كمال مظهـر فالأمر مختلف تماماً، فهو يعتمد مادة جديـرة بالبحث، يعاينها ويتأملها من الداخل؛ يقارن بين مختلف الروايات والوثائـق، ويضعها بالتناغم مـع منهجه الواقعي في سـياقها الطبيعي. يضع المحددات، ويركز على المحاور الأساسية، ويُهمل التفصيلات التي تستهلك طاقات الباحث، وتسـلّم القارئ إلى أحضان الضياع والملل. ينأى بنفسه عن الحشو الثقيل واللغو الفارغ؛ ويأبى الانسـياق نحو النزعة الوضعية الترصيفية التي تخيّم على نتاج قسم لا يستهان به من الذين تندرج أسماؤهم في عداد المؤرخين؛ كما انه يمارس التحليـل الموضوعـي الذي لا ينحـاز لعاطفة، ولا يُكبل بالهواجس الشخصية التي، في حال اختلاطها مع الجهد التأريخي، تؤدي بهذا الأخير نحو مواقع المبالغـات التي ما كانت إلا للتغطية على الحقائق، وإعطاء القارئ صـورة مضللة، قد تكون مطلوبة

مفروضة عليه من قبل السلطان، أو متناغمة مع هلوسات مذهبية عنصرية، تستوجب الإشفاق على صاحبها قبل غيره.

ومن أجل كل ما تقدّم، تُعتمد كتابات كمال مظهر من قبل جموع الباحثين؛ وهي تمثل مادة بحثية، تمتلك مصداقية معرفية تؤهلها لتكون لَبنات الزوايا في بناء التراكم المعرفي الذي نحن بأمس الحاجة إليه من أي كان.

المؤرخ الكردي العراقي المعاصر كمال مظهر مؤمن مطالب بالحوار العربي الكردي، وذلك استناداً إلى الاحترام المتبادل. يدعو إلى الوطنية العراقية على قاعدة الاتحاد الاختياري، والاعتراف بحق تقرير المصير. لذلك فهو يشدد على ضرورة الإقرار بالخصوصية الكردية؛ لأن الكرد ليسوا أقل من ٢٠٪ من سكان العراق، وهم مكوّن سكاني قديم قدم التاريخ المعروف للمنطقة لا يمكن تغافله أو تهميشه. وانسجاماً مع هذا التوجه، يعاتب مظهر الاخوة العرب من باب "أنهم ربما يعرفون تاريخ كل العالم، لكنهم لا يعرفون تاريخ الكرد"[1].

كمال مظهر أحمد الحاج رسول من أهالي السليمانية، من مواليد ناحية اغجلر تابعة للواء كركوك عام ١٩٣٧. حصل على البكالوريوس بمرتبة الشرف من جامعة بغداد عام ١٩٥٩. حصل على درجة الدكتوراه من أكاديمية العلوم السوفيتية عام ١٩٦٣، ودرجة دكتوراه ناووك من الأكاديمية نفسها عام ١٩٦٩.

أصدر أكثر من ٥٠ كتاباً؛ إلى جانب الإشراف على العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه؛ واشتراكه في مناقشة الكثير منها؛ هذا بالإضافة إلى جهوده النبيلة في المجمع العلمي الكردي، ومختلف اللجان والهيئات العلمية التي عمل في إطارها. من أهم مؤلفاته:

١- كردستان في سنوات الحرب العالمية الأولى، ط١، ١٩٧٧- ط٢، ١٩٨٤.

٢- ثورة العشرين في الاستشراق السوفييتي، ١٩٧٧.

٣- أضواء على قضايا دولية في الشرق الأوسط، ١٩٧٨.

٤- دور الشعب الكردي في ثورة العشرين العراقية، ١٩٧٨.

٥- النهضة، ١٩٧٩.

٦- الطبقة العاملة العراقية، ١٩٨١.

٧- ميكافيلي والميكافيلية، ١٩٨٤.

٨- صفحات في تاريخ العراق المعاصر، ١٩٨٧.

٩- كركوك وتوابعها: حكم التاريخ والضمير، ٢٠٠٤.

هذا إلى جانب كتابه المنتظر حول القضية الكردية في الوثائق البريطانية.[2]

هذه هي بعض عناوين كتاباته باللغة العربية، أما كتاباته باللغة الكردية فهي الأخرى كثيرة، يمكن للباحثين العودة إليها، والاستفادة منها.

لن أسهب أكثر في الحديث عن الأستاذ الدكتور كمال مظهر، وذلك لأفسح المجال أمام القارئ الكريم، ليكتشف هو بذاته أصالة الرجل ودوره الرائد في ميدان البحث التأريخي الموضوعي من خلال المادة التالية التي كتبها عَلَمٌ آخر من أعلام الكرد والعراق، رحل عن دنيانا قبل سنوات، إنه مسعود محمد الذي عُرف هو الآخر بجدّه واجتهاده، وأصالته في ميدان الفكر الفلسفي.[3]

أما المادة المعنية هنا فهي في الأساس نص رسالة تكريمية، كُتبت بمناسبة ستينية الدكتور كمال مظهر، وهي غير منشورة. قدمها إلى مشكوراً الأخ الصديق فرهاد شاكلي، المدرس في القسم الكردي - كلية اللسانيات بجامعة أبسالا/ السويد، متمنياً عليّ نشرها، وذلك من باب الوفاء للباحثين الجادين اللذين سيكونان موضع الاعتزاز المستمر من قبل الأجيال القادمة.



فرض اللغة العربية وتشرذم الهوية الوطنية في سورية

فاروق حجي مصطفى



أثارت الموسيقية والمغنية الكردية مزكين طاهر نقاشاً بين الأكراد- الذين حضروا الحفلة الموسيقية التي أحيتها طاهر لأول مرة باللغة الكردية- حول علاقتهم بالسلطات السورية من جديد. ولعل سبب فتح النقاش بين الأكراد يعود إلى سببين: الأول : إن هذه الحفلة تم إحياؤها في المركز الثقافي العربي في منطقة مشروع دمر/ دمشق[1] وتصنف من ضمن نشاطات الأمانة العامة للاحتفالية «دمشق عاصمة الثقافة العربية». السبب الثاني: بعض من الحاضرين اعتبروا إن قرار سماح السلطات لطاهر بأن تغني بلغتها الكردية يفهم بأنه انفتاح السلطة نحو الأكراد من البوابة الثقافية.

دون شك إن دعوة مزكين طاهر لتغني في دمشق كانت خطوة مهمة تركت أثراً ايجابيا في نفوس الأكراد حتى وان كانت القوانين والأنظمة في سوريا لا تعترف بالأكراد كقومية ذات ثقافة وخصوصية مختلفة عن بقية السوريين،هذا فضلا انه حتى الآن لا يوجد أي نشاط ثقافي كردي علني مسموح به في سوريا.

وصفت الموسيقارة مزكين طاهر لكاتب السطور قرار سماحها بأن تغني أغانيها باللغة الكردية بأنه «شيء رائع ومهم». وعبرت عن دهشتها بالدعوة غير مصدقة بأن السلطات ستسمح « أن نغني تراثنا بلغتنا في المراكز الرسمية للدولة». وأضافت» رغم أنهم طلبوا مني تقديم أغان تنتمي إلى تراث شمال شرقي سوريا دون تحديد كلمة أغان كردية إلا ان الدعوة بحد ذاتها اعتراف

مبطن لثقافة هذه المنطقة».

ومن المعروف ان مناطق شمال شرق سورية تشمل كلا من القامشلي وعين العرب(كوباني) وعفرين و هي مناطق ذات غالبية كردية ولها خصوصية ثقافية واجتماعية مختلفة عن بقية الأراضي السورية.

والحق ان ما حصل كان أمرا مفاجئا بالنسبة لغالبية الأكراد وكان بعيدا عن التوقعات، ولعل مرد ذلك هو ان السلطات وبناءا على تجربة العقود معها لم يكن متوقعا أن تسمح لطاهر ولغيرها ان تغني أغانيها بلغتها الأم.

الأمر الذي أثارت الحفلة عدد من التساؤلات -لدى الأكراد وغيرهم - الأمر الذي فهم بأنه ربما السلطة أمام مشروع تصالح مع أكرادها. لكن هناك من اعتبر ان تلك الخطوة نحو انتهاء المشاكل بين الأكراد والسلطة خصوصا وان إصلاح ذات البين يبدأ من الباب السياسي وليس الثقافي. مع تأكيد انه يجب على الأكراد استغلال هذا الهامش للتأسيس عليه لمرحلة جديدة. ومن يدري ربما تريد السلطة تخفيف جزء من الاحتقان الكردي الذي سببته الأحداث التي نشبت بين الأكراد والسلطات في ٢٠٠٤.

ومنذ أحداث القامشلي- آذار ٢٠٠٤- يطغى على العلاقة بين الأكراد والسلطات في سوريا نوع من الحساسية، وكأن هناك نوع من شد الحبال بينهما. بينما اعتبر الرئيس السوري بشار الأسد في حواره مع فضائية «الجزيرة» بعد أحداث القامشلي مباشرة ان «الأكراد جزء أساسي من النسيج الاجتماعي والتاريخي السوري».

ويطالب الأكراد في سوريا، الذين يبلغ تعدادهم حسب إحصائيات غير رسمية للأحزاب الكردية بين مليونين ونصف إلى ثلاثة ملايين، بحقوقهم السياسية إلى جانب حقوقهم الثقافية.

وتعني الحقوق الثقافية الكردية حسب غالبية برامج هذه الأحزاب، ممارسة الثقافة الكردية بشكل علني، يشمل ذلك إحياء التراث والسماح للأكراد بتعليم لغتهم الأم بالإضافة إلى فتح المراكز الثقافية والنوادي والمدارس الخاصة المهنية والتعليمية. والسؤال، هل يمكن أن يلعب هذا الصوت الكردي دور الجسر للتصالح ويفتح باب الحوار بين الأكراد والسلطة؟ هنا مربط الفرس..!!

والحال .. كلام الليل محاه فعل النهار،ففي مؤتمر وزراء الثقافة العرب بدمشق[٢] حدث أمر مخالف لكل التوقعات والرهانات حيث أثارت قرارات ذلك المؤتمر (وزراء الثقافة العرب الأخير في دمشق) حفيظة شعبنا الذي طالما بقي مغبونا كون قرارات تلك تساهم في طمس هويتنا الثقافية في وقت ان السلطات ما تنفك وتضطهد شعبنا وتضييق نفس هويته،وما إجراء السلطات المحلية في المحافظات بتحويل كل الأسماء المحلات والأماكن والقرى في الأشهر الأخيرة إلى الأسماء العربية إلا بمثابة امحاء هويّة الكرد، وطمس شخصيته[٣].

بعد أن أصرّت السلطات على منع شعبنا بتعلّم لغته في المدارس والمعاهد والجامعات الرسمية والخاصة، والكل يعرف انه حتى الان لا توجد مجلة ولا جريدة باللغة الكردية تتوزع في سورية بشكل علني.

وذكرت وكالة «سانا» الإخبارية السورية أن المؤتمر (المذكور) أكد على «إن اللغة العربية والثقافة العربية هما أساس الوحدة الثقافية وهما المكون الأساس لهويتنا القومية(العربية)»،

واتخـذ مؤتمر وزراء الثقافة العرب قراراً يتحمّل «مسـؤولية الدولـة والمجتمع في اسـتخدام اللغة العربية لغة رسـمية في مختلف الميادين المعرفية والثقافيـة والحيـاة العامـة والأنشـطة الفنيـة والإعلامية والإشهارية».

بيد ان القرار(هذا) بأبعاده وتداعياته يطمس هويتنـا اللغويـة وفي هذه المرة سـتكون بموافقة جميـع الدول العربية في وقـت الذي لم يفكر أي حزب كردي أو فاعل المجتمع المدني السوري بفعل أي شـيء تجاه بلـورة طغيان اللغـة العربية على الحياة اليومية للمجتمع السـوري ولم يفكر احد حتى برفع شكوى إلى الجامعة العربية ضد مسعى هـذا المؤتمر وقراراته. فمن يـدري انه (والظاهر ان) مـن الان فصاعدا لم يعد هناك أي حسـاب أو خوف سورية من أي الشكاوي الكردية.

تجـدر الإشـارة ان المؤتمر المذكـور أعلاه نوه برفع التوصيات إلى مؤتمر القمة العربية.

وأشـار المؤتمر في بيان عرف بـ«بيان دمشق» للنهـوض باللغـة العربيـة هـي في رأس أولويات السياسـات الوطنية العربية وأكـد ضرورة تبني سياسـة لغوية تلتـزم التعليم باللغـة العربية في المـواد العلميـة والحضارية على حد سـواء صونا لهويتنـا الثقافية والقومية في «الوقت الذي نعنى فيه بتعليم اللغات الأخرى»[4].

ان هـذه التوصيـات ان وافقـت عليها مؤتمر القمـة العربية فان مصير ليسـت اللغـة الكردية فحسـب إنما كل اللغات الأقليات في البلدان العربية وسورية منها إلى الزوال.

ومن المفترض ان تسـعى الأحـزاب الكردية في وضـع الجامعة العربيـة في الصورة على انه يجب اهتمام بلغات الشعوب المتعايشة مع العرب . لا لأجل شيء فقط لأجل ان لا نخسر لغتنا وهويتنا.

والحـق ان كل القرارات التي اتخذت في المؤتمر تشـكل مصدر الخطر على الهويّـة الأكراد، ولعل خطورة المسـألة تكمـن في ان المؤتمريـن طالبوا يرفع التوصيات (المؤتمر) التي تناولت العمل على اتخاذ التدابير التشـريعية اللازمة لاستخدام اللغة العربية في كل مجالات التواصل والتعليم الأساسية ورسم الخطط التنفيذية والإجرائية لتحقيق ذلك والعمل على إيجاد سياسـة لغوية تعليمية واضحة تعطـي أهميـة خاصة لتعميـم التعليـم باللغة العربيـة والتعلـم بها في جميع مراحل الدراسـة وتشـجيع تعريـب التعليم الجامعـي على الوجه الأخص وترجمة العلوم إلى العربية مع الدعوة إلى توحيد المصطلحات إلى مؤتمر القمة العربية.

يمكـن القـول ان الخـط البيـان الاضطهادي التصاعـدي مع دخول هـذه المنهجية العربية إلى طـور التنفيـذ أصبحنا قاب قوسـين أو أدنى من النكران الحقـوق في ظل التجاهـل التام من قبل الأحـزاب الكرديـة لما تشـكل القـرارات تلك من الخطورة على بنـاء الهوية الوطنيـة الجامعة[5]. ولعل الأمر المستغرب هو لماذا لا تعمل هذه الأحزاب وكذلك فاعلوا المجتمع المدني السـوري شـيئا أمام سعي السلطة لتعريب هويتنا وأسماء مكاننا وأسماء أطفالنا؟. والسؤال الأخر، هو، إلى متى ستبقى حال الأحزاب الكردية بهذا الشكل من الخمول؟

والحـق انه إذا نجحت الدولـة في فرض اللغة العربية على حياتنا اليومية فإننا سنقرأ لغتنا في الكهوف والمغارات.

وليس صحيحا ان هذه الإجراءات هي إجراءات روتينيـة، و ان السـلطة لا تعمـل لأجـل إضافة الاضطهاد علـى الاضطهاد الموجـود بالأصل، إنما

مصدر مخاوف السلطة تكمن من أنها تتخوف من تداعيــات العولمة، وان العولمة ســوف تقضي على الهوية العربية لذلك نرى ان السلطة تتخذ قرارات للحفــاظ على الهويــة العربية، والســؤال ،هو، ما دامت السلطة تتخوف من تداعيات العولمة وتسعى من خلال الحفاظ على اللغــة وعلى هوية العرب كون اللغة جوهر الهوية فإذا حافظت السلطة على اللغــة فهي حافظــت على الهويــة العربية أيضا، فأين هويتنا؟ ومن ســيحمي لغتنــا وتاليا هويتنا وشخصيتنا؟

يبــدو ان الفجــوة بدأت تتســع بين شــعبنا والســلطة، ومن كان يروّج على أنــه ربما التقدم السـجال الثقــافي على نحــو أحســن بيننا وبين الســلطات بــات يخيب آماله . الأمــور تنحو نحو عكس التصور الذي ســاد قبل الأشــهر بأنه ربما السلطة أمام مشــروع التصالح الثقافي مع الأكراد، ودرس الهــام في كل هذا هو كيفيــة الحفاظ على لغتنا وثقافتنا؟ هنا مربط الفرس..!!

اســتطراداً.. نحن على وشك الانتهاء من كون دمشــق عاصمة للثقافة العربيــة، وما زال هناك مــن ينتظر من الأكــراد وغيرهم لتعبّر دمشــق عــن حالتهــا الطبيعيــة وتظهر للعالــم بأن هذا البلــد مثقل بتعدد الثقافــات. الأكراد من جهتهم يعبرون عن أنفسهم بطريقة التي تناسب وضعهم الاســتثنائي، أما بقية المكونات الســريان وغيرهم يعبرون عن حالتهم الثقافية بطريقة مختلفة عن الأكراد حيث هذا المكون متاح لهم نشر ثقافتهم في أوســاطهم الاجتماعية على الأقل لديهم مؤسسات ومدارس خاصة والكنيسة تلعب دور فعال، وكذلك الأرمن في الحفاظ على وضعهم وهويتهم.

ويؤكد الكثير من الباحثين بان سورية أتسمت على مر العصــور بكونها ميدان التمازج والتلاقح بين مختلف الثقافات التي شاهدتها منطقة شرقي المتوســط. اذ احتضنــت أرضها علــى مر العصور القديمــة الثقافــة الحورية في الشــمال، والآرامية في الوســط، والفينيقية في الغــرب؛ كما أنها كانت ميداناً مفتوحاً للمواجهة - عبر مختلف الأشــكال والصيغ ســواء العســكرية منها أم الدبلوماســية والتجاريــة- للمواجهة بين القوى الكبرى في العالم القديــم. فعلى أرضها التقــت الثقافة الحثية التي كانت تتمركز في آسيا الصغرى مع نظيرتها المصرية والرافدية، وكانت الحصيلة تنوعاً ثقافياً متميزاً، مكّــن الســوريين القدمــاء من إرســال بواخرهم التجارية، وحروف كتابتهم، ومعتقداتهم الدينية، وتوجهاتهــم الفكرية، إلى أصقــاع الدنيا البعيدة، فضلاً عن المحيط الأقــرب. وفي العصور اللاحقة، كانت سورية في عهد إمبراطورية اسكندر المقدوني، ووريثتها الرومانية، ســاحة حيوية للتفاعل بين ثقافة الغرب والشــرق. ومن ثم جاءت المســيحية والإســلام ليضيفا بعداً روحياً سماوياً إلى الثقافة الســورية، التــي كانــت تتمحور في أساســها حول الخصوبة الواقعية بميادينها وتجلياتها المختلفة.

منذ ان اســتلم البعث الحكم في ســوريا ينحو الأكــراد نحو الثقافة الجامعــة، إلا أن هذه الثقافة الجامعــة لم تبلغ إلى مدى المطلوب ولعل الســبب يعود إلى عاملين، أولا: إن السلطات حاولت وانطلاقا من المنهجية التي فرضتها البعث على كل مؤسسات الدولة إن تدمج المكونات مع بعضها قســريا، وهذا ما لا يمكن. ثانيا: سياسة التعريب التي طبقت في المناطق ذات ألاغلبية الكردية، فهي (أي الســلطة) عربــت الأســماء والأماكن، وأدلجــت الثقافة هذه المكونات حتى ثقافة العرب.

قال عبد الباسط سيدا في حوار مع كاتب السطور:»لكن الذي حدث لاحقاً، خاصة في المرحلة التي تلت انقلاب ٨ آذار ١٩٦٣، هو طغيان الفكر القومي المتعصب المنغلق على ذاته، الرافض لوجود أية قوميات، أو خصوصيات ثقافية أخرى، متباينة مع تلك التي تبنتها الإيديولوجية البعثية التي انطلقت من العنصر العربي الخالص المصطفى، واللغة الواحدة، والثقافة الواحدة؛ الأمر الذي أثر سلباً إلى حد بعيد في عملية التواصل التمازج بين سائر المكونات المجتمعية، تلك العملية التي كانت تستلهم جذوراً تعود بتاريخها إلى آلاف السنين.».

وتابع سيدا بالقول : «أما بالنسبة إلى المرحلة الراهنة التي تعيشها سورية، فهي تتسم بتسويق الثقافة السطحية المسخة على المستوى الرسمي، وذلك باعتبارها تتواءم وتوجهات المشرفين على تحديد ملامح السياسة الثقافية الرسمية؛ وهذا فحواه أن الثقافة العربية الجادة التي تعبر بالفعل عن توجهات الناس وتطلعاتهم مبعدة، محاربة هي أيضا، طالما أنها لا تلتزم المعايير المعتمدة رسميا. أما ثقافة المكونات المجتمعية الأخرى، خاصة الثقافة الكردية التي تخص القومية الثانية من جهة الحجم السكاني في سورية، فهي لم تدخل بعد دائرة التفكير - مجرد التفكير-للاعتراف بها، وتهيئة المقدمات والإمكانات التي من شأنها إزالة آثار الإجحاف الذي لحق بها، ومن ثم تنميتها وتطويرها».

ثمة من يرى بأن الخبرة السورية في مجال التعريب وصلت إلى طريق مسدود. ورغم التأكيد عليها في القوانين وسلسلة من قوانين التعريب المتتالية، فإن «العربية لم تتمكن بعد من إثبات وجودها في المناطق الكردية - شمال شرق سورية . فحتى الان هناك آلاف من الأكراد لا يعرفون العربية وربما عدد كبير لا يدركون حتى الان ثمة لغة أخرى، وهي لغة سيدة في وطنهم».

يقول عابدين كاردوخي (وهو مثقف كردي يعيش في حلب): «مع أن مسألة التعريب لم يحسم في هذه المناطق بعد، وأن قانون تعميم اللغة العربية قد تم تفعيله بعد سلسلة من المؤتمرات لنخبة السلطة وفي كل الاجتماعات التي عقدت بمناسبة دمشق عاصمة للثقافة العربية».

والجدير بالذكر انه لا نبالغ عندما نقول انه وبعد ٤٧ عاما من استلام القوميين العرب (حزب البعث)للسلطة لم تتمكن سورية بعد من حسم المسألة اللغوية التي بقيت تتأرجح بين العربية التي هي اللغة الرسمية والوحيدة المتاحة لها السيطرة في المشهد الثقافي السوري أما الكردية(وغيرها الآشورية، التركمانية) تتجاهل الدولة أن تعتبرها (على الأقل) بأنها لغات محلية،فضلا عن ان اللغات المحلية تلك تمارس بخفاء وبقيت لغة شفوية غير مكتوبة، بالرغم من أن العربية هي اللغة الرسمية وفقاً للدستور،إضافة إلى إنها لغة السياسة والثقافة الوحيدة في السورية.

وبحسب عبدو خليل(ناقد سينمائي كردي من عفرين) انه من المستحيل امحاء ثقافة الناس وهؤلاء البشر مهما فعل نير التعريب لأنه تغيير أسماء لا يؤدي إلى النتيجة المتوخاة «فالناس مرتبط بالذاكرة لا بالقرارات التي تصدر من فوق» حسب ما قال عبدو خليل، وأضاف خليل: «إن تغيير اسم مكان لا يعني قط انه تغيير الناس وذاكرتهم، فالمكان معروف بالبشر الذي يعيش فيه، وهم الذين يحفظون الذاكرة».

وحاول الأكراد مرارا أن يقفوا ضد سياسة

التعريب الأماكن والأسماء . وقامت التنظيمات الكردية بقدر استطاعتها بتعرية هذه السياسة ونوهت بأنها ستكون سببا في عدم التئام (دمج) المجتمعات في سياقها الوطني الجامع وهي السياسة هي التي تفرز العنصريات وتفتح المجال لتكون الهويات القاتلة هي سيدة الموقف وليست الهويات المتعايشة.

واشتغلت التنظيمات الكردية على وتيرة تفعيل المجتمع الأهلي في مناطق التي تتواجد فيها الأكراد والعرب جنبا إلى جنب باعتبار إن المجتمع الأهلي بإمكانه أن يساهم في خلق وضعية تعايشي بين تكوينات المجتمعية في المناطق المختلطة دون إنكار أي طرف الخصوصية الثقافية لطرف آخر!

يمكن القول انه وبسبب عدم إتاحة الفرص أمام انتعاش الثقافات المحلية(الكردية وغيرها) تحول هذا الصراع الثقافي الخفي إلى الصراع السياسي والحزبي العلن بين المكونات في سوريا.

ويتساءل غازي مهراني (وهو جركسي من الجزيرة) لماذا عجزت سورية عن فرض الثقافة الوطنية والرسمية وبقيت ثقافات الشعوب المتواجدة في سوريا تنشط في الوجدان الثقافي والسياسي لهذه الكيانات ؟ويرى مهراني أن السلطات تجاهلت دسترة اللغات والخصوصيات العربية وان هذا يسيء إلى سورية كبلد متعدد الثقافات والحضارات.

والحال... هناك عدد من الأسباب تقف وراء عدم اخذ الثقافة العربية «السيدة» دورها في المناطق ذات العربية أقلية والأكراد(وغيرهم) أكثرية.

أول هذه الأسباب إن دولتنا لم تنظر إلى الثقافة الكردية و ثقافة كيانات (الأقليات) الأخرى على أنها جزء من هوية الشعب السوري قاطبة.

ثانيا: لم يتطرق (أو نوه) الدستور السوري إلى وجود ثقافات أخرى حية في سوريا تغني المشهد الوطني وهذه الثقافات المتنوعة تشكل مصدر القوة وليس مصدر الضعف .

ثالثا: لم يتعوّد السوريون إن يقبلوا لغة غير اللغة العربية وحتى الأمس القريب كان يمنع الأكراد وغيرهم من التحدث بلغتهم الأم في الجيش(على سبيل المثال) وفي المؤسسات الرسمية ،بمعنى آخر لم يحظ اللغات المحلية أي اهتمام في الممارسة المؤسساتية.

رابعا: حتى الان لا توجد في سورية نية لبلورة الثقافة الكردية على أنها أحد مقومات الهوية الوطنية على قدم المساواة مع العربية.

خامسا: وهذا العامل هو ما يقلق الأقليات بشكل أكثر حدة هو انه لم تفكر(وتتحدث) النخبة الحاكمة عن ترسيم ودسترة اللغة الكردية كلغة وطنية كأضعف إيمان مع أن الأكراد وغيرهم لم يطلبوا يوما بأنهم يودون أن تكون لغتهم كإحدى اللغة رسمية كون الأكراد يشكلون النسيج التاريخي والاجتماعي السوري حسب ما قال الرئيس بشار الأسد.

لا ريب إن هذه السياسات الإقصائية أصبحت سببا مهما في تقليل أهمية الثقافة الوطنية الجامعة،ولعل هذا ما سيكون سببا في تشظي الهوية الوطنية وتاليا ستتحول الهويات المتعايشة إلى هويات قاتلة.

وما يُستشف مما هو قائم راهناً، ويلوح في الأفق المستقبلي، هو أن الوضع الثقافي السوري ما زال ينتظر الكثير الجم مما يُعد -وفق مقاييس العصر- من البديهيات التي لا تحتاج إلى إي جدال

أو برهان. (حسب سيدا)

وبنظر الكثير من المهتمين إن المشهد الثقافي سيزداد تعقيداً في المستقبل إن لم تتبن الحكومة سياسة ثقافية واقعية واضحة وعقلانية بعيداً عن الاستعلاء الإيديولوجي والسياسات القومية بوجهها التمييزي. كما أن العودة القوية للتعريب الأسماء والرموز والأماكن قد تقود في نهاية الأمر إلى تقزيم الثقافة الوطنية وجعلها عملياً أسيرة لثقافات المناطقية والفئوية لا قيمة لها، وليس العكس!!!

الهوامش:

(١) أحيّت الفنانة الكردية مزكين طاهر حفلة موسيقية في أكتوبر ٢٠٠٨ بدعوة من الأمانة العامة لاحتفالية دمشق عاصمة الثقافة العربية، وذلك لتقدم باقة من الأغاني التراثية لشمال شرق سورية (الأكراد)،وتجنبت الأمانة العامة ذكر كلمة الأكراد في طلب الدعوة وذلك لحساسية السلطات تجاه هذه المفردة.

(٢) المؤتمر انعقد في يومي ١٦ و١٧ من تشرين الثاني ٢٠٠٨ وبحث عن مقومات الحفاظ على الهويّة العربية.

(٣) أسست السلطات السورية في الأشهر الأخيرة من العام ٢٠٠٨ لجان في محافظات القطر لفرض اللغة العربية وتبديل أسماء المحلات والدكاكين الذي كتب بالأجنبية بأسماء عربية.

(٤) يقول أمارتيا صن (وهو بروفيسور هندي يعيش في الولايات المتحدة الأمريكية) في كتابه الهوية والعنف- وهم المصير الحتمي: إن فرض هوية فريدة زعما هو غالبا أحد المكونات الحاسمة من «الفن القتالي» لإثارة المواجهات الطائفية.

(٥) يقول صن: «ان الدفاع عن هوية فريدة (...) يأخذ شكل فصل هوية جمعية واحدة» راجع سلسلة عالم المعرفة ٣٥٢ يونيو ٢٠٠٨.



ماهو الدين؟
ترجمة عن الفرنسية: عادل باخوان
دار سردم ٢٠٠٩



قصة الديانات
تأليف: سليمان مظهر- ترجمة: لقمان قادر
دار سردم ٢٠٠٩



الكرد والهاشميون
تاريخ حافل بالصداقة والوفاء

الدكتور محمد علي الصويركي
اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين

مقدمة:

اتصل العرب المسلمون بالكرد لأول مرة بعد ما فتحوا مدينتي تكريت وحلوان التي كان الملك الفارسي يزدجر معسكرا فيها سنة (١٦هـ/٦٣٧م)، وقام بهذا الفتح من الصحابة سعد بن أبي وقاص، وخالد بن الوليد، وعياض بن غنم، وأبو موسى الأشعري، وبعد فتح (تكريت) أرسل سعد بن أبي وقاص بأمر من عمر بن الخطاب سنة ١٨ هـ ثلاثة جيوشاً لفتح الجزيرة (بلاد الكرد).

وغدت كردستان بعد الفتح الإسلامي جزءاً من الدولة الإسلامية مع حلول عام ٢٥هـ/٦٤٥م، وأصبح الكرد ضمن نسيج المجتمع الإسلامي المتنوع، يشتركون في جيوش الفتوحات، وخدمة الأمراء والسلاطين، وينتظم بعضهم في حلقات العلم والدرس، مع انتظام بعضهم أو اشتراكهم في الفتن والقلاقل التي تنشب في مناطقهم أو بالقرب منها، شأن بقية الشعوب.

ويقال بأنه كان هناك اتصال اسبق بين الكرد والعرب، فيذكر أن أحد الصحابة الكرد المدعو (جابان الكردي) عاش في مكة المكرمة وصحب النبي محمد عليه السلام، وظهر بعده ابنه التابعي المدعو(ميمون بن جابان الكردي) الذي روى عن أبيه بعض الأحاديث النبوية الشريفة.

أما بخصوص الصحابي جابان (كابان) أبو ميمون الكردي، فقد بحث عنه محمد أفندي الألوسي في كتاب تفسير (روح المعاني)، ويقول إنه نظر إلى كتاب (الإصابة في تميز الصحابة) لحافظ بن حجر العسقلاني أن جابان الكردي روى بعض

الأحاديث حول المهر وبعض المواد الأخرى، ويبحث عن ولده ميمون أحد التابعين. وكذلك جاء في كتاب (أسد الغابة) لابن الأثير، وفي كتاب (تجريد أسماء الصحابة) للحافظ الذهبي، أنه سمع من النبي محمد عليه السلام حديثًا يفيد أن أيّ رجل تزوّج امرأة وهو ينوي ألا يعطيها الصداق لقي الله عز وجل وهو زان.

ويقول الدكتور احمد الخليل: ولعل جابان كان من المقيمين في مكة، فهاجر إلى المدينة بعد إسلامه مع من هاجر من المستضعفين؛ إذ المعروف أن جاليات من الفرس والروم والصابئة والأحباش كانت تقيم في مكة، لأغراض تجارية أو تبشيرية أو سياسية، وقد يكون جابان أحد أفراد تلك الجاليات، أو أحد أولئك الأرقاء؛ على أن نأخذ بالاعتبار أن الكرد كانوا حينذاك معدودين في التبعية الفارسية سياسيًا وثقافيًا[١].

علي بن أبي طالب يحترم عيد النوروز

يقال أنه أصبح عند الإمام علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - بالكوفة هدايا وتحف كثيرة في عيد النوروز، فأنكر ذلك، فقالوا له: إنه يوم النيروز، فقال: فنيروز لنا إذا كل يوم(٢)، وكما هو معلوم فهذا عيد قومي يحتفل به الكرد في ٢١ آذار من كل عام.

الداعية الكردي أبو مُسلم الخرساني يؤسس الدولة العباسية

بعد مقتل الحسين بن علي في فاجعة كربلاء المعروفة، اشتد العداء بين الأمويين والعلويين الذين أشعلوا الثورات في الولايات الإسلامية، ثم حدث أمر هام بانتقال حق الإمامة من بيت علي بن أبي طالب الى بيت العباس عم النبي عليه السلام على يد أبي هاشم بن محمد الحنفية، الذي دبر له الخليفة الأموي سليمان بن عبد الملك أمر مقتله من خلال دس السم له وهو في طريقه الى قرية « الحميمة» في جنوبي الأردن، وفيها كان يقيم من بني عمه محمد بن علي بن عبد الله بن العباس، ولما شعر بدنو أجله، افضى بأسرار الدعوة الهاشمية إليه، ونزل له عن حق الإمامة، وأخبره بأسماء دعاته في الكوفة، ومن هنا تحول حق الإمامة من البيت الهاشمي العلوي الى البيت العباسي الهاشمي[٢].

نهض محمد بن علي العباسي بالدعوة نهضة قوية، وعين الدعاة وأوصاهم ببث الدعوة سرا في الكوفة وخرسان، لكن الدعوة تدخل في دور العمل بانضمام الكردي أبو مسلم الخرساني إليها، ولم تصل الخلافة العباسية إلى ما وصلت إليه من قوة ومجد لولا استغلالها لشجاعة ونفوذ هذا البطل في خرسان الذي يعد بإجماع الباحثين والمؤرخين الأب المؤسس للدولة العباسية، فقد اعتنق الدعوة العباسية، وتشيع لآل البيت، وأخذ يدعو لنصرتهم، وفي خراسان هيّأ الناس للثورة ضد الأمويين، واستطاع جمع الثائرين والتقدم بهم صوب عاصمتهم دمشق حتى تم له تقويض كيانهم سنة ١٣٢هـ/٧٥٠م.

وقد ساهمت معه في الثورة العناصر الفارسية والكردية والعربية، وقد أشار إليهم مروان الثاني - آخر خلفاء بني أمية- في خطبته أمام عساكره، فقال:» يا بني الأحرار، احملوا على هؤلاء فأنهم حشوا من أهل شهرزور(وهي منطقة كردية تقع اليوم في كردستان العراق)، وليس معهم من أهل خرسان ومن أهل البصائر كثير».

أما سيرة حياته فهو عبد الرحمن اشتهر باسم أبو مسلم الخُراساني، كان اسم والده قبل الإسلام (بندا هُرمز) فلما اسلم تسمى بعثمان، أما أبو مسلم فكان اسمه (بهزادان). ولد في ماه البصرة مما يلي أصبهان سنة ٧١٨م ، اتصل في الكوفة بإبراهيم بن محمد العباسي، وفي عام (٧٤٥ – ٧٤٦م) أرسله إلى خراسان داعية للعباسين، فأقام بها، واستمال أهلها، ووثب على والي نيسابور فقتله، واستولى على نيسابور، وتولى إمرتها، وخطب باسم أبو العباس السفاح العباسي (عبد الله بن محمد). ونجح في دعوته السياسية والدينية، ويقال أن أهل ستين قرية بجوار (مرو) انظموا إليه في يوم واحد، وان الدهاقين (أصحاب الأرض من الفرس) في خرسان لم يعتنقوا الإسلام إلا على يديه.

وفي صيف ١٢٩ هـ / ٧٤٧م رفع راية العصيان جهرة، وأفلح في أن يجمع تحت لوائه جميع خصوم الدولة الأموية ومن بينهم أهل اليمن، ثم سير جيشا لمقاتلة مروان بن محمد (آخر ملوك بني أمية)، فقابله على نهر الزاب (بين الموصل وأربيل) في كردستان العراق، وهناك انهزمت جنود الدولة الأموية إلى الشام، وفر مروان الثاني إلى مصر حتى قتل في بوصير في الصعيد، وعندها زالت الدولة الأموية، وأعلن أبو العباس السفاح قيام الخلافة العباسية في بغداد.

بقي أبو مسلم والياً على خرسان إلى عام ١٣٧ هـ (٧٥٤ – ٧٥٥ م). عندما أغراه الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور واستقدمه إلى العراق، بعد أن رأى منه ما أخافه أن يطمع بالملك، وكانت بينهما ضغينة وكره، فقتله غدرا وغيلة في رومة المدائن، وأنشد المنصور متشفياً به:

زعمت أن الدين لا يقتضى
فاستوف بالكيل أبا مـجرم
اشرب بكأس كنت تسقي بها
أمـر في الحلق من العلقم

كان فصيحا بالعربية والفارسية، ومقداما، داهية، حازما، راوية للشعر. قاسي القلب: سوطه سيفه. وكان أقل الناس طمعا: مات وليس له دار أو عقار، ولا عبد ولا دينار.

أما بخصوص كردية أبي مسلم ، فقد أشار إليها الدكتور إحسان عباس في تحقيق كتاب» وفيات الأعيان» للمؤرخ ابن خلكان، واستند الى قوله إن الناس اختلفوا في نسب أبي مسلم، فقيل انه من العرب، وقيل إنه من العجم، وقيل إنه من الكرد، وفي ذلك يقول الشاعر الماجن أبو دلامة للدلالة على كردية أبي مسلم:

أبا مجرم ما غيـر الله نعـمة
على عبده حتى يغيرها العبد
أفي دولة المنصور حاولت غدره
ألا إن أهل الغدر آباؤك(الكرد)
أبا مجرم خوفتني القتل فانتحى
عليك بما خوفتني الأسد الورد[4]

وبعد ذلك ساند الكرد العباسيين، فيذكر أن أمير أربيل الكردي علي كجكه ذهب إلى بغداد لمساعدة الخليفة العباسي الراشد بالله، وكان معه جيشا جرارا من الكرد، وأصبح الساعد الأيمن لهذا الخليفة العباسي، ومنع أي عدو من التطاول على سيادة الخلافة العباسية في بغداد.

الأيوبيون الكرد
يقرون آل قتادة الأشراف على الحجاز

استطاع البطل الكردي صلاح الدين الأيوبي سنة ٥٦٧هـ/١١٧١م من القضاء على الخلافة

الفاطمية بمصر، ثم أخذ يتطلع إلى ضم إقليم الحجاز لكي يحقق هدفين رئيسين: الأول إعادة الحجاز إلى نفوذه، وثانيهما السيطرة على تجارة البحر الأحمر.

قام صلاح الدين بإرسال أخيه (توران شاه) في حملة إلى الحجاز سنة ٥٦٩هـ١١٧٣م، فدخل مكة دون قتال، وأعلن شريف مكة دخوله في طاعة الأيوبيين سياسيا، وأقر الأيوبيون العائلتين الشريفتين من آل الحسن في مكة، وآل الحسين في المدينة المنورة شرط التوقف عن تحصيل ضريبة (المكوس) التي كان يأخذها الأشراف من الحجاج والتجار عند موسم الحج.

لكن اشتداد الصراع بين الأشراف من الأسر الحاكمة في مكة والمدينة شجع الأيوبيين على التدخل في الشؤون الداخلية للشرافة في الحجاز، وتعيين نائب لهم في مكة تسنده كتيبة من الجند وإدارة خاصة به.

ولا بد أن يذكر للأيوبيين حمايتهم للأماكن المقدسة في مكة والمدينة المنورة من الهجوم الذي خطط له الإفرنج الذين استولوا على بلاد الشام، ففي سنة ٥٧٧هـ/١١٨١م قاد صاحب الكرك الصليبي (ارناط) حملة عسكرية بهدف احتلال الحجاز وبسط نفوذه على البحر الأحمر والسيطرة على تجارته المزدهرة وخاصة خلال موسم الحج، لكن الأيوبيين أفشلوا خططه بهجومهم على حصن الكرك والاستيلاء عليه، ونهب أمواله، ما دعا ارناط إلى الرجوع مسرعا إلى إمارته في الكرك، إضافة إلى أن جنوده لم يتحملوا الحر الشديد في الصيف، وشعروا بحاجتهم إلى المياه العذبة للشرب.

كما أعاد ارناط الكرة سنة٥٧٨هـ/١١٨٢م، ووصل إلى (ينبع) شمالي الحجاز، وأصبح على بعد مرحلة واحدة من المدينة المنورة، وهنا أمر صلاح الدين أخاه الملك العادل وكان نائبه على مصر بالتفرغ لهذه المهمة وإرسال الأسطول لمواجهة للإفرنج، وقد استطاعت هذه الحملة من تحطيم الأسطول الإفرنجي، وأسرت أكثر من ثلاثمائة جندي قتلوا بأمر صلاح الدين في الإسكندرية عام٥٧٨هـ/ ١١٨٢م ليكونوا عبرة لغيرهم ممن يفكرون في الاعتداء على المقدسات الإسلامية، وبذلك حقق صلاح الدين السيادة على البحر الأحمر، ونجح في حماية الأماكن المقدسة في الحجاز[5].

حكم الأشراف الهاشميون الحجاز (مكة والمدينة) منذ منتصف القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وكانوا يتمثلون في ثلاث بيوتات مثلت نظام الشرافة، وهي: بنو موسى وبنو سليمان (٣٥٨-٤٥٣هـ/ ٩٦٨-١٠٦١م)، بنو هاشم(٤٥٥-٥٩٠٧هـ /١٠٦٣-١٢٠٠م)، بنو قتادة(٥٩٧-١٣٢٨هـ/١٢٠٠-١٩١٠م).

والأسرة الأخيرة بنو قتادة (القتاديون) تعود بنسبها إلى عبد الله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت النبي محمد عليه السلام. وقد حكمت هذه الأسرة مكة المكرمة منذ سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م إلى سنة ١٣٢٨هـم١٩١٠م، ويشير تاريخ بداية شرافتهم للحجاز بأنه تم خلال العصر الأيوبي عندما أقر الأيوبيون حكم العائلة الشريفة من آل الحسن على مكة المكرمة، وهذه الأسرة ينتمي إليها الشريف حسين بن علي (أبو الملوك: علي، عبد الله، وفيصل، والأمير زيد)، ومفجر الثورة العربية الكبرى سنة١٣٣٥هـ/١٩١٦م، وقد أعلن الشريف حسين بن علي تأسيس مملكة الحجاز الهاشمية وأنهى بذلك نظام الشرافة، وبقيت هذه المملكة مستمرة في حكم الحجاز حتى سنة ١٣٤٤هـ/١٩٢٥م[6].

وبعدها آلت الحجاز الى حكم آل سعود الذين استطاعوا توحيد الجزيرة العربية، وعرفت البلاد بعد ذلك باسم بلاد نجد والحجاز ثم المملكة العربية السعودية.

الثائر الكردي
عبيد الله الشمزيني النهري يسكن الحجاز

يعد أول من سعى إلى توحيد الاكرد وإنشاء كردستان المستقلة، وقاد ثورة ضد العثمانيين والإيرانيين في القرن التاسع عشر، إذ عقد في شمزينان عام ١٨٨٠ مؤتمرا حضره حوالي ٢٢٠ زعيما كرديا، وطلب منهم إقامة اتحاد بين العشائر الكردية، والإعداد للثورة ضد الدولة العثمانية والإيرانية، وطلب من بريطانيا عن طريق القنصل في الأناضول الدعم الدولي لقضية كردستان مع إعطاء ضمانات للحقوق المسيحية.

اندلعت ثورته المسلحة عام ١٨٨٠ في كردستان الشمالية الغربية على الحدود التركية الإيرانية، وانتشرت ثورة النهري بسرعة واستطاعت قواته السيطرة على أغلب مناطق ومدن كردستان الإيرانية، وأنشأ فيها دوائر كردية رسمية للإدارة المحلية.

أرسلت تركيا جيشا لمساندة الجيش الإيراني في إخماد ثورة الكرد بناء على اتفاق مسبق بين البلدين، لكن قوات النهري استمرت في تقدمها، وعندما اقتربت من مدينة تبريز طلبت إيران مساعدة الحكومتين الروسية والإنجليزية، فأرسلت روسيا جيشا لمساعدة القوات الإيرانية في إخماد الثورة الكردية.

حاصرت الجيوش الإيرانية والتركية والروسية القوات الكردية من جميع الجهات، واستطاعت السلطات التركية اعتقال النهري وأسره في اسطنبول حيث عاش فيها بصفة «أسير فخري» ثم نفي عام ١٨٨٣ مع مائة عائلة كردية إلى المدينة المنورة وتوفي فيها عام ١٨٨٨م.

الكرد يشاركون الشريف حسين
في الثورة العربية الكبرى ١٩١٦-١٩١٨م

قبل قيام الثورة العربية ضد الاستبداد والطغيان التركي في بلاد الشام والعراق، كانت هناك حركة قومية وثورية في كل من سورية ولبنان تطالب باستقلال العرب عن التبعية التركية، وقد شارك كرد سوريا ولبنان والعراق في إرهاصات الحركة العربية، إذ وقع كل من زعيم كرد دمشق عبد الرحمن باشا اليوسف، والزعيم الكردي في مدينة حماة خالد البرازي، والأمير اسعد الأيوبي في جبل لبنان على وثيقة تطالب الشريف حسين بإعلان الثورة ضد الأتراك.

كما كان الشهيد نايف تللو - من كرد دمشق- ضمن شهداء القافلة الأولى من أحرار سوريا الذين أعدمهم جمال باشا السفاح في بيروت يوم ٢١ آب ١٩١٥م.

وعندما أسست "جمعية العهد السرية" في الآستانة سنة ١٩١٣م، كان من بين أعضائها الضابط العسكري الكردي جعفر العسكري الذي لعب فيما بعد دورا كبيرا في قيادة جيش الثورة العربية في الحجاز والشام، وأيضا انضم الى الثورة العربية جلال بابان من كرد العراق وأصبح فيما بعد وزيرا في العهد الملكي في العراق(٧).

وبعد أن أعلن الشريف حسين بن علي أمير مكة الثورة ضد الاستبداد التركي، وجاهد في استقلال العرب وحريتهم،فقد انضوى تحت

راية لواء الثورة العربية الكبرى عدد من القادة والجنود الكرد وقاتلوا في صفوفها حتى حققت الثورة انتصاراتها الباهرة على الأتراك وطردتهم من البلاد العربية، وكان يقف في مقدمتهم جعفر باشا العسكري وجميل المدفعي ورشيد باشا المدفعي، فقد لبى جعفر العسكري نداء الثورة العربية الكبرى والتحق بالأمير فيصل بن الحسين في شهر حزيران ١٩١٧م، وأسند إليه قيادة القوات النظامية في الجيش الشمالي المؤلف من المتطوعين العراقيين والسوريين والأردنيين والفلسطينيين، فتولى تنظيم هذا الجيش في وحدات ترتبط بأصول الضبط العسكري، وبلغ تعداده يوم وصل الى العقبة في شهر آب ١٩١٧ حوالي ألفين جندي، وخاض هذا الجيش بقيادته معارك الثورة العربية في شمالي الحجاز والأردن وسورية، وبرهن خلالها على انه ذلك الجندي المحترف الذي لا هم له إلا أداء واجبه العسكري[٨].

واستمر جعفر العسكري يخوض غمار معارك الثورة في بلاد الشام حتى تم لها تحقيق هدفها الأول وهو طرد الأتراك من البلاد العربية عام ١٩١٨م، وبعد تشكيل الحكومة العربية السورية بزعامة الملك فيصل الأول(١٩١٨-١٩٢٠م)، عين جعفر العسكري حاكما عسكريا في معان ثم حلب، وبعدها عين مرافقا له، وعندما تولى الملك فيصل عرش العراق خدم في معيته، فعينه وزيرا للدفاع، فعمل على تأسيس الجيش العراقي الحديث، ثم تقلد رئاسة الوزراء في بغداد ثلاث مرات، وظل يخدم الهاشميين بكل صدق وإخلاص وتفان حتى يوم اغتياله عام ١٩٣٦م.

كما تطوع رشيد باشا المدفعي في جيش الثورة العربية، وتسلم قيادة قوة المدفعية في جيش الثورة، وشارك في معارك الحجاز، والهجوم على قلعة المعظم ١٩١٧، وعندما وصل الجيش الشمالي الى العقبة ١٩١٧ كان تحت أمرته أربعمائة ضابط وجندي، وبعدها عين قائدا للمدفعية في رابغ مع الأمير علي بن الحسين، ثم انتقل لقيادة القوات النظامية في جيش الأمير فيصل، فخدم قائد فرقة في العقبة ١٩١٧حتى نهاية الحرب ١٩١٩م.

كما التحق اللواء بها الدين نوري الشيرواني - من كرد مدينة السليمانية - في الجيش العربي في الحجاز وسورية، وأصبح فيما بعد وزيرا مفوضا في الأردن خلال العهد الملكي في العراق[٩].

كما التحق الضابط جمال رشيد بابان(١٨٩٣-١٩٦٥م) بجيش الثورة العربية في العقبة، وكان برتبة ملازم أول، ورافق جيش الثورة في احتلال بلاد الشام، ثم رقي الى رتبة رئيس وعهد إليه إمرة بطارية مدفعية[١٠].

وعندما انتصرت الثورة الشيوعية في روسيا ١٩١٧ توجه صديق رسول القادري- وهو كردي عراقي- الى الشريف حسين في مكة، وحثه على استصدار فتاوي تحرم الشيوعية[١١].

وعندما تعرضت حكومة فيصل في دمشق للهجوم الفرنسي بقيادة الجنرال غورو تطوع قائد الجيش السوري الشهيد يوسف العظمة(من كرد دمشق) في الذود عن حياض بلاده، وصمد في وقعة ميسلون حتى ضحى بنفسه في سبيل عزة أمته وكبريائها.

كردي يبايع الشريف الحسين بالخلافة

عندما نادى العرب والمسلمون في الأردن لمبايعة الشريف حسين بن علي خليفة على المسلمين عام ١٩٢٤م، بايعه العديد من أهالي وزعماء الشام

والعراق والهند وغير ذلك من البلدان، ومن الذين بايعوه في الأردن خالد درويش الكردي محافظ أحراج عجلون آنذاك – ويعود بأصوله الى كرد ديار بكر-(١٢).

وبعد أن تمت للشريف حسين البيعة، ألقيت الخطب والقصائد في مقره بالشونة الجنوبية، وكان من بين المتحدثين في هذه المناسبة الشيخ عمر الكردي مفتي المدينة المنورة.

وعندما توفى الشريف حسين في عمان عام ١٩٣٢م، رثاه الشعراء، وكان من أبرزهم أمير الشعراء احمد شوقي(ذو الجذور الكردية)، فجاء في قصيدته:

لك في الأرض والسماء مآتم
قام فيها أبو الملائك هاشم
قم تحدث أبا علي إلينا
كيف غامرت في جوار الارائم

ورثاه الشاعر والسياسي خير الدين الزركلي(من أكرد دمشق)، فقال:

نعى نادب العرب شبانها
فجدد بالنعي أخوانها
بكى كل ذي عزة تربه
فهاج نزاراً وعدنانها(١٣)

الكرد يؤازرون أبناء الشريف حسين في ممالكهم

*** الملك فيصل الأول في سوريا والعراق:**

لقد حكم الملك فيصل الأول سوريا الداخلية بعد انتهاء الحرب العالمية الأولى ١٩١٨م، واستمر حكمه لهذه الدولة حتى معركة ميسلون في٢٤ تموز عام ١٩٢٠م، وقد خدم في معيته العديد من كرد سوريا والعراق أمثال محمد كرد علي، ويوسف العظمة، وعلي آغا زلفو، وخليل بكر ظاظا وهذا الأخير تم تعيينه مستشارا للشؤون العسكرية للملك فيصل بن الحسين، ثم عمل ضابط استخبارات للبلاط الملكي، وكلف بمهمة مراقبة تحركات الجنرال الفرنسي غورو في لبنان، ومعرفة أسماء الأشخاص البارزين الذين يتصلون به، والخطط التي يزمع تنفيذها، والمحاولات التي يقوم بها للعدوان على سوريا، وربما تصفية الجنرال غورو عند الضرورة، وعمل أيضا قائدا لسرية خيالة المتطوعين في حمص وحماة، ونتيجة لإخلاصه للملك فيصل ولسوريا فقد صدر بحقه من قبل السلطات الفرنسية في سوريا حكم الإعدام عليه وعلى مجموعة من رفاقه، ومما جاء في قرار الحكم:

«الجمهورية الافرنسية ـ المجلس العسكري الحربي للفرقة الثالثة الكائن حاليا بدمشق. حكم باسم الشعب الافرنسي:

لقد أصدر المجلس العسكري الحربي الملتئم الآن بدمشق بتاريخ ٩آب باتفاق الآراء، وبعد سماع مقررات وادعاءات المفوض العسكري حكما على عبد القادر سكر، وشكري الطباع، واحمد قدري، وخير الدين الزركلي- من كرد دمشق- وتوفيق مفرج، وخليل ظاظا، ورياض الصلح، وعمر بهلوان، وحسين رمضان، وسليم عبد الرحمن، وعمر شاكر، وعادل أرسلان، وعثمان قاسم، وتوفيق اليازجي، وبهجت الشهابي، ورفيق التميمي، ومحمد علي التميمي، وحكم بمثل الأحكام الآنفة الذكر في ١٤أيلول سنة ١٩٢٠ على علي آغا زلفو السوري المولد والقاطنين بدمشق – كردي- حيث اثبت أن المذكورين استعملوا التدابير

المادية وقواهم العقلية بمعاضدة أعداء الحكومة الافرنسية وتحبذ مشاريعهم فبعملهم هذا عدوا مجرمين ومستوجبين المجازاة وفقا للمواد (٦٣، ٢٠٥) من القانون الحربي العسكري، وقانون ١٤- نوفمبر سنة ١٩١٨. فلهذه الأسباب وطبقا للمواد المذكورة حكم عليهم بعقوبة الإعدام، وبمصادرة جميع أملاكهم كافة، وحكم عليهم أيضا وفقا للمادتي ١٣٩ من قانون العقوبات العسكرية، و (٩) من قانون ٢٢ يوليو سنة ١٨١٧م بتغريمهم جميع مصاريف المحاكمة على أن تحصل من أموالهم، وتدفع إلى خزينة الحكومة الافرنسية رأسا. وان الحكم الحالي أصبح متحتم الإنفاذ من يوم ٩ آب سنة ١٩٢٠، ومن ١٤ أيلول على الأخير ومصاريف المحاكمة تبلغ ٩٨٠ فرنكا»[١٤].

كما قام كرد الأردن بمؤازرة الملك فيصل الأول وحكومته في سوريا عندما كانت شرقي الأردن جزءا من مملكته، وقد تعرضت حكومته إلى عواصف سياسية كبيرة، فوقف زعماء شرقي الأردن ومشايخها ومعهم كرد الأردن إلى جانب هذه الحكومة، ودعموها بالمال والنفس، وكان لهم مواقف وطنية صادقة عبروا عنها من خلال البرقيات، والاحتجاجات، وتشكيل اللجان الوطنية، والمشاركة في إعمال المؤتمر السوري في العاصمة دمشق.

ومن أبرز الشخصيات الكردية الأردنية التي برزت في هذا العهد (سيدو الكردي) أحد كبار وجهاء وتجار مدينة عمان، وقد كان له مواقف وطنية صادقة عبر عنها من خلال المواقف التالية:

فعندما شاع خبر تقسيم البلاد السورية بين فرنسا وبريطانيا، قام الشعب الأردني بتقديم الاحتجاجات، والقيام بالمظاهرات، وتشكيل اللجان الوطنية لجمع التبرعات، والاستعداد للدفاع عن الوطن، فقام سيدو الكردي وطاهر الجقة وسعيد خير بتشكيل لجنة وطنية في عمان، ورفعوا برقية بهذا الخصوص إلى سمو الأمير فيصل في دمشق يوم ١٩١٩/١١/١٥ قالوا فيها:

«أن الشهامة العربية والغيرة الوطنية دبت في نفوس القوم لدرجة لا تقدر، وعليه أسسنا فرعاً للجنة الوطنية العليا عندنا، وقمنا بتشكيل جند وطني يتمرن على التعليم العسكري يومياً، وقد دعونا رؤساء العشائر من أطراف معان إلى الكرك وعشائر البلقاء للاجتماع في يوم معلوم للمذاكرة في مصالح الوطن، وسنوافيكم بما يتم، وأننا نرجو من اللجنة الوطنية العليا أن تعلمنا بما يجد في العاصمة يوميا لتكون الكلمة والحركة المتوحدة»[١٥].

كما حضر سيدو الكردي الحفلة التي أقامها النادي العربي في البلقاء لتكريم زعماء الأردن، وزعماء الشراكسة في الأردن والجولان في سورية، وتباحث المجتمعون في مستقبل سورية، وأصدروا بيانا احتجوا فيه على تقسيم البلاد، واقسموا الإيمان المغلظة بأنهم سيصونون الاستقلال بالنفس والنفيس، وكان سيدو الكردي ممن وقعوا على هذا البيان[١٦].

كما شارك سيدو الكردي مع ممثلي شرقي الأردن في المؤتمر السوري العام الذي عقد في دمشق، وحضر افتتاحه مع أربعة وعشرين شخصية من الأردن بصفة مراقبين، كما اشترك سيدو الكردي في جلسات المؤتمر السوري في ٨ آذار ١٩٢٠ الذي نادى باستقلال سورية الطبيعية، والمناداة بفيصل ملكاً على سورية[١٧].

وقلد بعض الكرد وظائف إدارية في العهد

الفيصلي في الأردن، فكان إسماعيل أفندي الكردي كاتبا(مأمور إجراء) في محكمة الكرك منذ تاريخ ١٩١٩/١/٢٥، ومحمد علي الكردي كاتب مفردات في محكمة بداية الكرك، وسعيد أفندي الكردي رئيس كتاب محكمة السلط[١٨].

وبمناسبة تتويج الملك فيصل الأول ملكا على العراق ١٠آب١٩٢١م، ألقى الشيخ عمر الكردي مفتي الشافعية بالمدينة المنورة بين يدي جلالة الملك الحسين بن علي قصيدة بعنوان» هنئت هذا اليوم» خاطبه فيها قائلاً:

حققت وحدة أمة عربيـــة
لقد استقر التاج فوق عــراق
لله اشرف مظهر ملأ الدنــا
شرفاً ودام يضيء في الآفـاق
لك ما تشا من همة الشرف الذي
أبدى محيا البدر بعد محـاق
نور من الحرمين لاح وانـــه
قد عم كل الكون في الإشراق
هذا العراق وصـنوه في أثره
سيجد أقصى السير في الإلحاق
مولاي دم ظل الإله فروعــه
تمتد في الآفاق كالأعــراق
وأضيء لعرش الهدى في حرم التقى
وأمدد نطاق الملك أي نطاق
تتتوج التيجان منك وإنــها
بسناك تصبــح قرة الآماق
هنئت هذا اليوم انك نعمـــة
من (منقـذ) هو نعمة الخلاق
أبداك بالشرف الذي قد زانـه
عال التقى ومكارم الأخـلاق
إن الآباء من الشريف حسامـه
يعلو به متناهـــي الأعناق
لم يعد مبداك العظيم تغـــير
عند اضطراب القوم في الميثاق
للدين دم ولأمة فكلاهمـــا
لولاك ما نجيا من الإغراق[١٩]

وفي العراق وقف إلى جانب الملك فيصل الأول وآزره العديد الكبير من كردها، وساهموا معه في بناء دولته الحديثة، وتقلدوا مناصب عليا في الحكومة العراقية كرئاسة الحكومة، والوزارات، وعضوية البرلمان، وقيادة الجيش أمثال بكر صدقي، وجعفر العسكري، وجميل المدفعي، واحمد مختار بابان...

الملا مصطفى البارزاني يستجيب لنداء ملك الأردن:

خلال الصراع العربي- الإسرائيلي عام ١٩٦٧م ضغط ملك الأردن الراحل الحسين بن طلال على شاه إيران محمد رضا بهلوي وطلب منه بأن العراقيين يريدون الدفاع عن المسجد الأقصى والمقدسات في فلسطين، فكان جواب الشاه: سوف نضغط على الكرد من أجل إيقاف حركاتهم، وبالفعل صرح الملا مصطفى البارزاني يوم ذاك بأنه مستعد لحشد عشرة آلاف كردي للاشتراك في الحرب ضد إسرائيل، ولكن الأحداث تتابعت بعد ذلك، ولم يتح لهذه المساعي أن تثمر[٢٠].

مؤازرة الأمير عبد الله في مشروع سوريا الكبرى:

لقد طرح الملك عبد الله بن الحسين مشروع سوريا الكبرى(١٩٣٩-١٩٥٠)، الذي كان يهدف إلى توحيد سوريا الطبيعية(سوريا، الأردن، فلسطين، لبنان) في وحدة سياسية واحدة، تكون نواة لتوحيد العرب فيما بعد، وهي نفس الفكرة التي

طرحها والده الشريف حسين بن علي في الثورة العربية الكبرى عام ١٩١٦م، على أن تكون دمشق عاصمة لها، ويسمى عبد الله بن الحسين رئيسا للدولة السورية الاتحادية.

وقد أجرى الملك عبد الله بن الحسين اتصالات ومراسلات مختلفة مع القيادات الشعبية الفاعلة في بلاد الشام لشرح مفهوم سوريا الكبرى وبيان موقفها منه، ومن خلال الإطلاع على الوثائق المنشورة في كتاب " الوثائق الهاشمية: مشروع سوريا الكبرى"، نجد فيه عدد من الرسائل المتبادلة بين الملك عبد الله بن الحسين وبعض الشخصيات الكردية المعروفة في فلسطين وسوريا كالمؤرخ والأديب محمد كرد علي، واللواء سامي الحناوي، وموسى الحموري، وعشيرة البرازي، وعشائر الجزيرة الكرد في شمالي سوريا.

فقد أعرب كرد الشام في رسائلهم الموجه إلى الملك عبد الله الأول عن تأييدهم المطلق لهذا المشروع، وفي رسالة من علامة الشام الكبير محمد كرد علي(من كرد دمشق) إلى سمو الأمير عبد الله بن الحسين يقول فيها:

" مولاي صاحب السمو المعظم، تشرفت بإشارة سيدي الأمير يدعوني إلى زيارته، وأنا أشهد الله أشد ما أكون شوقا إلى إمتاع العين والقلب بالطلعة الهاشمية الكريمة، ولو أن الأقدار كانت تحول دون هذه الأمنية لتكرر تشرفي بناديكم، وكل دعائي أن تضع الحرب أوزارها قريبا فأصل إلى الحمى الكريم، جعل الله صاحبه مصدر كل خير للنهوض بالأمة العربية، إن طاعة آل البيت الطاهرين من أفضل القربات، والارتباط برباط الإخلاص مع واسطة عقده لا أحد فوقه شرفاً وتكرمة، متع الله أميري بالصحة، وأقر عينه بأنجاله"[٢١].

كما تبادل الأمير عبد الله بن الحسين الرسائل حول الوحدة السورية مع اللواء سامي الحناوي في دمشق، وقال الحناوي في إحدى رسائله الموجهة إلى الأمير عبد الله في عمان بأنه قابل كبار الكرد وبحث معهم الموضوع، ومن الآن لا يصدر عنهم إلا ما يرضي سمو سيدنا...[٢٢].

كما بعثت عشيرة البرازي الكردية الساكنة في مدينة حماة ومعها بعض العشائر الكردية الساكنة في الجزيرة العليا رسائل تأييد إلى سمو الأمير عبد الله تؤيد فيها مشروع الوحدة السورية الكبرى[٢٣].

كما رفع كرد مدينة الخليل بفلسطين رسالة إلى الأمير عبد الله يؤيدون فيها مشروع سوريا الكبرى، فقد رفع موسى الحموري - رئيس أوقاف مدينة الخليل - بتاريخ ٢٨ آب ١٩٤٧م رسالة إلى الملك عبد الله بن الحسين عارضا عليه الاتصال بكرد الشام للعمل على معا من أجل قيام الوحدة السورية، وقد جاء فيها:" ...وحيث أن مدينة الخليل تضم ثلث الأهالي من الكرد الأيوبية وهم مستعدون للانضمام تحت رايتكم، وأني أنا وإياهم بصفتي القائم بإدارتهم أقترح إذا استحسنت أن أذهب أنا وبعض زعمائهم للاتصال بكرد الشام الذين تربطنا وإياهم رابطة العصبية، لكم وعلى الله الاعتماد لنصرتكم العلية على أحسن حال...".

وقد وقع على هذه الرسالة من سكان الخليل كل من: موسى الحموري رئيس الوعاظ بالحرم الإبراهيمي ورئيس أوقاف الخليل، وعبد الجواد فراح الكردي الأيوبي، وعبد الغني أبو خلف الكردي الأيوبي، ومسلم بدر الكردي الأيوبي[٢٤].

كرد الأردن والهاشميون:

قام كرد الأردن عبر رموزهم السياسية والفكرية والعشائرية بدور بارز في تاريخ الأردن المعاصر الذي أسسه المغفور له الملك عبد الله الأول عام ١٩٢١م، وكانت لهم مساهماتهم واضحة في الحياة السياسية في وقت مبكر، وتقلدوا مناصب عليا في أجهزة الدولة المختلفة، وبرز منهم الوزير والدبلوماسي والقائد العسكري والإداري، وكانوا على الدوام أصحاب كفاءة عالية، وقدرات متميزة، لذلك نالوا ثقة القيادة الهاشمية على الدوام، وتمتعوا بجميع الحقوق والواجبات التي تمتع بها المواطن الأردني دونما تمييز أو تهميش.

عهد الإمارة الأردنية ١٩٢١-١٩٤٦م:

لعبت العديد من الشخصيات الكردية دورا بارزا في الحياة السياسية الأردنية منذ بداية تأسيس الإمارة الأردنية عام١٩٢١، فشاركوا في تأسيس الأحزاب السياسية وساهموا في قراراتها، وحضروا المؤتمرات الوطنية، وناضلوا مع المعارضة الأردنية ضد بنود المعاهدة البريطانية من خلال الاحتجاجات، والمظاهرات، ودعم القضية الفلسطينية.

ومن الشخصيات الكردية التي برزت في عهد الإمارة سيدو علي الكردي، علي الكردي، خير الدين الزركلي، سليم آغا السعدون، فايز الكردي، يحيى الكردي، سعد جمعة، مدحت جمعة، حسني سيدو الكردي، احمد الكردي.

كما انتدب الملك الحسين بن علي من الحجاز السياسي الكردي السوري خير الدين الزركلي، وكلفه بالقدوم إلى عمان وتمهيد السبل لإنشاء الحكومة الأولى فيها بزعامة ولده الأمير عبد الله، وبعد تأسيس الإمارة تقلد الزركلي منصب مفتش عام للمعارف، ثم رئيسا لديوان رئاسة الحكومة خلال سنوات١٩٢١-١٩٢٣م[٢٥].

كما لعب سيدو الكردي دورا بارزا في الحياة السياسية من خلال مشاركته في عضوية وتأسيس العديد من الأحزاب السياسية آنذاك، وحضوره المؤتمرات الوطنية، ومعارضة المعاهدة البريطانية، وتأييده سياسة الأمير عبد الله بن الحسين ومباركة خطواته في السعي بالإمارة نحو الاستقلال الناجز، فكان أحد أعضاء " حزب الشعب الأردني" من عام ١٩٢٧- ١٩٣٠م الذي نادى بتأييد الحكم الدستوري للأمير عبد الله بن الحسين[٢٦].

وتقلد العديد من كرد الأردن في عهد الإمارة والمملكة العديد من المناصب القيادية والإدارية والسياسية والعسكرية والدبلوماسية في مختلف المجالات، منها:

١- المجال السياسي:

أولا: الوزراء:

الاسم	المنصب	التاريخ
سعد جمعة	عضو مجلس الأعيان	١٩٦٧-١٩٦٩
سعد جمعة	عضو مجلس الأعيان	١٩٧١-١٩٧٩
الدكتور اشرف الكردي	عضو مجلس الأعيان	١٩٩٣-١٩٩٧
سعد الدين جمعة	عضو مجلس الأعيان	١٩٩٧-٢٠٠٧

٢- ثانيا: مجلس الأعيان الأردني:

الاسم	المنصب	التاريخ
رشيد المدفعي	متصرف لواء البلقاء	١٩٢٨-١٩٣٠
رشيد المدفعي	محافظ العاصمة	١٩٢٨
سعد جمعة	محافظ العاصمة	١٩٥٤-١٩٥٨

خليل بكر ظاظا	مدير ناحية الشوبك	١٩٣٠
محمد علي الكردي	مدير ناحية الكورة	١٩٢٥-١٩٢٧
محمد علي الكردي	قائمقام ناحية عجلون	١٩٣٣
محمد علي الكردي	متصرف لواء البلقاء	١٩٤٨
علي سيدو الكردي	قائمقام جبل عجلون	١٩٤٩

ثالثا: في السلك الدبلوماسي

الاسم	المنصب	التاريخ
سعد جمعة	عضو مجلس الأعيان	١٩٦٧-١٩٦٩
سعد جمعة	عضو مجلس الأعيان	١٩٧١-١٩٧٩
الدكتور اشرف الكردي	عضو مجلس الأعيان	١٩٩٣-١٩٩٧
سعد الدين جمعة	عضو مجلس الأعيان	١٩٩٧-٢٠٠٧

رابعا: في المجال الإداري

الاسم	المنصب	التاريخ
علي سيدو الكردي	وزير مفوض ودبلوماسي في جدة وانقرة ودمشق واليمن	تقاعد عام ١٩٦١
سعد جمعة	سفير في ايران وسوريا وأمريكا والمغرب والمانيا الغربية وبريطانيا وتونس واسبانيا	١٩٥٨-١٩٧١
اللواء عبد الإله الكردي	سفير لدى ماليزيا وروسيا	لا زال على رأس عمله
مازن مدحت جمعه	سفير في ماليزيا	

في المجال العسكري:

بعد وصول الأمير عبد الله بن الحسين إلى معان يوم ١١ تشرين ثان ١٩٢٠م، وفد إليه الكثير من الزعماء ورجالات الأردن وسورية لمؤازرته في أفكاره وسياسته لتحرير البلاد، وكان من بين الذين وفدوا إليه إلى معان الضابطان الكرديان خليل بكر ظاظا، ونور الدين البرزنجي[٢٧].

وذهب خليل بكر ظاظا إلى الأردن مع مجموعة من الشباب الكرد الدمشقيين وكان بينهم حسين آغا رمضان للمشاركة في الثورة العربية الكبرى مع الشريف حسين بن علي، ومن هنا توطدت العلاقة بين خليل بكر ظاظا والأمير فيصل بن الحسين الذي عين ملكا على البلاد السورية عام ١٩١٨م.

وبعد انهيار الحكم الفيصلي في سوريا ٢٤ تموز ١٩٢٠ قدم إلى معان في جنوبي الأردن وقدم خدماته على الأمير عبد الله بن الحسين، وعندما أسس الأمير عبد الله إمارة شرقي الأردن كان من أوائل الملتحقين بالجيش الأردني عام ١٩٢١، فساهم في تأسيس الجيش وقوات الدرك، وتكوينه وتدريب أفراده، وقد تقلد وظائف عدة، فتسلم قيادة درك الكرك ١٩٢٢، وجرش والطفيلة ١٩٢٣، والسلط ١٩٣٨، وقيادة مقاطعة ملكا ١٩٢٨، ومدير ناحية الشوبك ١٩٣٠، وقائد منطقة عجلون، توفي بحادث مؤسف يوم ١٩٣٨/١٢/٨ أثناء قيامه بواجبه، وعرف خلال خدمته بالإخلاص والكفاءة، ونال تقدير الأمير عبد الله بن الحسين، واعتبر من مؤسسي جهاز الأمن العام الأردني، قال عنه المناضل السوري تيسير ظبيان: عرف بقوة بأسه، وصلابة عوده[٢٨].

وقد جاء في تقرير كتبه قائد الجيش الأردني فردريك. ج. بيك عام ١٩٢٨م أن عدد الكرد في الجيش الأردني بلغ(١٤) قيادياً بنسبة ١,٣٪ من مجموع سكان الأردن البالغ عددهم حينذاك (٣٦٠) ألف نسمة(٢٩).

وقد انضمت إلى الجيش الأردني في بداية

تأسيسه مجموعة كبيرة من الكفاءات الكردية من مستوى ضباط وجنود ممن خدموا في الجيش العثماني والجيش الفيصلي، وشكلوا نواة الجيش الأردني، وكان لهم بصمات معروفة في تدريبه وتأسيسه وتطويره، ونال بعض الكرد شرف الشهادة خلال تأدية الواجب والدفاع عن الوطن، ومنهم:

- الشهيد الجندي محمد محي الدين ظاظا، من عمان، استشهد يوم ١٩٤٨/٨/٢٥.

- الشهيد الملازم الطيار عامر احمد بكر ظاظا، من السلط، استشهد عام ١٩٦٧.

- الشهيد الضابط الطيار بدر الدين ظاظا، من السلط، استشهد في حادث تحطم طائرة في الشوبك برفقة الملكة علياء طوقان عام ١٩٧٧م.

المصاهرات بين الكرد والهاشميين:

جرت في القرن العشرين بعض المصاهرات بين الكرد والهاشميين من أحفاد الشريف حسين بن علي ومن أولاد عمومته في العراق والأردن.

فكانت هناك علاقات وطيدة بين الأمراء البدرخانيين (أحفاد أمير جزيرة بوطان) والهاشميين، وقد تجددت هذه العلاقة عندما تم زواج الشريف ناصر بن جميل (خال جلالة الملك الحسين ملك الأردن) من الآنسة (نوزاد) ابنة (قدرت ثريا بدرخان)[٣٠].

ويذكر أن الأمير عبد الله بن الحسين أمير شرقي الأردن عرض مساعدة الأمير الكردي جلادت بدرخان المقيم في دمشق بإعطائه منصبا كبيرا في عمان، لكن جلادت لم يستجب لتلك الدعوة(٣١).

وفي الأردن جرت مصاهرة بين الهاشميين والكرد عندما اقترنت صاحبة السمو الملكي الأميرة بسمة بنت طلال من الأستاذ وليد الكردي - رجل الأعمال المعروف - ويشغل اليوم رئيس مجلس إدارة شركة الفوسفات الأردنية.

كما اقترنت صاحبة السمو الملكي الأمير عائشة بنت الحسين من السيد زيد سعد الدين جمعة الكردي.

وفي العراق جرت مصاهرات بين الأسرة الهاشمية وكردها عندما تزوج (محمد عطا أمين البشدري) المنحدر من عشيرة بشدر الكردية من الأميرة الهاشمية (سارة بنت الشريف الحسين بن علي ملك الحجاز)، وهي شقيقة الأمير زيد بن الحسين، وقد عمل محمد عطا في السلك الدبلوماسي، وشغل منصب وزير مفوض، وكان إلى جانب ذلك يشتغل بالأدب، وقد توفى عام ١٩٧١م[٣٢].

أما الوصي على عرش العراق الأمير عبد الإله بن علي فقد كان ينوي الزواج من كردية تدعى (نسرين)، وهي ابنة علي كمال احد الكرد الذين شغلوا منصب مدير الشرطة العام بالعراق، وكان عبد الإله قد شاهد (نسرين) في مصيف (سرنسك) في كردستان العراق، فأعجب بها، ورغب في الزواج منها، ولكن لم يحصل النصيب، فقد تزوجت فيما بعد من شخص آخر تعيش معه اليوم في دولة الإمارات العربية المتحدة.

وقد أشيع بأن الأميرة بديعة أقنعت شقيقها الأمير عبد الإله بعدم الزواج من نسرين، وقد استنكرت الأميرة بديعة ذلك، لأنها كانت في الإسكندرية وقت ذاك، وكتبت في مذكراتها تقول:" للتاريخ نقول: بأن احمد مختار بابان(آخر رئيس وزراء العراق في العهد الملكي) هو الذي اقنع الأمير عبد الإله بأن لا يتقدم إليها، والسر ظل بينهما خافيا، ولا أحد يعلم به إلى اليوم"[٣٣].

كما خطب الملك فيصل الثاني في شهر أيلول ١٩٥٧م في مدينة اسطنبول النبيلة المصرية (صبحية فاضلة) بنت الأمير المصري محمد علي إبراهيم(١٩٠٠-١٩٧٧م) ابن الأمير محمد وحيد الدين بن إبراهيم فهمي باشا بن احمد رفعت باشا بن إبراهيم باشا بن محمد علي باشا الكبير مؤسس مصر الحديثة.

ومن المعروف بأن جدها محمد علي باشا (١١٨٤-١٨٤٩م) يعود بأصوله الى كرد مدينة ديار بكر وليس إلى ألبانيا كما أشيع، وقد جاءت هذه الحقائق ضمن مقال بعنوان" ولي العهد حدثني عن ولي النعم..." نشر في مجلة (المصور) المصرية الصادرة يوم ٢٥ نوفمبر عام ١٩٤٩م على (الصفحة ٥٦)، وكانت عبر حوار صحفي أجراه الأديب عباس محمود العقاد مع ولي عهد مصر آنذاك الأمير محمد علي، و أكد له ولي العهد على كردية أسرة محمد علي الكبير، ولأهمية هذا المقال نقتطف منه ما جاء فيه تحت عنوان (ديار بكر.. لا قوله):

" ... وقال سموه في أمانة العالم المحقق: لا أعلم ولا أبيح لنفسي الظن فيما لا اعلم، ولكني أحدثكم بشيء قد يستغربه الكثيرون عن نشأة الأسرة العلوية (المنسوبة لمحمد علي)، فان الشائع أنها نشأت على مقربة من قولة في بلاد الارناؤوط (ألبانيا حاليا)، ولكن الذي اطلعت عليه في كتاب ألفه قاضي مصر على عهد محمد علي إن أصل الأسرة من ديار بكر في بلاد الكرد، ومنه انتقل والد محمد علي وإخوانه إلى قولة، ثم انتقل أحد عميه إلى الآستانة، ورحل عمه الثاني في طلب التجارة، وبقي والد محمد علي في قوله. وقد عزز هذه الرواية ما سمعناه منقولا عن الأمير حليم (احد أحفاد محمد علي) انه كان يرجع بنشأة الأسرة إلى ديار بكر في بلاد الكرد".

ويعلق عباس العقاد في نهاية المقال: "حسب بلاد الكرد شرفاً أنها أخرجت للعالم الإسلامي بطلين خالدين: صلاح الدين ومحمد علي الكبير، وقد تلاقيا في النشأة الأولى، وفي النهضة بمصر، وفي نسب القلعة اليوسفية إليهما(قلعة القاهرة اليوم)، فهي بالبناء تنتسب إلى صلاح الدين، وبالتجديد والتدعيم تنسب إلى محمد علي الكبير"[٣٤].

علما بأن (فاضلة) ولدت في باريس يوم٨ آب ١٩٤١م، وزارت بغداد بعد الخطوبة، لكن الملك فيصل الثاني- رحمه الله- قتل في انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨م، ولم يعقد قرانه عليها. وقد اقترنت بعد ذلك بخيري اورغوبلو بن سعاد خيري رئيس وزراء الجمهورية التركية سنة ١٩٦٥م[٣٥].

من قصص الوفاء الكردي مع الهاشميين
* اكرد يحمون الملك فيصل الثاني في أربيل ١٩٤١م:

عندما حدثت حركة رشيد عالي الكيلاني في بغداد عام ١٩٤١م، غادرت الأسرة الهاشمية بغداد وكان على رأسها الملك فيصل الثاني، ووالدته الملكة عالية، والأميرة بديعة إلى كردستان العراق ليكونوا في مأمن من خطر الغارات الجوية البريطانية التي تعرضت لها بغداد طيلة شهر أيار ١٩٤١م.

وقد نزلت الأسرة الهاشمية بضيافة محافظ اربيل، ثم انتقلت إلى ضيافة الزعيم الكردي(ملا أفندي عمر بن أبي بكر، المعروف بكوجك ملا)[٣٦]، ولقيت الأسرة الهاشمية منه كل كرم وحماية وحفاوة، وكان الملك فيصل الثاني في السادسة من عمره، وكان الملا أفندي يلازمه ليل نهار، وينام على عتبة غرفته حماية له، وخوفا على حياته. وكان

يقول:" إذا أراد أحد بالملك سوءا فكان لا بد له من المرور على جثتي". وبعد انتهاء العمليات العسكرية وفشل الانقلاب عادت الأسرة الهاشمية إلى بغداد(٣٧).

وعن هذا الوفاء الكردي تحدثت الأميرة بديعة في مذكرتها، فقالت:

" بعد حركة رشيد عالي الكيلاني ١٩٤١م، دعت الظروف السياسية القاهرة إلى مغادرة الأسرة الهاشمية بغداد، وبقي عبد الإله في البصرة يصحبه فيها جميل المدفعي، وعلي جودت الأيوبي، يبيتون بأحد اليخوت الراسية في شط العرب.

الأسرة المالكة حملت حقائبها للسفر من بغداد إلى كركوك، ونزلوا بضيافة محافظ اربيل، ومنه انتقل الملك فيصل وأسرته إلى أحد الملالي الكرد الكبار في اربيل، وبقي في بيته الكائن بالقلعة الشهيرة وسط اربيل، وقد مكثوا في بيت ملا أفندي(والد النائب عزالدين ملاّ أفندي أياما)، وفي إحدى الليالي جاء احد الانقلابيين يطلب من ملاّ أفندي، أن يسلّم له الملك فيصل الثاني، فرد عليه قائلا:" والله لا أسلم الملك حتى لو قتلتموني..". ولما رأوا إصراره، خرجوا... وانتهت حكومة الانقلابيين، وعاد الأمير عبد الإله إلى العراق، وهرب الانقلابيون إلى الخارج، وتركوا بلدهم دون حكومة، ودخل عبد الإله بغداد، واستعاد الجيش الأردني ومعه من العراقيين والانجليز العراق من الانقلابيين، وعندها وصلوا بغداد، وحزموا حقائبهم، وعادوا إلى بغداد.

ولم يكن من بد أمامنا سوى مشاركة الكرد أفراحهم واحتفالاتهم تلك بما حصل في العراق، وغنى ورقص الكرد، ولبسنا الملابس الملونة الزاهية، بزهو جبال كردستان وأهلها الأوفياء الطيبين، وتهيأنا لرحلة العودة إلى بغداد(٣٨).

*** مهندس كردي ينقذ الأميرة بديعة من الانقلابيين عام١٩٥٨م:**

عندما قام عبد الكريم قاسم بانقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨م، وتم فيه قتل الأسرة الهاشمية المالكة في بغداد، لم ينج من تلك المذبحة البشعة سوى الأميرة بديعة بنت الملك علي بن الحسين، وهي أخت الوصي عبد الإله، ومعها زوجها الشريف حسين بن علي وأولادها الأشراف، وهم(محمد، عبد الله، علي) الذين كانوا في منزلهم ساعة الانقلاب، فغادروا المنزل خوفا على حياتهم، وذهبوا إلى منزل المهندس الكردي(عبد القادر عبد العزيز رانية) في منطقة المنصور ببغداد، وكان هذا الشخص مهندسا كهربائيا له علاقات وطيدة مع الأميرة بديعة، فقد عمل في بيتها الجديد بالمنصور، وقام المهندس باستقبالهم وحمايتهم يوم الانقلاب المشؤوم، وباتوا ليلة عنده، وفي صباح اليوم الثاني نقلهم من منزله بسيارته الخاصة في مرحلتين إلى السفارة السعودية في منطقة الوزيرية ببغداد، وبهذا العمل فقد أنقذ المهندس الكردي الأميرة بديعة وزوجها وأولادها من موت محقق لو وقعوا بيد الانقلابيين، وبعدها تم نقلهم بأمان إلى خارج العراق من قبل السفارة السعودية، وقد روت الأميرة بديعة هذه القصة في مذكراتها تحت عنوان" شكراً عبد القادر رانية"(٣٩).

الهوامش

(١) مشاهير الكرد:١/١٥٦، جابان الكردي بقلم احمد الخليل، منشور على الإنترنت ضمن عنوان« مشاهير الكرد في التاريخ الإسلامي».

(٢) القرطبي: بهجة المجالس وانس الجالس،١/٢٨٠

(٣) حسن ابراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ٢/١٠-١١

(٤) دائرة المعرف الإسلامية: ١/٤٠٢-٤٠٤، الأعلام: ٣/٣٣٧-٣٣٨، تاريخ الأمم والملوك:٩/٣١٣، تاريخ بخارى

لترشيحي: ٧، البدء والتاريخ:٦/٧٨-٩٥، وفيات الأعيان:١/ ٢٨٠، ميزان الاعتدال:٢/١١٧ظ، تاريخ بغداد:١٠/٢٠٧، الكامل:٥/٧٥، مروج الذهب:٦/١٨٦، أنساب الأشراف:٤/٦٣١، مشاهير الكرد:١٧-١٨، معجم الأدباء:٥/١٢١-١٢٣، وللمزرباني كتاب عنه «أخبار أبي مسلم» في نحو مائة ورقه. وهناك قصة تركية بعنوان «أبو مسلم» في مخطوط بمكتبة فينا، طبعت بالآستانة عام ١٨٨٣م.

(٥) فاروق عمر فوزي: المدخل إلى تاريخ آل البيت منذ فجر الإسلام وحتى مطلع العصر الحديث. جامعة آل البيت، المفرق، ١٩٩٨م.ص ٢٩٠-٢٩٣

(٦) فاروق عمر فوزي:المدخل إلى تاريخ آل البيت، ص٢٨٩-٢٩٠

(٧) أعلام الكرد:٢١٤

(٨) سليمان موسى: معارك الثورة العربية الكبرى: الحرب في الحجاز، عمان، ١٩٨٩، ٢١٠، ٢١٠، عن سيرته انظر: مشاهير الكرد، بغداد، ١٩٤٥، ١/١٦٠

(٩) مير بصري: أعلام الكرد، ٢٢٧

(١٠) مير بصري: أعلام الكرد، ٢١٧

(١١) مير بصري: أعلام الكرد، ٢١٩

(١٢) محمد عدنان البخيت:الوثائق الهاشمية، ١٩٩٦، المجلد٧/ص ٥٧٩

(١٤) جريدة العاصمة الحكومية الرسمية، دمشق، تاريخ ١٨ أيلول ١٩٢٠)

(١٣) ملحق الثورة العربية الكبرى، بيروت، ١٩٦٦

(١٥) جريدة العاصمة، دمشق، عدد٨٥، تاريخ ١٨/١١/ ١٩١٩، الصويركي: شرقي الأردن والعهد الفيصلي، عمان، ١٩٩٢، ص٥٧

(١٦) جريدة العاصمة، دمشق، عدد٨١، تاريخ ١٩١٩/١٢/٤

(١٧) هاني خير: السجل التاريخي المصور، ٢٥، جريدة العاصمة، عدد٢٥، تاريخ ١٩١٩/٢/١٣

(١٨) الصويركي: شرقي الأردن والعهد الفيصلي، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٨

(١٩) سعد أبو دية: التاريخ من خلال الشعر(جريدة القبلة، مكة المكرمة، ٢١ذي القعدة، ١٣٣٩هـ)، قصائد في الثورة العربية الكبرى، ٣٨٢

(٢٠) سليمان موسى: أوراق من دفاتر الأيام، عمان، ٢٠٠٠، ص٦٥

(٢١) عبد الله بن الحسين: الوثائق الهاشمية، ٣/، ٥٨، ١٧٢

(٢٢ المصدر السابق، ٣/١٦، ٦٨، ١٦٩

(٢٣) نفس المصدر، ٣/٢٨٧

(٢٤) نفس المصدر، ٣/٢٩٤

(٢٥) الصويركي: الكرد الأردنيون، ٩٧

(٢٦) سليمان الموسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ٢٢٢، ٢٢٤. محمد خريسات: الأردنيون والقضايا الوطنية، ٨٨.

(٢٧)سليمان الموسى: تاريخ الأردن في القرن العشرين، ١٥٥، نواف السريحين: تاريخ الجيش العربي الأردني، عمان، ١٩٩٠، ص٢٠، ٤٢، ٤٣

(٢٨) الكرد الأردنيون:١٤٧، تيسير ظبيان:العهد الفيصلي، جريدة الرأي، تاريخ١/٣/١٩٧٣

(٢٩) معن أبو نوار: قيام وتطور إمارة شرقي الأردن، عمان، ٢٠٠٠، ص٢٦٨

(٣٠) الأمير جلادت بدرخان، ٨٢

(٣١) الأمير جلادت بدرخان،٥٩-٦٠

(٢٢) مير بصري: اعلام الكرد، ٢٣٢

(٣٣) الأميرة بديعة: مذكرات وريثة العروش، ٢٧٣-٢٧٤

(٣٤) الموسوعة العربية:٢/١٦٦١-١٦٦٢، أعيان القرن الثالث عشر:١١٥-١٢٠، هناك قول شائع بان أصل أسرة محمد علي من أصل الباني، ولكن الخديويون كانوا يعدون في مصر على الدوام أتراكا، لكنهم كانوا بحق في عواطفهم وآمالهم مصريين (دائرة المعارف الإسلامية:٤/٢٣٨) وقد قال الأمير محمد علي أحد أحفاد هذه الأسرة عام ١٩٤٩ لمجلة المصور المصرية إن أصلهم كرد من ديار بكر.

(٣٥) مير بصري: أعلام السياسة في العراق الحديث، ٣٧

(٣٦) هو أبو بكر الملا افندي عمر ابن أبي بكر المعروف بكوجك ملا(الملا الصغير) ابن عثمان، من مواليد اربيل سنة ١٨٦٧، عمل في الإرشاد والتدريس في اربيل، وألف وترجم في الفلك والإسطرلاب، توفي عام ١٩٤٢، انظر ترجمته في: محمد أمين زكي: مشاهير الكرد، ٢/١٢٦-١٢٧، محمد الصويركي: معجم أعلام الكرد

(٣٧) سامي الصقار: طه الهاشمي، جريدة الرأي الأردنية، العدد٩٦٩١، تاريخ ٧/٢/١٩٩٧.

(٩٣٨) فائق الشيخ علي: مذكرات وريثة العروش الأميرة بديعة، لندن، دار الحكمة، ط٣، ٢٠٠٣، ص١٣١-١٣٢

(٣٩) الأميرة بديعة: مذكرات وريثة العروش، ٣١٨-٣٢١



الصفويون والكرد
(٢-٢)

د.فرست مرعي

بدأ الشيخ إسماعيل الصفوي نشاطه العسكري في الولايات الشمالية من دولة الآق قوينلو[1]. وكان لديه أكثر من سبب يدفعه للبدء بهذه الجهات إن حكام هذه الولايات أصبحوا الآن بعيدين عن المراكز الرئيسية لقبيلة الآق قوينلو (الخروف الأبيض) في بغداد وديار بكر، كما أن استقلال (ألوند ميرزا) بهذه الجهات من شأنه أن يطلق له العمل دون أن يواجه ضغطاً فعالاً من قبل الأمراء المنافسين الذين سيسرهم التخلص من أحد منافسيهم[2]. ويجعل المؤرخ والمفسر محمد علي الشوكاني من رغبة الشيخ إسماعيل في الثأر لأبيه وجده الذين قتلا في مدينة شروان علي يد حكامها السبب في البدء بهذه الجهات. فقد استطاع إسماعيل الصفوي أن يغلب خصمه (فرخ يسار) في قرية كلشان في ولاية شماخي الواقعة في منطقة القوقاز ويقتله، وفي رواية أن يأسره، حيث وضعه في قدر كبير وأمر أتباعه بأكله[3]. بعدها استولى على مدينة (باكو) عاصمة جمهورية أذربيجان حالياً. ولما سمع (ألوند ميرزا) بهذه الأخبار اتحد مع سلطان مراد على أمل القضاء على إسماعيل، ولكن الأخير استطاع دحرهما في المعركة التي جرت بينهما في (شرور) قرب نجحوان أوائل سنة ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م وقتل نحو ثمانية آلاف من تركمان قبلية الآق قوينلو، ولاذ ألوند ميرزا بالفرار إلى ديار بكر ومات فيها سنة ٩١٥هـ/ ١٥٠٤م. وبعدها دخل إسماعيل الصفوي مدينة تبريز مظفراً

وأعلن نفسه شاهاً فيها عام ٩٠٧هـ/ ١٥٠١م[٤]. واتخذ من تبريز عاصمة له، وبعد دخوله تبريز أمر بأن تقرأ الخطبة باسم الأئمة الأثني عشرية، وأن تسك على العملة عبارة (لا إله إلا الله، محمد رسول الله، علي ولي الله).

ثم يتبع ذلك ذكر اسم السلطان[٥]. وأقر مذهب الشيعة الاثني عشرية مذهباً رسمياً لدولته، وارتدى علامة هذا الرسم تاجاً من السقرلاط الأحمر (الديباج الأحمر) بعد أن خلع الملابس الخاصة بالتصوف. وبعد هذا النصر جرد الشاه إسماعيل جيوشه على عراق العجم وقاتل مراد بك زعيم الاق قوينلو خلف الوندبك على مقربة من مدينة همدان، والحق به الهزيمة، فلما فر مراد إلى شيراز أتاها الشاه إسماعيل يتعقبه وفي ربيع الأول ٩٠٩هـ/ ١٥٠٣م دخل هذه المدينة، وسقطت نتيجة هذا العمل أسرة الآق قوينلو تماماً في الهضبة الإيرانية، وضمت عراق العجم وأقاليم فارس وكرمان إلى دولة الشاه إسماعيل[٦]. وعلى أثر انسحاب السلطان مراد بن يعقوب إلى العراق تقدمت الجيوش الصفوية فاحتلت مراكز الآق قوينلو داخل الهضبة الإيرانية تباعاً وهي أصفهان وشيراز وهمدان.

التوسع الصفوي في العراق وكردستان

في سنة ١٥٠٦م غادرت القوات الصفوية تبريز واتجهت إلى إقليم كردستان الذي يفصل الهضبة الإيرانية عن إقليم العراق العربي وعن الأناضول، بمحاولة للاستيلاء عليه، لكنها فشلت من النيل منه لوقوف (صارم بن سيف الدين المكري) بوجهها[٧]، لكن ذلك لم يمنع من أن يخضع عدد من أمراء كردستان طوعاً وكرهاً للنفوذ الصفوي[٨].

وفي سنة ١٥٠٨ كان الشاه إسماعيل قد أعد العدة وهاجم مدن مرعش وألبستان إثر تحالف عقده (مراد بك) زعيم الآق قوينلو مع علاء الدولة (ذو القدر)، للحوؤل دون امتدادات الشاه إسماعيل الصفوي والعمل سوية لإنهاء غائلته[٩]. لكن الشاه وضمن اهتماماته الدبلوماسية أوضح للحلف عزمه على القتال، وبالفعل تمكنت قواته من دحر القوات المتحالفة، ولكي يتقي آثاره حفيظة السلطان المملوكي (قانصوه الغوري) في مصر – كون هذه الأمارة تتبع لنفوذ دولته، وحفيظة السلطان العثماني، الذي كان يعتبر هذه الأمارة ضمن مجال نفوذه المتنافس عليه مع دولة المماليك ١٥٠١ – ١٥١٦م مبيناً أن أعماله العسكرية في مرعش وألبستان لم تكن سوى احتياطات أمنية، وكذلك أرسل سفارة أخرى إلى استنبول، كانت مهمتها كتلك التي أرسلها إلى القاهرة[١٠].

بعد هذه الموقعة وفرار كل من مراد بك زعيم الآق قوينلو، وعلاء الدولة زعيم إمارة ذي القدر من وجه القوات الصفوية، فتحت أبواب مدينة ديار بكر، فدخلها الشاه إسماعيل وقواته ثم غادرها بعد أن عين عليها (محمد خان استاجلو) زعيم قبيلة استاجلو التركمانية نائباً عنه في حكمها. ثم أن الشاه أمضى شتاءه في مدينة خوي الكردية[١١]. وفيها أعد العدة لاجتياح ما تبقى من كردستان والعراق آخر معاقل قبيلة الآق قوينلو[١٢].

وقد دشن العهد الصفوي (١٥٠٢ – ١٧٣٦م) بداية جديدة للتاريخ الكردي في إيران تشغل الفواجع والأحداث الدموية معظم صفحاته على حد تعبير المؤرخ الكردي (كمال مظهر احمد)[١٣]، فإن مؤسس الدولة الصفوية إسماعيل الصفوي (١٤٨٧ – ١٥٢٤م) كان يرفض كل- ما هو كردي- بحيث

أنه لم يتحمل حتى أولئك الأمراء من الكرد الذين أتوه إلى بلدة (خوي) لتقديم الولاء له، فأمر بإلقاء القبض عليهم جميعاً، وعين مكانهم ولاة من أتباعه القزلباش[14]، وفي تعليق له على تلك الحقبة يقول المؤرخ الكردي المعروف محمد أمين زكي ما نصه: ((وكان عهد الشاه إسماعيل وسيره في الكرد، مثل عهد تركمان الآق قوينلية عهد ظلم وعدوان شديدين، لأن الكرد كانوا من أهل السنة فكان لا يأمن جانبهم ولا يثق بهم، بخلاف التركمان الذين كانوا من غلاة الشيعة والرافضة فلهذا لم يكن يدع فرصة تمر من غير أن ينتهزها ويلحق فيها بالأكراد أذى كبيراً. فمن ذلك أنه قدم مرة إلى بلدة خوي فتقدم إليه أحد عشر أميراً من أمراء الكرد مقدمين له الطاعة والخضوع، فما كان منه إلا أن ألقى القبض جميعاً – على خلاف ما كانوا يأملون منه – وزجهم في السجن وعين بدلهم ولاة القزلباشية في إماراتهم الموروثة. فكان من ضمن هؤلاء الأمراء المنكوبين (الملك خليل) حاكم (حصن كيف)[15] وزوج أخت الشاه إسماعيل نفسه، حيث لبث في سجن تبريز ثلاثة أعوام كاملة، إلى أن نجا منه على أثر انكسار الشاه أمام السلطان سليم العثماني في معركة جالديران الشهيرة في ٢٣ آب ١٥١٤م))[16].

ومن جانب آخر فأن الدولة العثمانية عرفت كيف تستغل الصراعات التي جرت بين الأمراء الكرد والدولة الصفوية، حيث وقفت إلى جانب الكرد في صراعهم المصيري ضد الصفويين وتجاوزاتهم. لذلك سرعان ما ثارت كردستان ضد الحكم الصفوي في كافة أنحاء كردستان الشرقية الوسطى، حيث تمكن الثوار الكرد من طرد الحكام الصفويين الموالين للشاه إسماعيل، وعندما حاول الأخير إستعادة ما فقده من المناطق الكردية، جوبه بمقاومة شديدة أينما حل، مما كلف الكرد خسائر جسيمة، فأن حصار قوات الشاه إسماعيل لمدينة ديار بكر الذي دام أكثر من عام واحد، أودى بحياة حوالي ١٥ ألف من سكانها[17].

واستمرت هذه المجازر طيلة العهد الصفوي، فعندما زحف الشاه طهماسب (١٥٢٤ – ١٥٧٦م) سنة ١٤٥٤م على كردستان فأنه ((لم يترك في الطريق الذي سلكه عامراً إلا دمره)). وأعادت جيوشه الكرة مرة ثانية على كردستان في سنة ١٤٥٥م لتدمر من المدن الكردية: بدليس، أرجيش، موش، وأخلاط، وغيرها ((تدميراً كاملاً، وتقتل من أهاليها مقتلة عظيمة)) (١٨)، ليكمل رئيس حرسه (أمير سلطان روملو) أحد قادة القزلباش من بعده عمله ((كان أفظع وجه، وأشنع صورة)) فقد ارتكبت القوات الصفوية ((من الأعمال الوحشية وضروب القسوة والفظاعة، ما أنسى الناس هول الأعمال البربرية التي اجترحها في هذه البلاد كل من هولاكو وتيمورلنك)). وفي يوم واحد قتل رجال الشاه طهماسب ٤٠٠ من أبناء عشيرة دنبلي الكردية، ونفذوا حكم الموت بكل دنبلي كان يعمل في بلاط الشاه، مما أجبر من تبقى على قيد الحياة من الكرد الدنبليين على اللجوء إلى داخل الأراضي العثمانية[19].

وعندما اجتاحت الاضطرابات الدولة الصفوية أيام حكم الشاه إسماعيل الثاني (١٥٧٦ – ١٥٧٧) والسلطان محمد خدابنده (١٥٧٧ – ١٥٨٧م)، واستطاعت الدولة العثمانية احتلال أجزاء كبيرة من أذربيجان، أعلن الكرد تعاطفهم مع العثمانيين رفقاء المذهب السني، وعندما تولى الشاه عباس الكبير (١٦٨٧ – ١٦٢٩م) الحكم استطاع طرد

العثمانيين من أذربيجان، صمم على الانتقام من هؤلاء الكرد السنيين وتشريدهم متى سنحت الفرصة لذلك فقد توجه بنفسه على رأس جيش كبير إلى مدينة خوي، ومن هناك زحف على منازل عشيرة محمودي الكردية التي دافع رئيسها مصطفى بك عن قلعة ماكو وبسك ببسالة[٢٠]، ولكن الجيش الصفوي ((عاث في تلك البلاد فساداً، وغالى في النهب والسلب والتدمير، وقتل من الأهالي مقتلة عظيمة))، نقل منهم بصفة آلاف من النساء والأطفال الذين عوملوا معاملة الأسرى الى منطقة خراسان الشرقية، كما يقر مؤرخ الشاه عباس الشهير (إسكندر منشي)[٢١].

وقد حاول الكرد من أبناء عشيرة مكري الضارية استعطاف الشاه عباس بعد أن أمنهم على حياتهم، وتقدم زعيمهم قباد خان ومعه مائة وخمسون فارسا إلى الشاه عباس الموجود في مدينة مراغة في ذلك الوقت، ذلك لأظهار خضوعهم وتقديم فروض الطاعة للشاه، ولكن ما أن وصلوا إلى بلاطه حتى فتك بهم جميعاً[٢٢].

ولم يكتف الشاه عباس بالتنكيل بهم في ديارهم، وإنما أقدم على إتخاذ خطوة أشد وأقسى، وهي تهجير عدد كبير منهم إلى مناطق أخرى بعيدة عن ديارهم بآلاف الكيلومترات ليفقدوا الحماس للأرض التي يعيشون عليها، فتخبوا نار ثورتهم، ويعيشون في ذلك الغربة والاستكانة، فقد أمر بنقل خمسة عشر ألف أسرة كردية، ومعهم كل أمتعتهم ووسائل معيشتهم وقطعان ماشيتهم إلى شرق خراسان، ليكونوا فاصلاً بشرياً بين الإيرانيين وبين الأوزبك فيما وراء النهر[٢٣]، ولعله أراد بهذا الإجراء أن يجعل من هؤلاء الكرد السنيين أول من يتلقون ضربات الأوزبك السنيين، وبهذا يتخلص من كليهما معاً. ولم يكتف الشاه عباس بما فعله معهم حتى الآن بل فرض عليهم ضرائب باهظة، ووضعهم تحت رقابة صارمة، وحكم حديدي، كي لا يتيح لهم أي فرصة للخروج عليه ومعاودة الثورة ضده. فقد كانت قوات القزلباش الصفوية قد هاجمت سنة ١٦٠٨م على الأكراد البرادوستيين مستهدفة قلعتهم الحصينة (قلعة دمدم) الواقعة جنوب مدينة أورمية، إنطلاقاً من التعصب المذهبي المقيت على حد تعبير المؤرخ الكردي (حسن الجاف)[٢٤]، وقد تصدى الثوار الكرد للجيوش الصفوية وجرت أثر ذلك معارك طاحنة دافع فيها الكرد عن ديارهم وقلاعهم دفاع الأبطال المستميتين، أصابوا خلالها الجيش الصفوي بخسائر باهضة، وكان لزعيمهم (أمير خان يكدست) القدح المعلى في هذا المضمار، ولم يترك الكرد القلعة لهؤلاء الاعجام إلا بعد أن أبيدوا عن بكرة أبيهم إبادة تامة، لتتحول هذه المأساة إلى ملحمة بطولية أشاد بها المستشرقون وتغنى بها الأدباء والشعراء[٢٥]، ولا زالت تسري في التراث والوجدان الكردي سريان النار في الهشيم، ومما له مغزاه أن المناطق الخاضعة للنفوذ الصفوي شهدت في الحقبة ذاتها سلسلة من الانتفاضات الشعبية لتلك التي وقعت في كردستان من حيث الدوافع والوقائع، منها: انتفاضة طالش عام ١٥٩٣م، وانتفاضة عربستان عام ١٥٩٦م، وانتفاضة جورجيا الشرقية عام ١٦٢٣ – ١٦٢٤م، وفي انتفاضة أذربيجان بقيادة كوراوغلو عام ١٦١٠ – ١٦٣٠[٢٦].

وبهذا يتبين لنا بان الكرد قد تعرضوا الى عمليات ابادة جماعية وتهجير قسري طيلة العصر الصفوي على يد معظم سلاطينهم لا لسبب الا للتعصب الطائفي البغيض المقيت على حد

تعبير المؤرخين الكرد الرواد من امثال: شرفخان البدليسي،ومحمد امين زكي، ومن المعاصرين: كمال مظهر احمد، وشكور مصطفى ونوشروان مصطفى وغيرهم. لذلك فان تقديم بحوث ودراسات عن شرق كردستان (كردستان الايرانية) من شأنه ان يكشف النقاب ويميط اللثام عن المعانات اليومية والعذابات المجحفة بحق الكرد البائسين الذين لايزالون يتعرضون الى اضطهاد عرقي وتعصب طائفي مقيت الى وقت كتابة هذه الاسطر، رغم تبجح بعض الزعمات السياسية والفكرية الكردية خارج ايران! الى ان الكرد في ايران يعيشون في وضع جيد، ناسين حملات الاعتقال والنفي والهجرة، وقصف كردستان العراق على مدار السنة وهذا ربما يعود الى علاقاتهم الخاصة مع قادة الجمهورية الاسلامية الايرانية!

المصادر والمراجع والهوامش

١- تمثلت السيطرة التركمانية على العراق وكردستان في قيام دولتي القرة قوينلو (الخروف الأسود) والآق قوينلو (الخروف الأبيض)، وهما قبليتان تركمانيتان، حكمت الأولى العراق وكردستان وأجزاء من إيران والأناضول من ١٤١٠ – ١٤٦٨م، وحكمت الثانية من ١٤٦٨ – ١٥٠٨م.

٢- عماد الجواهري: صراع القوى السياسية في المشرق العربي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي – جامعة القادسية، ١٩٩٠، ص ٥٣.

٣- محمد علي الشوكاني: البدر الطالع في محاسن ما بعد القرن السابع، (القاهرة ١٣٤٨هـ) ج١ ص ٢٧٠؛ وفي رواية أخرى أن شروان شاه قاتل أبيه وجده جيء به أسيراً، فأمر أن يضعوه في قدر كبير ويطبخوه ويأكلوه، ففعلوا كما أمر وأكلوه، وكان ذلك أول فتوحاته. ينظر: ريجارد كوك: بغداد مدينة السلام، نقله إلى العربية وقدم له وعلق عليه فؤاد جميل ومصطفى جواد، (مطبعة شفيق، بغداد، الطبعة الأولى ١٩٦٢)، ص ٣١٢ هامش ٢٠.

٤- عباس اقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام، نقله عن الفارسية وقدم له وعلق عليه محمد علاء الدين منصور، دار الثقافة القاهرة ١٤١٠ – ١٩٩٠م، ص ٦٤١.

٥- بديع جمعة: الشاه عباس الكير، دار النهضة العربية – بيروت، ١٩٩٠، ص ١٠.

٦- عباس اقبال: المرجع السابق، ص ٦٤١ – ٦٤٢.

٧- شرف خان البدليسي: شرفنامه، ترجمة محمد علي عوني، مراجعة يحيى الخشاب، ج١، ص ٢٨.

٨- المصدر نفسه، ج١، ص ٩٨، ١٠٤، ١٢١.

٩- مرتضى أفندي نظمي زاده: كلشن خلفا، ترجمة: موسى كاظم نورس، النجف ١٩٧١، ص ١٢٨.

١٠- عباس إسماعيل صباغ: تاريخ العلاقات العثمانية الإيرانية، دار النفائس – بيروت، الطبعة الأولى ١٤٢٠ – ١٩٩٩، ص ٤٦ – ٤٧.

١١- نظام الدين مجير شيباني: تشكيل شاهنشاهي صفوية وأحياء وحدت ملي، تهران ١٣٤٦ هـ. ش، ص ١٠٨.

١٢- عباس صباغ: المرجع السابق، ص ٤٧، نقلاً عن فريدون بك: منشآت السلاطين، استبنول ١٢٧٥هـ. ٣٤٥.

١٣- دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، الأمانة العامة للثقافة والشباب، بغداد ١٩٨٥، ص ٢٢٩.

١٤- رشيد ياسمي: كرد و بيوستكي نژادى وتاريخي أو، تهران ص ٢٠٣.

١٥- حصن كيف: هي مدينة حسن كيفا الواقعة على الضفة اليمنى لنهر دجلة في الجزء الأوسط من كردستان تركيا، وهي مدينة تاريخية كانت عاصمة لأحدى الأمارات الأيوبية الكردية.

١٦- خلاصة تاريخ كرد كردستان من أقدم العصور التاريخية حتى الآن، ترجمة: محمد علي عوني، الجمعية الكردية اللبنانية – بيروت، الطبعة الثانية، ٢٠٠٢م، ص ١٦٠ – ١٦١.

١٧- كمال مظهر: دراسات في تاريخ إيران الحديث والمعاصر، ٢٣٠.

١٨- حسن الجاف: الوجيز في تاريخ إيران- دراسة في التاريخ السياسي، دار ئاراس، أربيل، الطبعة الثانية ٢٠٠٨م، ج٣، ص ؛ محمد أمين زكي: خلاصة تاريخية، ص ١٧٤.

١٩- كمال مظهر: المرجع السابق، ص ٢٣٠.

٢٠- بديع محمد جمعة: الشاه عباس الكبير، ص ٩٢ – ٩٣ نقلاً عن ملحقات تاريخ روضة الصفا، ج٨ ص ٣٧٢ – ٣٧٣.

٢١- إسكندر بك تركمان نشئ (١٥٦٠ أو ١٥٦١ – ١٦٢٤م) مؤرخ الشاه عباس الأول، ومؤلف الكتاب الشهير (تاريخ عالم آرای عباسي) باللغة الفارسية. للكتاب أهمية تاريخية كبيرة لأن صاحبه كان شاهد عيان لمعظم الوقائع التي دونها، فقد رافق الشاه في غزواته وترحاله. سجل معظم أحداث كردستان في عهد الشاه عباس بأسلوب غير ودي. ينظر كمال مظهر: المرجع السابق، ص ٢٣١، هامش ١٥.

٢٢- محمد أمين زكي: خلاصة تاريخية، ص ١٨٢، كما أن مصطلح (قتلوعام) ظهر في هذه الحقبة وبقي مدلوه ليشير في العصر الحديث إلى ما يسمى بالإبادة الجماعية (الجينوسايد)، أي ان الكرد تعرضوا الى الجينوسايد في القرنين السادس عشر والسابع عشر على يد السلاطين الصفويين.

٢٣- محمد أمين زكي: المرجع السابق، ص ١٨٦.

٢٤- الوجيز في تاريخ إيران، ج٢، ص ٤١.

٢٥- ينظر بهذا الصدد: شهداء قلعة دمدم لمصطفى صالح كريم ؛ جاسم جليل: بطولة الكرد في ملحمة قلعة دمدم، ترجمة شكور مصطفى، تقديم ومراجعة عز الدين مصطفى رسول.

٢٦- كمال مظهر: المرجع السابق، ص ٢٣١، ومما تجدر الإشارة ان الباحث الإيراني ناصر محسني يعتقد بأن الصفويين استعلموا سياسة الخشونة والقمع مع الأكراد مما أدى إلى ظهور ثورات وانتفاضات كردية ضد النظام الصفوي، ينظر: جغرافياى طبيعي واقتصادي وتاريخي وسياسي كردستان، تهران ١٣٢٧ خورشيدي، ص ٢٢ – ٢٤.



أكتب الشعر بروح القرن الحادي والعشرين

«شێركۆ بێكەس»

ياسين النصير



في كل مرة يكتب شـيركو بيكەس قصيدة ما، يلجـأ الى الوقائـع، الى تلك الحفريـات المدونة في بطون الأزمنة والأحداث والشـخصيات والذكريات والتواريـخ وروائـح الأمكنة، ليخمرهـا في بوتقة خياله المادي الشـعري المعتمد على رؤى شـعبية يوميـة نابضة بالأحاسـيس. والشـاعر لايختلق هـذه الحكايات عـن الوقائـع، ولايفتعلها، بل هي جزء من مكونـات الأماكن المشـبعة بمثيولوجيا القرية/ المدينـة الكردسـتانية، وتعجب بالرغم من رومانسـيته الثورية انه لم يتخل عن خياله المادي للأشـياء، هذا الخيال الـذي يحول قرية أو جبلا أو سـاقية او منعطفا أو بارا الى لغة شعرية محببة ومنسـابة، فتدخل القصيدة وهي مسلحة بأرثها المكاني الى تلك الصبوات الصغيرة، وجلسات البار والمقهى، وقراءة المدونات والكتب، واسـتذكار الأشـعار، واسـتعادة نغمات صوت الأم والسـجين والطفل، رومانسية تتحسس الرؤى المتداخلة بين غبـض المدينة وليل القرية. هذا الكون الشـعري الذي يصنعه الشـاعر من أشـياء واقعـه اليومي يجعـل من عالمـه مرويا بعشـرات الحكايات التي تغني مسـار القصيدة وتعمـق جريانها، من هنا تبدو القصيدة مكانا مشـتركا بين من عاشوا فيه ومن يحتلون مقامته الآن، فالشعرية عند شێركۆ حركة محسوسة في الأشياء المخمرة بالزمن.

ضمـن مسـار القصيـدة المكانية يصبـح المكان مثوى وحاضنة لتخصيب الذكريات، وهو ما يشـكل

فضاء شعريا حرا لممارسة تعتمد الذاكرة في حوارها مع الأشياء، فتختلط في سفر الروائح مدن وقرى كردستان بمدن وابرات ومقاهي اوربا، الوقائع في أمكنة القرية بالوقائع في أمكنة المدينة، حتى لتحسب أنه بصدد خلق مدينته الشعرية الخاصة، فالشعرية المكانية ليست تأريخا ولا وثيقة ولا مدونة يمكن استعادتها، بل هي طاقة وشحنة خيالية تنهل صورها من الاستذكارات والطقوس والاقتباس والاشارات والجغرافيا، فيعيد الشاعر بها تشكيل اللحظة الشعرية، ولهذا تجد الأمكنة نفسها في قصائد اخرى ولكنها مختلفة لأن اللحظة التي استحضرت بها مختلفة ايضا، من هنا تصبح قصيدة المكان ابنة الأحداث المتجذرة في احشاء المدينة/ القرية، فلا تجد فرقا في مستوى بناء الصورة بين مقاطع يستدعي بها امكنته القروية القديمة، ومقاطع يعيشها في المدينة الاوزبية، فهدف شيركو هو ان يبني قصيدة مكانية متسعة على اعتاب المدينة الحلم، المدينة الرائحة المدينة التي «يجتمع في احشائها الرحم والقبر». لذلك يكون كل شيء لديه مباحا، وكل شيء يمكن أن يتحول الى رائحة، او فراشة، او انشودة، او جبل، أو شارع أو قلادة. «فسفر الروائح هو سفر التجارب»، التي تجتمع في سلتها شحنات مختلفة، وتجمع في أسلوبها: السرد والصورة والسينما والدراما.

للحديث عن الشاعر الكبير شيركو بيكه س عليك ان تقرأه في تجربته كلها التي تمتد على خمسين عاما من النشر والكتابة والتجوال والبيشمركة والحروب والعلانية والاختفاء، تجربة الشاعر والشعر العراقيين اللذين واجها العسف والاضطهاد والغربة والتشريد، وعليك بعد ذلك ان تقرأ طبيعة كردستان الجبلية والسهلية وتراثها وعمقها المثيولوجي والشعبي وحكاياتها ونسق حياتها اليومية



ومعيشتها وطرائق الاتصال والعمران، فهي خزين من موروث ثقافي قل نظيره في المنطقة كلها، خاصة اذ ارتبط هذا المورث بقضية وطنية وتوفر عليه كتاب مجيدون يواصلون يومهم بأمسهم، هذه المسيرة المتشابكة المتخللة بالنضال والموروث تفرز على المدى البعيد سياقا ثقافيا جديدا مختلفا عن السياقات التي تفرزها مدن الريف الجنوبية، ومدن البادية الغربية، ولذلك تجد خصوصية أدب هذه المناطق يحمل شيئا من بيئاتها وسجايا قومها والطريقة التي يفكرون بها، وعليك بعد ذلك أن تقرأ الأدب الكردي خاصة في نماذجه المتألقة في الرواية والقصة والمسرحية والتشكيل والسينما والفوتوغراف، فتجد أن هذا الأدب ينتقل ويهجع مرة تجده متألقا في مدن العالم ومرة تجده متألقا في مدن كردستان، وهو مابين الموقعين يهدم ويبني نفسه، انه وهو يتجدد يزيح القديم وينفتح على الجديد، ولذلك تجد لغته فيها من العالمية شيء وفيها من المحلية ومحيط بلدان الجوار -تركيا وايران- اشياء، وفيها من الموروث العراقي القديم المشترك الشيء الكثير. لذلك وأنت تعيد ترتيب قراءة هذا البيت المتعدد الغرف، عليك ان تقف على هذه الأرضية كلها دون أن تكتفي بشاعر واحد، او روائي واحد او مهرجان

واحــد. فالتجربــة بأبعادهــا وخصائصهــا ونموها وارتكاســها وكيف تبني بيتهــا وكيف تهدمه، مهمة وجديدة ومتشعبة وغاية من الاحتمالات. وتأمل أن يقول لك أدباء الكرد قصائدهم بلغة تقرأها.

٢

عندما يفكر شــيركو بكتابــة القصيدة يخرج بذاكرته فجرا الى شارع في مدينة كردستانية:

ذات صباح، انجبس الحب عند الغبش،
ونمت من اشعة الشمس رائحة العشق.

بعد برهة وهو يتأمل صمت الشارع في الفجر، تبدأ الأشياء بالحركة، رجل يفتح دكانته الفقيرة، او فران فرش اخبازه على قطعة قماش، او حمال خرج على باب الله، او عاشق عاد من بيت حبيبته قبل أن ينهض عسس الحب. هذه المدينة/ القرية التي تتحرك ببطء، تســحب خلفها اثقال السنين وحكاياتها، ليس بســبب الليل الكليل الجاثم عليها كالســلطة، وانها لان الفجر لــم يوقظ الثوار بعد، والشــعر فعل مكاني لا يولــد الا في ضجيج الذات والاشــياء، و.. هناك، وسط هذا الشــارع الناهض يستهل شيركو قصيدة سفر الروائح:

«الريح» تهب متعرجة،
وتعود القهقرى من القطب
لتصل الى زقاق لغتي الاول،
تنحني امام عتبة أحد أبواب الاربعينات
فتشــم عبــق طفولتــي، وتستنشــق زهــرة احلامي.
امتزجت رائحة طفولتي باكرا،
كرائحة جدي،
او عشبة،
او كأريج حبة لوز،
مع رائحة بكاء امي،
ورائحة الرثاء الطري
ورائحة الرثاء الطري
ورائحة جص غرفة مقرورة
الليل كانت له رائحة خوف شتوي،
رطوبة الوحدة ومساء الفقر
احتلطت باكرا مع رائحة البؤس الحادة،
ورائحة اللحاف البالي الرطب،
واحلام حياتي المبعثرة.
......

قد لاتكون الترجمة لاستهلال القصيدة دقيقة، ولكنهــا كانت كافية لتدخلنا في جو «الرياح» فأنا اتلمس توقفات اسلوبية تمنع من انسيابية بعض الصــور وتداخلها، فالجملة الاســتهلالية تنســاب كالريــح فتدخــل كل منعطــف «وزقــاق اللغــة القديمة» لتقطف منه حكاية او حادثة، لذا ليس من توقفات اســلوبية تمنــع جريانها، وليس من وضــوح كامل تقدمه ايضا، فالجملة الاســتهلالية القويــة لاتمنــح القــاريء ايــة نتائج مباشــرة ولنتأمل صــورة الرثاء الطــري، فنجدها انزياحا شــعريا عندما يقترن الرثاء بالطراوة، بمعنى ان مــزج الرائحة بــكل هذا الجمع القــروي هو نوع من الطراوة الفكرية، حيث ســيولد المزج ســيولة يســتحضر فيها كل مرائي القرية والمدينة، يخرج الاســتهلال دائما على الفاظه المحــددة، يخرج الى تلــك البنى العميقة المبهمة في النفس وفي المجتمع، ولاي يكتمــل معنــاه إلا بعد الانتهــاء من كتابة/ قراءة القصيدة، هكذا مزج الشــاعر بكلمات قليلة بين فعل كونــي «الرياح» وبــين روائح طفولته وهي تتكون من رائحة جدي وعشــبة وحبة لوز ورثاء وجص الغرفة والليل الشتوي ورائحة اللحاف

الرطب، واحلام الحياة المبعثرة.

فالرائحة التي تعنـــون بها القصيدة مصحوبة بـ «الســفر» والســفر طراوة مكانية، ومن هنا لا رائحة متوقفة او مقطوعة عن اخرى، كل الروائح مستحضرة بالســفر، وهذا ما أراده الشاعر عندما مزج رائحتـــه برائحة جدي –اســاس الخصوبة- وبرائحة العشــبة- اســاس الولادة- وبرائحة حبة اللوز- اســاس الخضــرة والمــذاق- وبرائحة الام- اســاس الرحم/ الارض- وبرائحـــة الرثاء الطري- اســاس المدونة والذكريــات- الروائح» الذي حمل بجملته المبتدأ ابهاما وغموضا عميقين، فســماها «الرياح» ووضعها بين قوسين، بالرغم من بساطة صورهـــا مجدها تحفر مجــرى في الذاكرة والمكان، فالاســتهلال الناجح يبدأ غامضـــا طريا، لينتهي نهاية صلبة، هكذا بنت الملاحم والروايات بيوتها.

بعد استهلال هبوب «الرياح» التي ستكنس ما تراكم على المكان من افعال ومن مر، تبدأ القصيدة بالســعة فنجد مفردة الهبوب تظهر بصور مبهمة اخرى، لاتقــل قوة عن صورة الريـــاح التي تهب، فتتـــوالى الروائح. كل هذه المفردات تشــكل مبتدأ مبهمـــا لســفر الروائح الغامــض، والتي حملت في احشــائها اشــكالية الترابط والتنافر بين مفردات الرائحة التي لاتكون كلها من التجربة فقسم منها من الذاكرة وقســم منها من الامكنة وقسم ثالث ثقافي كل ذكل لتؤلف صورة كونية كبيرة لقصيدة مادتهـــا القرية/ المدينـــة، وحكايتها منفتحة على كردســـتان واوربا، اما شكلها فهو تيار من اللاوعي يجمع بين الشــعر والسرد، بين بيت ومقهى وبار، بين شـــارع وقصبة، بين غابـــة ونهد، بين ثنيات ستارة، وهفهة ثوب، بين لغة شابة متوسلة، وغناء سجين ونداء وطن.

٣

تقرأ قصيدة شــيركو بيكه س «سفر الروائح» كما لو انك تبدأ فجرا جولة في غابة غانضة تحيط بالمدينة/ القرية، وليس فيها الا اشياءها القديمة، اشــياء تعودت ان تبــدأ بها حركتك مـــع الفجر، يأتي الشــاعر بـأدواته الكتابيـــة ويجلس في المكان البؤرة من هذه الغابة/ المدينة ليستقبل بكاميرته الريـــح التي تهب، مدينة كرديـــة تنهض للتو من نعاســـها القروي، ترصد الكامـــيرا احياء مجهرية بـــدأت للتو تبحث عن جذورها في الشـــوارع، تبدو المدينـــة/ القريـــة وكأنها بانتظار مزمار الشـــاعر كي ينهـــض افاعيها وحكاياتهـــا النائمة ليخرجها من ســـقط الحواة راقصة مترنمة بأحاديث مزمار الشـــاعر، مدينة لم تســـتطع مدن العالم ان تمحو صورها القديمة او تستبدلها بصور حداثة السوق. يفتح الشـــاعر حواســـه كلها فيشـــم رائحة الشاي المتصاعـــدة من نافذة المقهـــى القريب، يلمح بائعا للخضـــار يضع للتـــو حاجاته امام الـــدكان، وعلى مقربـــة منه ثمة خبـــاز فتح للتـــو مخبزه. بعد لحظات تنفتح الغابة/ المدينة/ القرية على احياء اخرى: مه‌لکه‌ندی، مسجد حاجي حان، گلەزەردە، تووی مەلیك، گەرمیان، هەڵگورد، جزیرە، بۆتان، مەرگەوەڕ، بحيرة وان، زەنكەنە، وەیس، شوان، نبع العشاق، بســـتان مير، شەقلاوە، سنندج، هەڵەدنو مێرگەپان، هەورامان، ســـەرجنار، بۆتان، حديقة پاشا، وێڵەدخر، قەڵادزە، الحوض اليابس، تول بان، قەشـــقۆڵی، كل هذه الامكنة تأتي الساعة لتحتل اجزاء ن ذاكرة الروائح، بعد هنيهة يتطلع فيمرآة شـــارع المدينة، القرية الصباحي فيرى: الشـــعراء، والأنبيـــاء، والثـــوار والعشـــاق، گۆران، زرادشـــت،

امين زەكى بەگ، قانع، نالي، وەلى ديْوانه، شـــەم، مەحوى، ادريس البدليسي، بيْشكى، وغيرهم، ثم يصوب مرآتـــه باتجاه دكان بائـــع الازهار فيجد: ورود نـــوروز جميعهـــا، ثم يصـــوب كاميرته على المقهى فيسمع غناء كرديا بالوانه العذبة ومقاماته العريقة، ثم يســـير باتجاه مخبـــز المدينة الصغير مصطحبا مترجم الديوان آزاد البرزنجي ليجلســـا على عتبة المقهى مرتشـــفين قدحين من الشـــاي، او بيدهما ســـيكارة لم تطفأ، لينشـــد معا اشـــعار نالي و گۆران و بيْكەس، ثم تبدأ اشـــعة الشـــمس بتبديد ضوء الفجر، فتطفأ اضوية الشارع الليلي، تأتي عربة محملة بميراث الكرد المهاجرين والكرد الناجـــين من مجزرة حلبجة، ثـــم اخرى واخرى تتبعها عربات الزمن الكردي الملونة كأزياء نسائهم واحزانهم، ينزل منها اشـــخاص وهم بلباس النوم ليشـــتروا الخبز من الفرن الذي فتح للتو، ثم ترى نساء ملفعات بعباءات سود سود يأتين للخباز والمحل لشـــراء البيض والقيمر والخضار، ويودعن الشاعر التفاتة او غمزة عين اربيلية، وعلى مقربة صوت بائع صغير ينـــادي على بضاعته بعد هنيئة ترى الصبية وعلى ظهورهم حقائبهم الصغيرة زاحفين باتجاه مدارســـهم بصحبة آبائهـــم او بدونهم، ثم تبدأ حركة الشارع بالاكتضاض والصخب والصور، يأتي الحمالون والموظفون راكبين ومشـــاة ليحتلوا نهر الشـــارع والمقهى فتغيب صورة المدينة الليلية الصامتـــة في زحمـــة العمل الصباحـــي مع جلبة الحركة الآتية عبر المتغييرات الاقتصادية، انه يوم المدينـــة الناهضة على ركام القريـــة القديمة، اما الشاعر فيتجول في حقولها، ممسكا معوله الكتابي ليهـــدم ثـــم يبني، ويبنـــي كي يهـــدم، انه جوال معرفة القصيدة الجديدة. ووســـط هذه الفوضى اليومية للمدينة/ القصيدة تنهمر عربات النقل/ اللغة على نهر الشارع/ القصيدة، -الشارع هو شعر المدينة كما يقول بودلير- ويضج الشارع بالأصوات والحركة، وتتنافس العربة والمشاة على السير، فكل مافي المدينة/ القرية قد اســـتيقظ، لتبدأ القصيدة تكتب نفسها..

كلما دخل بارا او مقهى، او عاشر امرأة، في اوربا نهضـــت تلك المدينة/ القرية الكردية من غفوتها، كاي طفلة غيورة لتجلس في حضن القصيدة لتتلو نشـــيدها، الشـــاعر مســـجون في حكايات مدينته/ القرويـــة حتى لو حلق في مدن العالم وشـــوارعها وباراتهـــا ونســـائها، القصيـــدة المكانية شـــارع في كويســـنجق، ومنذنة في حلبجـــة، وقمة في جبل، وترنيمة على لسان شاعر متسول المعرفة.

هذه هـــي طريقة الادباء الكبـــار، غوغل وهو يكتب قصصه عن «النيفسكي» كما يصف ويقول مارشـــال بيرمان، وجيمس جويس وهو يكتب عن «دبلـــن» وديكنز وهو يكتب عـــن «لندن» وكولن ولسن وهو يكتب عن «حي سوهر» ودستويفسكي وهـــو يكتب عن «بيت الأمـــوات» وهرمان ملفيل وهـــو يكتب عن «البحر»، هي طريقة حداثة أدب القرن العشـــرين الذي شـــكلت علاماته تجديدا في الفكر معمقا حداثة الفلســـفة والعلـــوم والعمران وبناء الانسان. شيْركۆ بيْكەس يستعير هذه الطرق كلها، ليكتب قصيدة القرن الحادي والعشرين على نغمـــة مغايرة لحداثة القرن العشـــرين، مصدرها حياة الناس الذين أسســـوا الشـــارع الكردي وبنوا عتباته واسواره وحكاياته وغاباته وناسه وأحزانه، وزرعوا عشبته وأحلام الأم ورائحة الشروق. يأتي شـــيْركۆ ليعيد هؤلاء الناس للحياة ثانية ويمدهم بوجود مطلق للعيش في اللغة الشـــعرية الحديثة،

وفي خضم هذا البناء الهرمي المركب نجده يمركز ذاته في كل منعطف ومكان من الشارع الكردي ومن المدينـــة الغربية، فلا تفوته نأمـــة ولا نغمة، هي هجرة من أجل الجميع في بوتقة الهجرة والترحال نهـار المدينة الكردية بليل المدينـــة الاوربية، ثم بعـــد لحظات لينثر علينا تاريـــخ الامكنة كالمطر الخفيف مكونا بانوراما شعرية تختلط فيها روائح الحكايـــات بروائح الامكنـــة، الذكريـــات بالصور الحديثـــة، الرجـــال بالنســـاء، الحكايـــة القديمة بالحكاية الجديدة، النضار بالسجن، الهجرة بالبكاء، الرحيـــل بالاســـتقرار، في هذا النشـــيد الجماعي الصاخب يكتب شيركو سفر الروائح. ولك ان تقرأ قصائـــده الاخرى لتجدها فروعا في تجربة طويلة وتداخـــلا بين مصائر وحواضر، ولغة بكر يجتمع فيها زقـــاق المدينة بحقل القرية، حكواتي القرية القديم بشاعر الربابة الحديث.

٤

يشـــير المقتبس الذي افتتحنا به المقالة «اكتب الشـــعر بروح القرن الحادي والعشرين» الى مسألة الحداثـــة بفروعها واشـــكاليتها، فحداثـــة القرن الحادي والعشرين خليط من العلم والروح، خليط من الثبـــات والتجريب، خليط مـــن الاقتصاديات الحـــرة والأفـــكار المقيـــدة، خليـــط مـــن الذكورة والأنوثة الضمرة في كليهما، خليط من الميثولوجي والواقعي، خليط من الـ هنا والـ هناك، خليط من اللبرالية والاشتراكية، لذلك فمثل هذه الحداثة أن اســـتقرت على شـــيء من التجريب ستولد شعرية جديدة.

قد يبـــدو المقتبس اســـتفزازيا لروح الشـــعر التقليدي، لكنه يدلل على ان الشاعر يمر بتجربة التحول من القصيدة المقطعية الصغيرة الى القصيدة الملحمية الطويلة، فروح القرن الحادي والعشـــرين روح قلق، وثوري بأشـــكال مختلفة، وتجريب حد أن تختلط فيه القوميات والأديان والشـــعوب، فلا تجد فواصل بين ثقافـــات واخرى، بين رائحة لأم ورائحة لحبيبة، فالحداثة الأكثر حضورا هي التي لاتؤمـــن بأية مرجعية او إتكاء، والشـــعر الحديث يتبع رؤى الحداثـــة في هذا القرن بطريقة تثوير الأمكنة والكشف عن شـــحناتها. ما يهمني هنا هو الـــروح التي يجدد شـــێركۆ اســـتعمالها، فهي روح ورائحة حكاية ونبع ماء، ترى كم هي الرياح حية عـــبر القصيدة؟ ومـــن هنا أجد ان قصيدة ســـفر الروائح واحدة من حكايات الف ليلة وليلة تحكي عن القضيـــة الكردية عبر منعطافتهـــا وأمكنتها وشـــحناتها حكاية جديدة تعود بنا لتلك الجذور العالمية، هذا اللون من البناء الشعري لاتجده سرديا ولا حكائيا ولا رســـما بالصور، انه الرائحة التي لا تتوقف من الانتشار، ولذلك تستطيل القصيدة عند شـــێركۆ ولا تقف، فهي مجرى من ثلاثة مسارب: مســـرب ما مضوي هو المخـــزن والذاكرة والأفعال، ومسرب فكري حديث يجدد وقائع مرت، ومسرب القصيدة نفســـها وهي تســـتدعي بنيـــة هرمية، فالروائح تتحول الى كيانات، وشـــخصيات، وافكار، ومدن، ولقاءات، وقنوات، وصخور، ونساء، واطفال، وحدود ومواقع باردة، كما تتحول الى تاريخ وسجل لأحداث، وسلاح لمن يجيد الرؤية في الظلام.

رائحة المضطهدين ايما اضطهاد،

رائحة البؤساء،

رائحة المهدورة دماؤهم،

رائحة المستبدين والمأسورين،

رائحـــة الأزقـــة المصابـــة بالجـــذام في عالـــم

الطاعون،
رائحة تكرش جلود المفجوعين،
رائحة ظلمات السجن.
رائحة الخوف،
رائحة الفقر،
رائحة السوط،
رائحة جسد السياسة المقمل،
رائحة لمى الاجداد المليئة بالصؤاب.
رائحة مستنقع قرن الكذب،
رائحة الكشانق المحيطة بنا،
رائحة ادريس البدليسي
ورائحة اللصوص
و..
«رائحة تاريخ يفضح زمنه.

تبدو الكتابة بروح القرن الحادي والعشرين مهمة صعبة بعد ان اصبحت القصيدة اعادة خلق كائن جديد من نثار التجارب وشحنات الامكنة، هذا الأمل وحده يجعل قصيدة شيركو بيّكەس منفتحة على التجريب، ليس لرغبة يفرضها القرن الواحد والعشرين كزمن متتابع، وانما تفرضه حاجة القصيدة الحديثة للخروج عن سياقتها قول قديم، كأن تناقش وتسأل الأسطورة دون الاعتماد على ما نقلته المدونات منها، وكأن تعيد تشكيل التاريخ القومي بأخطائه، بالرغم من عدميته، وكأن تمجد الشخصيات لمجرد أنها فعلت، وكأن تؤلف سياقا تراكميا للأشياء لمجرد أنها استحضرت بمرآة شاعر جوال، قصيدة القرن الحادي والعشرين تلغي كل الطرق القديمة لتعيش ثانية في حركة الواقع بعد أن انهالت عليه ملايين الأطنان من المتفجرات والحروب. نحن محكومون بالشعرية المتفجرة المتلئة بالخيال المادي للأشياء وليس بأثقال الكلام، فشيّركوّ الحديث غير شيّركوّ قبل عشر سنوات، عليه أن لايطرق موضوعات مستهلكة، من قبيل ثورتي، وأمي، وقريتي، وقبيلتي، وقضيتي، ومنطقتي، وكردستانيتي، دون أن يدم هذا كله بإنسانية عالمية وهو ما فعله بل يؤسس للغة كونية تنطلق بهتافها من كردستان صوب العالم، لذا سيجد شيّركوّ مكانه بين أمكنة شعراء عالميين كبار، ويبقى ان ينتبه السياسيون لخطاب الثقافة الجديد، الذي لايركن لحداثة محلية، ولا لشعيرة متكررة، بل لحركة المدينة في الصباح وهي تعيد تشكيل الذاكرة الجمعية للناس، حركة الأمكنة وشحناتها العميقة، حركة اللغة وأبعادها العميقة.

لا تميز كلماتي عن الأرض،
إلا حين تتحرك
....
....

هكذا، سفر الروائح هذ هو سفر التجارب.

الحركة هي الفعل المغير ليس للكلمات فقط بل للأمكنة، وكما يبدو أن زمنا جديدا سيأتي على المدينة الكردستانية، هذا ما رأيته في أربيل والسليمانية حيث ستعيد هذه المدن أحفادهالا وهو يرتدون الملابس الحديثة - قلة ممن رأيتهم من الأكراد يرتدون الملابس الكردية الشعبية- وستبدو الدكاكين الصغيرة محلات كبيرة، ان حركة المدينة الكردية حركة في الصور، وشيّركوّ الذي ينصب خيامه منذ زمن في هذه المدن، يتابع حركاتها وتطورها ونموها لكنه لايقتنع بأنه ستترك هذه المدن ماضيها ورموزها، ان حركة الشارع تنعكس في حركة البيت الداخلية، ومن يتابع زيادة الدخل للمواطن الكردي، يجد دوره واضحا في تغيير طبيعة

وحركة الناس اليومية وهم يتبضعون ويمرحون وينتجون، ثمة لغة جديدة محملة بالتغيير تنهض من ركام لغة المدينة القديمة، هكذا نقرأ الشعر في القرن الحادي والعشرين حداثة أسلوبية تيلتصق كالجراد بجلد المدينة.

ولذلك لم يحبذ شيركو المنفى ولا باراته ومدنه وغزل نسائه،

يقول المنفى،
تلجأ الى الحانة
وتجعل من رغوة البيرة قبعة الخيال،
تشعل هم، وتجعل منه شمعة على المائدة.

فتجربة الغربة تمتزج بتجربة الجنس، وصور الام والصبية المهاجرة، انها صور منسحبة بعد الذي يحدث في كردستان ولكن الشاعر لما يزل مرتبطا بالمكانين، يد هنا وقدم هناك، فيصبح تداخل الضمائر طريقة لتجميع المفردات المتباعدة الامكنة، فصياغة القصيدة لاتتم بخط سير مستقيم، انها الرياح المتعرجة، التي تهب هنا وتعود هناك، فتتداخل في سيرها قوافل مختلفة. من هنا تراه يمسد بيديه وهو في زورق يمخر قنوات امستردام نهدي سميرة اليمنية، وتراه محاربا يصعد الجبال، وشاعرا جوالا في حقول من سبقوه، ومهاجرا لايستظل بمدن او بيوت. هذه الجولة الداخلية/ الخارجية تلملم شتات شاعر الجبل.

يقول الجبل:
مع صيحة الحجر بدأت بالتحليق
مع الحان الماء كنت تغدو رذاذ الاغنيات
تنث على وجه العاشق،
يقول الثلج تقول الحكاية البيضاء
.. الخ

٥

البنية القارة في قصائد شێركۆ، ومنها قصائد: سفر الروائح ومضيق الفراشات وغيرها، انه يعتمد بنية الهرم المقلوب، حيث يضع رأس المثلث نابتا على ارض كردستان، ثم يبني المتن والقاعدة باتجاه سماء المدن الاخرى، ولو دققنا في قصائد الملحمية الطويلة لوجدنا ان الاستهلال مؤلف من بضع كلمات مولدة كما اشرنا، ثم يتسع قس متن القصيدة، ليشكل قاعدة ولكن اتجاهها نحو الأعلى. هذه البنية التي تبدأ بفكرة صغيرة –الروائح مثلا- ثم تتوسع كدوامة في جبال ومدن وقرى وذاكرة وتواريخ المدن، مشكلة هرمية محلقة في فضاء المدن والتواريخ والأمكنة والشخصيات والقضية. فبنية الهرم المقولب تتيح للقارئ ان يشترك في الإضافة والحذف، لكنه لايستطيع ان يبني عكس معمارها الفني شيئا اخرا.

وتمتاز بنية الهرم المقلوب بأنها تعتمد السردية التي تتراصف فيها التجارب كالآخر، واحدة فوق اخرى وواخحدة بجوار اخرى، حيث أن لابحرا يغير مجارها، ولا جبلا يصد مسارها، بنية سردية عمودية تشكل هيكلا من صور.

ومن خصائص بنية الهرم المقلوب اعتماده ثيمة مركزية واحدة، هي رأس الهرم، وفي قصيدة سفر الرائحة وقصائد اخرى كالأنشودة، او مضيق الفراشات، او القلادة، لا يوجد الا لفظ محوري واحد وهذا اللفظ المختزن للرعود والبروق والتجارب، يتسع وينمو ويدور في افلاك الذات والآخرين، ويبدو اللفظ المركزي/ البؤري هو المكان، فالريح مكان، والمضيق مكان والجبل مكان.

ومن خصائص بنية الهرم المقلوب انه يبني

بيتــه في اعمــاق الذات، هنــاك، في تلــك البقعة المشــحونة باللغة المبهمة والتواريــخ، ما ان يفتح الشــاعر بابا او نافذة في اعماقــه لها، حتى تنهال علينا الصور واللغة والأســماء، ففي مخزن الرحم، والحكاية السرية تنشأ القصيدة الحديثة.

ومــن خصائص بنية الهــرم المقلوب انها تحيا في اللغة المجربة، فشــحناتها التي تجمع بين فضاء المدينــة والقرية، قادرة على توصيف حالة، لذلك تجـد حضــورا مكثفا لفضــاء كردســتان بمدنها وقراها وجبالها وشعرائها وامكنتها وحكاياتها، كما تجد حضــورا لمواقع اوربية عــاش فيها. فالبينة الهرمية المقلوبة تنفتح على زمن ســماوي بينما تغلق على زمنها الارضي.

٦

وبعــد.. يحدثني شــيركو وانــا في اربيل وفي السليمانية خلال عامين من ان قصيدة «القلادة» التي تطبع حاليا، فيها اربعة انواع من الاســاليب: فهي قصيدة شعرية، ولكن مقاطع منها تكون ببنية ســردية حكائية، ومقاطع منها ببنية مســرحية حواريــة، ومقاطع منها ببنية لوحات وصور. هذا المنحى الاســلوبي ليــس مجرد اســتيعاب او لعب شــكلي لقضية معينة لاتجد تعبيرها كاملا بشكل او اسلوب، بل هو حاجة فكرية لـ «حجر القلادة» الذي جاء به من اعماق تربة كردستان، ليضعه في قلادة ترتديها امرأة جميلة، هي كردستان نفسها، ووتتبع القصيدة رحلة الحجر في المدن وفي البيوت والشــوارع والدول، فها هي تعــرض في محل لبيع الاثريات ثــم تتجول عبر التاريــخ داخلة متحرا وملاجئ وعلبــا ومعارك، تلامــس القلادة جيد نســاء وتختبئ في صناديق فتجد نفســها في حوار مع زميلات لها حشــرن في ظلمــة الصندوق، وفي بنية شــعرية درامية تتحدث القلادة عن الماضي وعن المستقبل، انها رحلة ان تنطلق من السجن الى فضاء المدن والبيوت والنســاء والالسن، هذا الحجر الذي يمثل كردستان في عمقها المثيولوجي يمثلها في حاضرها وهي تكلم نفســها وســط عالم ضاج بالهجرة وتحديث ونشوء المدن، هذه القصيدة التي اســتلمت بعض مفاصلها في حوارين منفصلين مع الشاعر، قرأتها قبل ان تطبع، وفهمت دلالاتها قبل ان تســرد، وفهمت لعبتها الفنيــة قبل ان توصف بانها قصيدة او مسرحية او حكاية، او انها مجرد قــلادة على جيدة امرأة كردية شــاعرة حســناء وعاشــقة تســكن مدن هولنــدا فأجبتهــا وبدأت احتســي من فمها بريق كردستان كلها، هي امرأة عراقيــة تروي بقصائدها حكايــة الهجرة والموت في مــدن الثلــج والحدود المقفــرة، فالقلادة امرأة وحجرها هو رحلة في الزمن العراقي.

اقول فهمت هذه القصيدة وقرأتها بنشــيدها الذاتي وهو يتلوها علينا مرة بالكردية واخرى مترجمــة بالعربيــة، فكيف اذا كانــت تجربته الأخرى في دواوين عديدة منها مضيق الفراشات، وانشــودتان جبليتان، اللتان اعدهما ثورة فنية، وســفر الروائح التي اعدها واحدة من القصائد المولــدة في الشــعر، حديثة الاســلوب فقصيدته كمــا يقول: بنيــة ارضية ومكــون من مكونات الحركة.



مولوي

شاعر الأجيال

ابراهيم باجلان

قد بقينا مذبذبين حيارى نطلب الصدق ما اليه سبيل

فدواعي الهوى تخف علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل (ذو النون المصري)

لم اجد اروع من ولا اطيب من انفاس (ذي النون المصري) لأعطر بها ارجاء محراب (مولوي)، فكلاهما كانا من رجال الحقيقة والتصوف وكلاهما احترقا في اتون العشق الالهي.

القصائد الخالدة

اعظم الادباء والشعراء في تاريخ آداب الامم المختلفة هم اولئك الذين تظل نتاجاتهم تهز اعماق الناس في مختلف العصور والازمان، ولأن شاعرنا مولوى مازال يهزنا في الصميم وكأنه يتلو علينا قصائده كمعاصر لنا ولأنه يقف في مقدمة الشعراء المبدعين في القرن التاسع عشر، حتى انني اعتقد بأنه من الغبن ان نخصص له هذه السطور التي لا تغطي جزءا يسيرا من جوانب حياته المليئة بالعطاء، فسيرة امثاله من المبدعين تحتاج لعشرات الابحاث والدراسات الجادة..

ومن يحاول اختراق آفاق حياته العلمية وشاعريته الفذة عليه ان يبذل جهودا جادة للاحاطة بالمؤثرات او الثقافة والبيئة التي اثرت في الشاعر فضلا عن استعداده الفطري ولأنه وكما نعته الاستاذ علاءالدين سجادي: (لم يكن «مولوي» ملا كبقية الملالي، همه الوحيد التعليم والتدريس، لكنه زار رياض الادب الكردي وحمامة الخانقاه المطوقة ومجلس التصوف)[1] اجل.. ذلك

العاشق الهائم الذي جاشت عواطفه الصادقة قبل اكثـر من قرن مـن الآن ولفـرط صدقه وتأثيره مازالـت انفاسـه دافئـة طرية عطـرة تعبق في الاجواء، ومازال عشاق الكلمة العذبة الطيبة والفن الجميل والاصيل يتبركون بها، وكأن اوتار قيثارته مازالـت تبعث ألحانه الشـجية مـن خلف حجب الزمن، فتدخل الافئدة وتستوطن المهج والاعماق. ومازالـت كلماته المجنحة تحلق في سـماء الشـعر الحقيقي الاصيل، وسـير خلود قصائـده يذكرنا بقـول فقيد الادب العربي «توفيـق الحكيم»: ان نـوع التأثير هو الذي يحدد نوع الفن، فاذا طالعت اثرا فنيا قصيدة اوقصة او صورة، وشعرت بعدئذ انها حركت مشـاعرك العليـا او تفكيرك المرتفع، فأنـت امام فـن رفيع، فاذا لم تحـرك الا المبتذل من مشـاعرك والتافه من تفكيرك، فانت امام فن رخيص[٢].

نسبه ومولده ونشاته

هو السـيد عبـد الرحيم بن الملا سـعيد من سلالة الملا يوسف جان من سلالة العلامة ابو بكر المشـهور بالمصنف الـ(جوري) شهير عصره وفريد اوانه. ولد في قرية (سرشاته) سنة ١٨٠٦م ومسقط رأسـه قرية (تاوكوزي) على الضفة الشرقية من نهـر (سـيروان).. تعلـم بدايات العلـوم على يد والـده الملا سـعيد، ثم انتقل مـع والده الى قرية (بيزاوة) القريبة مـن حلبجة، وبعد اعوام قليلة تـوفي والده فاضطر الى ترك الدراسـة، لكنه بعد مدة وجيـزة عاد الى المدرسـة وتجول في مختلف المـدن والمناطق الكردية طلبـا للعلوم وتنقل بين العديد من المدارس الدينية في (حلبجة) واطرافها. وفي قصبة (پاوه) و(خانەگاه) ثم سـافر الى بلدة (سنندج) وصحب زميله وصديقه (الشيخ عزيز) من مشـايخ قرية (جانور) ودرسا معا في المساجد الى انهما اجتمعا في مدرسـة (مسجد دار الاحسان) ثم انتقل صاحب الترجمة الى قصبة (بانه) فمكث هناك مدة كان خلالها يراسـل زميله في (سنندج) حيث ابتلـي بالجدري وصديقـه (مولوي) يأخذ بخاطره ويهدئه ويتكلم معه بلطائف ادبية..

وقصد السـليمانية ايضا وبقي فيها مدة عند العالم الجليـل الملا عبدالرحمـن النودى هناك.. وتخرج عليه وحصل على اجازة التدريس، ورجع الى شهرزور واقام في (جرستانة) و(كونبة) و(شميران) كما سكن في قرية (بريس) واخيرا رجع الى مسقط رأسه قرية (سرشاته) بين اهله وذويه حتى انتقل الى الرفيق الاعلى سنة ١٨٨٢م[٣].. وخلال تحصيله العلمـي تأثر بالطريقة النقشـبندية التي ادخلها (مولانـا خالد) الى كردسـتان، فاتصل بـ(الشـيخ عثمـان) الملقـب بسـراج الدين شـيخ الطريقة النقشـبندية في ايامـه. وكان لاتصالـه بالشـيخ عثمان انعكاسـاته في قصائـده وتفكيره بالاضافة الى المؤثرات الاخرى، فالطابع الصوفي اصبح احدى سـمات قصائده.. اما لقب (مولوي) الذي اشـتهر بـه فله حكاية تعود الى ايام تـردده على خانقاه الشـيخ عثمان في (طويله) اذا كانت هناك جماعة من الافغانيين من مريدي الشيخ المذكور، وعندما تعرفوا على الملا عبدالرحيم الذي كان في عنفوان شبابه آنذاك وتوسـموا فيه علائم الورع والنبوغ فقد اطلقوا عليه لقب (مولوي) كما يسمون امثاله عندهـم .. وقدر له ان يتـزوج احدى بنات هذه المجموعة الافغانية وهي (عنبر خاتون) التي رثاها بأجمل قصائده حين رحيلها. حتى اصبح معروفا بهـذا اللقـب في الخانقـاه، وفي سـنة ١٨٥٨ عندما

سـافر الى (سنندج) بمهمة كلفه بها الشيخ عثمان قاصدا الوالي (غلام شـاه خـان) وكان الوالي قد سـمع بشهرته الادبية والعلمية وبتعمقه في علمي اللاهوت والناسوت كما جرب ذكائه ولطفه وعلمه بنفسه، اذ جمع الوالي (غلام شاه خان) نخبة من الادباء والعلماء والشعراء في سنندج واحتفل خلاله باطـلاق كلمة لقب (مولـوي) رسـميا على الملا عبدالرحيـم التاوكوزي الذي كان لقبه الشـعري سابقا (معدوم)[٤].

شاعريته ولغته الشعرية

يعتبره الاسـتاذ العلامة عبد الكريم المدرس- اكبر الشعراء الكرد في تلك المرحلة واشعاره الكردية تعـد من روائع الادب الكـردي وتحتل الآن مكانة مرموقـة لدى مثقفي شـعبنا وذلك لعمق غورها ودقـة وصفها وحسـن لفظها، وجـرس حروفها وانسـياب كلماتها ووروف ظلالها وتجسيم صورها الخياليـة وحركتها ممـا يجعل القـارئ المتمكن ينسجم معها ويعيش التجربة الشعورية[٥].

واتسمت قصائده التي نظمها باللهجة الكورانية (الهوراميه) بسمات جمالية وفنية في غاية الابداع والالهام، يوشـحها صدق المشـاعر ودفء العواطف والاخيلة المبتكـرة النابعة من التجربة الحقيقية ومـن المعانـاة.. فجاءت قصائده مضمخة بشـذى الازاهير الجبليـة التي تفوح عـبر كلماته تظللها افياء اشجار مصايف موطنه، فأحيانا تثور المشاعر عنده كهدير الشـلالات الهادرة الهابطة من القمم نحـو الوديان السـحيقة او كزمجرة رياح الشـتاء واحيانا تنسـاب رخية كنسـائم الربيـع . وترن اجـراس ركب القبائل الصاعـدة نحو المصائف او تتصاعد آهات العشـاق خلف ركب الحبيبة النازلة للمشاتي.

الخلاصة: كلما سـبرنا اغوار قصائده انتشينا بحـلاوة صوره واعجبنا بطيبته ونقاء سـريرته وصفاء وجدانه[٦].

اعتـبره معظـم الباحثـين ومؤرخـي الادب الكـردي قمـة الشـعر الكلاسـيكي (الكوراني).. يعتقد الدكتـور معروف خزندار- ان نجم اللهجة الكورانيـة اخذ بالافـول بصـورة حقيقية منذ ظهور الحركة الشـعرية الحديثة في النصف الاول من القرن التاسـع عشر عندما ظهر (نالى) وحيث كان (مولـوى) قمة الشـعر الكلاسـيكي الكورانى وخاتمة شـعرائهم العظام، وقد اخذت تلك اللهجة بالتقلص بالرغم مـن بقائها الى يومنا هذا، لكنها لم تستطع ان تقدم شـاعرا ممتازا كمولوى لحد الآن[٧]. ولا يخفـى علـى المهتمـين بتاريخ الادب الكـردي ان نصوصـا رائعـة دونت بهـذه اللهجة قبـل مولـوى من قبـل (صه يـدى هورامى) و(بيسـارانى) و(خانـاى قوبـادى) وغيرهم.. اذا كانت اللهجة الكورانية في مقدمة اللهجات الكردية التي دونت بها فنون الادب الكردي وباتت طلائعها في حدود القرن العاشر الميلادي وهي نفس الفترة التي ظهرت فيهـا آداب وثقافات ذات طابع قومي ضمن الدويلات والامارات المستقلة. وانها كانت لغة البلاط الاردلاني لفترة طويلة من الزمن، وفي ظل حكمهم ازدهر الفن والادب في (سنندج) وهي لهجة رخيمة، وفي القرن الرابع العاشر الميلادي توسعت الامارة الاردلانيه نحو الغرب وتمكنت جيوشها من ضم هورامان ومريوان واقاليم اخرى[٨].

بوفاة الشـاعر الكردي الخالد (مولوى) اسدلت نهاية مدرسة هورامان الادبية وانهار الابداع بهذه اللهجة، مثلما كان الشـاعر الفـذ (احمدى خانى)

نهاية مدرسة بوتان الشعرية، لانتفاء العوامل التي كانت حافزا للكتابة به.

مولوي والرومانتيكية

مما يسجل لـ (مولوى) اضافة الى ابداعاته وصوره المبتكرة انه ابتكر مدرسة جديدة وطرق ابواب تجربة كانت معاصرة له، دون ان يكون له أي اطلاع على نماذجه الغربية لأسباب في مقدمتها ضيق البيئة التي عاش فيها وعدم خروجه او سفره حتى الى عاصمة الخلافة العثمانية وعدم وجود صحف كردية يومذاك ليطلع على نماذج الادب الاوربي، وكما كتب عنه الاستاذ المؤرخ (محمد امين زكي) انه (كان شاعرا رقيق الاحساس نبيل العاطفة وصوفيا وافر الاخلاص، وصادق الشعور وكان له اسلوب خاص في الشعر في غاية الابداع، فضلا عما له من قوة الابتكار والتفنن في الشعر والقوافي، حيث ابتكر من نفسه الاساليب الاوربية الحديثة في فنون الكلام والشعر، في اللغة الكردية رغما عن بعد بيئته عن البلاد المتأثرة بالادب الحديث واعتزاله هو المجتمع والناس وعدم معرفته سوى اللغات الكردية والعربية والفارسية، واهم ابتكار ادخله في النظم وقرض الشعر هو توحيد قافية الشطر الاول مع الشطر الثالث والثاني مع الرابع، وهذا الامر الذي لم يسبقه اليه احد من الشعراء الفرس والكرد لغاية ذلك العهد.. وكان يستعمل في اشعاره دائما اللهجة الهورامانيه وتكاد مواضيع اشعاره تكون عبارة عن الضراعة والمناجاة الى الله، والعشق الالهي العميق ومن اشعاره البيت الآتي:

گوڵ چون رووی ئازیز نزاگەت پۆشان
وەفراوان چون سەیل دیدەی من جۆشان

الورد اكتسى الرقة مثل خد الحبيبة
وذوب مياه الثلوج تفور مثل مياه دموعي

وعندما نعلم ان نقاد الادب العربي اعتبروا اقوى بيت قيل في الغزل هو:

وظبية قد شبهوا خديها وردا اثموا بما قد شبهوا
لأن الورد يذبل حين لمس وذا يحمر مهما قبلوه

تتجلى لنا روعة وابداع تشبيه (مولوى) الشاعر البارع، ومن قصائده التي تصور شاعريته بحق قصيدة

الشتاء والموت

فهذه القصيدة تتجلى فيها شخصية (مولوى) كشاعر صوفي عميق ورقيق في افكاره الجياشة، ترجمة عبدالرزاق محمد:

انه الشتاء ترتفع فيه العواصف الثلجية عند اكتاف الجبال
تعانق السماء ورئيس معماري قلاع البلاد الشوامخ
صبغ اروقة الكهوف بالبياض
والريح الثلجية الباردة تصوغ كصائغ ماهر
اقراط فضية وتعلقها بآذان الاشجار الجداد
التي تشبه الفتيات الحسان
واكملت مراسيم الزينة لهذه الحسناء
ورسمت وجهها في مرآة الجليد
وغطتها بوشاح الضباب
***
تلك الحسناء وهذا البيت
تعوزهما فرحة الساقي والكأس والصهباء
فيا ايها الساقي دع الخوف من برد الشتاء القارص

فقــد لطفــت الهــواء قبلنــا انفاس العشــاق الغابرين

ولأننا نقلد من سبقونا في مجال الخمر

فقــد تركوا لنا آثار نهتــدي بها نحن البادئين في هذا الميدان

انظر اليهم فهم لا يلبســون الا ثوبا واحدا هو الكفن

ولكنهم لا يأبهون بالبرد، لأنهم يتناولون (نقل) الشراب في قلوبهم

فلترسل ألسنتنا آيات الرحمة

ولتصب ايدينا اقداح الشراب

الرحمة: الحمة على تراب من تحرروا قبلنا

والاقــداح: الاقــداح لشــفاه هــؤلاء العشــاق المنتظرين

فهيا واسرع لنسلك هذا الطريق

ونضع الاقداح بين ايدينا

ولنضع الايدي فوق رؤوسنا[10].

بعد ان تعرفنا على قصيدته هذه التي تمتزج فيهــا الرومانتيكية بنظرة الشــاعر الصوفية من حيث ذكــر الكأس والخمــر، ويمكــن ان نقارنها بقصيدة (موريس) في قصيدته الطويلة (الفردوس الارضي) حيث تغدو تمثيــلا للدورة العضوية في الســنة الطبيعية ذروة روحية تختفي عادة وراء حجاب النزعة الصناعية وتبدأ القصيدة هكذا:

انس ستة قرون مثقلة بالدخان

انس شخير البخار وضربة المكبس

انس انتشار المدنية الكريهة

وفكر بصهوة الجواد في الهضاب

واحلم بلندن، صغيرة، بيضاء، نظيفة

وبالتايمز الرائق تجفه خضرة الجنائن[11].

اذ لــم يكن اقتراح (موريــس) للهروب محض انغمــاس في الــذات، بل كان فعــل تطهير، من هنا فرومانســية الاوربيــين كانت دعــوة للعودة الى الطبيعــة والتخلص مــن اجواء المــدن الصناعية الخانقة بينما رومانســية شاعر كـ(مولوي) كانت حالة تجذر وانشــداد الى اجــواء خضراء حقيقية اضفى الشــاعر عليها من روحــة غلالة من البهاء وسلط عليها من انوار قلبه ويقينه احزمة وخصلا من الضياء فبدت الطبيعة الكردستانية كبانوراما رائعة زاهية اشبه بأجواء الاحلام.

عانــى مولوي كمعظــم الادباء الكــرد الكثير مــن ضنك العيش، ومما زاد في اشــعاره روعة وفي تأثيرها لوعة الاحــداث المؤلمة التي تعرض لها، اذ فجع بوفاة احد ابنائه في حياته بالاضافة الى وفاة زوجته الوفية المخلصة (عنبر خاتون) التي كانت بحق شــريكة آلامه وآماله واحدى مصادر الهامه الشــعري، كما احترقــت داره ومكتبتــه العامرة، واصابته بالعمى في اواخر حياته، مما جعل عزلته اشد وشــعوره بالوحدة اقســى وامر، ولا سيما في منطقته التي كانت في الاســاس معزولة تماما عن كل معالم الحضارة[12].

والشــعر كما رأى الزهــاوي: آلام وافراح كانها اندفاعــات كهربائيــة تصدر من جــروح دفينة فتنكأ جروحا مثلها دفينة اضافة لاسفار واخطار تعرض لها وعوامل مختلفة من شــأنها ان تصقل النفس البشــرية، وتغسل اعماقها من صدأ القسوة والبلاهة وتوسع من آفاق فكره حتى آ خر المدى[13]. كما يســجل تاريخ الادب الكردي لمولوي استفادته من الاوزان القومية للشــعر الكردي.. ورجوعه الى الطريقــة الهجائية التي اســتخدمت في المئات من الاغاني والاناشــيد والملاحم الشــعبية والحكايات المنظومــة التي اختبرها العصور الغابرة منذ عهد

بعيد.. واخذت طريقها الى الشعر المدون عن طريق الشاعر العرفاني الكبير (مولوى) حيث ان الشاعر الكبير انتهج في النظم الطريقة العشارية فأصبحت كسمة ملازمة وظاهرة لمعظم قصائده، حيث يصعب العثور الى ما يشير الى تجاوزه لها في ديوانه وهو القائل:

چەرخ هەر ئەو چەرخەن تا ئاوەردوبرد
دەس ئەو دەس نگین تا خاتەم ئاوەرد

انما الفلك هو ذات الفلك تقادم منه ما تقادم، وجد منه ما جد والذي ادار فص الخاتم حتى جاء الخاتم[14].

وقد استعان الشاعر بالخيال التصويري والاستفهام لاعطاء التجسيد للآخرة وهي وسيلة فنية جميلة ومؤثرة توسلها الشاعر للتأثير في النفوس فهو دائم التحدث عن الماضين الذين ذهب بهم الزمن ولعبت بهم يد المنون وابادهم الدهر وقد ارتبط ذكر الموت والخوف منه والتذكير بالامم المبادة والاقوام الذاهبة بذكر الآخرة وعقد مقارنة بين زوال الدنيا وبقاء الآخرة[15].

وفي قصائده التي تتجلى فيها نظرته وطريقته المتميزة وفلسفته في الشعر هذه الابيات:

ها انذا اسمع جلاجل اجراس القافلة
ينبعث انينه مثل قلبي كئيبا
اصدائه يعترض طريق الركب بلا حجاب
كأنه تتلمذ على قلبي
الا يا كبير التجار لا در درك
ليكن الاخفاق نصيب مسعاك
فأنا بائس عاجز مبتلى بالداء
عليل جريح هائم في البيداء[16].

مولوي والطبيعة

وكما لاحظ اغلب الذين كتبوا عن (مولوي) انه يقدم في قصائده لوحات رائعة للطبيعة الكردستانية فهو الذي اتبع الاوزان القومية المستوحاة من التراث الكردي ونظم بها في التصوف والغزل وغلبت على قصائده عناصر رومانتيكية بارزة.. رغم انه من الشعراء الكلاسيكيين الكرد، وهو الى جانب كونه اول شاعر كردي برع في اعطاء صورة حية نابضة بالحياة والحركة للطبيعة في بلاده فانه يتأمل في شعره حياة الناس القاسية ويذم الزمان ويصور الامل الى جانب الطبيعة ويريد التطابق بين الانسان والطبيعة من الاشراق.

ايا معدوم إلام تبقى غافلا ولماذا؟!
فاسمع الناس وسحره واشراقه[17].

وكانت نظرته الى الطبيعة غير النظرة الاعتيادية أي انها نظرة متصوفة جدية بحيث نستطيع ان نقول بأن نظرته اليها كعلاقة العابد والمعبود، والعاشق والمعشوق، فاستطاع الشاعر من خلال نظرته هذه الى الطبيعة ان يتعرف على مكنوناتها واسرارها فسبب ذلك في زيادة تشوقه اليها بحيث استلهمتها اشعاره ونتاجاته الغزلية الغنائية، فأصبحت حياته مربوطة بها وبجمالها ومكوناتها لذلك نراه دائما منصرفا الى وصف جمال الطبيعة وبصورة خاصة الطبيعة الكردستانية، التي تكاد ان تؤثر قمم جبالها الشاهقة الشامخة ووديانها الخضراء اليانعة العذبة الغزيرة وشلالاتها البيضاء وزهورها المغطاة بالأزاهير الطيبة الزاهية حيث جعلته شاعرا مغنيا وموسيقيا ساحرا، وبلغته الشعرية السهلة المشعة بالاوصاف الشعرية

المختلفة يستطيع الشاعر ان يصف شيئا جامدا فيجعل منه شيئا حيا وناطقا مؤثرا[١٧]..

والشاعر يبلغ الذروة في وصف الطبيعة حتى في مرثياته، فقصائده كالسمفونية المتكاملة تكمل الصور بعضها بعضا وهنالك عشرات الامثلة التي تؤكد حقيقة بلوغ (مولوي) الذروة في وصف الطبيعة، وقد اخترنا قصيدته المعنونة (رثاء اميرة من عشيرة الجاف) ترجمة عبدالرزاق محمد:

أيتلاءم الربيع والحزن والزهر والكدر؟
والخميلة والخمول والصمت والبلبل؟
لم لاتهب النسائم المعطرة كالسابق صباحا
وترف على مسكن نفوس الاحبة؟
فهل غطت الضباب تلال الاقدار القاضية
في هذه الفسحة الشاسعة من الربيع؟
اسمع صوتا ينادي:
لقد رخصت قيمة ثياب الاحزان
ممتزجا بصرخات الحسان ذوات القدود الشبيهة باشجار اللوز!
فهل عصفت على خمائل جمال اؤلئك الحسان
الرياح الباردة النذيرة بقدوم الخريف والموت

* * *

ها قد انحنت وانقلعت من جذورها قامتها الشبيهة بالسرو
والتي كانت تعشعش عليها يمامات قلوبنا
وبقيت تلك اليمامات بلا اعشاش، قابعة في ظلالها الممتدة على الارض
ونثرت باقات تلك الحشائش المعطرة في شعرها بين حجارة القبر
تلك التي كانت مجمع الرقة وتربت بالدلال
ورقتها تعجز ان تحبط بها اثواب الحرير
فكيف بها وهي الآن في ثياب تراب اللحد؟
فليكن حظك أسود ايها الدهر
في هذا الربيع، حيث يرفع النرجس اجفانه الوسنى بدلال،
أغمضت انت تلك العيون الى الابد!
ماذا انساك ضارب صحبتك الرحالة؟
لقد توجهت بظعنك الى مضارب خيام الحور والملائكة!
حقا ان معاشرة الحور لك مستساغة
ولكن فراقك العشيرة والاهل امر لايطاق
فأهناً بالتنزه والسفر، في صحبة الحور بوادي الجنة
ولتكن نصيب اهلك وعشيرتك الآلام والجراح المثخنة الى يوم القيامة!

وفاء (مولوي) لأصدقائه

ثمة ظاهرة اخرى ملازمة لقصائد (مولوي) وهي كثيرة وغلبة قصائده الاخوانيات في ديوانه والتي نظمها في مناسبات مختلفة، ولذلك لايمكن فهم قصائده بمعزل عن الاجواء او الظروف التي قيلت فيها.. او كما يذكر الاستاذ عبدالكريم المدرس: «ان شخصا اديبا وظريفا وصوفيا وهائما كبيرا مثل مولوي الذي عاش حوالي ثمانين عاما.. لابد ان تكون له علاقات وصلات مودة وصداقة مع عدد كبير من الشخصيات ومن مختلف الطبقات..

ومن اهم الشخصيات الاجتماعية الذين عرفهم مولوى وكون معهم صداقات متينة (احمد باشا سليمان باشا بابان) والذي ارتبط معه بعلاقات متينة منذ ايام تلمذته.. وعندما تخرج مولوي نظم احمد باشا احتفالا او نزهة الى سرضنار بالمناسبة، كما يعتبر محمد باشا الجاف رئيس قبيلة الجاف كلها في مقدمة اصدقائه ومحبيه

الذيـــن بادلهم المحبة والاخـــلاص، وكذلك عثمان باشا شقيق محمود باشا ومحمود باشا الجاف نفسه ايضا، ومن الامـــراء الذين بادلهم الصداقة والمودة (غلام شـــاه خان) نجل امان الله خـــان الاردلاني، وشـــقيقه خســـرو خـــان وكانا من محبـــي الادب والعلم، كما ارتبـــط بعلاقات الصداقة والمحبة مع عـــدد كبيرمن العلماء والشـــعراء المعاصرين له من امثال (الملا محمد صالـــح) فخر العلماء المردوخي والذي كان شـــاعرا، وكذلك مع الملا (محمود دشه يي) والذي كان اســـتاذا فاضلا تقيا وزاهدا ولذلك كلفه الشـــيخ عثمان سراج الدين بتعليم عدد من اولاده.

ومـــن اصدقائـــه المقربـــين الاعلام (الشـــيخ عبدالقادر المهاجر) والشـــيخ جسيم والشيخ نسيم والشيخ وســـيم وابناء الشيخ محمد سعيد.. وكان الشـــيخ عبد الكريـــم المهاجر من علمـــاء الاعلام وله مؤلفات عديدة، وثمـــة صديق حميم لمولوي وهو الشـــيخ (عزيز جانه‌وه‌ری) والذي ينتمي الى اسرة علمية ودينية معروفة وكان شاعرا معروفا وخطاطـــا فذا.. ومـــن اصدقائـــه البارزين احمد بك (الكوماســـي) الذي كان شـــاعرا معروفا وكان (مولـــوى) يطلق عليه لقب الخـــال وكانت بينهما مراســـلات وقصائد متبادلة كثـــيرة، ففي قصيدة ارسلها (احمد بك) الى (مولوي) يقول:

اذا هبت عليك رائحة الحرائق
فحملتها نحوك ريح الشمال
فتلك شواء كبدي الحري
وهذا دليل يا (معدوم) على دنو اجلي

فأجابه مولوي:

لقد تمنيت الفناء لنفسك
اذ ظننت فيها الخلاص لقلبك
ألا فلتعش يا حبيب الروح
علت روائح الشواء ولتحيا انت سالما

ومـــن اصدقائه الشـــعراء والعلمـــاء (الملا فتاح الجبـــاري) الشـــاعر و(الحـــاج يارويس) والســـيد عبدالصمـــد خانقاه) والشـــاعر المعـــروف (بلبل) والشيخ (عبدالله داخي) والشاعر والملا عبدالرحيم نجاري وعدد كبير من الشعراء الذين كان يبادلهم محض المودة والاخلاص، فاصدقاؤه هم من محبي الآداب والشـــعر والعلـــوم او مـــن المتصوفة او من خلفاء الشـــيخ عثمان وابنائه، وكان (مولوي) وفيا لأصدقائه يزورهم ويبعث اليهم الرسائل والقصائد مشاركا اياهم الافراح والاتراح..

ومن اجل تفقد احوال اصدقائه ومحبيه وكان كثيرا ما يقطع المســـافات الشاسعة ليسعد برؤياهم ويتبادل معهم الآراء وليطلع على احوالهم.

وكان الشيخ عبدالرحمن خالص الطالباني من محبي (مولوي) ومن اصدقائـــه المخلصين، فزاره مولوي ذات مـــره وكان الوقت متأخـــرا في الليل، فدخل (مولوي فوجد الكل نياما هناك والشيخ لا يزال ساهرا يتعبد فقال قصيدته التي مطلعها:

انه الليل والخلوة والسكون يلف الدار
والناس كلهم نيام والحبيب ساهر

* * *

فرد عليه الشيخ عبد الرحمن بهذا البيت:

قصدي الرجاء بهذه الخرقة
فمناجاة الليل طيب قرب الحبيب

* * *

وفي حياتـــه قام بزيـــارات ورحلات عديدة الى الســـليمانية وكركوك وخانقين وسنندج ومهاباد وزهـــاو اضافة الى حلبجة ومناطـــق كردية كثيرة اخرى مثل پاوه وغيرهـــا بقصد التعليم او زيارة

احبابه واصدقائه او القيام بواجب الاخوة والوفاء في مواساة المنكوبين وتهنئة السعداء..

كما كان ينوي الحج وزيارة بيت الله الحرام، فرافقه احدهم حتى بغداد فاصيب مولوي بمرض شديد الوطأة حتى ظن مرافقه انه هالك بها لا محالة فسلب كل ما كان معه من مال وعاد الى قريته، لينشر خبر وفاته، ولكن قدر لـ(مولوي) أن يشفى وان يعود الى وطنه واهله، وعندما شاهد مرافقه الخائن الغادر خاطبه بقوله: فضح الله الموت الذي لم يأخذني كي لا اراك على هذا الحال..

مواقف مولوي الانسانية والوطنية

ورغم التزامه بالفكر او النزعة الصوفية التي جعلته زاهدا في مغريات الدنيا، فانه مع ذلك كانت له مواقف انسانية وثورية رائعة يبعث على الفخر والاعتزاز وكان محبا لوطنه اذ كثيرا ما عرضوا عليه ان يسافر الى سنندج ومهاباد او تلك الانحاء من قبل (الوالي غلام شاه خان) لكنه كان يرفض ذلك باصرار ويعتز بمسقط رأسه بين اهلة وعشيرته .. كان ابيا كريما عزيز النفس، ويقف الى جانب الضعفاء والمظلومين وخلال الحفلة التي اقيمت بمناسبة تخرجه حيث نظم (احمد باشا) نزهة الى (سەرچنار)، وخلال المسير اعترض طريقهم احد الفلاحين الفقراء وخاطب (مولوي) قائلا» يا استاذ ان رجال احمد باشا يحاولون الاستيلاء على قطعة الارض التي ازرعها وهي مورد رزقي ورزق اولادي ولا املك من اموال الدنيا شيئا سواها، ناشدتك الله ان تخاطب الباشا ليعيد الي ارضي. اذ كان الفلاح قد سمع بمكانة مولوي عند الامير، لذلك رفع الشكوى الى الباشا عن طريقه.. اما رد مولوي فكان ان قال:

حسنا فعل الباشا؟ فقال الفلاح كيف؟ فأجابه مولوي: اليس الدنيا مزرعة للآخرة؟ فلم يفهم الفلاح قصده فقال له لقد اردتك لي عونا فأصبحت فرعونا فقلت هذا الكلام، ولكن الباشا فهم قصد مولوي فقال يكفي يا مولوي لقد تركت له ارضه ولا احد يستطيع منعه من دخولها والتصرف بيها [19].

وحتى في مواقفه الوطنية والقومية نجد ان له اسلوبه الخاص لمعالجة مثل هذه الامور والحالات، ففي قصيدة له يقول:

يا سحائب الرحمة في سماء الكرم
الصلاة والسلام اغثنا
ولتتحرك الغيوم ولتهطل مدرارا
على مزرعة روح الخاتم
ذلك النور الذي جعله الاعلم
فكم من كتب للائمة اصبحت هباء

* * *

اذ ان (مولوي) الذي رأى المظالم والاحتلال التي كانت تمارسها الدولتان الفارسية والعثمانية لم يسلك سبيل (خاني) وغيره بل يدعو النور الالهي كي يشرق على البلاد وينقذها[20]، ذلك لان مولوي شأنه شأن المتصوفة يرى ان القوة الداركة في الانسان بما فيها العقل والوهم والخيال هي من الامور المعنوية لا وجود لها في خارج الذهن. فهل تتمكن ان تتحرى عن الحقائق المكنونة الى ان تصل الى جوهر الفرد والى النور الذي هو قبس من ذات الباري جل وعلا[22].

آثاره ونتاجاته

ان شخصية في منزلة (مولوي) ومكانته العلمية والدينية لابد ان تترك وتخلف آثارا رائعة في القمة وذروة الابداع، لأنه هو نفسه من شوامخ الفكر

الاســلامي والتصوف واحد نوابغ الكرد في العربية وشاعرا كرديا يقف في مصاف اعاظم الشعراء الكرد، وهــو الذي لم يكن يــرى أي تناقض بين التصوف والعلوم او بين الشــريعة والطريقة والحقيقة، بأن الاولى اقوال الرســول (ص) والثانية افعاله والثالثة احواله كما اشار الى ذلك بنفسه في منظومته المسماة بـ(الفضيلة في علم الكلام) بقوله:

مهّد للعباد بالأقوال
وبالفعال ثم بالاحوال
شريعة طريقة خفيفة
لمن له اجنحة حقيقة[٢٢]

ولأن مولــوي كان عالمــا قبــل ان يكون صوفيا ولكنــه بعد اخذ الاجازة تمســك بحضرة الشــيخ عثمان سراج الدين الطويلي، فغلبت عليه الجذبات الروحية كما كان اديبا بارعا وشاعرا ملهما وباللغات الكردية والعربية والفارسية، كما استخلفه الشيخ عثمــان، فكان للمولوي شــأن في الوعظ والارشــاد والقــاء الادبيات في المناســبات فصــار فريد وقته واوانــه، لكن التصوف صار دليله في ســلوكه ومنه اكتســب لقبه (مولوى) كمــا مربنا، والتصوف كما شــرحها ابو العباس الســيد احمد الرفاعي (٥٠٠-٥٧٨) هـ حينما ســئل عن التصوف فقال للســائل تســألنا عن تصوفنا او تصوفكم؟ فقال يا ســيدي كانت مسألة فصارت اثنتين اشرحهما لي؟

فقــال: امــا تصوفكم انتــم فهــو: ان تصفي اســرارك وتطيب اخبارك وتطيع جبارك وتقوم ليلك وتصوم نهارك، اما تصوف القوم فكما قيل:

ليس التصوف بالخرق
من قال قد مرق
ان التصوف يا فتى
خرق يمازجها القلق(٢٤)

ومــن الملاحــظ ان نتاجاته تــدور حول هذه المحاور وحتى في شــعره فانــه وكما لاحظنا واقع تحــت تأثير المؤثرات والعوامــل التي ذكرناها كما يدرس حسب الامكان، فألف عدة تأليفات منها:

١- منظومته الرجزية المســماة (الفضيلة) في اصــول الدين وتحتوي على الفين وواحد وثلاثين بيتا بالعربية وهي من ألطف وأدق المنظومات وقد حققها ونشرها فضيلة الاستاذ عبدالكريم المدرس وتقع في اكثر من (٨٠٠) صفحة وطبعها سنة ١٩٧٢ بمطبعة الارشاد ببغداد.

٢- العقيدة المرضيــة: باللغة الكردية وتقع في (٢٤٥٢) الفــين واربعمائة واثنين وخمســين بيتا والتي طبعت في مصر سنة ١٣٥٢هـ من قبل محيي الدين صبري النعيمي.

٣- كتاب (الفوائح) باللغة الفارسية في العقيدة الاسلامية ايضا يحتوي على اكثر من الف بيت.

٤- رســالة في الطريقــة النقشــبندية- عــن الرابطة وآداب الطريقة النقشــبندية – لم يطبع لحد الآن.

٥- رســائل مولــوى – وقــد جمــع الاســتاذ عبدالكريــم المدرس قســما كبيرا منها ونشــرها ضمن كتابه المعنون (يادى مردان- تذكار الرجال) الجزء الثاني من (ص٤٢٣ – ٤٨٧) چابخانەى كۆرى زانيارى عيراق/ دەستەى كورد – بەغدا ١٩٨٣.

٦- ديــوان مولــوي – باللغــة الكردية شــرح وتحقيق الاستاذ عبدالكريم المدرس- بغداد ١٩٦١.

هذه هي المؤلفات القيمــة المعروفة لدينا لحد الآن رغــم انه ترك اكثر ممــا ذكرناه بكثير، لكن ظــروف موطنه لــم تحفظ لنا غير جــزء قليل مــن روائعــه.. ولكن في الاعوام الاخيرة اكتشــفت في خزانــات ومكتبات علمــاء كردســتان العديد

مــن مؤلفاته وكما اشــار الى ذلك الشــيخ محمد علي قرداغي في سلســلة كتبــه التراثية عن علماء كردستان..

ان من يطلع علــى مؤلفات (مولوي) وباللغات المذكــورة يجد ان الشــيخ محمد الخــال لم يفخم (مولــوي) عندما قــال بحقــه: ان مولوي متنبي الكرد في الشــعر العربي وفردوسي الكرد في الشعر الفارســي، ورب الشــعراء الكــرد في الكرديــة[٢٥] وفي الواقــع فان شــعر (مولوي) لا يقــرأ كما تقرأ الروايــات والصحــف، بل ان من يبغي الاســتفادة القصــوى من قصائده والغــور في اعماقها يجب ان يرتلهــا وهو متفرغ لهــا كليا، فحينــذاك تنتابه حالة اشــبه بالوجد والهيام ويهتــز من الاعماق، فهي معزوفــات ارضية ترتفع كأعمدة من الضياء والنور نحو الســماء.. فتنور القلوب والعقول تملأ القلوب والارواح بالحب وبعشق الاوطان وبعشق كل ما هو رائع وجميل في الوجود والكون، اذ انها حكم صادرة من لدن فيلسوف خبر الحياة وانصرف بكل كيانه الى تأمل الوجود والكائنات وعبر عن افكاره ومشــاعره بصدق واخلاص، ولذلك تبعث كلماته علــى التأمل والتفكير، وان شــلالات الوطن لتهدر عنــد كلماته، وتبدو القمم المتوشــحة بالجليد في ثنايــا ديوانه صافية نقية، كمــا تنبعث الخضرة زاهية في اعماق الوديان الخضراء كما تكشــف عن ولعه الشديد بالطبيعة وما فيها من ينابيع جارية واشــجار ضخمة من جــوز وبلــوط وحور حيث تتمايل طربا لنســمات كلمــات (مولوى) الصادقة المترعــة بالحــب والجمــال والموشــحة بالعاطفة الصادقــة، وقلما يجود الدهر بشــاعر مثله تظل كلماتــه مؤثــرة في كل الاجيال ولأنــه ينتمي الى الشعراء الحكماء والعلماء الافاضل وكما قال الاديب محمد على قرداغي، كنت اسمع الاستاذ –ويقصد الاستاذ عبدالكريم المدرس – يقرأ قصائد الشاعر الكبير مولوي بشوق وشغف وتذرف عيناه الدموع لتبلل لحيته الجميلة البيضاء، وقد دفعني هذا الى قراءة ديوان مولوي[٣٦]..

ولا يقتصــر الاعجــاب بهذا الشــاعر الحكيم والرقيــق في نفس الوقت على الادبــاء والمثقفين الكرد وحدهم، بل ان المرحوم حسن قزلجي يذكر -انــه عقدت ندوة عالمية- قبــل حوالي (٤٠ عاما – فصار الآن ٦١ عامــا) للاحتفال بذكرى الالفية (للفردوســي) في طهــران، وقد وصف المستشــرق المعروف (مينورســكي) (مولــوي) في تلك الندوة العالمية بأنه لا يقل منزلة عن الفردوسي[٣٧].

ان غريدا كـ(مولوي) ســيظل يســتحوذ على قلوب عشــاق الكلمــة الصادقة والصــور الجميلة للوطــن الغالي والملتقطة لنا قبــل اكثر من قرن، ســتظل تؤطــر بالاحــداق والقلــوب، ولأن (آثار الاقدمــين الخالدة من كتــب ومعارف وفنون، هي القوارب، والمراكب نصعد بها مستكشــفين منقبين في مناقــب نهر الحياة الكبير –كمــا يقول توفيق الحكيم- حقا ســتظل الاجيال القادمة تكتشــف اسرار الجمال وسر البلاغة في قصائد (مولوي) الذي يعتبر مفخرة شــعبنا الذي انجب على مر الدهور الافــذاذ النوابغ من امثاله –ولكن مما يؤســف له اننا لم نكتشف نوابغنا بعد.. ولم نمنحهم حقهم مــن التكريم والوفــاء، فالوفاء للراحلين في نشــر نتاجاتهم واستكشاف عناصر الابداع والعبقرية في مؤلفاتهم ...

الخلود لـ(مولوى) الذي تألــم كالناي، فأطرب انينه السامعين وكل العشاق الحيارى..

حقا انه شاعر جيله وكل الاجيال..

المصادر والمراجع:

١-دەقەكانـــى ئەدەبى كوردى – علاءالدين ســجادى- چاپخانەى كۆرى زانيارى كورد – ١٩٧٨. (لا ٩٤).

٢- فــن الادب (توفيق الحكيــم – دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٧٣ (ص٧٥ – ٧٦).

٣ – علماؤنا في خدمة الادب والدين – تأليف عبدالكريم محمد المدرس (ص٢٨٦ -٢٨٧). درا الحرية ١٩٨٣.

٤- مێژوى ئەدەبى كوردى، علاءالدين سجادي- چاپى دووەم – ١٩٧١ –(ص ٢٨١) چاپخانەى معارف - بغداد.

٥- الوسيلة في شرح الفضيلة للعلامة السيد عبد الرحيم الكردي الملقب بـ (المولوى) تأليف الشيخ عبدالكريم محمد المدرس، الطبعة الاولى ١٩٧٢ ، مطبعة الارشاد (ص ٨٢٨).

٦- مولــوى شــاعر الطبيعــة والجمــال –بقلم كاتب السطور – جريدة (العراق) العدد (١٩٢٢) في ١٩٨٢/٥/٣١.

٧- الشعر الديني في اللهجة الكورانية الكردية –الدكتور معروف خزندار (ص٥٢) ١٩٧٧.

٨- العوامــل التي ادت الى ســيادة اللهجــة الكورانية- فاضــل احمد، مجلــة الثقافة العدد/ (٢) الســنة الرابعة، شباط ١٩٧٤.

٩- خلاصة تاريخ الكرد وكردســتان من اقدم العصور التاريخيــة حتى الآن تأليف محمد امين زكي بك. ترجمة الاســتاذ محمد علي عوني، مطبعة الســعادة، مصر ١٩٣٩. (ص ٣٦٢ -٣٦٣).

١٠- مختــارات مــن الادب الكــردي- المجموعــة الاولى (قصيدتان) لمولوي ترجمة عبدالرزاق محمد (ص٢٧ – ٢٨).

١١- الرومانــس، تأليــف جلن بير- ترجمــة الدكتور عبدالواحد لؤلؤة، (ص٩٠) موسوعة المصطلح النقدي، دار الحرية – بغداد (١٩٨٠).

١٢- الوسيلة في شرح الفضيلة (ص٨٢٩).

١٣- ســحر الشــعر، مجموعة مقالات وقصائد عصرية في الشعر والشــعراء لنخبة من نوابغ العصر، عنى بجمعها وعلق حواشــيها رفائيل بطي، بغــداد ١٩٢٢، (محاضرة في الشعر للزهاوي).

١٤- شــعر الشــاعر الكردي المعاصر - عبــدالله كوران، تأليــف حســين علي شــانوف (كــورد اوغلــو) نقله عن الاذربيجانية شــكور مصطفى ١٩٧٥، مطبعة دار الجاحظ/ بغداد (ص١٧٢ – ١٧٤).

١٥- شــعر الزهد عند البارودي – الدكتور عمر محمد الطالب – مجلــة (زانكو- الجامعة) المجلــد (٦) العدد (١) ايلول ١٩٨٠ (ص٨).

١٦- گۆڤــارى كــۆرى زانيــارى كورد – شــارۆيەك لە باخچــەى ئەدەبــى مەولــەوى محمد علــي قرداغى_ بەرگى شەشەم ١٩٧٨، (ص٢٤٢).

١٧- الواقعيــة في الادب الكردي - د عزالدين مصطفى رسول- دار المكتبة العصرية (ص٧١) بيروت ١٩٦٦م.

١٨- مەولــەوى مــن خــلال قصيدة لــه: محمد امين هوراماني –جريدة العراق ١٩٧٨.

ديوانى مەولەوى – تحقيق الشيخ عبد الكريم المدرس –بغداد ١٩٦١.

٢٠- انظر مجلة (شــەفەق) ژماره (٣) ســال (٤) ٥ آب ١٩٦١.

٢١- الواقعيــة في الادب الكردي –د عزالدين مصطفى رسول – دار المكتبة العصرية / بيروت ١٩٦٦.

٢٢- علاءالدين ســجادي – التصوف في الشعر الكردي – مجلة المجمع العلمي الكردي، المجلد السادس ١٩٧٨.

٢٣- البيتوشــي –تأليف محمد الخال- مطبعة المعارف بغداد ١٩٥٨. (ص ١٠٦).

٢٤- طبقات الاولياء -لأبن الملقن- مطبعة دار التأليف/ القاهــرة حققه واخرجــه نور الدين شــريبة. (ص ٩٥). ١٩٧٣م.

٢٥- مفتى زهاوي- شيخ محمد خال (لا١٦) ضابخانةى معارف بةغدا ١٩٥٣م.

٢٦- جولة في حديقــة ادب مولوي –بقلم محمد علي القرداغــي -مجلة المجمع العلمي الكردي- المجلد الســادس (ص ٢٦٧).

٢٧- ئەمە نا هەقى يە لە مەولەوى كراوە -حەســەن قزلجي- گۆڤارى رۆشــنبيرى نوێ - ژمــارە (٧٠) ئەيلول و تشرينى يەكەم- ١٩٧٨ (لا٥٢).

٢٨- يادى مەردان - تــذكار الرجال/ بەرگى دوهەم/ مەلا عبدالكريمى مودەريــس- چاپخانەى كۆرى زانيارى عيراق دەستەى كورد/ (لا٣٦٢ – ٤٧٨) بغداد ١٩٨٣.

فنطازيا التنبؤات
في قصة "الصراخ"

صباح إسماعيل
ترجمة: محمد صابر محمود

في ثمانينيات القرن الماضي ظهر على مسرح الأدب الكوردي عصبة من الكتاب المخلصين، عشقوا فن القصة، تشرعوا في رجرجة البُركة الراكدة لهذا الشكل الأدبي، نافخين فيه روحا جديدة. إن أولئك المبدعين الذين لم يكن عددهم ليتجاوز عدد أصابع اليدين، كانوا يعرضون نتاجاتهم القصصية بكل جراءة، واضعين إياها أمام أنظار القراء وذلك بنشرها، حيث كانت قراءة كل قصة من تلك القصص عن طريق الحوار ليس مع لاشعور المتلقي وإنما بشكل بحيث تحرك فيهم دوافعهم المعرفية، ونوازعهم الذاتية نحو مراجعة أنفسهم، وإثارة مجموعة من الأسئلة لديهم. ولم تكن كتاباتهم لأغراض أيديولوجية أو على حساب إهمال جانب التكنيك والجماليات.

لذا فأن أولئك الكتاب كانوا يخلقون لأنفسهم أعداءاً من خلال مضامين قصصهم والأفكار الواردة فيها، ويعرّضون بالتالي أنفسهم للهلاك مما كان يؤدي بهم الى اللجوء الى كتف الجبال وتوديع قرائهم نهائياً.. وكأن لسان حالهم يقول: (تلك كانت رسالتنا إليكم، وقد أودعناها عندكم ولسوف تبقى هذه الأرض وهذه القومية ويبقى تراب الوطن أمانة في أعناقكم)

يقول محمد موكري (قصة ئاميّردەكان - الرجال الآليون) هي التي ألجأتني الى ترك المدينة واللجوء الى كتف الجبال، وأثناء مكوثي هناك لم أستطع أن أكتب شيئاً يوازي قصة (ئاميّردەكان) وأما خلال وجودي في المدينة فلم يكن بإستطاعتي أن أكتب شيئاً بمستوى قصة (سەگوەر- النباح)[1]

إن ادراج أسماء بعض تلك القصص والقصاصين هو برهان على ما أقول وكنموذج على ذلك هو قصة القاص (رؤوف بيگەرد) الموسومة بـ(ريگاى هات و نەهات- أسطورة طريق اللاعودة)[2] .. وقصة (ئاميّردەكان- الرجال الآليون) لمحمد موكري و (برايم شۆراوى- إبراهيم الشوراوي) و (هەشت

و نيوى بەيانى و هەشت و نيوى شەو- الساعة الثامنة والنصف صباحاً والساعة الثامنة والنصف ليلاً) و (بريار- القرار) للقاص عبدالله السراج..

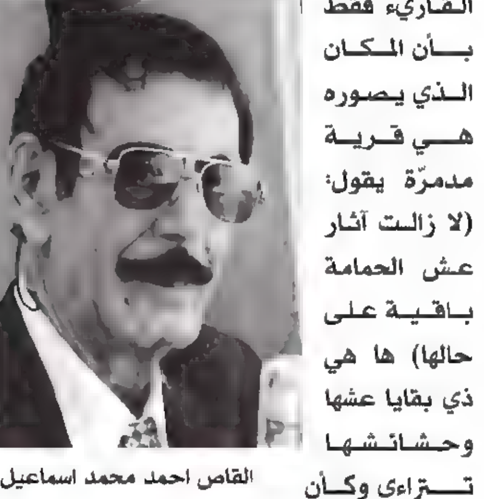
وكذلك: (لە رۆژميرى ديْيەكى ئەم خوارەدا- من مفكرة قرية من هذا الجنوب) و (هاوار- الصراخ)[4]..

و (بەسەرهاتى وەيسە- ما جرى لوەيسة) للقاص أحمد محمد إسماعيل و كذلك (دووربين- المنظار)[5] و (جيهانێكى تايبەتى- عالم خاص)[6].. للقاص محمد فريق حسن و (لەراگوزاريكدا- في زيارة عابرة) و (گەواڵە خەم- سحابة حزن) للقاص جليل كاكه وەيس.

في ذلك الوقت كنا نرى أن أدب المقاومة هذا بشقيه القومي بالدرجة الأساس والطبقي بدرجة أقل هو الذي كان يثير لهيب الحماس والمقاومة ضد المضطهدين، لأنه كان يجيب عن الأسئلة القديمة المتوارثة بأجوبة عصرية حديثة، وهكذا تحولت القصة بحد ذاتها الى وسيلة مؤثرة للدفاع عن بقاء شعب كان يئن على الدوام تحت تهديد عمليات الأنفال والجينوسايد والتعريب والتهجير والترحيل.

وفي ذلك الوقت بالذات كانت تلك الظروف تتطلب أن تولى الأهمية القصوى للبناء الفني لعنصر المكان وتبذل الجهود بقدر الإمكان لتجسيمه، لأن أي شعب إذا فرّط ببلده أو ترابه الذي هو المكان، فأنه يفقد هوية وجوده القومي ويضيعها، ويسير بالتالي نحو هاوية الإضمحلال وينمحي أثره. ولذلك كان الكتاب يرون ويعتقدون بأن المكان أبداً ينبغي أن يشكل الخميرة الأساسية لبناء القصة سواءاً بمعناه الجغرافي أو الرمزي.

وكنموذج على ذلك فأن القاص (جليل كاكه وەيس) في قصته (في زيارة عابرة) لأجل أن يُفهّم القارىء فقط بأن المكان الذي يصوره هي قرية مدمرّة يقول: (لا زالت آثار عش الحمامة باقية على حالها) ها هي ذي بقايا عشها وحشائشها تتراءى وكأن بستانياً جبلياً


القاص احمد محمد اسماعيل

من حراس مزارع الكروم قد صنع سلة عنب وثبتها بين تلك الأضلاع بكل مهارة وحذق، إلا أنه يشبه بيتاً مهجوراً خلا من ساكنيه.. ترى هل هي هامت أيضاً على وجهها وهاجرت في عز هذا الربيع الزاهي؟!

ويكتب (غفور صالح) بدوره في قصة (الأسماك) قائلاً:

(صعد من منحدر من أسفل القرية.. أولج بنفسه داخل القرية المهجورة.. دخل باحة دارهم.. والتي تركها منذ عدة سنوات، غير أن أنقاضها لا زالت باقية كما هي.. لا زالت دكة جدّه الخاصة باقية كما هي، فيما عدا البعض من حافاتها قد تهدمت، أولج بنفسه في تلك الغرفة التي ولد فيها قبل ثلاثين عاماً.. أنطرح على الأرضية وسط الغرفةوتنفس الصعداء[8])

ولكي لا نتعمق أكثر في هذا الجانب من بحثنا ونبتعد عن غرضنا نختار في هذه المرة قصة (الصراخ) للقاص (أحمد محمد إسماعيل)

مقدمة

طوال سنوات ستينات القرن المنصرم، طبعت عدة مجاميع من القصص الكردية لا يتجاوز عددها ثلاثة مجاميع، وكان ذلك في سنوات ما قبل الثورة، حيث كانت تسود ظروف غير طبيعية وغير مستقرة من الناحية السياسية.. فالصحف والمجلات كانت مغلقة ومعطلة، وقد أستولى حزب البعث على مقاليد السلطة، فأخذ يبث أفكاره ومفاهيمه المسمومة خلال تطبيقه لسياساته الشوفينية المتعصبة القمعية.. أبان تلك السنوات وتحت وطأة الظروف القاسية السيئة، نشر القاص (أحمد محمد إسماعيل) سنة (١٩٦٨) مجموعته القصصية التي كانت تحت عنوان (دارەكەی بەرماڵمان-الشجرة التي أمام بيتنا)..

ومنذ ذلك الوقت بالذات كان ينتظر من (أحمد محمد إسماعيل) كقاص مبدع و واع وذي خبرة، أن يتخطى مرحلته في مجال كتابة القصة، كان ينتظر منه منذ ذلك الحين أن يدخل التجديد في فن القصة الكوردية ويدفع بها نحو آفاق واسعة، ويرجرج بركتها الراكدة.

أن قصة (الشجرة التي أمام بيتنا) لهي الدليل الساطع على ما ذهبنا إليه حيث نلاحظ أنه لحد الآن لا زال تحتفظ بصورتها المشرقة وهويتها في أذهان القراء ولم يبهت لونها أو يعتريها الشحوب.

وبعد ذلك أستطاع الكاتب أن يوصل خمس مجاميع قصصية أخرى الى المطبعة وأن ينشرها وهي: (يد التشفي) سنة ١٩٧٣ و(الحصان) سنة ١٩٧٨ و(الإنتظار) سنة ١٩٨٢ و(صخرة الصبر) سنة ١٩٨٩ و (الطيران) سنة ٢٠٠٣.. ولا زال مواظبا على كتابة القصص وليومنا هذا..

وفيما عدا هذه المجاميع القصصية فقد أتحف (أحمد محمد إسماعيل) المكتبة الكوردية بعدد من النتاجات الأخرى، ففي مجال كتابة الرواية قد أتحف المكتبة الكوردية برواية (الربيع الأسود) وأيضاً تراجم للعديد من كتب باللغة التركية.

ماذا كتب حول قصص أحمد محمد إسماعيل؟

بعد مرور قرابة أربعين عاماً من كتابة القصص وبعد خبرة طويلة في مجال كتابتها، نلاحظ أن هذا القاص لم يلتفت إليه إلا قليلاً ولم ينل ما يستحقه من تقدير لنتاجاته وإبداعاته في فن القصة. لم يكتب عنها دراسات معمقة ومستفيضة فيما عدا الناقد (زاهر رۆژبەیانی) الذي خصص الصفحات من (١٣٨-٢١٨) من كتابه (القصة الفنية الكوردية-الشكل والأسلوب والبنى)(المعمار) للكتابة عن قصص (أحمد محمد إسماعيل) متناولاً إياها على شكل دراسة مستفيضة شاملة كل جوانبها الفنية التي تستحقها.

وقد تناول الكتابة عن قصصه كل من: صابر رشيد و رؤوف بێگەرد وحسين عارف وحسين جاف وبكر درويش وأحلام منصور/في رسالتها التي نالت بها شهادة الماجستير.

هذا بالإضافة الى عدد من النقاد العراقيين مثل (سهام جبار) و (محمد إسماعيل) الذين كتبوا عن هذه القصص أيضاً في بعض الصحف.

إن أحدى أبرز قصص الكاتب، وأكثرها نجاحاً هي قصة (الفراغ) التي تتحدث عن سوق رجال أحدى القرى ونفيهم قسراً الى جهات مجهولة حيث القضاء عليهم وطمس معالم وجودهم. وبقاء النساء لوحدهن يعملن بدل الرجال في مختلف نواحي الحياة داخل القرية وهن يعدن الأيام والليالي على أمل أن يعود أباؤهن وأزواجهن أو

أبناؤهن أو أقاربهن يوما ما. غير أن القاص (حسن جاف) في كتابه: (القصة الكوردية الحديثة) الصادر سنة ١٩٨٥ إذ يتناول هذه القصة بالدراسة، والتي تتحدث عن الخراب والدمار والكوارث يضعها في خانة القصص الجنسية، ويقارنها مع قصة (كەژو كەژاڵێ) للقاص (محمد رشيد فتاح) التي تتناول قضايا الجنس. هاهو بهذا الصدد يقول : (إن بطلة قصة (الفراغ) مترددة عاجزة فاقدة لإرادتها، وكل ما بوسعها أن تفعل هو أن تحتضن مخدتها كل ليلة وتذرف الدموع[11]) .

من دون أن يلتفت الى السبب الرئيسي أو الغرض من كتابة القصة، لماذا كتبت ولأي غرض. لأن ما هو هامشي في هذه القصة هو مسألة الجنس والتي ليست من صلب الموضوع الذي تتناوله القصة، غير أن الكاتب قد تحاشى الغرض الأصلي والذي يتحدث عن إلقاء القبض على كل رجال القرية ونفيهم وتغييبهم وتشريدهم، وبدلاً عن ذلك جاء بجعل من قضية الجنس محور الموضوع ولبّه ولو أن الجنس هو بحد ذاته إنعكاس لرغبات النساء الخاصة وإثارة الغريزة الجنسية وحرمانها منها في هذه القصة نابعتان من ذلك الواقع المفروض عليها.

هذا وأن الغرض من ذكر الأسماء وتناول كتابات أولئك الكتاب الذين تناولوا بالدراسة والبحث قصص (أحمد محمد إسماعيل) هو أن أي كاتب إذا أهملت نتاجاته من قبل الدارسين والباحثين وكذلك الناقدين ولم يتعهدوها بالرعاية في كتاباتهم وتجنبوا التذكير به فأن ذلك الكاتب سواءاً أكان قاصاً أو شاعراً يصاب بالإحباط والضعف ويشعر بأن ما كتبه ويكتبه لاروح فيه وأنه معدود من النتاجات الميتة البعيدة عن الإبداع، في حين يشاهد بأم عينه -على العكس- كثيرا من أولئك الذين تنال نتاجاتهم الرعاية ممن يتعهدونها بالبحث والدراسة والمتابعة المستمرة، دون مستوى نتاجاته.

شيء عن قصة (الصراخ) بإختصار

ولو أنني لست من رعاة إختصار القصص لأنها تفقد قيمتها الفنية وجماليتها بصورة إعتيادية، ولكن بغية الإمساك بالخطوط العامة، والإلمام بها من قبل القراء أحاول هنا تكثيفها:

قصة الصراخ تتحدث عن رجل، يرسل إثنين هما العمدة و (رەشۆڵ) التاجر بمهمة الى منطقة (گەرمیان).. في الطريق يسقط الرجل في بئر.. يبذل كل ما بوسعه وطاقته من جهد لأجل الخلاص والخروج منها إلا أنه في النهاية يفشل.. لقد شاهد هذا الرجل قبل أن يسقط في البئر غباراً عن بعد، كان يتجه نحوه.. والآن -وهو في البئر- يتخيل ذلك الغبار وكأن حصانا متعبا أستبد به الظمأ وأنه يبحث عن الماء ولربما جاء الى هذا البئر ومد عنقه لشرب الماء، عندها يمسك هو بلجامه المتهدل ويتخلص نهائياً وينقذ نفسه من الهلاك.

تاريخ نشر القصة وزمانها

في سنة (١٩٨٨) كان النظام البعثي الشمولي حين أنتهى من حرب مدمرة دامت ثماني سنوات وخرج منها مضرجًا بالدماء، نقل ميدان المعركة من الجبهات الجنوبية الى جبال كوردستان الشماء.. وكان يرى عدوه اللدود في الشعب الكوردي، لذلك إنهال بضرباته الهيستيرية على أجساد الناس البسطاء المظلومين دونما راحة أو شفقة، وكان يحمل في جعبته رسالة إبادة شعب برمته.. وهكذا شرع بتدمير القرى فشرد بذلك أكثر من (١٨٢) الف

طفل وشيخ وشاب. خلق مأساةَ زرعت في أعماق كل واحد منا أقصى حالات اليأس والتشاؤم.. وهكذا كانت المسيرة تستدعي أن يظهر في الساحة جماعة من الأدباء يأخذون على عاتقهم زرع روح المقاومة وغرس الأمل في أعماقنا المحطمة (حتى وإن كانوا مستائين ويائسين إزاء الأوضاع الحالية فأنهم مع ذلك يستطيعون أن يشكلوا دافعاً ومحرضاً للسير نحو حياة أفضل ويتحرّ عن ناس أكثر تطوراً منهم ويؤثروا فيهم)[١٢].

نعم وفي ذلك الوقت بالذات والذي كان لهيب الأنفال ورائحة شياط الإحتراق ودخان نيران أنقاض القرى المحترقة تتراكم على أجسادنا في ذلك الوقت بالذات نشر (أحمد محمد إسماعيل) في مجلة (بةيان) بعددها (١٤٨) لشهر تشرين الأول من سنة ١٩٨٨، قصة (الصراخ) كدليل على المجابهة والتصدي.

تقويم القصة

إن الظروف القاسية التي كتبت فيها القصة تشكل الحاضنة التي رأت القصة في حضنها النور، حيث كانت تلك الظروف تستدعي أن يلجأ الكاتب الى الرمز كي (يلفت نظر القارىء وإنتباهه الى شيء دون ذكر إسمه)[١٣].

ثمة رمزان قد أستعملا في هذه القصة:

الأول: (الفكر) الذي هو هنا (المكان) الذي يرمز الى جحيم الحياة تحت ظل الأنظمة الدكتاتورية.

الثاني: (الحصان) الذي يرمز الى الحرية والإستقلال.

في هذه القصة يأخذ المكان على عاتقه تحقيق غرضين:

(الأول: إبراز صورة واقعية لمكان معين.

الثاني: الغرض الثاني رمزي من خلال العلاقة بالشخصية والحالة النفسية أو الإجتماعية.. وفي حالة تجريد المكان عن غرضه الرمزي فأنه يتحول الى وصف فارغ لا معنى له)[١٤].

لقد أختار القاص بشكل واع مكاناً مجازياً. (نقول: مجازي. لأنه ليس له وجود واقعي مئة بالمئة بل أن قريب من (الإفتراض) وكل مكان مفترض هو من صنع الخيال الصرف.. ومن الجائز أن يأخذ بعض خصائصه من الواقع ولكن ليس على وجه التعيين)

إن ذلك المكان يمثل التاريخ العام والزمن فيه-لاوجود له/الى حدما/ أو أنه لم يؤخذ بنظر الإعتبار.

إن هذا المكان هو مجازي/ مفترض/ مسرحي/ وفي الوقت نفسه هو مغلق/ إلا أنه مفتوح على مصراعيه للفكر والتأملات، ولو أنه عند الكاتب ضيّق الأفق وعديم الخبرة يضيق أكثر من ذلك .

أن هذا المكان (يعتبر من الأماكن المؤقتة. لأنه بمرور الوقت وإتساع مديات التفكير، وتغير الظروف من الممكن التحرر والخلاص منه وتصبح مستقلاً)[١٥].

أن هذه المساحة السطحية المقفرة الخالية هي ضد الإنسان تثير الدهشة والإستغراب وتنزرع الخوف والفزع والأحزان والكدر. لا تصلح للعيش فيها إلا تحت ضغط الإضطرار وتهديد الخوف من الموت يلاحق الإنسان في أية لحظة، لذلك نراها ترتدي اللونين الأصفر والأسود دوماً: (كلما ساورته فكرة: إذا صاح وصرخ ملء حنجرته، فأن أحدا لن يسمعه ولن يهب لنجدته أحد. فأنه كان يربك من الأعماق وتنتابه قشعريرة من الخوف واليأس)[١٦].

إذن لا يبقى للشخصية سوى أن يحاور نفسه أي على طريقة المنلوج الداخلي، لكي يخفف عن نفسه، ويدخل الطمأنينة الى قلبه..

إن هذا الذكاء في اختيار المنلوج يعود بدوره الى الكاتب نفسه لأنه قد أدرك جيداً أن احدى الغايات من استعمال المنلوج هي ان تهب الطمأنينة في مكان لا يمكنه التكيف معه ويتآلف، كما هو حال بطل رواية (اليوم الأخير من أيام أحد المحكومين) للروائي فيكتور هيجو الذي كان يعتبره المكان المضاد على الدوام. حيث لا يمكنه الإستقرار فيه.

هاهو ذا يقول: (كل ما يحيط بي من أشياء عبارة عن مواقف وسجون إنني في كل صورة من الصور والأشكال المحيطة بي أرى سجوناً، على شكل إنسان، على شكل قضبان حديدية، أو على شكل كيلونات.. إن ذلك الجدار هو سجن من الحجر.. وان ذلك الحارس هو سجن من الدم واللحم)(١٧).

ثلاثة أشخاص يغطون مساحة أحداث القصة حيث يكوّنون المحور الرئيسي للأحداث.. إثنان منهما يتراءيان من خلال دوريهما، كطيفين من الماضي:

أولهما: العمدة(مجيد) الذي يمثل طبقة (الإقطاع).

ثانيهما: هو التاجر (رشيد) (رەشۆڵ) والذي يمثل الطبقة البورجوازية.. أما الأخ (رسول) فأنه يظهر على مسرح الأحداث، كشخصية تمثل الطبقة الفقيرة المسحوقة.. وهذا الأخير ليس واضح الملامح، لأن هوية طبقته، وسنوات عمره، ومستوى تعليمه ليست معلومة، ومع ذلك فقد أوكل إليه دور الشخصية الرئيسية وهو صانع الأحداث غير أنه في حقيقة الأمر، يشكل بيدق اللعبة التي تدار من قبل العمدة و (رەشۆڵ) التاجر، وهما اللذان يقرران مصيره..

وبالرغم من أن هذين الاخيرين غائبان ومجهولان جسدياً، إلا أن نفوذهما ووجودهما باديان على مجمل جسد القصة: (قالا له :إذهب .. لا عليك.. أنت أذهب.. أنت أدرى بتفاصيل الطريق.. أما نحن.. إنك على حق.. فأننا سوف نضمن لك تكاليف أتعابك، وكل ما يلزمك من مؤن) ص٧. وفي مكان آخر يقولان له: (وحال وصولك،فأننا لن نتأخر عنك وسوف نلحق بك مباشرة.. لا تتأخر.. إذهب الآن) ص٧.

وهنا يحاول أن يفهمنا الكاتب، ويقول لنا: بأن ثوراتنا كان يقف وراءها دوماً.. الإقطاعيون والبورجوازيون، وهم الذين كانوا يديرون دفة سفينتها.. وأنهم آخر من ينضم تحت لوائها.. وأول من يترك صفوفها، أي أن أعمار بقائهم في صفوف الثورة مرتبطة بأعمار مصالحهم معها.. هاهو ذا العمدة نراه حينما يتأكد من أن (رسول) قد تأخر في عودته يقول:حسنا يا (رەشۆڵ) بالله عليك، ألم نكن نعيش بسلام وأمان دونما مشاكل؟ أما كان الأجدر بنا أن نقتنع بما قسمه الله لنا من رزق؟ وهل يستطيع أحد االوقوف بوجه إرادة ألله؟ هل يمكن؟.. ماذا تقول؟؟)

يجيبه (رەشۆڵ) التاجر بدوره على النحو التالي: (إن الرجل ينبغي عليه أن يتصرف بحسب أرجحية الربح والخسارة) ص٨ .

هذه هي المواقف الحقيقية والمفاهيم التي تتبناها الطبقات العليا.

إن الطبقة المتسلطة حالما تشعر بأن كفة الميزان قد مالت ضدها أو أنها ستواجه معضلة فقدان السلطة والمصالح، والإعتبارات الإجتماعية، فأنها تلجأ الى الإتيان بالتبريرات لسياساتها و مواقفها عن طريق سياسة المساومة، والوقوف ضد الديمقراطية والتقدمية، ومن ثم تزيين تلك التبريرات وزخرفتها.

ثم أن (رسول) بدوره رجل غير واعٍ، خيالي

وســاذج (أحــب وأتمنــى أن يكون هــذا الغبار حصانــا.. أشــهد بالله.. هاهــو ذا يعــدو بمنتهى الســرعة.. ولجامه معقود بقربوس سرجه، أو أنه ظلّ يســحبه.. ولماذا لا يكون كذلك؟ أي نعم.. أنه حصان هائم على وجهه، وهو يمر من هنا.. حتى أنه مــلاك.. إنه خضر الحي، جــاء لينقذ ني من هذه الحفرة.. أنه سوف يأتي ويأتي حتماً)ص٦ .

لقد صدق (إيرنســت فيشــر) حين قال: (لكل شــيء حد لا يتعداه، فيما عدا أمنيات الإنسان فأن لا حدود لها أبداً).

إن الحلم والخيال تنبوءات جميلة.. لكنها بعيدة عن الواقع كل البعد. لأن الحلم الواقعي مرئي من قبل الإنســان الواعي.. والناس الواعون هم الذين يغــيرون الواقع دوماً ويصنعــون التاريخ ومن ثم يأتي القاص ليقف شاهداً لتبرير هذا الموقف:-

(أنــه يكــذب.. لقد ورطــوه مراراً في مشــاكل ومنغصات، ثم سخروا منه من وراء ظهره في الخفاء، غير أن علاقاتهم لم تتزحزح.. هيا ذق) ص٦.

أنهــا قصــة نموذجية وقد كتبــت في ظروف نموذجية أيضــاً، بالإضافة الى النظــرة التفاؤلية اللامحــدودة للشــخصية لكنهــا لا تلاحــظ فيها مواقف نموذجية، والموقف الوحيد الذي إستطاعت الشخصية الرئيسية أن تسجله لنا هو ذلك التفاؤل والخيال الواســع وتنبوءاته اللامحدودة، والتي – مع الأسف- لا تنطلق من صعيد الواقع لكي نقول بصددها أنها خيال رومانسي ثوري.

هذا ومــن هنا يلاحــظ ضغــط الكاتب على جسد القصة عن طريق الراوي والذي يشكل (الأنا الثاني) للكاتب، الذي فــرض هيمنة صورته على الشــخصية، لأن الذي يستغيث بالشعب هو الكاتب وليس الشخص الموجود في قرار البئر.

ومــن الممكن القول أن نقطــة الضعف البادية للعين تكمن في أن القصة تنفجر من الخارج بقرار من الراوي وليــس بمحاولة تفجيرها من الداخل. قلت قبل هذا ولأن الشخصية الرئيسية إنسان غير واع وهويته الطبقية مفقودة، وليست لنا معرفة بمنزلتــه ودوره الإجتماعي ومســتواهما، ثم أنه بدوره لا يعرف بمن يســتغيث ويستنجد وما هي مطالبه، وأن صراخه ليست لكونه إنساناً مسحوقاً حتــى العظام وإنما هو صراخ لأجل إنقاذ نفســه فقط.. وأن الأسباب الذاتية قد غطت على الأسباب الموضوعية وأحالتها للنسيان، ثم أن العمل الفردي لن يعالج شيئاً في التاريخ[١٨].

غير أن القاص بإلحاحه المســتمر المرة تلو المرة وتكراره له مرات عديدة يجعلنا نفترض بأن ذلك الصراخ هو مطلب في سبيل إنقاذ الشعب من قيود وأغلال الإضطهاد ومكايداته.

ترى على أي أســاس يســتغيث البطل الرئيسي للقصة بالشــعب.. وهــل يأتي لنجدتــه عبر خيال واقعــي لحصان ينقذه مــن ذلك الخطــر الداهم؟ إعتمــاداً على العمدة مجيد والتاجر (رەشــۆڵ)، أم على أساس تلك الخبرة الطويلة: (بالرغم من أنه قد ذاق مــرارة الحر والبرد كثــيرا إلا أنه لم يصبه أبدا نجيبة الأمل والإحباط كما هو الآن في هذه المرة.

هاهــو ذا يعلن عن عجزه بصراحة: (حســنا، وبأي شيء أتمسك؟ ص٦ .(لقد أختلط علي الشمال والجنــوب)ص٦.. (والآن أيهما هــي القبلة؟وأيهما ليست بالقبلة؟.. ومن قال إنه يتوجه نحوي ويمر مباشرة بجانبي ؟ ثم من قال أنه لم يكن بزوبعة تتجــه نحو الســماء؟) ص٦ أن هــذا القلق والتردد والتذبذب يوصلنا الى جادة الصواب لنقول بقناعة تامة: أن هذا المطلب هو مطلب متخيل وهو عبارة

عن بناء قصر على الماء.

إن رسـولاً هذا من جراء عجزه التام وفقدانه لمعنوياته، ينتابه إحساس عميق بالوحدة، لذلك نـراه يتمنى لـوكان (مجيد) أو (رەشـوّل) معه: (ياليت (مه جه أو رەشوّل) كان معي ص٧ .

إذن مـن هنا نرى بأن المهـم لديه كان وجود هذين الشخصين: (ولو أن هؤلاء ينتظرون السفرة الجاهـزة.. أي نعم، أما إذا هلكت أنا فمن بعدي لن يجنوا سوى اللاشيء)ص٧ .

إن هذه الأمنيـة بوجودهما معه تأتي بعدما: (ورطوه مراراً في مشـاكل ومنغصات، ثم سـخروا منه من وراء ظهره في الخفاء، غير أن علاقتهم لم تتزحزح أبداً) ص٧ .

إنه لـم يأخذ العبرة من مواقفهـم الإنتهازية لحـد الآن، وفي هذه المرة أيضا حينما يقع في حيرة مـن أمره ويقع في الضيق فأنه يسـتنجد بالعمدة والتاجر (رەشوّل) كمنقذين له..

هذه كانت إحدى الصفحـات النادرة التي تتكلم بصدق عن الصورة القبيحة والبشعة لجميع الثورات التي إندلعت في كوردستان والتي كانت فيها على الدوام الطبقات السفلى ذيلاً لتلكم الطبقات المتنفذة.

في حين كان ينبغـي أن تكون هي رأس الرمح في الثورة ضد أولئك أساسـاً.. إلا أن أولئك أنتهزوا فرصة جهل الناس الكادحين المسـحوقين البسطاء المغلوبين على أمرهم ليأخذوا زمام الثورة بايديهم بأسـم تحرير تراب كوردسـتان وتخليص الشعب الكوردي وإنقاذه من براثن الأعداء.. وهناك براعة فنية في القصة ألا وهي أن السارد والذي هو القاص نفسـه، يقوم بدور راوي القصـة، وفي مرة أخرى يتكلم بلغة ضمير الشخص الأول المفرد. وكل واحد منهما من زاوية معينة عن طريق يختلف في شكل السرد: وفي الوقت نفسـه يلاحظ أيضاً التغيير في نوعية التعبير والرؤية العالمية.

فمثلاً نلاحظ عند سـرد أحداث السـقوط في عمق البئر أن الراوي يعيد نفس رواية الشـخص الرئيسي ثانية، لكنه بلغة أكثر فنية.

ويبدو أن غرض القاص على الأكثر من الرواية الثانية هـو التأكيـد على الحدث أكثـر، وصدق حدوثه، حيث يأتي ليرد لنا القصة بأسلوب يحمل الطابع الأسطوري. (تذهب.. وقبل أن تصل منبع (روَخانـة) تصادفك مـزارع كروم، وبسـاتين.. توجد فيهـا فواكه الدنيا لا تطمع في شـيء منها .. لا تمكث هناك، خذ جهة اليمين توصلك رأسـاً الى قلعة قديمـة.. تجاوزها.. وحالما تصل الطرف الآخر تحتضنك الأراضي الخصبة والينابيع العذبة وتفتح لك أذراعها ص٧.

لقـد أهملـت معمارية الزمان بشـكل كامل.. يتعاقب الزمان بشكل متسلسل الواحد بعد الآخر.. الفجر.. الضحى.. الظهر.. المغرب.. غروب الشمس طـوال مـدة سـقوط الشـخصية في الحفرة(منذ الضحى والى غروب الشـمس مسـاءاً والتي تشكل وقت رواية القصة، يتم الإعلان عن الوقت بشكل سريع بإسـتمرار ومع مرور الوقت يرتفع مؤشر الضوء الأحمر بالخوف والقلق والإرتباك.. بمعنى أنـه كلما طال الوقت كان الخوف يتهدد الشـخص القابـع في قرار البئر أكثر فأكثر وهذا تأكيد على (إن الحالة النفسية للإنسان لها دور ظاهر وبارز في إستنباط القياس والشعور بالوقت)[19]

لقد لجأ الكاتب في سـرد الأحداث الى إستعمال أسلوب المونتاج الزمني (فإذا ما أتجه نحوي مباشرة، فلربما أسـتغرق وصوله ساعة أو ساعتين. فليكن فأنا راضٍ بثلاث سـاعات، خذها مني ليكن حتى

غروب الشمس، شريطة ألا يداهمني الليل..)ص٦.

دافيد داجيز يقول بصدد مونتاج الوقت: (من الممكن أن يكون الشخص ثابتاً في مكانه ويحاول تحريك فكره فقط داخل الأوقات .. هذا هو المونتاج الزمني، وذلك بوضع الصورة أو الفكر في وقت معين فوق الصورة أو تفكير آخر في وقت آخر)[٢٠].

وفي نهاية المطاف وبعد هذه الدراسة، نسأل أنفسنا:

* ترى ماهو غرض الكاتب من كتابة هذه القصة وما الذي يريد أن يقوله؟

أن النقطة القوية في القصة وغرضها تتركزان في أن الكاتب خلال تلك الأيام العصيبة الكالحة المليئة بالتشائم .. وفي ذلك الربيع الأسود ينثر على هاماتنا ورود التفاؤل.. وفي أقسى وأشرس ظروف الإنهيار واليأس وإمحاء هوية شعب ووجوده يجعل من بشرى إنهيار وسقوط أكثر الأنظمة فساداً ودكتاتورية لنا فنطازيا، والتي كانت تنعش في ذلك الوقت كخيال جميل رومانسي أحشاءنا المحترقة.

المصادر والمراجع:

١- رۆژنامەی ستایل، (١١٢)ی ٢٠٠٤/١١/١٥ هەولێر

٢- نووسەری کورد، ژ(١)ی ئایاری ١٩٧٩.

٣- بەیان ژ(٧٢) ي ١٩٨١. (لقد أستردت مؤسسات البحث ذلك من المجلة وجمعته من الأسواق وصادرته) .

٤- بەیان ژ(١٤٨) تشرینی یەکەمی ١٩٨٨ .

٥- نووسەری کورد ژ(١١)ی شوباتی ١٩٨٣.

٦- نووسەری کورد ژ(١٠)ی کانوونی دووەمی ١٩٨٣.

٧- جەلیل کاکەوەیس، چرکە زیندووەکان (کۆمەڵە چیرۆك)، هەلێر ٢٠٠٠ لـ ٤٦-٤٧ .

٨ غەفوور ساڵح عەبدوڵلاّ، پەیکەر و پیاو، دەزگای رۆشنبیری و بلاّوکردنەوەی کوردی بەغدا، ١٩٨٩. لـ ١١٥ .

٩ لەپەراوێزی چیرۆکی دوو بینیندا، بەکر دەروێش، هاوکاری، ژ(٣١٥٦)ی ١٩٩٩/٨/٢٩.

١٠ ئەحلام مەنسوور بینای هونەری لە کورتە چیرۆکی کوردیدا (١٩٧٠-١٩٨٠) زنجیرەی کتێبی سەردەم، سلێمانی ١٩٩٩ لـ١٤٠-١٤٣ .

١١- حەسەن جاف، چیرۆکی نوێی کوردی، چاپخانەی عەلا، بەغدا ١٩٨٥ لـ٥.

١٢- ئیرجی ئازەرین، لەپەراوێزی مەرگی اخوان ثالث دا-گۆڤاری ئەدەبی کرێکاری ، ژ (٣) سلێمانی ١٩٩٢ ل١٠. (سووکە دەستکارییەکم کردووە).

١٣- حەمە سەعید حەسەن، شیعر هەڵۆێستە، چاپخانەی ڕاپەڕین، سلێمانی ١٩٧٩، ل٣٩ .

١٤- د. علي ابراهيم. الزمان والمكان في روايات غائب طعمة فرمان-الأهالي للطباعة والنشر- دمشق ٢٠٠٢ ص٨٦.

١٥- سەباح ئیسماعیل شوێن و چەمکی شوێن لە ئەدەبدا (بەشی دووەم)، نەوشەفەق ژ (٩) ، کەرکووك ٢٠٠٣، ل٤٦ .

١٦- ئەحمەد محەمەد ئیسماعیل، فڕینەکان (کۆمەڵە چیرۆك)، وەزارەتی رۆشنبیری-هەولێر ٢٠٠٣، ل٥.

١٧- ڤیکتۆر هۆگۆ، دوارۆژی مەحکوومێك، و: عەبدولموئمین دەشتی، سلێمانی ٢٠٠٤، ل١٣ .

١٨- مقوله لیلیخانوف.

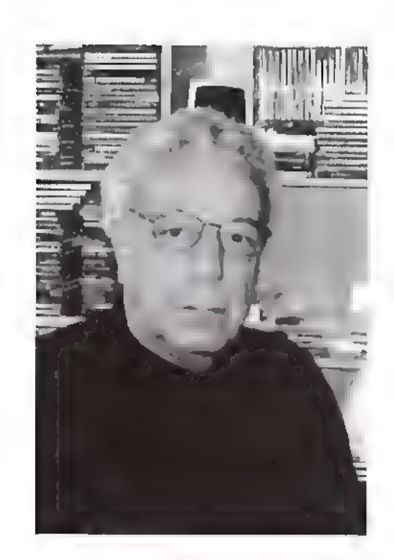
١٩-نەجم ئەڵوەنی، بینای کات لەسێ نموونەی ڕۆمانی کوردی دا، دەزگای چاپ و پەخشی سەردەم، سلێمانی ٢٠٠٤، ل١٨ .

٢٠-روبرت همفري- تيار الوعي في الرواية الحديثة- ت: د.محمود الربيعي، ط٢-دار المعارف بمصر- القاهرة ١٩٧٥، ص٧٢-٧٣ .

٢١- کەمال میراودەلی. پێشەکی کۆمەڵە چیرۆکی (تەزووی ناخ)، ئەحمەد قادر سەعید- چاپخانەی ڕاپەڕین، سلێمانی ١٩٨٠.

بيانات موزونة

عبدالقادر الجنابي



البيان الاول

1
ترابًا
لندفنْ
بُحورَ الخليلِ:
فلا شعرُنا عادَ يَحدو
ولا نثرُنا عادَ يَروي
حقولَ الحكايهْ
لنَلحَدْ
فراهيدَهمْ
ثمَّ إيقاعُ أنّى
يكونُ الصُراخُ
مناطَ المصير
يكونُ القصيدُ كفيًّا بذاتِهْ.

2
فأمّا كُسالى الغناءِ، فشعرهمُ
كالغبارِ يصمّ
فلا بدرَ لليل لا للكلام حياة
قريضٌ تضيعُ القصائدُ فيهِ
ووحيُ السليقة° –
خفيرُ الحواسِ خؤونٌ
يؤول كطبلٍ
الى راسبٍ في النفَسْ...
الى ضَلةٍ لا تُنيلُ

3
جُزافٌ، نظيرُ التوترْ،
وَجيزُ الكثافة°

هوَ الشعرُ في النثرِ،
هَمسًا يُحاكي الغريبَ:
نعم، للشِفاهِ أذُنٌ
وللأذُنِ عينٌ
وللعينِ إيقاعُ حلم
هو الصوتُ،
نِدُّ المدى والصّوامتْ.

وعنـقُ التفاعيلِ يُلوى،
بسرْدِ الدلالةِ...

تفاعيلُ عنها تريد الخروجَ

قصائدُ تمضي شمالاً كيوم جريءٍ
إلى كتلةِ النثرِ حيث المعاني
براكينُ
ثمّ انسجامُ
تُسَاكِنُ سطرًا فسطرًا.

البيان الثاني

1

لكَ إيقاعٌ،
انثره يروم كما يهوى
ميزانُكَ بالكلماتِ كما تَنـزلْ
وَحْيًا أو تفكيرًا.
انّى يوجدْ كلِمٌ
يوجدْ إيقاعٌ، شرْيانُ المعنى.
لكَ تاريخٌ: هوَ نصُّكَ لا شيءٌ آخرْ!

2

في موقفهِ
للشاعرِ ساعتُهُ
حُرَّ الرؤيا يتركْ
قلمهْ
يدنو ممّا يتصارع فيهِ
من أفكارٍ لم تُمسك بعْدُ
إذ يتركها تنمو عفو الخاطرْ...
وإذا يتوالى دفقٌ من صورٍ
لم يعهدْها قَبلُ،
تتكتّلُ شعرًا، أفكارًا،
تتراءى إيقاعًا

ضِدّ الإيقاعاتِ المعطاةِ، يشفُّ بشعرٍ
أيّ محاولةٍ كي تخضعه لسياقٍ وزنيّ، يُطفأُ
يَفسَدْ جوهرُهُ:
أمتخُ كياني شعرًا، تَمسخُهُ التفعيلةُ قولاً
هَدهِدهُ الرُقباءُ وإنْ أختارُ التفعيلةْ
إيقاعًا، لن أشتفَّ مياهَ مظانِي، لن!

ما موجودٌ من شعرٍ
ليس سوى شبحٍ فوقَ الورقةْ.

3

لا بحرٌ للشّعر
ولا قانونٌ للحلم،
ولا منوالٌ يُتبَعْ...
والدّفق الآلي إيقاعهُ فقدان الرّابطْ.
للشعرِ مقاديرٌ، حلمٌ، قدرٌ، ذكرى، موتٌ
هو أنتَ: نظيرُكَ ما تكتبْ
مهما تفعل.

4

الوقعُ أمامَكَ،
لا في حافظةٍ،
يتموّجُ في نهرِ اليومي
اِرْكبهُ

كي مِن هوْل الصّوت السائبْ
وخِضَمّ تعاريج الساكنْ
بجديدٍ تأتي

5

الإيقاعُ الآخرْ
الطالعُ من صوتِ الآني،
والفكرُ يُفكُّ من الحُجُبِ،
فيكون الماضي تلميذَ الحاضر
والإيقاع الإنساني ها يشدو:
ما أزرقَهُ...
أَلليلُ كما لو
أنّ الدّنيا كأسٌ
قطرةُ حبرٍ
قد سقطتْ فيها!

البيان الثالث

لو مـزّقَ الشعراءُ ما كـتبوا (خَوىً)
لو أُعْطيَتْ لهمُ
دراهمهمْ وولّوا
تاركين الحبرَ والورقا
لعُميان البَشَرْ.
لو أفصحوا ما في الكتابة
ليس بالكلماتِ
بما يـُلامِسُنا
بل لِزَجِّ الذاكرةْ،
والصُوَرْ
مَسْكِ الطريدةِ
لـتراءتِ الأبـياتُ عالمًا
قصائدهُ بشرْ،

ونهارهُ
ليلٌ
وليلهُ
نهارٌ..
عالمًا
لا أبجديّةَ لهْ
ولا كـتابَ
سوى يدٍ ممدودةٍ
وخطوطُها خرائطُ الشعراءِ
أين تصادفوا
فيكونُ بَدءٌ للحَجَرْ!
ولكان عالمُنا رأى
كَلِمًا يمسّهُ الشعاعُ...
وها الأثرْ.
البيان الرابع
«اعطِ اللغة
عيونًا»،
الأفقَ والمرآة
كي تـقيس النشيد،
البرقَ الذي نصافح،
فالموج في هوّة عظمى
من البياضات.
دَعْها
تـُراقب الصّمت
كما الفكرُ
يُصغي
للمُطلق الهاذي...
كما الرؤيا
تـَنـزّ عن
مجهول الكلام.
اِعطِ اللغة

ذراعا طويلة
كي تنتشل
من مصرع النوايا
نجمًا هوى.
يكُنْ في التناهي
للشعر
حياتان.

احلمْ،
أغرُب عن وجه الكل.
لكنْ...
لا تلعن،
لا تَنشُج.
صالِحْ نفسَكَ
يمهرْكَ الشعر.

البيان الاخير

في سهلِ الرّأس تموجُ الرؤيا،
تجري كالسّيل، كعاطفةٍ تتشظّى آفاقا!
لا فكرة ليس رمادًا، ماضٍ لم يُسرد
تُثارْ.
أو ذكرى لمْ
جِد عمّا لا يُذكي ناراً.
الموتُ يسيرُ كفاصلةٍ ظمْءَ الكلمات.
اجلسْ بتراخٍ خلف الضوءِ!



لا تقف فوق القمّةْ!
لا تكُنْ جَرْس القريةْ!
أو لسانًا للأخرسْ.
جُهدٌ ما يُغوي سطرا
ليسَ سوى عبثٍ
كالسّقطة من سُلّم:
كُن أنت
تكنْ عَدَما.
كُنْ آخرَ...
للأوراق يكُنْ أسنانٌ.
كُنْ...
ما لم يبدأ، ليلاً،
في الشاسع من موتٍ يُحيي!
نَمْ إذًا،



ثلاث قصائد

هناء السعيد

١- قطعة

لك لااملك لغة
فقط اتجلى حبا
تسال عنه الشمس
تتساقط انوثتي بينك
وامارس معك الاختباء
بلهجة الرياحين
انتظرك...
وانت تخلع قميص الاحتمال

واجثو لعناقك
اصلي
في بعضي
واخذ كلي لشفتيك
مسارات لنورك
التمسها السكون
فوق ليل ممرغ بهمسك
القادم من الغربة
يتارجح جسدي
احدق في حطامي
انك على امتداد الدرب
احمل صمتي...
وحفنة من حرية
لازور خريطة بكائك السومري
سأقول للزمن الاجوف
اني اعشقك
وبياض حزني بعد الاربعين...

٢- امنيات على مرافيء الانتظار

خيط لامنية ورقية
خبأتها تحت شياب السنوات
تحضيرا لضجرا قادم
اتفقت اللحظات
لمبيت تحت كسرة كلمة...
لاعري يزجف بينك
او قطرة ليل
ادركت العبور لدمعة
فوق الخرافات
ثقب بعيد
ومسافة للظلام تغفر الجوع
انزل من سكوتك
ياقرية في ذاكرة يدي
للهواء وجع
ولليوم كهف...
لذا
اشبك اصابعك في جنوني
السفر نحوي
اول نشيج انزله ملاك الليل
موج فوق كتفه
سلمته نقاء تشرين
وعلى خشبة الصدفة
قلت له:
اخاف رحيلك...

٣- رحم المدن

انحدر الحزن بي
امس... الى رسوم اليد...
عانقتك بجروح

وانطفأت شفتي...

كلمة مغلفة بالقش
كنت الامسها... فتخجل

برد على الابواب
يصغي لريح غربتي
اين انت و السموات ترتجف الانتظار
مترنحة ايامي...
وندوبها تتحرك على سجاجيد الابتهال
انتزعت اغفاءة
وابرة في ضمير الليل
ترقص بلا ارض ...
باكين... وخربشات الاسم ترتمي في جيبي
مدن... وجوه... تهز راسها
في الرحم...
نظرة في الهزيع الاخير من العشق
نزفت حبرا...

امتلئ بساعات الترقب
لا تقس على دعواتي...

كلانا في لفائف السأم

لمحت بين النهارات
خوف حنيني... وشدة اهي
في قبلة من المساء
تشرد هدوئي...
واختلس الغيم
مسافة الثياب



نص الموت

محسن أديب
ترجمه عن الكردية: خسرو ميراودلي

خطوة قبل البرزخ ....
ورقة قبل السقوط ....
كلمتان قبل ان ينطق بهما
الخطوة ....
الورق ....
الكلمة ....
.... النفس ....
كلها أحياء قبل التلفظ بها
ولكنها حينما ينطق بها
وتكتب
ستسقط
وعندها ينمن .... فيمتن
وهذه حقيقة حال كل مافي الدنيا
كلها أحياء قبل ان تبدأ بالطلوع
يعشن قبل نفس واحد .... ثم يمتن
والحقائق كلها مزيفة قبل الموت

الدنيا كلها مزيفة قبل الموت ....
المجاز حضن للحياة
الحياة كلها كذب !
لأنها يمكن أن تلفظ بها ، يمكن ان تكتب
المطر نشيج من البراءة
قبل أن ينزل
ولكنه طوفان من النفاق
لحظة النزول

يموت المطر مع النزول .....
وهو حي قبل النزول
الحقيقة نقيضة الفعل
الشعر خصم للكتابة
الكلمة ضد القول
الطفل قبل ولادته شعر
المرء شعر بعد موته

لذلك لايتلفظ بالشعر
ولايكتب ابدا
****
لوان الموت لم يكن ((كلمة)) ...... لما عبر عنه
لو ان الموت لم يكن ((صورة)) .... لما التقط
....
لو ان الموت لم يكن هيكلا ....
لما كان مقدسا هكذا ....
ليس الموت شيئا سوى كلمة ملفوظة .... !
ليس الموت شيئا سوى صورة ملتقطة !
ليس الموت شيئا سوى هيكل ميت .... !
تفوح رائحة الموت من كل شى ....
كل شيء يأتى من شاطىء الموت ....
الآغنية صدى ملء حلق روح الموت ....
الرقص مراسيم تسفير جثة من الموت ....
الثورة مليئة بعشق الموت ....
العشق نص لايكتب قبل الموت أبدا ....
لايعيش العشق بالتنفس .... بل يموت
يوجد الموت بين كل نفسين
بين القامة الرشيقة للسيجارة والشفة ....
توجد لوحة من الموت
ترسم بالدخان
بين لقاء عاشقين
يوجد مكان و زمان للموت
ليست الآرض سوى ضريح للموت
وليس الزمن سوى قطار
للرحيل
بين كل كلمتين
يوجد فراغ للكفن
ان جميع الملاحم
تحكي لنا بطولة الموت

في اللحظة – التى
يولد طفل .
يموت أب
وعندما تخصب حرفان ،
تدفن كلمة
بين نوطة و عزف
هناك صدى يحملنا نحو الموت
بين فنجان للشراب وشربه
هناك جرعة من الموت
يوجد قبل الموت الآزواج كلها معا
في بودقة واحدة
والموت يتخللها ....
هناك مغامر يريد ان يفر
من جميع هذه العلاقات ....
يريد أن يصبح عريا
من كل الآصوات
و ان يفترق عنها
ويهرب من المكتوبات
بفراره من الكلمات
يريد ان يلحق بالحروف
يريد هذا المغامر الشارد
ان يرتحل عن الموت
ولكنه يخطو نحوه
في اللحظة عينها
ويموت في هذا الرحيل
وفي هذه القصة
لالسبب الالتنتهى القصة
ان الرحيل هو اكثر القصص ابداعا
والموت أبدع الممثلين
و ((التمثيل)) في هذه القصة
هو أوج الوصول

الى رموز الشعر
****
بين جميع الشوارع العامة
هناك عديد من ممرات الموت
توجد اكثر نصوص الموت واقعية
بين اكثر النصوص الشعرية رومانسية
هناك بين العين و الدمع موت
بطول قامة السقوط
عند اسرع ضحك للآغنية
يعيد أبطأ نص الموت كتابته
وهناك أخشن عزف للموت
مع أبطأ مقام
مابين ((الموت)) و ((الحياة)) مسافة
لاتعدو سقوط ورقة الى الارض
كي يسمع المرء
لابد ان يردد اغانى الموت
و من اجل ان يعرف المرء
ينبغي ان يكتب فلسفة الموت
كي يوجد المرء .... يجب ان يشعر بالموت
((انا اشعر بالموت اذن انا موجود))
كي يعيش الآب .... يجب ان
يسمى اولاده ((الموت)) ....
لان ، كل شيء تفوح منه رائحة الموت
كل شيء ينبت في شاطيء الموت
تأتي كل الاغانى
من شواطيء ميلوديات الموت
يدفن كل الدموع
عند حافة الموت
وكل المياه والجبال و السهول
عند حافته تنتهي
وتنتهي

كل الليالى ، والآيام
ويغمض عندها العيون
تعيش كل الآشياء في جوف الموت .... !
((الحياة)) وحدها هي التي
تموت في اعماق الموت .... !
كل الاشعار تموت
في مقبرة الصحف
ثم تعيش



رحلة موسم الخريف

شنو احمد غفور – خورماتو

سحابة تحت ظلال شجرة
تمشي ببطء
ياترى هل من المعقول
أناس بألوان زرقاء
أثار أقدام
تأخذني اليهم
ماء وأوراق من الخريف
تعرض لسيلان من العواطف
تلك المرأة مازالت
همسات غربتي ونخب كأسي
طيلة مساء
وأنا في شجون لرؤيته
لكتابة قصيدة
تكون كلماتها الصمت
وقلبها حمراء
وعنوانها الحب
تحت ظلال الحب
اكتب خواطر وأشعار
وصهيل خيول الفرسان
لاتفارق أذاني
أنا آت
لتلك المشاعل
لأثبات العشق
في أمسية شعر
في ظلال دامس
سوف اجدك في خارطة العشاق
في جبل الحرية
هل! صادفت وقرأت كلمات ؟
هل!رأيت الشروق في بلادي ؟
أيام.... وأيام نسيان لن أبوح به
لانه يسودنصف ساحل قلبي
يسود صورة عيشي الخيالي
ولن ابوح بصر البحر
صرخات لتحقيق الاماني
تلك اعين
نضراتها ذابلة

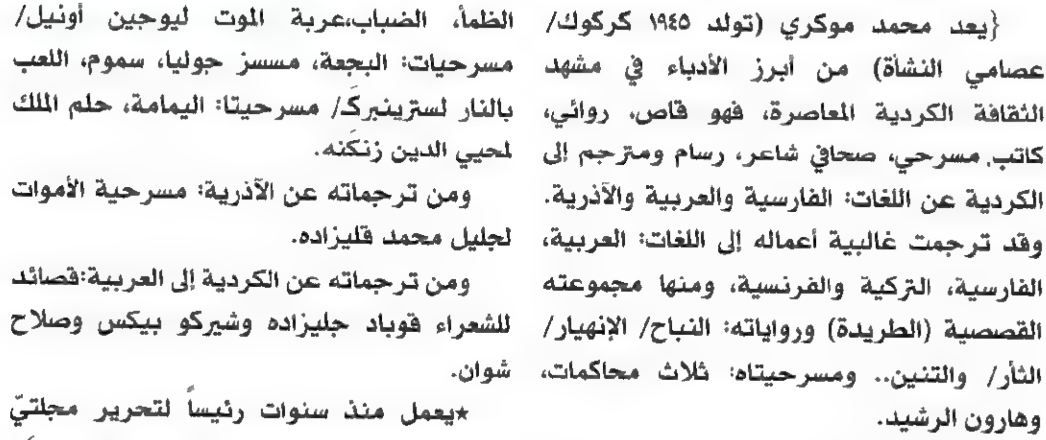
ذلك شعر يغطي نجم فينوس
فأي ملحمة تتحدث عنه
فالقمر الحزين
كعاشق مصاب
ينتظر زيارة بائع الجمال
وهو محفور في المنفى الأبدي
أمازلت تحب الخداع !؟!!
أمازلت تحب بالعين والجبين
أنت تحلم
حلم برونزي اللون
يأتي ببطء عصفورة
وتيقظك بصوتها القروي
والشمس لايفارقها العطش
وطرقات ألباب
كالنار يأتي نحو أنفاسي
وينادي
وأنا ذاهب لالقي نظرة الخوف
مع نفسي الظمأن
عبر طرقات المساء
نافذات الهوى تنفتح
لسماع صياح انفاسي الترابي
حقل الخريف وموسم الحشر يقترب
فكيف أتخيل وجسدي في حضن شجرة دافئة
قطرات من الندى
تسقط على اوراق برجي
والبرج يخبرني عن أحلام شائكة
خلف القضبان
والعمر يريد الرحيل
والروح لن ينتظر لحظة واحدة
كيف لا أفزع وانا في ساحل البحر !!؟
كيف لاأخاف والعاصفة هدم
الورودوالاعشاب !!؟
فأين اذهب وأنا جسدي
قطعة ثلجية
تذوب مع اول ندى
ايها البرج
هل سمعت عن فتاة
مولود في زهرة الرمان ؟؟
هل ترى ذاك الشعاع الاخضر
انه شعاع بلدي
يتبلل مع اول مطر
ويضحك مع اول صباح
وهو موطن قصائدي
يعني موطن روحي
رذاذات من الماء
وهديل الحان
ورياح تعيد لي التفاؤل
منذ مدة وأنا في نهر عشقي
فأدخلي يا أنا
ضيفتي امرأة من الثلج
من بلاد القصائد
تريد رؤية العشق
محياه هو الخيال
فجأة اصادق امام عتبة الدار
نوراً مكن وطني
ونسمات من شلالاته
ها....هنا
الليلة أشعل شعلة النوروز
لأضاءة سور الحرية
لجسد تلك المرأة
وأنا نفسي أرحل الى ديار الصمت
ديار الرحلة الابدية !!!



قصة قصيرة

ليلة

محمد موكري
ترجمة و تقديم: جلال زنگابادی



{يعد محمد موكري (تولد ١٩٤٥ كركوك/ عصامي النشأة) من أبرز الأدباء في مشهد الثقافة الكردية المعاصرة، فهو قاص، روائي، كاتب، مسرحي، صحافي شاعر، رسام ومترجم إلى الكردية عن اللغات: الفارسية والعربية والآذرية. وقد ترجمت غالبية أعماله إلى اللغات: العربية، الفارسية، التركية والفرنسية، ومنها مجموعته القصصية (الطريدة) ورواياته: النباح/ الإنهيار/ الثأر/ والتنين.. ومسرحيتاه: ثلاث محاكمات، وهارون الرشيد.

*من ترجماته عن الفارسية: تاراس بوليا لكَوكَل/ فيفا زاباتا لجون شتاينبيك/ الحمارنامه/ ودراسة عن الشاعر خسرو كَلسرخي.

ومن ترجماته عن العربية إلى الكردية: همنكَواي لفيليب يونكَ/ هنري جيمس لليون نيدل/حديقة الحيوان لأدوار ألبي/ الجسر لجورج ثيوتيكا/ المرحوم لبرانسيلاف/القيثارة الحديدية لجوزيف أوكونور/قصائد بريخت/مسرحيات: الظمأ، الضباب،عربة الموت ليوجين أونيل/ مسرحيات: البجعة، مسسز جوليا، سموم، اللعب بالنار لسترينبركَ/ مسرحيتا: اليمامة، حلم الملك لمحيي الدين زنكَنه.

ومن ترجماته عن الآذرية: مسرحية الأموات لجليل محمد قليزاده.

ومن ترجماته عن الكردية إلى العربية:قصائد للشعراء قوباد جليزاده وشيركو بيكس وصلاح شوان.

*يعمل منذ سنوات رئيساً لتحرير مجلتيّ (بيفين) الصادرتين باللغتين الكردية والعربية}

رشفة. رشفتان.. ثلاث... كأس.كأسان.. قنينة. ثمّ نصف آخر.

لاجدوى.لن أسكر. حتى الخمرة ليست مرّة هذه الليلة،وليس للمزّة أيّ مذاق،كما لاأحس بنكهة السكَائر، أمّ إن الأغاني العاطفية والموسيقى الشجية،التي يبثها الكَرامافون لاتؤثر في شأنها شأن روائح شتى الورود، والأنسام العليلة. سدى..

لست أسكر. لاجدوى، في حين قررت أن أثمل في هذه الليلة خلافاً لكل الليالي الفائتة، وأن أخرق طوري، وأن أعربد!

طاولة، شمعة ضئيلة الذبالة، في ركن منعزل من حديقة ناد كبيرة... يا لها من ليلة منعشة!

سماء رمادية- بنفسجية، ولمح من القمر الذي يطل عبر غمائم وسخة، ثم يتوارى بإيقاع خفيف وخافت. بضع أغنيات تتلو الواحدة الأخرى، وأنا الوحيد أسير عزلتي، وثمة فراشتان عاشقتان تفتقدان بين الفينة والفينة لهب الشمعة، إنّما بلاجدوى؛ فأنا لست أسكر!

ثمّ نصف قنينة آخر من الخمر... تشجّعْ.. هيّا. هنيهات من التأملات السادرة،ثم سيكَارة، سيكَارتان، ثلاث، ثمّ أخرى... آه قد أفل القمر. نفدت سكَائري. فرغت القناني. وانطفأت الشمعة بعد عجزها عن إمتصاص الظلام الأخلد من عمرها، ولم تحترق الفراشتان، ولم أسكر!

إنتفضت، نهضت، تجتاحني رغبة عارمة. ترنّحت. تمالكت نفسي. تلمّست براحتيّ وجهي، بعثرت خصلات شعري، ثمّ رحت أتمشّى وأنا أدندن بشتات أغان، وإذا بي بغتة أخلط عفطة بصوت صافرة سيارة إسعاف مرقت معوّلة بجنبي؛ بحيث رنّحتني وضللتني عن دربي؛ فولجت أحد الأزقة الضيقة على غيرهدى. لم ألق إمرأة إلاّ وسارعت بخفض عينيها. كنت أدمدم بكلمات لامعنى لها، بل ولاأعي ماأتفوّه به. ثم رحت أحسب أعمدة الكهرباء واحداً واحداً، كما أحصيت جميع النسوة والعسس شبه النوّم،حتى أضناني التجوال.

غيرأني لم أسكر،وعدت أدراجي إلى الشارع الرئيسي المستقيم.تقدمت على الرصيف، وهنالك تسمّرت هنيهة.. كنت أفكر (فيم أفكّر؟!) ومهما قلّبت أفكاري، كانت تعاود الكرّة منصبّة على (لماذا لاأسكر؟) لاجدوى.. لاجدوى حتى من التفكير!

وهكذا عدت إلى الفندق، الذي كنت نزيله دائماً. دخلت غرفتي بمنتهى الكياسة والرياء هذه المرة، واستبدلت ملابسي دونما ترنّح، وانتبهت فوراً للساعة الجدارية، وهي تواصل دقاتها... وأنا مازلت واقفاً ولم أرتد بعد سوى فانيلا ولباس داخلي قصير، إذْ أصغيت: دقة، دقتان، ثلاث، أربع... إثنتا عشرة، ثم عاودت الدق من جديد...

(إيضاح):

{تقع غرفتي في مبنى كان من قبل مخفراً للشرطة، وكانت الغرفة بالذات حماماً للمحظوظين من السجناء! وهاهو المخفر قد إستحال فندقاً في هذه المدينة المعدمة والصمّاء، ويتقاضون عنها شهرياً ثلاثة دنانير، وما إنفكت تلتهم أكثر ليالي ونهاراتي سواء أكنت نائماً أو يقظاً أو أقلي البيض... يا لها من غرفة محظوظة؛ إن قورنت بغيرها! مادامت وحدتي المستديمة لاتزعج ولاترهق آذان حيطانها المتصدعة، بل ليس عندي حتى مذياع... أجل ليس لي من حطام الدنيا سوى ساعتي العتيقة هذه ماركة (جاما) والتي إشترتها أمي من أحد اليهود ببضع باقات من الخبّاز، في تلكم الأيام الخوالي، ولم تزل سليمة لحد الآن. ولقد تعوّدت أن أستصحبها معي من مدينة إلى أخرى، حتى أضحت ملتصقة بي كظلّي!}

طفقت دقات الساعة تعلو؛ بحيث لم يعد دماغي يتحمّل، فسددت أذنيّ بسبّابتيّ، وأغمضت عينيّ، وأنا أبحلق بعقاربها مشدوهاً، حتى توقفت عن الدق، وخمد الصوت الرهيب مخلفاً سكوناً موحشاً، وقد وجمت معها أشياء الغرفة كافة، إذ

كفت حتى الإلكترونات عن الدوران، والأنهار عن الجريان، واستكانت الغيوم، وتسمّر القمر في بدء نزهته، بل وكفّت حتى أسنان الناس عن تقطيع الخبز وتفتيته! وقد غمرتني سورة التوقفات هذه بإحساس غريب جداً، لكنني أضطررت إلى أن أتململ؛ وإذا بالأشياء تتململ أيضاً وتستأنف حركاتها الإعتيادية، كما لو أنها تحاكيني! وعندها ملأت الساعة من جديد، وقرفصت قبالتها؛ فاستأنفت سيرها، وفي لحظة إمتزاج دقتها الأولى بشهقة فرحتي الطاغية، نجم صوت رجّ الغرفة رجاً، وحدث مالم أتوقّعه،بل وأتصوّره يوماما؛ حيث أخذت عقاربها تعود القهقرى يساراً، وأنا رهن الإستغراب والإندهاش، بل إجتاحتني الحيرة، وشددت عل خناقي؛ إذ رحت أتصاغر مليمتراً واحداً مع كل دقة، في حين إستحالت الحيطان أربع شاشات، وأنا أشاهد عليها تاريخي، الذي يعود أيضاً القهقرى، ولما رجعت الساعة إلى الحادية عشرة والنصف،شاهدت صوري المبعثرة وهي تترى:

الطاولة، الشمعة، قهقهاتي البلهاء، لامبلاتي، ترنّحاتي، عثراتي، النسوة، ثم عفطتي!

ماإنْ دقّت الحادية عشرة، حتى إنتفضت كمن سكبوا عليه دلواً من الماء؛ فقد تغيّرت صورتي، لكنما الجدران كانت تستعرض صوراً أخرى،وكانت الصور تتمزّق، تتبعثر وتتمادى في إختلاطها، ومن ثم تتلاشى! (ياترى لماذا يُنقَض كل قانون في الغربة،ويحل محله قانون آخر،إستثنائي؟!لماذا تبيع هاتيك النسوة أجسادهن على مرأى ومسمع من أزواجهن،أشقائهن وأفراد عشيرتهن؟!)

دقة(١,٣٠):في مطعم ألتهم المأكولات بطريقة جنونية.

دقة(١٠):مستغرق في النوم.

دقة(٩,٣٠):حائر.لاأدري ماذا أفعل(تُستعاد الصورة)لاأدري ماذا أفعل.

دقة(٩):مع شلّة من الأصدقاء،لاندري ماذا نفعل...حسناً لنعاكس النساء!

دقة(٨,٣٠):نائم.

دقة(٨):مازلت نائماً.

دقة(٧,٣٠):تختلط الصو وتتعقّد.

دقة(٧):ألعب الدومينو.

دقة(٥,٣٠):أضحك.

دقة(٥):أبكي.

دقة(٤,٣٠):أقهقه.

دقة(٤,٣):أنشج وأنوح.

دقة(٢,٢):تختلط الصور.

دقة(٢):جائع.

دقة(١,٣٠):عطشان.

دقة(١):واقف.

دقة(١٢,٣٠):لاأفهم أيّ شيء.

دقة(١٢):يراودني النوم وأتضوّر جوعاً.

ثمّ رنّت الساعة بقوة؛فاستعرضت الجدران الصور نفسها،وإذا بها تتقاطع،تتشابك وتتزاحم كخلايا النحل،وأنا أتأملها ضاحكاً مع ضحكاتها،باكياً مع بكائها،نائماً مع نومها،معتصراً بطني مع جوعها ومتلمّظاً مع تناولها للطعام.ولفرط ما أوغلت في الصغر،تيقّنت من أنني سأستحيل صفراً إنْ بلغت الساعة(الثانية عشرة)مع أنني أدرك أن الصفر في الرياضيات هو البداية والنهاية.

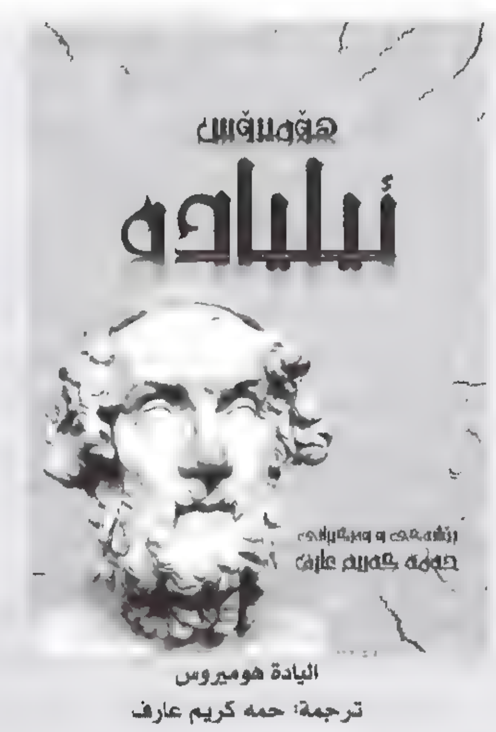
يا للهول! لم يبق من قامتي غير بضعة سنتمترات،إذنْ لابدّ من المحاولة لإيقاف الساعة،وإلاّ لأستحلت صفراً. ولكن دون جدوى،إذْ لم يعد ذلك في مقدوري.وما إنْ بلغت العقارب الثانية عشرة،دوّت رنة في باطن الساعة كهزيم الرعد،ناسفة سقف الغرفة،فبانت لي السماء!

كان الوقت ليلاً،ومن فرط ما تقزّمت،خلت

نفسي صفراً!أثمة صفر لايشغل حيّزاً من الفراغ على الأرض؟من ذا سأل؟لا،لا،لا!

يقيناً ان قامتي القزماء لاتمكّنني من الوصول إلى الساعة، كي أملأها من جديد،ورغم ذلك فقد تسلقت الجدار بصعوبة بالغة،حتى بلغتها،ودققت النظر في أحشائها، فأدركت منذ الوهلة الأولى إن ماأوقفها لم يكن إلاّ الصدأ،فهي تتطلّب التزييت،ولازيت لي،فلأزيّتها بدمي.ورغم أن دمائي كلها لم تزد على بضع قطرات،فقد شبّكت أسناني على إبهام يدي اليسرى،وغرزتها فيه بكل ما أوتيت من قوة،فتسّاقطت قطرة دم واحدة في أحشاء الساعة، وسرعان ما عاودت عقاربها السير،ولم أعد أستغرب الأمر،إذْ أخذت قامتي تتمدد،ورحت أكبر مع دقة كل ثانية،وهي تطوي المسافة مابين الثانية عشرة والواحدة..ومع ذلك لم تعد قامتي إلى سابق عهدها،لأنني سرعان ما إستغرقت في نوم عميق،حالما بدأ مستقبلي يتراقص على الشاشات حواليّ.

لم أدر كم مضى من الوقت،حين أيقظني رنين هادئ،فنهضت وغيّرت ملابسي،ثم تمددت على السرير ورحت أحدّق في عقارب الساعة،مجترّاً ذكريات هاتين الجولتين،حتى إنطبقت عقارب الساعة على السادسة،وراحت الديكة تصيح... وعندها سارعت بالنهوض،وحملت الساعة معي قاصداً عائلتي،حيث كان أطفالي ينتظرونني منذ وقت طويل.



الياذة هوميروس
ترجمة: حمه كريم عارف
دار سردم ٢٠٠٩



احلام داده سوزي
قصص قصيرة للقاص كاروان عمر كاكه سور
دار سردم ٢٠٠٩



قصة قصيرة

الضب[1]

قصة: نجات نوري
ترجمة: حسين عثمان نيرگسجارى

(1)

أنا حسن ... الشخص الذي سماني أهل حارتي بـ (ابن الخيمة) أو ابن (عائشة المفقودة) وبأسماء كثيرة اخرى، والآن يجوز ان اكون (حسن) لان هذا الاسم اعتبره أصح الاسماء لي.

في صباح ذلك اليوم المائل للبرودة، وبعد قليل من المشي في ارض مغطاة بالقش والحشائش أطراف المدينة، فتش جدي جيوبي ولم يقل لي غير هذه الجملة: (في ايام اخرى وخلف الغيوم قد نلتقي، من الآن لا يسمحون لنا ان نعيش معا على هذه الارض).

لا اعرف لماذا فتش جيوبي؟ وما ان التفتُ نحو زقزقة سرب من الطيور حتى تفرقنا وتباعدنا انا وجدي، وهناك كما أتذكر أحسست ان يدي بيد امرأة وان كلينا نبحث عن شيء في الوقت الذي كنا نخطو بين الصرائف ورمال الوديان، كانت المرأة آخذة بيدي ولا أعرفها. كنت ملهوفا بالعودة الى ظلال أشجار قريتي او الى زقاق دار جدي وظلال جدرانه، وكم مرة نمتُ في ظلالها، كنت في ذلك الزقاق اشعر بالخوف، فمن اليوم الذي نقلني جدي لاعيش معه يقول لي احيانا: اذهب في النهار الى الزقاق لكي لا يعلم الجنود انك تعيش معي، لان هؤلاء اصدروا اوامر مشددة لاهل المدن بعدم الاقتراب من سكان القرى المحروقة وعدم تبني اطفالهم، لذلك يبعد جدي مكان نومه عن مكاني، عندما أروي لاطفال الزقاق أحداث الانقضاض على سكان قريتي واعتقالهم يمنع الآباء اطفالهم بمجالستي واتمام حكايتي لهم.

ومن الطريف: كان علي ومن الخوف ان انقل رسالة لبنت أحد الجيران الى حبيبها، كان شابا يقف في زاوية من زقاقنا منتظرا ان انقل له الرسالة، كان غالبا يلبس قميصا ابيض وبنطرون أسود وعندما يستلم الرسالة وبدون ان يشكرني يقول لي: اذهب ولا تذكر اي شيء لاحد ما اكثر

خوفي منه !!

في يوم من الايام، كنت نائما بين الاوراق المتساقطة من الاشجار وفي المنام رأيت الجنود الذين كانوا يطاردونني يوميا، وعندما قمت من النوم مذعورا، وجدت نفسي مطمورا في أوراق الاشجار واصرخ: جاء الجنود.. جاء الجنود! فشدّني ذلك الشاب وقال لي: اين الجنود.. قم واجلب لي رسالاتي ونسيت هناك حذائي فجلبت له الرسالة.

الى ان يعود جدي يوميا وبحجة الحفاظ على فراخ دجاجه، كان عليّ ان اكون في الزقاق وخارج البيت، كل شيء لي كان بلية ونكبة، حتى اصحاب البساتين وفلاحوها يمنعونني من دخول بساتينهم، كنت مثل كتكوت القطة، فادخل البساتين من خلال السياج المشبكة، في مساء متأخر رأيت عددا من شبان زقاقنا وهم يعرّون في ظلال اشجار الصنوبر احدى النساء، وعلى الاعشاب الخضراء مددوها، نهداها يشبهان النفاخة التي كنت في ايام طفولتي انفخ فيها والعب بها والى ان خرجت المرأة من البستان ومن خلال الاشجار الخضراء كنت أنظر اليهم.

الآن اتلهف للعودة الى ذلك الزقاق، واتذكر ان الشاب الذي كنت انقل له الرسائل قد اختفى عن الانظار... قيل انه قبض عليه وفي جيوبه رسائل الثوار فأعدموه. كنت ارى تلك الفتاة يوميا وهي تنتظر، وانا ايضا انتظر منها ان تحضر وانقل لها رسائلها، مرة قرب الاشجار رأيتها ولون وجهها قد تغير وفي جيدها قلادة فضية، فقالت لي: (حسن ! هل تعرف شيئا عن ذلك الشاب الذي تسلمه الرسائل؟ متى رأيته ولو كان ليلا اخبرني ودق بابنا فاعطيك أجمل الملابس).

لم ير أحد ذلك الشاب بعد، قيل انه قتل وقطع جسده إربا إربا، كنت في تلك الايام أرتجف خوفا وذعرا من الاعتقال، كيف لا وانا الذي انقل له الرسائل يوميا.. كنت أذهب الى البساتين واتخفى بين أشجارها الى مساء متأخر.

في صباح أحد الايام رأيت شيئا غريبا، فقد غطي زقاقنا بأوراق بيضاء وكان الهواء يوزع تلك الاوراق رويدا رويدا، وعندما رأت الفتاة تلك الاوراق المبعثرة وتعرفت عليها، ظهرت بان تلك الاوراق هي رسائلها التي ارسلتها الى ذلك الشاب وهي مبعثرة ممزقة، كانت الفتاة تتحرك بين الاوراق الممزقة وهي تبكي وتسألني: (من الذي مزق الرسائل من؟)، لم يظهر لأحد كيف مزقت تلك الرسائل وكيف بعثرت في الزقاق؟

(٢)

- الآن ايقنت ان هذا المكان مكان آخر.. مكان مليء بـ (الضب).. مليء بالهويات المصفّرة المتربة: هويات للاطفال والنساء والرجال، كنت أرى عشرات ومئات من البشر وفي ايديهم تلك الهويات القديمة، وينتظرون أحدا يأتي ويقرأ لهم تلك الهويات وينقذهم، انهم يمشون ويتحركون باستمرار، كانت بجانب كل مجموعة منهم قطعة خشب متهرئة أو صفيحة معدنية كتبت عليهما تأريخ وصولهم الى ذلك المكان.

كان في قريتنا رجل اسمه (وادي)، وكان دائما بشوشا بل ضحوكا، عمره يناهز الاربعين طويل القامة، أتذكر جميع خصاله الجميلة، وعن بعد مئات الامتار يعرفها الناس بضحكته، انه كان أميا وعاشقا الى اقصى الحدود، كان هادئا رقيق المشاعر يحفظ في صدره مئات الاشعار الجميلة في العشق والحب، وجميع اشعاره محلية تنتمي الى بيئته،

والى اوقــات متأخــرة من الليل يقرأ الشــعر على رجال وفتيان قريتنا.

مرة قال معاتبا: (من العجب، انا ضاحك دائما واقول كل هذا الســيل من الاشــعار للعشق، الا ان رجال هذه القرية لا يعترفون بكوني عاشــقا، ولا يريدون ان اعشق احدى فتيات هذه القرية).

يقول عنه الناس: انه عاشق ولكن لمن؟ رغم ان رجال قريتنا كانوا من الطيبين الا انهم وفي عشق بناتهم وابنائهم يصبحون عنيفين شريرين، كان الرجــل في الصباحات المبكرة يجلس تحت اشــجار قريتنا ويغني بهدوء.

انا اتذكر كثيرا من الاحــداث، انه تزوج مرة، كانت العــروس جميلة مهفهف القامة، وبوشــاح ابيض واحمر غطوها، ضفائر شعرها كانت طويلة، اقيمت حفلة عرس كبيرة، وتحت ظلال الاشــجار فرشــت موائــد الطعــام والمغنــون ذووا الاصوات الشــجية غنوا للعريس والعروس الى وقت متأخر من الليل.

كان ذلــك الرجل محظوظا في كل شــيء الا في الــزواج، فبعد اســبوع وفي صباح مبكر تدفق اهل القريــة في بيته لان زوجته عند انشــغالها بتنور الخبز احرقت نفســها وكان زوجها يضحك عليها فأغضب هذا الســلوك نساء القرية، وقال لهن: (انا خطبتها ضاحكا والآن أودعها كذلك).

يقال انه تزوج ثلاث مرات ولم تعش أية منها، انه يضحك بكل شــيء ويقول لاهل القرية: إذا لم أضحــك في يوم أتمرض، اهل القــرى القريبة من قريتنــا يعرفــون هذا الرجل، مرة وفي مراســيم جنازة، بدأ هذا الرجل بالضحك مما أدى الى غضب وحنــق الحاضرين، الا انه بالغ في الضحك وعندما استفســروه قــال: لو لم نــودع الدنيــا بالضحك فسنكون في عز الحياة ميتين. مرات قيل له: عند موتك ســنضحك كثيرا، اتذكر انــي وبرفقة امي ذهبنا الى المستشــفى القريبة مــن قريتنا لمعالجة زوجها المحروقة.

والآن وفي هــذه الارض الغــبراء البعيــدة أرى ذلــك الرجل الضحــوك وفي يده هويتــه المتربة، يركــز ناظريه عليّ يبدو انه تعرف على ســحنة وجهي، لم اتجرأ ان اقول له: كنت والى آخر انفاس زوجتك حاضرا، كان جالسا قرب القطعة المكتوبة والتعــب جلي في ســيماه ولا يريد ان يتكلم احدا، كنــت أتلهــف ان اترك يد تلك المــرأة واذهب اليه ولكن لم تسمح لي.

في تلك الارض التي اســكن عليها هؤلاء البشر يرتفع أحيانا صوت شــجي، وهؤلاء البشر عندما ينســاب ذلك الصــوت الرخيم يرفعــون الهويات ويضعونهــا على صدورهــم، ورجــل كان يلبس ملابــس خاكيــة وذو وجــه عبوس يســير بين الحاضريــن ويأمرهم بوجوب الاســتماع الى ذلك الصوت الشــجي، لم ير أحد وجه صاحب الصوت وكانه جالس وراء كثبان الرمال يقرأ ويرتل الآيات والدعاء، وبين حين وآخر ينقطع الصوت والرجل ذو الملابس الخاكية وحده يتجول بين الحاضرين، ويســتأنف الصوت الشجي نثر تراتيله المباركة، في ايام خاصة يدوم الترتيل لمدة ســاعة، وبعد قراءة الصلوات ومغادرة ذو الملابس الخاكية المكان، يرفع الحاضرون هوياتهم نحو السماء ويولون وجوههم وجهة الغــرب، ثم يقومــون وايديهــم في التراب الساخنة، فيلبسون احذيتهم التي جلسوا عليها.

يتحركون ويقطعون مسافات طويلة، حاملين معهم القطع الخشــبية ولوحــات التنك والمكتوب عليهــا تأريخ اعتقالهــم، انهم يتحركــون في كل

الاوقــات وفي صفوف طويلــة، لا يتقدم احد على الآخر وهــم صامتون ويتجولون لمدة اسـبوع ولا يعثرون على باب وفرجة يخرجون منها ويتحرروا من تلـك الارض الرملية الحارقة وسـماؤها ايضا تلونت بالتراب.

الهــروب من ذلك المـكان كان عبثـا في عبث، ولاول مــرة علمت ان السـير والتحرك هنا عبث، النـــاس في هذا المـكان الموحش يتجولــون بصورة جماعية وكأنهم أعاصــير ورياح دوارة، المرأة التي تأخذ بيدي وعند قراءة التراتيل والدعاء تتوقف عن السـير وانا انظر الى القطع الخشبية واللوحات المكتوبة.

(٣)

أنا الآن في أرض أخرى .. أرض مليئة بالانتظار، مليئة بالنــاس الذين يريدون ان يعودوا الى محل ولادتهــم وملاعب صباهم، رأيــت عدة رجال من قريتنا ومنهم (حاج مصطفى). والذي كان يملك مزرعة كبيرة للكروم، وجعل مسـافة واسـعة من غرب قريتنا بسـتانا كبيرا للعنب، وعندما يجعل من عناقيد العنب زبيبا، ادخل بسـتانه خلسـة وسـرق منه الزبيب، ومرات رآنـي ودعاني: (ايها اللـص الصغـير خذ أكثـر وأكثر وإمـلأ جيوبك بالزبيب ليكون بستاني أكثر خصبا وعطاء). كنت حينذاك أشعر بضيق النفس فاهرب بسرعة أكثر، اذا الآن ارجع الى قريتي أجد في كل زاوية من داري زبيب حاج مصطفى.

حـاج مصطفى وكما بدا لـي كان هزيلا ولف كشـيدة الحج الصفراء الفاتحـة حول عنقه، كان حزينا شـاحب اللون ولا يطيق على محادثة أحد، كنت ملهوفا لاقــول له: ما الذي أوصلك الى هنا أو أقــول له: (لماذا لا يوجد الماء هنا؟ وكنت تقول لنا نحن الاطفال: احفظوا آيــات القرآن وصلّوا حتى يجعلكـم الله طيـورا جميلة ويمنحكـم في مروج الجنة ماء رقراقا أحلى من العســل)، أريد ان أقول لــه: (أطعناك ونــراك الآن بدون مــاء ولم نصل بعــد الى ما وعدتنــا به). أراه الآن يســير بعيدا.. بعيدا وهــو صامت حزين لا يتكلـم أحدا، يبدو انه يبحث عن بســتان شبيه ببستان قريته، المرأة الآخذة بيدي جلســت قرب لوحة مكتوبة وبدأت بترتيل الآيات والاوراد، تركت حذائي لديها وبدأت بالتجــوال حافيا بــين الجموع الذيــن ينتظرون بشــوق ان يغادروا هذه الارض المتربة ويعودوا الى ارضهم.

كنــت في عمر عجيب.. وكنــت الى العام الثامن في قريتي، كضبة ســمراء أتجــول في كل بقعة من القرية، وبعدها أخذني جــدي الى بيته، وفي زقاق مليء بالاشــجار اسكنت لعدة سنوات والآن اوصلني جــدي الى هنــا يمكن انــا وجدي كنا آخر ســكان الزقاق الذين أطلق الرصاص علينا في الارض المغطاة بالقش والحشائش وذلك بسبب منع سكان المدن من تبني اطفال القرى المحروقة، فاطلق الرصاص على جدي لهذا الســبب، أو كان جدي يحاول ان يبعدني عنه ويطلقني في تلك الصحراء انقاذا لنفســه من تهديدات الجنود.

تشــردت حافيــا في الرمــال والــتراب، وهناك رأيــت أطفالا من قريتي وكانوا أصغر جســما من السابق، كانوا محتفظين بأدوات لعب الاطفال من: دعابل زجاجية.. الصور الصغيرة الملونة.. سيارات (بلاستيكية) أو المصنوعة من الاسلاك المعدنية أو ســدادات علب زجاجية.. رأيت كل هذه وأكثر، الا انهم لا يطيقون على اللعب، وادوات اللعب المذكورة

كانت متهرئة ومستهلكة، وعندما لاقيتهم لم يحتفوا بي، رأيتهم وهم ينظرون الى الشمس في الاعالي وهي سابحة في الغبار وهم حائرون شاردون! قلت لهم بشدة: (ان حسن.. رفيق طفولتكم، انا الذي ضربني المعلم وتحت انظاركم عشر سياط عقابا لمنحي عشر قطعة من الطباشير الملون لبنته.. هل تتذكرون ماذا فعل بي؟ تعالوا لنلعب في هذا التراب والرمال.. لماذا انتم صامتون ولا تلعبون؟ لماذا انتم جالسون وايديكم من فرط حرارة الشمس تيبست بأدوات اللعب؟

كنت مع هؤلاء الاطفال نذهب الى الوديان والسواقي، نصطاد الاسماك الصغيرة ونضعها في العلب والزجاجات المليئة بالماء، كانت الاسماك الصغيرة في السواقي القريبة من قريتنا كثيرة بحيث نصطاد المئات منها ولا تنضب ، كنا في صيد الجراد، فمن يقتل عددا أكثر يحوز على عنب أكثر.

لم يكن الحاج مصطفى مثل رجال القرية الآخرين، فهو لا يحرق الجراد لانه لايجوز للانسان حرق الاحياء، فكل ما قتلناه يضعها في حفرة ويواريها بالتراب، واحيانا نذهب الى ينبوع النساء وننظر خلسة اليهن وهن عاريات وعندما ينتبهن يغضبن علينا ويطاردننا، كنا نسخر ونمزح مع راعي قريتنا المعتوه واسمه (سعيد المجنون)، كانت زوجته تجمع الخبز في الصباح والظهر والمساء.. وعندما يسألها أحد: من أية منطقة تنتسبين؟ تغضب ولا تأخذ منه خبزا، كانت ذات صوت شجي وغالبا تغني مساء في بيتها، وعندما نُغضب (سعيد المجنون) نقول له: انت تحلب الاغنام خلسة وتشرب حليبها.. او نقول له: زوجتك ستعود الى أهلها ولا ترضى بعشرتك، وعند ذلك يدور عصاه بغضب ويقول: (سأترك هنا ولا أكون راعيا لهذه القرية القحبة).

واحيانا نتخفى من عدة جهات أمام قطيعه، وبصورة فجائية نهرب فتثير الحيوانات، الا انه عند توقف احد الاطفال عن السير يحمله على كتفيه ويعيده الى البيت ويقول لآبائنا: (ستتهدم هذه القرية ما دام يكبر فيها هذا النوع من الاطفال، سأترك هذه القرية والله سيرزقني في مكان آخر).

الا ان سعيد الراعي يمزح ولا يترك القرية، انه ومع زوجته (خاوةر) المجنونة تغنيان في المساء، وانهما عاقران لا اطفال لهما، يقول سعيد المجنون: (بعد سبع سنوات ستكون لنا أطفال، رأيت في المنام النبي ابراهيم، أفديه روحي، وأعطاني قطعة قماش ابيض وقال لي: اجعله قميصا لطفلكم الذي سيأتي الى الحياة بعد سبع سنوات).

هؤلاء الاطفال وبعيدا عن قريتهم رأيتهم صامتين لاحراك فيهم سوى هزهزة الرياح الساخنة لشعرهم، لا يتحاورون فيما بينهم ولا يركضون كما كانوا في القرية، مكثت عندهم مدة وحرضتهم على الكلام والمسامرة الا انهم كانوا مرهقين، يبدو انهم اجهدوا كثيرا بين قريتهم وهذا المكان البعيد جدا عنها، لا أتذكر كم يوما بقيت عندهم؟

الآن بدأ الاطفال بنفض الغبار عن وجوههم وشعرهم، رويدا رويدا تعرفوا علي وقالوا: (حسنا! متى نعود الى قريتنا.. الى السباحة في سواقيها وأحواض وديانها.. حسنا! نحن مرهقون جدا ولا نعرف طريقا للعودة، فقدنا القدرة على ان نلعب ونتلهى كما كنا في القرية، نحن الآن في أرض مليئة بالانتظار، نحن ضبان في هذه التربة الساخنة ولا نعرف شيئا سوى الحراك فيها، حسنا! أنت وصلتنا

متأخرا، منذ سـنين ولم نشاهد شـيئا باردا، بل نشاهد فقط ارضا مترية، لماذا أوصلونا الى هنا؟!).

ومعهم بدأت التجوال، نسـير ونمشـي مشـية الكبار والنساء، كنا كشخصيات الحكايات متيقظين ليلا ونهـارا، حكى جدي مرة وقال: سـوف تهب ريح هادئـة باردة في البداية، ثم تصبح شـديدة وسـاخنة، وتجرف معها ناسـا كثيريـن الى ارض جرداء يبقون فيها يقظين الى يوم القيامة، وهؤلاء البشـر لا ذنب لهم سوى انهم اتبعوا تعاليم النبي عيسى، فلو كان جدي حيا لقلت له: ما ذنب هؤلاء الناس وكلهم من اتباع النبي محمد، فلماذا أسكنوا في هذه الارض المتربة؟

الناس هنا يسـيرون بـدون ان يعلموا الى اين؟ أشـعر انني اسـير في المقدمة، فلماذا انا في مقدمة الجمـوع الكبار، النـاس هنا تلونـوا بهذه الارض المتربة، كل مجموعة من هؤلاء البشـر منحدرون من مناطق مختلفة، وفي مدة أقل من عشرة أشهر رحلوا الى هذه الارض وشردوا فيها، والآن يخافون ان يدفنوا مرة اخرى في التراب لم يكن احد منهم يكتسي لباسا جميلا، سألت مرات: لماذا لا تلبسون أحذيتكم؟

يقولون: لان اصـوات أحذيتنا قد توقظ قائد الجنود هنا، وانه برؤيتنا يهيج مزاجه ويتقيأ، وفي كل يقظتهـا والى ان يخلد للنوم مرة اخرى يقتل عـددا منا ويقطعهم اربا اربـا.. فنحن حريصون علـى ان نبقـى ولا يقتـل منا احـد الى ان نعود لأرضنـا التي ولدنا عليها، قلـت لهم: هذه الارض كلهـا رمال وتـراب ولا يحدث السـير عليها صوتا صارخـا، الا انهم لا يهتمون بما أقوله واسـتمروا على نزع احذيتهم.

كنـت مع أطفال قريتي نسـير جانبـا، ومرات اتقدم الكبار لاقول لهم: توقفوا واستمعوا الى الرجل الـذي يرتل الآيات والوعظ، وبعدها أعود الى جموع الاطفـال والذين لا يتركون أدوات لعبهم وهم لازالوا يمسكون بها.

ترى هنا أشياء غريبة، أكثرية الساعات اليدوية متوقفة في الساعة ٣ و ٦ و ١٢ ظهرا، ولا تمر ساعة الا وتصل الى هذه الارض عدد من البشـر، عندما كنا نسـير لا نهتم بالوقت، من قـال لنا ان هناك بابا لعودتنا، ويحتمـل ان الرجال هنا تصوروا في انفسـهم ذلك الباب، بدا لـي انني ولمدة طويلة لا اسمع تراتيل الوعظ والحديث.

(٤)

من أيـن؟! من البعيد البعيد.. تجلى شـخص وهو يسـير بشوق وولع ليسـتقبلنا.. يسير نحونا ويقـترب منا لحظة فلحظة، توقفنا جميعا صغارا وكبارا، فاذا بامرأة ذات قامة جميلة، وهي مزدانة بوشاح ابيض، فنادت بصوت جهوري: (يا ضيوفي! انـا رابعة.. انا أخت جميعكم.. تعالوا نحو داري.. تعالوا.. كلكم مرهقـون، انتم الذين أوصلتكم يد الغـدر الى هـذه الارض، تعالوا جميعـا وعلى هذا النهر نظفوا ملابسكم واجسادكم عن التراب، وانا منذ زمن بعيد انتظركم!).

عندما نمشـي وكانت رابعـة تتقدمنا، هبت نسـمة باردة وكانت رابعة تخطب امامنا وتمشي، بعد ما قطعنا مسـافات ووصـل الجموع الى ارض اخـرى فتوقفت رابعة عن الخطاب، رايت الرجال عندما يصلـون ضفاف النهر ويتبللـون بمياهه، يصبحون أشجار التين وأشجار الزعرور والزيتون، عاودت رابعـة خطابها والنسـاء على جانب آخر مـن النهر يصبحن أشـجار العرمـوط، والاطفال

يصبحون أشجار الرمان. كنت أرى كل ذلك وأنادي على الاطفال واقترب منهم، فقلت لهم: لا تصبحوا أشجارا وانا بعد ذلك وفي هذه البرية الجرداء أصاحب من؟ فلم أحصل منهم على الجواب وأصبحوا أشجار الرمان.

كانت رابعة تغني بصوت شجي الى ان اصبح الجموع كلهم اشجارا وبساتين يانعة، وانا في الغابة الواسعة أركض وأركض والاشجار الباسقة الخضراء تبتسم للنسمة الباردة وتصفق باوراقها واغصانها وانا أتوقف احيانا بين اشجار الرمان، لازالت رابعة تغني وتغني.. وبعدها سمعت انها تقول مخاطبة الجموع:

في هذه المدينة القريبة من النهر وقبل أعوام، كنت ضحية يد الغدر مثلكم، فأساؤا الي وشوهوا كل ما هو جميل في حياتي والآن ان الله قبل مني دعائي وتضرعاتي فجعل من هؤلاء الناس، اشجارا غضة خضراء كانت رابعة تناديني: عندما تعبت من المشي بين الاشجار عد الى أمك كي نأخذ معا برهة راحة وهدوء.

(١) ضبّ: حيوان من الزواحف، ذنبه كثير العقد وشبيه بالحرذون.



جدل مع التأريخ، حوار مع العالم الاجتماعي الفرنسي اوليفر روا، ترجمة: عزيز رؤوف
دار سردم للطباعة والنشر ٢٠٠٩



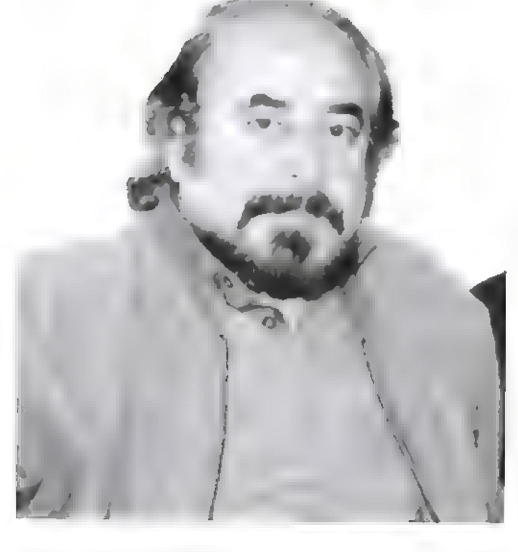
الصحافة الالكترونية
تأليف: د. نعيم البديعي ترجمة: كارزان محمد
كتاب الجيب - دار سردم ٢٠٠٩

حوار مع

الفنـان المسـرحي الكردي

على كريم

حاوره: صلاح جلال



واحد من اولئك الذين لجأوا في مسـيرة المسرح التي امتدت لسـنوات طوال من بداية السبعينيات حتى الوقت الحاضر، وعلى الرغم من الصعوبات لـم تنقطع مشاركته الفنية اذ كان له دور مميز في اكثر من ٣٠ عملا مسرحيا، وافلام سينمائية و تلفزيونية،احد ابرز الممثلين في المسرح الكردي،

اصدر ثلاثة كتب:

١ (موت سوشاب) مجموعة نصوص مسرحية.

٢ في دائرة المسرح / مقالات.

٣ الكمامـة/ دراسـات و نصوص مترجمة من اللغة العربية.

وله كتاب حول المسـرح الكـردي/ نصوص و دراسات،قيد الطبع.

حـائـز على جائزة في مهرجان الفن الكردي المقام في بغداد في سنة ١٩٧٠.

في مسرحية(انشـودة الفـرح) ويقـول عنـه د.كمال عيد : علي كريم حركة تشـكيلية داخل لوحة زيتية، و نازك الاعرجي قالت عنه: ادهشني علـي كريم بتمثيله الرائع ،و د.عقيل مهدي قال: من خلال تجسيده للشخصية اصبح علي كريم من الطراز المتقدم للممثل العراقي. قصدا باتجاه اكتشـاف حقائق المسرح الكردي، نشأته و تطوره وافاقه، التقينا معه وجها لوجـه.

×ماهـي الظواهـر اوالمتـغـيرات الايجابية للعولمـة علـى الثقـافـة الكرديـة وخصوصا التغييرات التي طرأت على المسرح الكردي؟!

ـ تطـور المسـرح باعتبـاره منجـزا معرفيا وجماليا بـتطور المجتمع ومؤسسـات المدينة، باعتبـار ان هـذا الفن ومن خلال تشـكيلاتها الفكرية تساهم في تأسيس هذه المؤسسات بـأتجاه توعية المجتمعات ـ على مسـتوى الفراد ـ وعبـر انسـجتها الثقافيـة خاصة المتمثلة بالمسـرح

(شكلا) والشعر(لغة) والتشكيلات الادبية الاخرى (فكرا وعبر صياغات مقترحة) بالضد من المألوفة والسائدة، ولما كانت العولمة بتعريفاتها الشائعة: تعني تصغير العالم، او تحويل العالم الى قرية شمولية اى عبارة عن ارادة تطمع ان تخطونحوتجسيد الصورة الشاملة بعيداعن كونها فعل تأريخي حدثت وصلت الى النهاية، كما ويجب ان لاننس مساوؤها بالرغم من ايجابياتها، واستطاعت الثقافية الشمولية ان تحتل امكنة شاسعة في خطاب العولمة وبكل جوانبها الايجابية والسلبية وهدف هذه الثقافة هي تكوين او تأسيس لغة مشتركة تحقق ما تطمع اليه الانسانية في هذا العصر، و باعتقادي ان العولمة لم تؤثر ايجابا على المسرح الكردي،اما في المحاولات والتجارب العالمية فقد عمل كل من بيتربروك وأوجين باربا واريان منو شكين في استخدام الثقافات المختلفة في العمل المسرحي بحثا عن لغة مشتركة للعرض وهدفهم الاول والاخير هو العمل الجاد

على عدم تكرار الشكل في التمثيل والاخراج،والمسرح دائما ينتعش وينمو ويحقق وجوده بوجود قوة الانسان ومن خلال صدى احلامه واحلاله امكنة تكوينية لجسده و تأسيساته الفكرية المستمرة.

×هل تم تأسيس المسرح الكردي على المستويات النظرية والتطبيقية، وما هي انجازاتها وافاقها؟

- انا اؤمن بأن المسرح حالة من التجريب المستمر وفعل التأسيس مشروع متواصل، اذاً مادام فعل التأسيس مشروعا متواصلا فلا بد ان يكون هذا

التأسيس قد اكمل تشكيلاته على المستويين: النظري والتطبيقي، لكن الحالة هنا في مسرحنا الكردي تختلف عما هو سائد ومألوف في المسارح العالمية، والسبب باعتقادي يعود الي تأثيرات المستمرة للمسرح العربي في العراق على المسرح الكردي،حيث وقع المسرح الكردي تحت تأثير المسرح العراقي وهذا امر طبيعي ينتج عن التفاعل المستمر بين الثقافين الكردية والعربية وبالرغم كم الجهد المتواصل للمسرحين الكرد من اجل خلق المسرح الكردي بعيدا عن تأثيرات المسرح العراقي،ففي المستوى التطبيقي انتجت مسرحيات نالت اعجاب العديد من المسرحيين والنقاد العرب والعراقيين حيث وصفوها بعروض مسرحية متكاملة من حيث المستوى الفني وتأسيساتها الفكرية والتي هي النتاج الفكري الاجتماعي للمجتمع الكردي ،فثمانينيات القرن الماضي شهدت انتاج مسرحيات كردية جادة ورصينة على المستوى التطبيقي كمسرحيات قصةحديقة الحيوان والقرد كثيف الشعر،وفي انتظار غودو،والقصة المزدوجة للدكتور بالمي،وافول القمر وانشودة الفرح،وطائر البحر، واغنية التم، والخال فاينا،ورحلة حسن،وفي انتظار سيامند،و ماكيز دي صادو،الحقيقة ماتت وحول انتظار سيامند كتب عنها الناقد المسرحي عواد على بأنها : مسرحية لا تقل اهمية من حيث البناء الفني والفكري عن المسرحيات العالمية والتي شاهدها في المهرجانات الدولية. اما على المستوى النظري فباعتقادي لم يسطتع المهتمون بالشأن المسرحي في كردستان ان يضعوا اسس و مرتكزات نظرية لدراسة ما صنعوه طليلة الثمانين عاما الماضية.

×لجأ العديد من المسرحيين الكرد الى العمل في المؤسسات الإعلامية كالقنوات التلفزيونية مثلا، ترى ماهو تقيمكم لهذه الحالة؟

- بعد حرب الخليج الثانية واندلاع الانتفاضة في كردستان ومن ثم انسحاب القوات العراقية من الاقليم ترك فراغا اداريا ومن ثم اجراء انتخابات برلمانية وتأسيس حكومة - الامرالواقع - وظهور العديد من المراكز والمؤسسات الاعلامية مما خلق اجواءً مهيأت للعمل في هذه القنوات،حيث لجأ عدد كبير من الفنانين المسرحين الى العمل داخل هذه القنوات،وهذه بدوره ادى الى خلق ازمة مسرحية تاركا وراءه ركودا مسرحيا قاسيا هدم ما بناه المسرحين في الثمانينيات من القرن الماضي.

×ماذا تقصد بهدم ما بناه المسرحين في السبعينيات والثمانينيات من القرن الماضي؟

- كان المسرح الكردي متألقا ورائعا في الثمانينيات وشهد له الكثيرون من النقاد العراقيين بل وحتى المصريين امثال د. كمال عيد حيث قال بصدد مسرحية (انشودة الفرج):(ان هذه المسرحية في غاية الجمال وممثل العرض(علي كريم) كان حركة تشكيلية داخل لوحة زيتية).

×وهل لكم ان تعطونا اسبابا اخرى غير هذا عن هذه الازمة؟

- المسرح في كردستان العراق يعاني من ازمة ربما سببها سيطرة الالة واجتياحها لكل ماهو عظيم وانساني وكذلك لافتقاد الاشياء لبعض من قوتها و هذا بدوره اثر على قوة وصمود الانسان بوجه هذا الاجتياح حيث بدت الاشياء وهي تفقد معانيها الاصيلة وهذا هو السبب الرئيسي بنظري،زوال اسباب مشاركة الجمهور للطقس المسرحي، هذا الطقس الذي له اهدافه واسبابه منذ نشوء المسرح عند اليونانيين والتي تتمثل في الرغبة في المشاركة في هذا اللقاء الشعبي.

×تحدثت عن تألق المسرح الكردي في الثمانينيات من القرن الماضي، ما هي النماذج التي تجسد هذا التألق؟

- ضمن مسيرة المسرح الكردي والتي بدأت في عام ١٩٢٦ و ذلك من خلال تقديم مسرحية(العلم والجهل) وحتى يومنا هذا قدمت اعدادا كبيرة من المسرحيات الجادة وعبر الحقبات المختلفة' ففي الخمسينيات من القرن الماضي تأسست جمعية الفنون الجميلة الكردية في السليمانية فقدمت مسرحيات عديدة وخصوصا بعد اتفاقية الحادي عشر من اذار حيث انتعشت حركة المسرح الكردي خصوصا في مدن كركوك والسليمانية واربيل ودهوك ففي كركوك وحدها انتجت مسرحيات :ام الشهيد، ونهاية الاقطاع، وبيشمه ركه، والفتاة الخرساء،وقبة من الدخان،والانفجار، حيث فازت المسرحية الاخيرة بأربع جوائز وضمن اضخم مهرجان فني كردي في بغداد ، اما في السليمانية فهناك مسيرة حافلة بعروض مسرحية نالت استحسان الجمهور ولا تزال في الذاكرة ومن اهم هذه العروض: الحصار، الاجازة،نهاية الطاغية، شاخوان العظيم، جسردلال، رجب واكلة لحوم البشر. اما في اعوام الثمانينيات فقد تخرج العديد من الشباب المتحمس للفن المسرحي في معهد و

اكاديمية الفنون الجميلة ببغداد فأغنوا المسرح الكردي بنتاجات مسرحية نالت استحسان المشاهد الكردي بل وحتى النقاد والمسرحين العرب في العراق،ففي بدايات الثمانينيات من القرن الماضي قدمت الفرق و الجمعيات المسرحية والفنية الكردية في هذه المدينة اروع المسرحيات مثل: القصة المزدوجة للدكتور بالمي، جسر ارتا ،افول القمر ، الحقيقة ماتت، بونتلا و تابعة ماتي،الخال فانيا،طائر البحر،رحلة حسن، ماراصاد، انتظار غودو،انتظار سيامند،قصة حديقة الحيوان،القرد كثيف الشعر،كاليكولا، غاليلو،الجمجمة،شجرة التوت، انشودة الفرح، الاغنية الاخيرة، كما ويجب ان لاننس الدور الكبير لمعهد الفنون الجميلة في السليمانية لحماسه الدائم لاقامة المهرجان المسرحي السنوي في السليمانية بمشاركة الفرق الكردية في عموم كردستان بل وحتى بعض الفرق من بغداد،لو امعنا النظر في هذه المسرحيات لرأينا ان العدد الاكبرمنها قدمت برؤى و تصورات تجديدية ،اي ان المخرج في هذه الاعمال قام بتأسيس رؤاه المسرحية وفق الاطر المادية للتحديث المسرحي بعيدا عن التقلدية الزائفة.

×انت دائما تميل الى الحداثة والتجديد في اعمالك المسرحية؟

- ليست هناك أدوار أو شخصيات مسرحية حداثوية بل هناك نصوص حداثوية كتبت من منظور تجديدي بعيدا عن المألوف و المنطق السائد،نعم انا دائما اميل الى الاعمال التي تحمل في داخلها مسارا انسانيا تخطو بأتجاه الحداثة والتجديد، فالكثير من الاعمال المسرحية التي شاركت فيها كانت بهذا الاتجاه خصوصا في اواخر الثمانينيات واعوام التسعينيات وللمثال: مسرحيات

(الحارس)لهارودبنتر و(ديفز ديفز) المعدة عن بنتر ايضا وانشودة الفرح المعدة من روايات ديستويفسكي و عربة الموتي عن رغبة تحت شجرة الدردار ومقابر بلا قبور عن قصيدة طويلة للشاعر جلي زادة. الحداثة في المسرح هي احدى المرتكزات الاساسية لنمو و تطور المسرح، لان المسرح هو حالة من التجديد والتجريب المتواصل فبدونها يفقد المسرح تألقه و ديمومته السحرية.

اسباني رغما عنه

(مسرحية هزلية من فصل واحد)

للكاتب التركي: نجاتي جمالي*
ترجمة: نصرت مردان

مقهى باريسي . على باب المقهى ملصق عن عرض مسرحية (هاملت). عصر يوم ربيعي مشمس. عند رفع الستارة ، يظهر الرجل وحيدا على احد الموائد منهمكا بقراءة صحيفة (لموند). يبدو عليه عدم الاهتمام بما يقرأه. الموائد الأخرى فارغة. تخفت الأضواء. يدخل الشبح من يسار المسرح.

الشبح: بماذا تفكر؟

الرجل (يفزع): شيء غريب!

الشبح: (ضاغطا على مخارج الحروف): بما ـ ذا ـ تـ ـ فكر؟

الرجل: أسمع صوتا ولكن..؟

الشبح: أجل، تسمع!.

الرجل: من الذي يخاطبني؟ لا أستطيع الجزم.

الشبح: أنظر إلي الآن بدقة أكثر..

الرجل: هل تخاطبني؟

الشبح: وهل ثمة في المقهى غيرك؟

الرجل: تفضل.

الشبح: سألتك :بماذا تفكر؟

الرجل: عذرا لكنني لا أعرفك.

الشبح: يظهر انك لم تحضر عرض مسرحية (هاملت).

الرجل: ليس بعد.

الشبح: واضح! لو كنت حضرتها لعرفتني.

الرجل: يعني؟

الشبح: أقوم بدور الشبح في المسرحية!

الرجل: تهاني القلبية.

الشبح: لقد أديت دوري. .فكما تعلم دور الشبح هو في بداية المسرحية. لم ابق لتحية الجمهور .قلت في نفسي، الطقس جميل، لم لا أتجول قليلا!

الرجل: حسنا فعلت. تفضل بالجلوس. هل

تتناول شيئاً؟

الشبح: قلت لك بأنني شبح! لا أظهر إلا متى ما أردت ذلك وخاصة للذين يعانون من الضيق والمشاكل.

الرجل: من الطبيعي أن تظهر للنادل.. فكما ترى ليس ثمة احد في المقهى.

الشبح: دع عنك هذه المنطق وأجب على أسئلتي!

الرجل: دعني وشأني رجاءا.

الشبح: أنا الذي أقرر الساعة التي أتركك فيها! لا يزال لدينا وقت كاف.

الرجل: كفاك سخرية!

الشبح: يا لك من ضعيف! أتخاف من المزاح؟

الرجل: إذا لم تتركني حالا فسألقي بهذا الطبق على وجهك!

الشبح: سينكسر الطبق وتضطر إلى دفع ثمنه!.. ولن تستطيع ان تبرر بسهولة فعلتك هذه، وستوصم بالجنون.

الرجل: لا تطل الحديث رجاءا.. لا وقت عندي للتسلية.

الشبح: يا بني، مادمت أظهر للآخرين بدور هاملت، فسأظهر لمن أحب متى ما رغبت بذلك. دع عنك الشكوك وأجب على أسئلتي، منذ عامين على أقل تقدير وأنا أراك بهذا الشرود. تنتظر بلا جدوى مثل عنكبوت أنهى شباكه.

الرجل: لم يمر على عرض هاملت أكثر من عشرة أيام.

الشبح: كانت ثمة تمارين قبل العرض.

الرجل: ما أجمل ذلك!

الشبح: هيا حدثني عن مشكلتك :لماذا أنت شارد الذهن؟

الرجل: إنني وحيد.

الشبح: فهمت! أصبت بأسوأ مرض يمكن أن يصاب به المرء في باريس! ممكن أن تحمل الوحدة في قارب تحاول به عبور محيط، يمكن أن تتعود على الوحدة عند العمل لمدة خمسة أعوام في إحدى المستعمرات القديمة بإفريقيا، أما في باريس فالوحدة لا تطاق! إنها تجعل المرء معذبا.. باريس غابة لطيور الحب، وكما تعلم فطائر الحب الذي يفقد وليفه يموت كمدا..

الرجل: أعرف ذلك.

الشبح: سنعمل على حل مشكلة وحدتك. أين تسكن؟

الرجل: في طابق علوي لأحد الفنادق يقع قرب ميدان (اودن).

الشبح: رائع. الباريسيات مولعات بغرف الطوابق العليا في هذه المنطقة. هل لديك سيارة؟

الرجل: ومن أين لي بالسيارة وأنا بالكاد أشبع نفسي؟

الشبح: لا يهم! يبدو أنك شاعر أو رسام.

الرجل: شاعر.

الشبح: لم يبق ثمة مشكلة . شاعر جائع يعيش في طابق علوي . تعلم كيف تستثمر الوضع! نساء باريس كالطيور الأليفة. يكفي ان يعرفن مكانك.. لن تجد في أي مكان بالعالم ملهمات وفيات مثلهن!.. هل تملك جهاز غرامافون؟

الرجل (يضحك): غرامافون!

الشبح: لا بد منه مهما كنت مفلسا. ألم تلاحظ وجوده في معظم المشاهد العاطفية في الأفلام الأخيرة؟

الرجل (ساخرا): وما السبب؟ البطل يقول للبطلة بنية صافية «تفضلي إلى غرفتي لنستمع

إلى شـــيء مـــن الموسـيقى».. توافـق البطلة على الاقتراح دون أي ارتياب في نوايا البطل!

الشـبح: جميل! إذن الغرامافون شرط أساسي .بامكانك اسـتئجاره لـو أردت. ثمنه ليس باهظا بل يسـاوي ثمن دعوة عشاء. اتفقنا؟ أستطيع ان أذكر لك المحل الذي تستطيع استئجار الغرامافون منه.

الرجل: أعرف عنوان المحل.

الشـبح: إذن ليكـن اسـتئجار الغرامافون أول عمل عليك تأديته.. هـذا أولا! وبعد.. أنت تركي أليس كذلك؟

الرجل: أجل. كيف عرفت ذلك؟

الشبح: عرفت ذلك من حركة رأسك إلى الأمام أو إلى الخلف عندما تقول نعم أو لا. بينما الأوربيون يهزون رؤوسهم يمينا ويسارا حينما يقولون نعم أو لا (يقلـد حركتهـم) لنعـد إلى موضوعنا. هل تملك موقدا يعمل بالكحول ودلة قهوة؟

الرجل: نعم.

الشـبح: جيد. تسـتطيع أن تدعـو أي امرأة تتعرف عليها بقولك «تفضلي لنتناول فنجانا من القهـوة التركية». إنها حجة مقنعة وجذابة.. هذا ثانيا..

الرجل: افهم ما تقصد.

الشبح: اجل، تذكرت. هل تملك علبة كبريت؟

الرجل: تركت التدخين.

الشـبح: ليكـن. عليك الاحتفـاظ بقداحة او علبة كبريـت حتى لو تركت التدخين.. عليك ان تعلم أن معظم النسـاء اللاتي سيتعرفن عليك في مقاهي باريس هن مدخنات لا يهتمن بوجود علبة كبريت في حقائبهن اليدوية. الأحاديث الأولى تبدأ مع إشـعال سيكارة السـيدة التي تجلس في المائدة الأمامية..

الرجل: ثمة أسـباب عديـدة للتعرف. الكتب المنسـية على الموائد، السؤال عن الساعة أو عنوان ما، فالحديث يبدأ مهما كان..

الشبح: ثم؟

الرجل: ثم لا ينقطع سيل الأسئلة.

الشـبح (ضاحكا): أجل، قبل عشرة أيام كنت تجلس مع سـيدة جميلة في هذا المقهى، ماذا جرى لها؟

الرجل: لا أعرف! لم أرها ثانية.

الشـبح : طبعا لـن تراها. عن ماذا سـألتك.. حاول ان تتذكر؟

الرجل: لم تدع شيئا لم تسأل عنه.

الشبح: حاول أن تتذكر، حاول!

الرجـل: قالـت: هل مضت فـترة طويلة على وجودك في باريس؟ هل أعجبتك باريس؟

الشـبح: هذه أسـئلة تقليديـة، تجاوزها، ثم ماذا؟

الرجـل (يفكـر قليـلا): قالت لـي: هل أنت مجري؟

الشبح: وماذا قلت لها؟

الرجل: الحقيقة!

الشبح: هل عرفت الآن خطأك؟

الرجل: لمـاذا؟ ما الذي كان سـيتغير لو كنت مجريا؟ هل يعطي ذلك للمرء أفضلية ما؟

الشبح: في أي عام نحن؟

الرجل: ١٩٥٧.

الشبح: أرأيت؟ لم يمر وقت طويل على أحداث المجر. ألا ترى كيف تعج الصحف بالمقالات وأخبار الاسـتنكار لتلـك الأحـداث التي لا تـزال آثارها قائمة؟

الرجل: كيف أستطيع أن أدعي بأنني مجري وأنا لا أجيد كلمة واحدة من اللغة المجرية.

الشبح: وهل تعتقد أنها كانت تعلم. الفرنسيات لايجدن كلمة واحدة من لغة أخرى ما عدا الفرنسية. إنهن يعلمن عشاقهن الفرنسية.. ان لنسائنا دور هام في انتشار لغتنا!

الرجل: لكن الكذب سيظهر بعد وقت قصير.

الشبح: وما الذي ستجنيه لو قلت الحقيقة؟ ادعاؤك بأنك مجري مجرد كذبة صغيرة.

الرجل: أهي كذبة صغيرة؟

الشبح: بالتأكيد.. أليس باستطاعتك الحديث بعدة جمل عن أحداث المجر وأنت تقرأ صحيفة لوند؟!.. كنت تستطيع تقول، أن بودابست تقع على نهر التونا.. وأنها مكان ساحر كالفردوس!

الرجل: لقد أسهبت في الحديث عن استانبول والجزر.. إنها حقا كالفردوس.

الشبح: لكن المهم التركيز على أحداث المجر.. باريس تعج بالمجريين. ومن الطبيعي ان تكون للباريسية حصة من ثوار المجر. الباريسية تهوى سير الأبطال ومعرفة حوادث الساعة في العالم دون ان تغادر باريس. في الحرب العالمية الأولى كان الأمريكيون يحتلون مكان الصدارة في قلوب الباريسيات . بعد روايات مالرو أحتل الصينيون هذا المكان ، ثم المثقفون الألمان بعد استيلاء هتلر على السلطة وبعدهم الأفريقيون عقب انتشار حركات التحرر فيها. نساؤنا يتابعن أحداث العالم بنفس شغف متابعتهن لآخر الصرعات في عالم الأزياء.

الرجل: إذن عليّ أن أغير بلدي حسب رغبة السيدة التي ألتقي بها، أليس كذلك؟

الشبح: أجل، لو أردت حقا التخلص من الوحدة في باريس.. لا يمكن النقاش مع النساء أو تلبية رغباتهن وإثارة اهتمامهن بالمنطق. لولا هذه الرغبات لأصبح العالم روتينيا لا يمكن تحمله. هل تستطيع أن تفسر لي لماذا يحبن الكلاب؟ لماذا يهوين الفراء والخواتم الثمينة؟ لماذا يقصرن فساتينهن مرة في كل ثلاثة أو أربعة أعوام؟.. الآن لهفتهن للتعرف على مجري تعادل لهفة حصولهن على فراء ثمين..

الرجل: أنت على حق ، لكنني لا أستطيع الاستمرار بهذه الكذبة؟

الشبح: أنك شاعر ويجب ان تكون معلوماتك الأدبية في محلها، بعد الحديث عن السياسة تحدث عن الأدب والفن والثقافة. بعد أن يتم التفاهم بينكما في المخدع، لن يبقى ثمة أهمية لموضوع كونك مجريا! فليس من المعقول على من ينهض من مائدة عامرة بالشهي من الطعام أن يسأل عن مكان السمن والسكر..! هيا.. أنا هنا، ستسمع صوتي بين حين وآخر.. انتبه إلى الطاولة التي بجانبك!

يختفي الشبح. تظهر امرأة جالسة على الطاولة قريبة من طاولة الرجل. أمامها كأس من النبيذ، تتأمل صالة المقهى. تغمض عينيها لوهلة وتتنفس بعمق. كل حركة أو إيماءة منها رشيقة كحركات عصفور. بحركات سريعة تتأمل حواليها، تلتقي نظراتها بنظرات الرجل. تبتسم له ابتسامة قصيرة. تنظر إلى المارة من أمام المقهى. تتناول حقيبتها وتلتقط علبة السكائر، لا تعثر على علبة الكبريت في الحقيبة. تلتفت بخفة نحو الرجل وهي تمسك بسيكارة بين إصبعيها. يظهر الشبح فجأة قرب الرجل. يمد له علبة كبريت.

الشبح (مشجعا): هيا.. اسرع إليها!

يتناول الرجل العلبة منه.

الرجل (مشيرا للشبح بالابتعاد. يشعل عود ثقاب): هل تسمحين سيدتي؟

المرأة (تبتسم): أوه.. شكرا..

الرجل: عفوا.

المرأة : لا ادري كيف يحدث أن أنسى علبة الكبريت في كل مكان أتوجه إليه.

الرجل: كلنا ننسى يا سيدتي.

المرأة: أنت أيضا؟

الرجل: بالطبع..

المرأة: مثلا، ماذا تنسى؟

الرجل: قبعتي، مظلتي.. بل يحدث أحيانا ان أنسى معطفي وخاصة عندما يكون الجو صحوا.

المرأة: أوه أنا أيضا!.. في الأيام المشمسة أود الانطلاق قبل لحظة إلى حيث الشمس.

الرجل: مثلي تماما دون أن يخطر ببالي قبعتي أو مظلتي..

المرأة (تبتسم): ثم ماذا يحصل بعد ان يهطل المطر ،هل تعود إلى أخذها؟

الرجل (يبتسم بدوره): بل أعود للبحث عنها.

المرأة: لماذا تعود للبحث عنها؟

الرجل: في يوم ما نسيت المكان الذي وضعتهما فيه.. وبذلك تحررت منهما! أصبحت لا أملك قبعة ولا مظلة!

المرأة: لا ضير في ذلك.. (تغمض عينيها، توجه وجهها نحو الشمس) آه.. انه الربيع!

الرجل (يتنفس بعمق): أجل، انه الربيع!

المرأة: ما أجمله من طقس!

الرجل: جميل للغاية.

المرأة: طقس لا مثيل له، ضياء، دفء وطراوة.

الرجل: منعش ورقيق.

المرأة: أجل لا يصدق وخاصة بعد الأمطار الطويلة.

الرجل: امتاز هذا الشتاء بالأمطار الغزيرة.

المرأة: مطر، مطر ،مطر في كل مكان! لا أريد حتى مجرد تذكره.

الرجل: ستنسين تلك الأيام.

المرأة : ليس على الفور (تشهق) لا أزال تحت تأثيره. كنت مقتنعة ان المطر سيهطل اليوم. أصدقائي ذهبوا في رحلة وقد الحوا عليّ بمرافقتهم إلا إنني ترددت. في أي يوم أحد لا يكون فيه الطقس ممطرا؟ كل أحد، كل أحد لا بد من المطر. أووف.. شيء مخيف لا يحتمل هذا العذاب. مطر في كل يوم أحد.. لماذا لا يكون ذلك في كل أربعاء أو كل خميس مثلا؟ منذ أسابيع لم أغادر باريس. أوه، الشمس.

الرجل: أنت على حق، لقد اشتقنا للشمس!

المرأة: أوه الشمس، الشمس كم أهواها!.. وأنت؟

الرجل: أنا أيضا..

المرأة: لا أتذكر شتاءا مريحا في باريس كهذا الشتاء كما في لوحات برنارد بوفت.

الرجل: من؟

المرأة: برنارد بوفت.. ألا تعرفه؟

الرجل (يحرك رأسه بإيماءة الشرقيين) ها.. أجل.

يظهر الشبح.

الشبح: اهتم بحركة رأسك عندما تومىء بنعم أو لا!

المرأة: هل رأيت أحدا؟

الرجل (يومىء برأسه كالغربيين): كلا!

المرأة: الحق مع بوفت! مع مرور الزمن أصبحت أدرك جيدا سبب العتمة القاتمة في لوحاته.ألم تغادر باريس طوال الشتاء؟

الرجل: كلا..

المرأة: ما أصعب ذلك ! أنا أيضا قضيت الشتاء في باريس، ماعدا اسبوعا واحدا سافرت فيه إلى. فالاديسرا أجل مجرد اسبوع في فالاديسرا.. هل تعرف هذه المنطقة؟

الرجل: رأيتها في التلفزيون فقط!

المرأة: ومالذي يراه المرء في التلفزيون؟ مجرد مناظر لا رائحة ولا طعم فيها. أين تلك المناظر الخلابة من الثلوج والجبال التي تعيد للمرء حيويته.. أرجو ان تزورها في أقرب فرصة. للشتاء طعم آخر هناك!.. أنا لا أحب الشتاء إلا إذا كان في فالاديسرا.. ففيها يتجمع سحر الشمس والثلج، أشجار الصنوبر وطقس الجبل. لم أكن ارغب في الرجوع منها بعد انقضاء الاسبوع لولا مرض أمي. أما في الشتاء المنصرم فقد زرت سان مالو،بناء على توصية صديق ، وكأنه ليس هنالك مكان آخر للاستجمام.. حتى شهر آب يكون فيه الجو ممطرا.. (ترتعد) ووو... لن اقضي عطلتي بعد الآن على سواحل الأطلسي حتى لو مت.. سان مالو جميلة ولكن ما جدوى ذلك بوجود الصيادين وملاجيء القراصنة القدامى فيها؟.. أريد ان أرحل دائما صوب الشمس.. أمشي على الرصيف الذي تشرق عليه الشمس.. آه أريد أن أتمدد كالسحالي تحت الشمس طوال الصيف.. هل تحب الجنوب؟

الرجل: كيف لا أحبه.

المرأة: هل تعرف جان لاس بينس وآنتياس؟ هل ذهبت اليهما؟

الرجل (يوميء برأسه كالغربيين) كلا!

المرأة (تنتبه) إيماءة رأسك مختلفة.. كل مرة توميء بشكل مختلف!.. على كل حال أنت لست فرنسيا.

الرجل: لست فرنسيا.

المرأة: من أي منطقة أنت؟

الرجل: احزري؟

المرأة: دعني أفكر.

الرجل: ستعرفين لو فكرت قليلا.

المرأة: بالتأكيد أنت من البحر الأبيض المتوسط.

الرجل: بدأت تقتربين.

المرأة: ألست ايطاليا؟

الرجل: انحدري قليلا نحو الجنوب..

المرأة: اسبانيا؟

الرجل: هل فهمت ذلك من لهجتي؟

المرأة: كلا.. لهجتك على ما يرام. تتحدث جيدا. هل صحيح بأنك اسباني؟

الرجل: ألا أشبههم؟

المرأة: تشبههم.. إذن أنت اسباني ؟ إنني سعيدة للغاية بالتعرف عليك.

الرجل: إنني أيضا سعيد بالتعرف عليك.. هل لك أصدقاء كثيرون من الاسبان؟

المرأة: كلا.. بل أنت أول اسباني أتعرف عليه.

الرجل: ربما لأنك تحبين الاسبانية!

المرأة: لا أجيد منها كلمة واحدة.

الرجل: هل سبق لك زيارتها؟

المرأة: لم أزرها قط.. هل هي مشمسة؟

الرجل: كل مكان فيها..

المرأة (تقاطعه): في الشهر الفائت زار صديق لي سان سبستيان، وكما يقول، لم يستطع أن يخرج من غرفته لمدة اسبوع بسبب المطر..

الرجل (لا يتذكر المنطقة): سان سبستيان.. أوه هكذا هي دائما تمطر.

المرأة: يجب ان تكون كذلك فهي تعتبر ضمن الأطلسي.

الرجل: طبعا! فهي لا تعتبر اسبانيا.

المرأة: يقول صديقي: طوال اسبوع لم أشاهد غير المطر والقسس.. أفواج من القسس.. هل في اسبانيا قسس كثيرون؟

الرجل: طبعا.. تصادفين وجود راهب أو راهبة بين كل مائتي شخص.

المرأة: يا للأسى! لكنني مع ذلك أحب اسبانيا.. قرأت وسمعت عنها الكثير.

الرجل: أدبنا أدب غني للغاية!

المرأة: ما كتب عن أدبكم وعن الحرب الأهلية يستهوي الكتاب الأجانب أيضا. آه.. كم إنني شغوفة باسبانيا!

الرجل: أي اسبانيا؟

المرأة: أنها ليست اسبانيا اليوم بالتأكيد.. أرجو ان لا يزعجك ذلك فأنا لا أود زيارة اسبانيا الحالية.

الرجل: لاعليك يا سيدتي.. فأنا لا أتمكن من زيارتها حتى لو أردت ذلك.

المرأة: لماذا؟ ألست اسبانياً؟

الرجل (بتأثر) أنا اسباني.. ولكن بدون جواز سفر.

المرأة (بإعجاب متزايد ، تقرب منه مقعدها): يا الهي.. هل التجأت إلى فرنسا؟

الرجل: كان الخيار الوحيد أمامي.

المرأة: منذ متى؟ في ١٩٣٨.

الرجل: في نهاية ١٩٣٨.

المرأة: آه.. مدهش.. إذا أنت جمهوري؟

الرجل: وهل لي أن أكون غيره؟

المرأة: هذا أمر مثير بالنسبة لي (تتناول حقيبتها وكأسها وتجلس على طاولة الرجل) هل تسمح لي بالجلوس؟

الرجل: تفضلي سيدتي.

المرأة: حدثني، حدثني عن تلك الأيام..

الرجل: كل ما سأتحدث عنه كتب عنه الكثير..

المرأة: كانت حربا مرعبة، أليس كذلك؟.. مخيفة ووحشية.

الرجل: أجل، كانت كذلك.

المرأة: الجمهوريون حاربوا ببسالة..

الرجل: ولكن بدون جدوى.

المرأة: هل أنت متشائم؟ هل تعتقد ان اسبانيا ستبقى هكذا؟

الرجل: استولوا على كل مكان..

المرأة: لا تقلق! هيا حدثني عن اسبانيا التي تحبها..

الرجل: لقد مرت سنوات طويلة يا سيدتي، انستني حتى أسماء أحياء وشوارع المدينة التي ولدت فيها وجوه من أحببت. كنت قد أنهيت لتوي الثانوية عندما نشبت الحرب الأهلية..

المرأة: لكن رغم ذلك شاركت في الحرب ..أليس كذلك؟

الرجل: وهل بقي ثمة شخص لم يشارك فيها؟

المرأة: هل تشتاق إلى اسبانيا؟

الرجل: جدا.

المرأة: سأحاول أن أنسيك أحزانك.. هل تحب باريس؟

الرجل: ليس ثمة في العالم مدينة ثانية ،يشعر

فيها الغريب بالراحة والهدوء مثل باريس.

المرأة (تمسك يد الرجل): سأجعلك تحبها أكثر.

الرجل: أنك لطيفة للغاية (يمسك يدها).

المرأة (تبتسم): أنا باريسية فقط..

الرجل: صحيح!.. (يسحب يده).

المرأة: من أي منطقة أنت في اسبانيا؟

الرجل: من الجنوب.

المرأة: من أي مدينة؟

الرجل: غرناطة.

المرأة: (بانطلاق وحبور تضع يدها فوق يد الرجل) أصحيح ما تقوله؟.. غرناطة لوركا. هل تحب لوركا؟

الرجل: كيف لا أحبه؟

المرأة: آه.. إنني اعبده (منشرحة) أعرف كل قصائده ومسرحياته. انه مدهش وساحر (تبدأ بإلقاء قصيدة له):

في الخامسة مساءا
أحضر الصبي ملاءة بيضاء
هل تذكرتها؟

الرجل (يواصل قراءة القصيدة):

في الخامسة مساءا
لا أحد يتجول هناك غير الموت

الرجل والمرأة معا: في الخامسة مساءا

المرأة: أوه.. إنني أعشقه (تواصل القراءة):

القمر مستدير
والسحب الصامتة أحصنة
محاصرة بالصفصاف
لا يتحمل قلبي ذلك
ستلتهب ذكرياتي
اخبروا بذلك
حمرة الياسمين في الأفق!

الرجل (يواصل القراءة):

الثور الحزين
يمد لسانه
فوق الساحة
على الرمل أنف من دم
يخور بألم منذ مائتي عام
تعب من نبش التراب
كلا!
لن أنظر إليه ، قلبي لا يتحمل ذلك.

المرأة: آه ما أروع ذلك!.. هل غرناطة جميلة بقدر هيام لوركا بها؟

الرجل: بالنسبة لي نعم..

المرأة: بيوت مطلية بالبياض، شمس ونور وضياء.. أشجار الزيتون والليمون والبرتقال، وقصور قديمة.

الرجل: هي كذلك بالفعل.. في كل مكان تمتد إليه يدك ، ستصطدم بالشمس والضياء. تبدو الأشجار والثمار والأزهار وكأنها شربت الشمس. الجو رائق وصاف بعد كل مطر. لن تجدي بعده في السماء غيمة واحدة. القمر أيضا يبدو دافئا في السماء والأزهار حتى الأزهار تفوح بالشمس.

المرأة: هل أنت شاعر؟

الرجل: كل اسباني هو شاعر بطريقة او بأخرى.

المرأة: ستسمعني قصائدك على كل حال.

الرجل: الغرفة التي أقيم فيها على بعد زقاقين من هنا.

المرأة: بودي ان أراها في يوم ما.. غرفة لاجيء اسباني جمهوري! انه أمر مثير بالنسبة لي..

الرجل: سأكون ممتنا لو تحقق ذلك.

المرأة: سأزورك (فجأة تجفل) كم الساعة؟
الرجل: السادسة والنصف.
المـرأة: أف، لـدي موعد في السـابعة. (تتناول حقيبتها)
الرجل: هل أنت ذاهبة؟
المرأة: كلا (تتوقف) ماذا ستفعل هذا المساء؟
الرجل: لا شيء.. لم أقرر بعد.
المـرأة: إذن لنفكـر معـا بذلك!.. اسـمح لي بدقيقة لأخابرهم بعـدم مجيئي للموعد (تخرج من المقهى).
الشبح (يظهر): أحسنت، لقد نجحت.
الرجل: أنت ثانية؟
الشبح: دع عنك التفكير.. لا تقلق"
الرجل: أعتقد إنني لن أصل إلى النهاية معها.
الشبح: النهاية! ستأتي من تلقاء نفسها.. أجزم إنهـا تقـول لنفسـها الآن «لن ادع هذا الاسـباني لوحده»..
الرجل: لقد كنت مبتذلا كما أعتقد.. وخاصة في موضوع لا يتحمل المزاح.
الشبح: لماذا تفكر بهذا الشكل.. هل أنت يميني؟ هل أنت رجعي؟
الرجل: كلا.
الشبح: كنت ستكون مع الجمهوريين لو ولدت في اسبانيا؟
الرجل: هذا شيء آخر.
الشـبح: ألا ينطبق ما قلته عن غرناطة، على سـواحل (ايجه) والبحر الأبيض المتوسـط وعلى مدينتي ازمير وأنطاليا؟
الرجل: وماذا في ذلك؟
الشبح: ألا تكتب الشعر؟ ألا تحب لوركا؟
الرجل: أكتب الشـعر وأحب لـوركا، كل ذلك صحيح، لكنني كذبت عليها.
الشبح: حسنا فعلت فهي ممتنة من كل ذلك.
الرجل: إنها امرأة رقيقة، مرهفة الإحسـاس، جميلة.
الشبح: أنت محظوظ.
الرجل: أشعر بالقرف.. لقد كذبت عليها، ولن تصفح عني.
الشبح: ستصفح! لقد رأيت كيف همت بها بعد فترة من حديثك معها.
الرجل: لقد سحرتني.
الشبح: بعد ثلاثة او أربعة أيام ستضحكان معا على كذبتك عليها.
الرجل: ثمة شعور بالذنب يطبق علي.
الشـبح: وهل تعتقد أنهـا كانت صادقة في كل مـا قالتـه؟ من يـدري إلى أي تاريـخ تعود قصة فالاديسرا؟
الرجل: إنني قلق.
الشبح: اسمع! كل إنسان يلد في بقعة ما من هذا العالـم، وهو لا يختار مـكان ولادته.. لكنه يختار معتقداته وأفكاره وقناعاته وقيمه. أنتما تناسبان بعضكما مثل شطري تفاحة. لا تعقد الأمور.. خذ بطاقة الدعوة هذه..
الرجل: ما هذه؟
الشبح: بطاقة دعوة لشخصين لمشاهدة عرض مسرحية (هاملت) في الصفوف الأولى.
الرجل: لن أنسى أفضالك بسهولة.
الشـبح: دع الأمـور تأخذ مجراهـا، حاول أن تبتعد هذا المسـاء بحديثك عن اسبانيا.. الإنسان في عصرنـا يهتم بكل بقـاع العالم بقدر اهتمامه باسبانيا.. أتمنى لك حظا سعيدا.
يختفي الشـبح، بينمـا تعود المـرأة إلى صالة

المقهى.

المرأة: هل تأخرت؟

الرجل: إطلاقا ..لقد عدت بسرعة.

المرأة: لقد ألغيت الموعد بالهاتف.

الرجل: شكرا.

المرأة: ماذا ستفعل؟

الرجل: بماذا ترغبين أنت؟

المرأة: هل تحب المطاعم الصينية؟

الرجل: أجل.. إنها لطيفة.

المرأة: أعرف مطعما صينيا رخيصا ونظيفا في نفس الوقت.

الرجل: لنذهب إذن..

المــرأة (تنظــر باهتمام إلى ملصق مســرحية (هاملت): أوه مسرحية هاملت..

الرجل: بإمكاننا مشاهدتها لو رغبت بذلك.

المرأة: هل نستطيع العثور على مكان؟

الرجــل: الممثل الــذي يقوم بدور الشــبح في المسرحية صديقي.

المرأة : صحيح؟

الرجل: أجل، سنتناول الطعام أولا، ثم نذهب لمشاهدة هاملت..

(ستار)

* نجاتــي جمالي (١٩٢١ـ ٢٠٠١) شــاعر وروائي وكاتب مســرحي معروف. من أعمالــه الروائية: زمــن التبــغ، التبــغ المر، زليــش، مــن دواوينه الشــعرية: أغنيات ذاهبة إلى الحــرب، ملاحظات من شهر مايس، البحر المطر، مرثية الغزال. من مســرحياته: الصيف الظامئ، جــدار الحب، المهد الفارغ، مينه، الحمامة الخطرة.



أين نحن من العالم؟

حوار أجراه: محمد نوري أحمد - بيروت

علي حرب مفكر وباحث لبناني استطاع بكتاباته التنويرية ان يشكل ابعادا مهمة بحيث تكون حجر زاوية في فهم المتغيرات من حولنا فضلا عن صياغته البنية الفكرية الخاصة به من خلال طرحه رؤية ثاقبة ومغايرة للأحداث والحقائق والمشغولات الفكرية، يركز في معظم كتاباته على ان الفكر الحي هو الفكر القادر على خلق الحدث وانتاجه وصياغته، نظرا لروعة فكره وطرحه، وجهنا له عدة اسئلة فأتت أجاباته كما يلي:

*** ما هي صفات العالم الجديد؟ هل ظهر فاعل بشري جديد في هذه المنطقة؟ بمعنى هل دخلنا نحن كمسلمين الى العالم الجديد؟**

- ثمة تغيّرات هائلة تعيد صياغة الواقع الكوني، قد صنعتها أو تصنعها أحداث كبيرة وثورات تقنية وانعطافات تاريخية، من انفجار المعلومات إلى طوفان الصور والعلامات، ومن سقوط جدار برلين الى انهيار ابراج مانهاتن، ومن السلع الافتراضية الى الازمة المالية البنكية، ومن صعود الارهاب الى الدول الجديدة الصاعدة على المسرح.

ولذا فمن يتأمل المعطيات أو يقرأ المجريات يجد بأن العالم يتغير بصورة جذرية وبنيوية، أولاً في وسائله وتقنياته وتجهيزاته وشبكات اتصاله ومنظومات تواصله، ثم في محركاته وقواه وخريطته وصراعاته والفاعلين على مسرحه، فضلاً عن التغير في المفاهيم والاذواق والحساسيات والتصرفات...

من أمثلة ذلك أن خريطة الصراع تغيرت على الساحة العالمية، بعد انهيار الاتحاد السوفياتي وسقوط جدار برلين. لم تعد مجرد صراع بين رأسمالي واشتراكي، او رجعي وتقدمي، او قومي واسلامي، او حتى اصولي وعلماني. فالصراع البارز

الآن هو صراع بين اصوليات مهيمنة، اسلامية ومسيحية، سنية وشيعية: الجهاديون والانجيليون، الاسلاميون الجدد والمحافظون الجدد، مجانين الله ومجانين المسيح... من هنا أُضيف الى صراع المدارس الايديولوجية والسياسية الحديثة، صراع الآلهة وحروب النصوص المقدسة، كما تجسّمت في المجازر والخرائب او في تدمير الجوامع والمراقد. ولا غرابة: لكل حرب مفرداتها وعُدّتها وأساطيرها وابطالها وآلهتها وجزّاروها...

على صعيد آخر، هناك تغير طرأ على الهويات الثقافية. فمع ثورة الاتصالات وانفجار أطر الزمان والمكان واتساع حركة الانتقال والهجرات، ندخل الى عصر الثقافات العابرة والهويات الهجينة والموجات الجديدة من الحداثة الفائقة بموادها الأثيرية وأدواتها وسرعتها وفاعليتها... تشهد على ذلك النماذج التي يمثلها فوكوياما او اوباما او ساركوزي وقسم من وزرائه او وزيراته، إذ كلهم ذوو أو ذوات هويات خلاسية، هجينة ومركبة وعابرة. من الشواهد ايضاً في هذا الخصوص المتحف الاسلامي الذي افتتح مؤخراً في الدوحة حيث تتجاور المصاحف والآيات الى جانب التماثيل والايقونات.

على صعيد ثالث يطال التغيير الحساسيات والاذواق والقيم... من شواهد ذلك أن زوجة الرئيس الفرنسي كارلا بروني هي عارضة ومغنية لم تتوقف عن مزاولة مهنتها وممارسة نشاطها سواء داخل فرنسا أو خارجها. ثمة شاهد آخر فاضح هو أن رشيدة داتي، وزيرة العدل الفرنسية، وهي من أصل مغربي، حامل ولن يعرف والد الطفل إلا بعد ولادته، كما أعلنت على الملأ. هذا ما لم يكن يحدث من قبل في فرنسا.

كذلك الامر على صعيد الافكار، ثمة تغيير



المحاور مع علي حرب في بيروت

يطال أمكنة التفكير وصناعة الرأي العام. لم يعد الغرب هو المصدر الوحيد في هذا المجال. فالدول الصاعدة، كالهند والصين والبرازيل، كما تسمى اليوم، باتت مركزاً لانتاج الافكار، هذا فضلاً عن التغيير الذي يطال جغرافية العقل وشبكات الفهم ودروب المعرفة وماكينات التفكير... لم يعد الواحد يفكر ويؤلف على طريقة هيغل وماركس، ولا على طريقة راسل او سارتر، ولا حتى على طريقة فوكو ودولوز وريتشارد رورتي...

❖ **مَن تذكر من النماذج الجديدة؟**

- هناك الفيلسوف ميشال اونفراي الذي يعد مارقاً ليس بالمعنى الديني فقط، بل ايضاً في مجال الفلسفة، وكما تشير عناوين مؤلفاته الفلسفية المضادة للتقليد، منهجاً وتعليماً وتراثاً وتوجهاً... ومنهم ايضاً وخاصة جاك أتالي الذي هو مثال المفكر الرحالة، المتعدد المهام والادوار، إذ هو يكتب ويؤلف، او يؤسس شركة عابرة، او يرأس لجنة للتنمية، او يعمل مستشاراً لدى الرئيس، او يشارك في حوار تلفزيوني، او في ندوة صحافية او فكرية؛ والى ذلك فهو قد يعقد الاجتماعات ويجري الحوارات او المباحثات في سيارته او

طيارته التي هـي بمثابة مكتبه. نحن إزاء مفكّر لا يتوقف عـن التجوال، في عصـر الهاتف الجوال والندوات العالمية.

❖ **هـل هذه أمثلـة على مـا تعتـبره الفاعل البشري الجديد؟**

- صحيـح. في الماضـي كان الفاعـل هو النجم السـينمائي أو الصناعي او المصرفي او الكاتب... أما اليوم فالفاعلون الذين يسـهمون في صناعة المشهد والخيـال والعقل والرأي العام، نجد نماذجهم لدى المغنـي، او الميديائي، أو مختـرع البرامج، او رجل الاعمال، او لاعب الكرة، او صاحب القناة، أو المفكر الجوّال...

ولكن للعملة وجهها الآخر هو النموذج الارهابي الذي بات، بعد الحادي عشر من ايلول، نجماً يفعل فعله في صناعة المشـهد والتأثير في المجريات، بقدر ما تتصدّر اخباره وسائل الاعلام والشاشات.

باختصـار: نحـن إزاء ثـورات وتحـولات أو اخفاقـات وانهيـارات تهاوت معهـا ايديولوجيات وسـقطت معسكرات وفشلت مشـاريع أو شعارات. واذا كانـت هـذه التغيـرات تخربـط الحسـابات والسياسات والاستراتيجيات، فإنها في المقابل، وعند مَـن يرى بعين مركبـة الى الواقـع المعقّد، الغني بإمكاناتـه والملـيء باحتمالاته، تفتـح الآفاق او الفـرص الابواب، من أجل التغيـير واعادة البناء. هذا ما تفعله الشـعوب الحية والدول الفعالة التي تنخرط في عمليات المراجعة والمحاسـبة من اجل اجـتراح الحلول، او وقف التراجـع والتدهور. وأياً يكن، لا جدوى من ادارة العالم بما هو سـائد من العقليات والافكار. لا بد من تجديد العدة والوسيلة او الوجهة والطريقة او الرؤية والاستراتيجية.

❖ **أين نحن من العالم الجديد؟**

- من المؤسف بل من المعيب والفاضح، أننا نسـير بعكس الاتجاه، ونهرب الى الوراء، للاحتماء بالـتراث والسـلف والاصل؛ بل ترانـا نتهرب من حمل المسؤولية برميها على الغير، الغرب والأمركة والعولـة، لكي نتسـتر على فضائحنا او نشـتغل بتبيض اخطائنا، بحجة المحافظة على الخصوصية والثوابت او مقاومة الغزو الثقافي.

❖ **هل يسعنا الانسلاخ عن هويتنا وتراثنا؟**

- لا أحـد ينسـلخ عن تراثـه. المهم كيف نتعامل معه. كل الشـعوب لديها تراثات تعتز بها وتحافظ عليها وترجع اليها. ولكنها تشتغل عليها، بالتحويل الخلاق والدرس الفعال، لاسـتثمارها في بنـاء الحاضر وصناعة العالم. أما نحن فإننا نعود الى التراث لكي نقع أسـرى سلطته وقوالبه او لكي نتماهى مع رموزه ونقدس نصوصه. وهكذا فنحن نبحث عن الحلول لمشكلاتنا المعاصرة لدى الماضين لكي نشـهد على قصورنا وعجزنا. ولكن لا شـيء يعـود كما كان عليه، من دون تغيير على سـبيل اعادة التوظيف والاستثمار او البناء والتركيب، إلا على نحـو بائس او مضحـك او عقيم او مرعب ومدمر...

هذا ما تشـهد عليه الفتاوى التي تملأ السـمع والبصـر: فتوى باروكة الرأس أو رضاعة الكبير أو المنقّبة العوراء أو ملامسة الانثى بقصد الاستمتاع ولو رضيعة، فضلاً عن الأحـكام القاضية بتكفير المختلـف او الآخر وقتله... وسـواها من الفتاوى المظلمـة او العميـاء التـي تشـوّه سـمعه العرب والمسـلمين في العالم، بقدر ما تفضح ممارسـاتهم لخصوصياتهـم بصورة متحجرة، بائدة، عدوانية، كاريكاتورية.

لنتأمل ذلك العراقي الذي هاجر من كردستان

ليقيم في واحد من بلدان اوروبا الشمالية. إنه يقتل ابنته لأنها تريد أن تعيش حياتها كما يعيشها الناس في المجتمع الجديد والحديث. أما والدها فيريد لها مجتمع الحريم. فلماذا يهاجر اذا كان يريد لابنته أن تعيش في العصر المملوكي والعبودي؟!

ثمة ما هو أفظع وأكثر فضائحية، أعني تلك النماذج التي يتصدر أصحابها المشهد ويصنعون الحياة في بلداننا: المفسر المشعوذ الذي يسطو على المعارف العلمية الحديثة لنسبتها الى القرآن، أو الأبله الثقافي الذي يطعن كاتباً لكي يفوز برضوان الله يوم القيامة، او الارهابي الذي ينصّب نفسه أميراً للمؤمنين، لكي يعلن حرباً باسم المسلمين تعود عليهم بالوبال، فيما هو لا يحسن قراءة الاحاديث التي سمعها من شيخه.

*** ولكن هناك من يميز بين الارهاب والمقاوم**

- ما أراه أن نموذج الارهابي يحلّ الآن محل المقاوم، لكي ينشر الرعب والدمار ويسفك الدماء، حيثما أمكنه ذلك على الساحة العربية او الكونية. أليس هو الذي يحيل العراق الى بركة من الدماء؟! بالطبع هو "مقاوم" في نظر البرابرة من المثقفين العرب والمسلمين، أقصد الذين يريدون لأهل العراق أن يقاوموا حتى آخر رجل أو آخر مؤسسة او آخر منزل...

*** هل ما زلنا نسأل اليوم مع شكيب أرسلان: لماذا تقدم الغرب وتأخرنا؟**

- ثمة وقائع ومتغيرات تحملنا على اعادة صياغة السؤال. فليست المسألة الآن لماذا تقدم الغرب وتأخرنا، بل لماذا يتقدم العالم ونحن نتأخر؟ لأن هناك مجتمعات شرقية، آسيوية، كانت مماثلة في تخلفها لمجتمعاتنا، او وراءها، كاليابان وبعض دول شرقي آسيا، فإذا بها تتقدم لكي نصبح نحن وراءها. والاهم أن هناك مجتمعات مسلمة تحرز تقدماً ونجاحاً في مشاريع التنمية، كما فعلت ماليزيا التي حققت معجزتها، وكما تفعل الآن تركيا في تحقيق نموها المتصاعد.

*** أين تكمن العلّة إذاً؟**

- مَن يتقدم هو الذي يعرف كيف يشغّل طاقته الفكرية، بحيث يُحسن استخدام عقله بصورة ايجابية وفعّالة لكي يستغلّ موارده بصورة مثمرة وبنّاءة. ومن هذا شأنه لا يقف موقف السلب او العداء من الحقائق والمتغيرات، بل يتعامل معها بفكر مركب وعقل منفتح وبُعد متعدد، بوصفها امكانات للتغيير والتطوير او الاصلاح والتحديث... هذا ما تشهد به التجارب، ماضياً وحاضراً. فلقد تصدّر العرب والمسلمون في ما مضى، واجهة العمل الحضاري لأنهم مارسوا حيويتهم الفكرية، فأتقنوا لغة الخلق وأمعنوا النظر والتفكّر في الخلائق والعوالم. وفي العصر الحديث خرج الانسان، بمغامراته العقلية وفلسفاته التنويرية، من العصور الوسطى بعوالمها المقفلة، لكي يحقق فتوحاته وانجازاته، بقدر ما تعامل مع نفسه، لا كمخلوق آثم ينتظر يوم الدينونة، بل كفاعل فكري، كما تشير الى ذلك مقول ديكارت الذائعة: أنا أفكر إذاً انا موجود.

أما عندنا فالامور تجري بصورة معكوسة، بمعنى أننا نفكر بالمقلوب، او نصادر حرية التفكير والتعبير، او نستخدم وسائل عقيمة ونماذج مستهلكة في العمل والتدبير. وهكذا فنحن نسدل الستار على عقولنا ونشلّ قدرتنا على التفكير الحيّ والخلاق، بقدر ما نمارس عبادة الاصول والنصوص. ولذا ترانا نعود الى الوراء.

لنقارن بيننا وبين بقية العالم والغربيين على الخصوص:

هم يتيحـون للنسـاء الذين يشـكّلون نصف المجتمـع أن يصلـوا الى القيادة ويتسّـلموا سُـدّة الرئاسـة، أمـا عندنا فإننا نشـتغل بحجب المرأة، او بقتلهـا اذا خرجت على منطق العشـيرة، فيما نتباهى بالذكر الذي يمارس فحولته بجمع النساء أو خرق المحرّمات.

هم يفيدون من تراثنا وسائر التراثات، أما نحن فإننا نقيم على مأدبة الغرب المعرفية والتقنية ثم نهاجمه، أو نفيد من أفكاره ثم ننسـبها لأسلافنا. لذلك نحن نمارس الزيف الوجودي وخداع النفس، كما هي علاقتنـا بمختلف المفردات الحديثة التي نقرأ من خلالها واقعنا ومعطيات وجودنا، كالتقدم والعقلانية والاستنارة والحرية والهوية، فضلاً عن التنمية ومجتمع المعلومة.

وهم لا يخشون المتغيرات، بل يعتبرونها فرصاً للمراجعة والتبصر، لكي يحسنوا ان يتغيروا بتجديد العناوين الحضارية. ولذا نراهم يقتحمون مناطق جديدة للتفكير او يسـتخدمون طرائق جديدة في الـدرس والتحليل، أو يجترحون أسـاليب فعالة في الإدارة والتسيير، بذلك يقيمون مع خصوصياتهم علاقات نامية، متحوّلة، غنيّة، متجدّدة باستمرار. أما نحن فإننا نتعامل مع المتغيرات بلغة المحافظة وعقليـة القوقعة، لكي تهمّشـنا الأحداث وتنتقم منّا الوقائع.

باختصار: هم ينشئون مراكز للبحث ويشغّلون العقول لانتاج معارف حول العقل والواقع والعالم. أما نحـن فإننا نعتبر أن كتباً كفتنا مؤونة البحث لأنهـا تنطوي على العلـم بكل شـيء. إنه الجهل المركب والعنف المقدس. وهم يؤلفون سيناريوهات حول "تاريخ المستقبل" او حول "عقول المستقبل"، أمـا نحن فإننا مشـدودون الى الماضي بقداسـاته وأسـاطيره وارهابه، كما يفعل الآلهة الجدد الذين يتصدّرون الساحات والجامعات والشاشات؛ ولذا، لا نحسن سوى تدمير الحاضر وافتراس المستقبل.

*** هـل تنفي الأثر السـلبي للمتغيرات على ما يجري الحديـث عن مفاعيل العولمـة والليبيرالية والسوق؟**

- إن شنّ الهجوم على الغرب والعولمة والأمركة، كما تتكاثر خطابـات المثقفين عندنا، هو حديث العاجز والفاشـل أو المأزوم والموتور. ذلك أن أعمال التنمية لا تُدار بالعقد والهواجس التي تحكمت في عقول الذين تعاملوا مـع آفاق الحداثة وفتوحات العولمة والتقنية، بمفردات الغزو الثقافي والاختراق الفكـري، بحجـة الدفاع عـن الهويـة والثوابت والتقاليد في مواجهة الثقافة الغربية التي يهولون بأنها ثقافة غريبة او معادية او مدمرة...

والامثلـة بليغة وفاضحة في هـذا الخصوص. فحيث سـيطرت المواقف السـلبية والعدائية من الحقائـق والمتغـيرات العالميـة. فشـلت مشـاريع التنمية بقدر ما شُلّت الطاقة على الخَلْق والابتكار والتحـوّل. هـذا شـأن معظم المسـلمين الذين ما زالـوا، منذ عصر النهضة، يكابرون ويعاندون من فرط النرجسية الثقافية، كما يفعل عرب وأفغان وايرانيون وصوماليون واندونيسيون... والحصيلة هـي تحويل العلاقة بالثوابـت الى عوائق ومآزق. حتى في فرنسا، عندما واجهوا التحولات الحضارية، بمنطق المقاومة ضد غزو العولمة والامركة، تخلفوا عن الركب الاوروبي، عقداً من السنين.

وبالعكس، فالتجارب الناجحة في مجال التنمية، هي التـي لا يتحدث أهلها عن الغزو الثقافي او عن

الطابــع التدميري للعولمة الثقافيــة والاقتصادية، وإنما يقــرأون الطفرات الحضاريــة والانعطافات التاريخية، بوصفها فرصاً وتحديات أو استحقاقات، لكي يتعاملوا معها بلغــة الامكان والخلق والتغيّر، كما حصل في اليابان وماليزيا، ثم في الصين وبعض دول الخليج، ومؤخراً في تركيا.

***ما السر في تقدم تركيا؟**

- لنقــارن بينها وبــين جارتها إيــران. فهذه الأخــيرة يهتم زعماؤها بتصدير العقيدة والثورة، بقــدر مــا يفكّرون بعقليــة اصطفائيــة احادية كربلائيــة، او معادية للثقافــة الغربية، والمآل هو الهروب مــن معالجة الأزمات أو هــدر الثروات او تحويل النــاس الى ضحايا. في حــين نجد الاتراك يشــدّدون على الأداء الاقتصــادي الفعّال لتحقيق التنمية، ويعترفون بتعدّدية الانماط والنماذج كما يعرّفــون العلمانية، ولا يهــدرون الوقت بمهاجمة الغزو الثقافي، لأنهم يعتبرون اوروبا مداهم الحيوي. هذا شــأن صاحــب الهوية الغنية. إنه يحســن أن يتغير في ضوء المســتجدات والتحولات، لكي يساهم في ورشة الحضارة وإغناء رأس المال البشري بوجه مــن وجوهه. إن أفضل دفاع عــن الهوية الثقافية والمجتمعية، هو ممارسة المرء لخصوصيته بصورة خلاقة وخارقة، وعلى نحو يتيح له المشــاركة في صناعة العالم وقيادة المصائر.

*** ألا تلغــي بنقــدك للذات أثر الخــارج على الداخل؟**

- لا أنفــي الصراعات علــى المنطقة من جانب القــوى العظمى والدول الفاعلة الباحثة عن الموقع والنفــط او الغنيمة والثروة، كمــا هي الحال منذ حملة نابوليون الى غــزوة بوش. ولكن ماذا نفعل نحن؟ كيف نفكر ونعقل؟ وكيف نتصرف وندبر؟ أكثرنا يقوم بردّات فعل هشة تشهد على عجزه وقصوره او على حمقــه وجهله او على همجيته. لنتأمل حادثة الحذاء، على ما كان من أمر الرئيس الاميركي مــع ذلك الصحافي العراقــي الذي قذفه بفــردة حذائه. لقــد تحولت الحادثــة الى قضية عربية. ذلك أن الكثيرين قد ابتهجوا وهلّلوا وكأن ما حصل قــد اعاد لهم الكرامــة المهدورة. هكذا بــدت كل آمال الأمة معلّقة على ضربة حذاء. بل إن بعضهم رأى في هذه الضربة نهاية تاريخ، وبداية آخر مشرق. مثل هذا التصرف بوجهيه، ردة فعل العراقــي، وردات الفعــل عليها، مــن جانب عرب ومسلمين يشــكل مثالاً على الفضيحة والعدمية، بقدر ما يشــهد على انعدام الامكانات والوســائل للخروج من المــآزق او للانخراط في صناعة حياة ســوية ولائقة. لم تبقَ سوى فردة الحذاء، كمنقذ ومخلص. ويا لها من آخرة.

أعــود الى النقد، لأقول بأننــي أعطي الاولوية لنقد الــذات، بما هو اجتراح للامــكان، لا بما هو جلد للذات. ذلــك أن منطقتنا ملغمة، كما تقول، ولكــن مــن الداخــل. أولاً مــن جانــب الانظمة الاستبدادية التي تدمر مصادر القوة والمنعة لدى شــعوبها؛ ثم من جانــب النخــب الثقافية، أعداء الحريــة والعدالة والامانة والحقيقة، من الذين آل بهم مصيرهم البائس الى العمل في خدمة من عمل على استئصالهم من انظمة الاستبداد واللاهوت.

ولكن اللغم الاكبر يتجسم في المنظمات الاصولية بعقائدها الاصطفائية التي تسمم اجواء التعايش وتدمر جســور التواصل بين النــاس والجماعات. ولذا فهي تحدث أقل الضرر بمن ندعي محاربتهم، واكــبر الضرر بمــن تدعي الدفاع عــن حقوقهم، ممــا يجعلها تتواطــأ مع اعدائها لانتــاج الكوارث

والمصائب.

❖ هل منطقتنا ملغمة؟ وما مستقبلها؟

- لن أتشاءم ومع ذلك لن أتشاءم. فالاصولية تكاد تستنفد نفسها لأنها تستجمع سيئات المشاريع القومية واليسارية، من التخلف والاستبداد والفساد، لكي تضيف الى سجل المساوئ: الإرهاب والفتن المذهبية وأنا أخالف هنا ريجيس دوبريه. فالدين ليس فيتامين الضعفاء، كما يمارس الدعاة والآلهة الجدد العمل الديني، بل تحوّل الى فيروس قاتل يفتك حيث يصيب ويضرب.

ولا أبالغ. فالاصولية التي اكتسحت ساحات الفكر والعمل، لا تشكل اصلاً اندفاعة وجودية فذّة او مغامرة عقلية خلاقة... وإنما أتت لتشن حرباً مقدسة، مادية ورمزية، على سبيل الثأر والانتقام والمحاكمة والاستئصال والعودة الى الوراء، لكي تُنتج المصائب والكوارث. إنها ردّة فعل سلبية أو عدمية أو مدمّرة، وليست موجة حضارية بنّاءة.

❖ هل نعود الى العصور الوسطى؟

- لا أريد ان احكم على العصور الوسطى على سبيل التقييم. بل أتراجع عن ذلك. قياساً على هول ما نعانيه من اشكال البربرية المعاصرة والوحشية المضاعفة. لقد عاش اهل ذلك العصر زمنهم وقيمهم وتقاليدهم. اما الاصوليات، وخاصةً الاسلامية منها، فإنها تكاد تحول الحياة الى جحيم لا يطاق، بحيث لو أن أهل صدر الاسلام قد ابتعثوا اليوم لكفرهم الاصوليون، ولارتعبوا من هول ما يحدث باسمهم.

ولكن بالرغم من هيمنة الاصولية، فإنها لن تستطيع أن تقبض على الامر، إذ هي تكتب نهايتها بحكم منطقها نفسه، لأنها لا تُحسن سوى انتهاك ما تدعو اليه او تدمير ما تدّعي المحافظة عليه.

وأياً يكن مصيرها، ثمة مقاومات لها من جانب قوى المجتمع الديناميكية والمدنية، المنخرطة في تحديث الحياة وصناعة المستقبل، وبالاخص من جانب النساء الشاعرات او الفنانات او المفكرات وسواهنّ ممن يمارسن علاقتهن بوجودهن، في غير مجال، على سبيل الانفتاح والتحرّر والابتكار والاستحقاق.

والأمل أن تعود المجتمعات العربية الى صوابها، لكي تستعيد مبادرتها التاريخية، وتطلق قواها الحية، للمشاركة في صناعة العالم بصورة مثمرة وبناءة، عبر الاختراعات والابداعات. وبداية ذلك أعمال المحاسبة والمراجعة، لاستخلاص الدروس والعِبَر، والاشتغال على الذات والوقائع بكسر منطق الفكر الأحادي والنظام الشمولي والارهاب الاصولي، وكلّ ما يصنع الخلل والعوائق او الآفات والمساوئ. لا مهرب، في مواجهة التحديات والازمات من التغيير بالإبتكار وخلق الوقائع والحقائق، لاحداث تحولات بنيوية، وعلى النحو الذي يتيح فتح آفاق جديدة أمام العمل الحضاري، والانخراط في تحديث الحياة بموجاتها وطفراتها المتجددة والمفتوحة على المثير والخارق والغير المتوقع.

ومن هذا شأنه يفكر بلغة العصر والمستقبل، أو يعمل بمنطق التعدّد والهجنة والترحّل والخلق والتحول. ولا أنسى بالطبع الاستحقاق والتوازن والشراكة والتضامن، أو الرعاية والحماية، إذا شئنا فرداً سوياً ومجتمعات مستقرة وبيئة سليمة...

❖ هل مات المثقف في العالم الجديد؟

- أنا تحدثت عن "نهاية المثقف" الذي فقد مصداقيته ومشروعيته في عصر المعلومات. والعبارة تفهم هنا بمعناها المجازي، بمعنى أن

الاحداث والتطورات والانهيارات، تشهد على نهاية دور او صورة او نموذج. واذا اراد المثقف استعادة فاعليته وراهنيته، فعليه أن يحسن قراءة الواقع الكوني الآخذ في التشكل والتغير. لكي يجترح الجديد من الصور والنماذج والمهام...

نحن نتجاوز الآن في هذا العصر حيث تتعولم الهويات والمشكلات والخيرات، مجتمع النخبة والجمهور او الطليعة والشعب نحو المجتمع التداولي، كما نتجاوز مفهوم المؤمن والمواطن نحو مفهوم الفاعل. بهذا المعنى، فالمجتمع التداولي يتألف من حقول وقطاعات ومشروعيات منتجة وفعالة.

الأحرى بالمثقف أن يستقيظ من سباته النخبوي الذي بني على احتقار الجمهور او احتكار مفاتيح الحلول. لقد اعتقد بأنه هو الذي يتصدر ويقود او يفعل ويؤثر، بقدر ما تصرف بوصفه يفكر عن الناس أو يحلم عنهم. فإذا العالم يتغير بخلاف او بعكس ما اراد له. مما يعني أنه لم يكن قائداً او صانعاً للرأي العام، كما لم يكن فعالاً، بقدر ما كان مادة للفعل او يتلقى التأثيرات من حيث لا يحسب، أو يفاجأ بالوقائع التي تنقلب ضد نظرياته ومواقفه.

الأجدى اعادة النظر فيما كنّا نفكّر فيه وبه وله، بحيث ننصت الى مَن ندعي قودهم وتغييرهم، فيما نحن نستبعدهم من مجال التفكير والتقدير، ونعترف بهم بوصفهم ذوي فكر لهم آراؤهم واقتراحاتهم في ما يعنيهم ويمسّ مصالحهم، لأن كل الناس تفكر، سلباً أو ايجاباً. بهذا المعنى فالمهمشون والعاطلون وكل مَن نستبعدهم من نظرياتنا وبرامجنا وسياساتنا، هم فاعلون أكثر مما نحسب، ولكن بصورة سيئة او عقيمة او مدمّرة... واذا كان ثمة امكان للتغيير، فبأن يمارس كل فاعل، في حقل عمله، حيويته الفكرية، سواء على سبيل الخلق والانتاج، او عبر المشاركة في المناقشة والمداولة، بحيث يتصرّف كفاعل منتج يشارك في تشخيص مشكلته وتحسين ظروفه، كما يساهم في بناء مجتمعه وصنع مصيره.

*** في ضوء ذلك، ما هي إمكانات المثقف للمساهمة في ايجاد حلول للمآزق؟**

- آن لنا، نحن المشتغلون بصناعة الافكار أو انتاج العلوم والمعارف، أن نتغيّر من حيث علاقتنا بمهننا ومكانتنا ودورنا في صناعة الحياة وبناء المجتمع. فلا مهرب من تغيير مركّب يطال الافكار وطريقة التفكير ودور المفكّرين، إذا شئنا أن نسهم في صناعة الاحداث بصورة إيجابية وفعّالة او راهنة. وبداية ذلك، ممارسة التواضع، أولاً بالكفّ عن اثبات صفات الألوهة والعبقرية على بعضنا البعض، وسواها من التهويمات او التشبيحات التي تجعلنا ننسب قرناً أو حقلاً او حركةً او ثورةً، الى أديب او عالم او فيلسوف.

ثانياً أن نُكفّ عن ادّعاءات التيقّن والقبض والتحكم في مسار التاريخ وسير العالم. فلا أحد يستطيع، على نحو دقيق ومطابق، أن يحدّد او يتصوّر او يستشرف قوانين التطور وشروطه او حركة التاريخ واتجاهات المستقبل. لأن ما يحدث أو ما نخلقه من الوقائع والحقائق، إنما يتجاوزنا باستمرار لكي يخربط حساباتنا وخرائطنا العقلية أو أنظمتنا المعرفية. من هنا الحاجة الدائمة الى المراجعة، لاعادة البناء والتركيب او الصوغ والتشكيل.

ثالثاً، أن نقتنع بأن عملية تغيير المجتمعات والعالم، أياً كان العنوان والشعار، إنما هي مصير مشترك، كل فاعل يشارك فيها بفكره وعمله أو

بمعرفته ودرايته او بمبادرته واقتراحه، على مستواه أو من موقعه او في دائرة عمله، سيما وإن الانسان هو فاعل فكري بالدرجة الاولى، أياً كانت التجليات والقطاعات أو المهن والاعمال والصناعات.

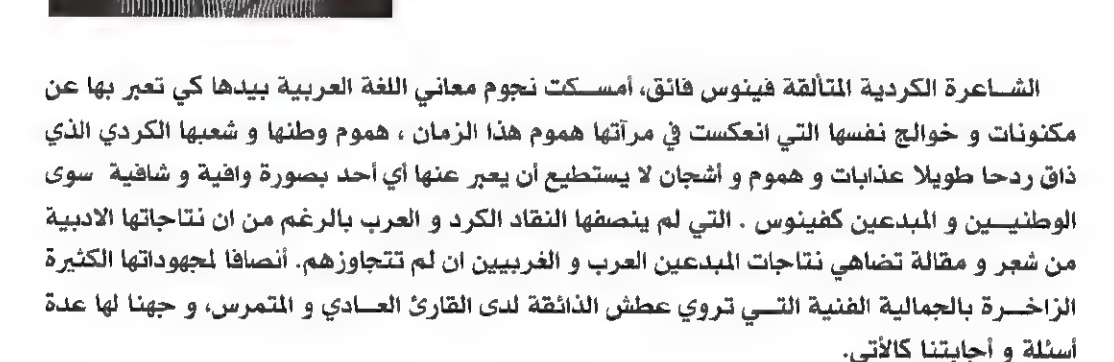
❖ كيف ترى الى الوضع العالمي بعد الأزمة المالية؟

- العالم هو في أزمة مستحكمة منذ زمن، كما تشهد المعضلات الامنية والبيئية والصحية والمعيشية. ولذا لن تصلح، بعد كل هذه الانهيارات والكوارث، صناعة الحياة او ادارة العالم وقيادة المصائر، بما هو سائد من العقليات الاصولية او الامبراطورية، الاستبدادية او الشمولية، الجهادية او الانجيلية، التلمودية او الكربلائية، اللاهوتية او الناسوتية.

ولذا لن يكون القرن الحادي والعشرون دينياً، على ما يتنبأ مثقفون كبار، ذوو عقل احادي ايديولوجي، او على ما يحلم به دعاة يزرعون الخراب والفساد في أرجاء العالم. الأرجح سيكون متعدد الانماط والنماذج او المذاهب والمشارب، إلا إذا شئنا أن يعود بصورةٍ مضحكة او مرعبة، كما يعود الدين الآن عبر الفتاوى التي تصدرها الدعاة الجدد والأصوليون الجهاديون، وكما هو شأن كلّ أصولية عائدة، أيّاً كانت الأسماء والشعارات.

❖ ما هو الحل من وجهة نظرك؟

- بالطبع لا أملك حلاً، ولكن ما أراه وأطرحه للمناقشة والمداولة، من وجهة نظري هو أن الأسرة الدولية بكل مجموعاتها اللغوية والعرقية والطائفية والاقليمية... تجد نفسها الآن أمام مفترق كبير وتحدٍّ خطير، فيما هي تواجه الكارثة والبربرية والعدمية، كما يتجسّد ذلك في التلوث والارهاب والفقر وتمزّق التجمعات واضطراب القيم... نحن جميعاً إزاء مطالب ملحّة لا تحتمل التأجيل، بل ترتقي الى مرتبة الأمر الجازم من أجل تحقيق الأمن بأركانه الثلاثة، البيئي والغذائي والامني. الأمر الذي يضع الكل أمام المسؤولية الجسيمة لحمل "الأمانة" التي يتهرّب من حملها الانسان، بحيث يعمل على تغيير نفسه وعلى نحو يطال التوجّه الوجودي والنمط الثقافي والبيئة الحضارية والادارة السياسية، فضلاً عن أنظمة الحقوق المتعلّقة بأشكال تداول السلطة وتوزيع الثروة، كي لا تقودنا غريزة التكاثر والاستهلاك أو ارادة التحكّم والتسلّط الى الهلاك والخراب...



الشاعرة الكردية فينوس فائق:

أهم ما يشغل بالي هو الإصلاح بكل معانيه و في كل المجالات

حوار أجراه :- مهدي مجيد عبدالله

الشـاعرة الكردية المتألقة فينوس فائق، أمسـكت نجوم معاني اللغة العربية بيدها كي تعبر بها عن مكنونات و خوالج نفسها التي انعكست في مرآتها هموم هذا الزمان ، هموم وطنها و شعبها الكردي الذي ذاق ردحا طويلا عذابات و هموم و أشجان لا يستطيع أن يعبر عنها أي أحد بصورة وافية و شافية سوى الوطنيــين و المبدعين كفينوس . التي لم ينصفها النقاد الكرد و العرب بالرغم من ان نتاجاتها الادبية من شعر و مقالة تضاهي نتاجات المبدعين العرب و الغربيين ان لم تتجاوزهم. أنصافا لمجهوداتها الكثيرة الزاخـرة بالجمالية الفنية التــي تروي عطش الذائقة لدى القارئ العــادي و المتمرس، و جهنا لها عدة أسئلة و أجابتنا كالأتي.

- فينوس فائق أسـم نسـائي أثبـت حضوره في الساحة الشـعرية الكردية و العربية، كيف كانت البدايــة، متى ظهرت ارهاصات الكتابة لديك؟ و كيف تصفين تلك المرحلة؟

البداية كانت عندما بلغت الثالثة عشر و بدأت بقراءة الشعر بشـكل عفوي، فبدأت تظهر عندي بوادر عشــق و نمو أظافري الشعرية و بدأ شعري يطول مع قراءة القصائد، و بدأت أتنفس القصائد كما أتنفس الهواء، كانــت بدايتي مع أول قصيدة كتبتها باللغة العربية لمدينة السـليمانية و أشبهها فيها بعروس حزينة.

- حدثينا عن ظروف تجربة أول ديوان نشرته، وكيف استفدتي من التجربة؟

أول ديــوان لــي كان جاهزاً للطبــع كان باللغة العربية، لكنني حينها قررت أن أطبع ديواناً باللغة الكردية، ثــم باللغة العربيــة. كان ذلك عام ٢٠٠١، فكانــت باديتي مع الكتابــة بالعربية، أما طبع أول ديــوان فكان بالكردية. حينها لــم يمر على تركي كردســتان ســوى خمس ســنوات، و بطبيعة الحال الحس القومي كان و مازال مرتفعاً، حيث أن الحس القومــي يتنامى مع إبتعادنا جغرافياً عن الوطن، و يأخذ مفهوم الكورداتي و فهمنا له يأخذ شكل آخر،

فقد تصورت حينذاك أن طبع ديوان باللغة الكردية هو إنتصار لي كأديبة كردية على الأقل أمام نفسي. لكن بعد ذلك و رغم أن الحس القومي عندي نما أكثر فأكثر إلا أنني فهمت أو صدقت نظرية أن لا لون و لا لغة للقصيدة. مهم جداً أن نكتب همومنا شعراً و أن نعبر عن أنفسنا بالشعر، أن نكتب الإنسان شعراً، لكن الأهم أن نجد اللغة الأنسب، الأنسب من حيث التعبير و الصدق و اللغة و الأفق و الصورة الشعرية، ليس المهم أن أكتب بالعربية أو الكردية أو العبرية، المهم أن أكتب قصيدتي..

إستفدت كثيراً من تلك التجربة، لأنني إستفيد أكثر من تجاربي السلبية و أسعد لمروري بتجارب خاطئة لكي أكتشف الأجمل و الأكثر إبداعاً بداخلي..

- إلى أي مدى تشعر فينوس بالاقتراب بين ما تكتب وما تشعر به؟

أكتب ما أشعر به تماماً، من غير الممكن أن أنجح في كتابة أي شيء كان من خارج إحساسي حتى و إن كان مقالة سياسية. مشكلتي أنني أتعامل مع الكلمة بإحساس شاعرة، حتى عندما أكتب عن السياسة.. لذلك تراني قريبة جداً من كل كتاباتي، بل هي جزء مني.

- تكتبين المقالة الى جانب الشعر، أيهما أقرب بالنسبة لك كتابة الشعر أم كتابة المقالة؟

قبل أيام سألتني جريدة (الوطن) الليبية في سياق حوار صحفي نفس السؤال و كان جوابي كالتالي: العمل الإعلامي بالنسبة لي هواية، النشاط في مجال حقوق المرأة و قضية جرائم الإبادة الجماعية (الأنفال) هي قضيتي التي من خلالها أخدم بلدي. أما أحب صفة إلى نفسي هي صفة شاعرة، أشعر أنني كائن آخر، الكاتبة بداخلي تحمل هم وطني و قومي، أما الصحافة فإني أحياناً أعتاش منها و هي المهنة القريبة إلى نفسي و شخصيتي و لا أعرف أزاول أي مهنة أخرى غيرها.

- ما طقوس الكتابة عند فينوس الشاعرة و الكاتبة؟

طقوس خاصة، ربما يشبه الجنون، فحتى كتابة المقالة عندي أحتاج فيها إلى الإلهام، و أحياناً أصاب بالحمى خصوصاً عندما أكتب عن قضية قومية و وطنية تؤلمني، تلك الطقوس تبدأ مع هطول الإلهام أينما كنت، فأشعر أنني ربما أصاب بالجلدة لو لم أتناول القلم و أسجل ما ينتابني.

- حدثينا عن مجموعتك الشعرية (طلاء الأظافر)؟ وماذا اضافت لتجربتك؟

طلاء الأظافر، هو عنوان لقصيدة في الديوان نفسه، فكرت كثيراً في عنوان الديوان، أردت له طابع أنثوي عميق، ليس لكي أفرق بين قصيدة المرأة و قصيدة الرجل، و إنما لكي أقف أمام الرجل بقصيدتي الأنثوية في خانة الأدب الإنساني بمفهومه الشامل. تعمدت أن أضع في الديوان أكثر القصائد الأنثوية عندي، أكبر عدد من قصائد العشق.

أعتبر طلاء الأظافر إضافة غنية، لأنه يحتوي قصائد من مختلف المراحل من مشواري مع كتابة القصيدة. و قد تعمدت عدم وضع التواريخ على القصائد، لكي أترك مهمة إكتشاف ذلك للناقد الذكي و القارئ المتابع..

- شعريا هل اعطى النقاد ما تستحقه تجربة فينوس، ام مروا عليها مرور الكرام؟

بصراحة أقول لم يمروا حتى مرور الكرام، الذين كتبوا عن تجربتي الشعرية، قليلون جداً أقل من أصابع اليد الواحدة. و ما كتب، كتب عن تجربتي الشعرية باللغة العربية.. اقولها بصراحة، كرمت من قبل الأوساط الأدبية العربية أكثر من الأوساط

الأدبية الكردية، ربما يعود سبب ذلك لإكثاري من كتابة المقالة السياسية، ومزاولتي لمهنة الصحافة في الوسط الكتابي الكوردي، لكن هذا لا يمنع أن هناك نقاد مهمتهم المتابعة و البحث عن الشعراء و المبدعين و الكتابة عنهم، ربما نقادنا ينتظرون موت المبدعين لكي يكتبوا عنهم أو يكرموهم..

أشعر أنني لم أنل حقي كشاعرة في كردستان، خصوصاً أن لي حضور كبير وجيد و منتظم في المحافل الأدبية خصوصاً الشعرية، العربية والأوروبية والعالمية، داخل هولندا و خارجها، و أجتهد دائماً لأن أعرف بالأدب الكردي في تلك الأوساط، من خلال التعريف بنفسي كشاعرة كوردية، أو من خلال قرائتي باللغة الكوردية.

- ماهي الصعوبات التي تواجه فينوس الشاعرة؟ و ما الذي ينقصها؟ و ما الذي تحتاجه لأثراء أبداعها؟

الصعوبات كثيرة، منها بعدي الجغرافي عن كردستان، كوني إمرأة و أتمتع بقسط كبير من الجرأة، كإمرأة على أرض الواقع، إضافة إلى الجرأة في كتاباتي، و إبراز الجانب الأنثوي، و هذه الأشياء تعتبر في مجتمعنا من الأشياء غير المرغوب فيها. المرأة المبدعة و الجرئية في مجتمعنا الأبوي المتخلف تعتبر نشاز و غير مرغوب بها.

ماذا ينقصني؟ لا أعرف ما ينقصني، لكنني أعرف أنني مازلت أفتقر إلى التجربة، و إلى الكثير لكي أكتمل، و ربما لن أكتمل، أحتاج إلى المتابعة و تكوين نفسي و تطوير شخصيتي بإستمرار، و تقوية لغتي الكتابية، فأنا من النوع الذي أحب التغيير كثيراً، التغيير نحو الأحسن، و أحب التعلم، أعتبر نفسي مازلت طفلة بالزي الرسمي و ربطة العنق و مازلت أشد شعري بشريط أبيض. مع كل تجربة أمر بها، أي نشاط أشارك فيه، أي إبداع أقدمه أجد نفسي دائماً مازلت في البداية و كأنني سأبدأ لتوي. كل مقالة أكتبها كأنني أجيب على سؤال في إمتحان البكالوريا، كل قصيدة أكتبها كأنني أؤدي إمتحاناً مصيرياً. مازلت أحتاج إلى كل الكتب التي تملأ المكتبات لكي أستمر في إثراء تجربتي الإبداعية.

- ما الهموم الفكرية و الأبداعية التي تشغل فينوس هذه الأيام؟

أهم ما يشغل بالي و منذ سنوات هو الإصلاح بكل معانيه و في كل المجالات، خصوصاً في المجالين السياسي الحكومي و الديني.. تشغلني قضية المرأة الكردية، أتألم كثيراً لقضية أهالي ضحايا جرائم الأنفال و القصف الكيمياوي.

- مع أن الأدب الكردي(الكلاسيكي و الحديث و المعاصر) تتواجد فيه نصوص أدبية من مختلف الألوان (شعر، قصة، رواية) بالغة في الروعة و الأبداع إلا انه لم يخطو نحو العالمية، كيف تعللين ذلك؟

التقصير الأكبر هي من داخل الوسط الأدبي الكردي الذي أصاب بداء المحسوبية و المنسوبية و على كل المستويات، و داء آخر و هو ملاحقة الرجال للمرأة المبدعة و إرجاع إبداعها لذكر أو رجل يقف وراء إبداعها و، بالتالي تجد أن غالبية الرجال النقاد لا يلتفتوت إلى المرأة المبدعة بصدق. فما تقرأه على صفحات الجرائد من مقالات حول شعراء وشاعرات هي مجاملة أكثر منها دراسة نقدية علمية و أكاديمية. وحتى طباعة الكتب في دور النشر تحكمها العلاقات الخاصة و المحسوبية، تخرج يوميا عشرات الكتب من المطبعات وترمى بها على ناصيات الشوارع و لا يقرأها أحد، لأنها طبعت وفق مبدأ الصداقة و المجاملة الفارغة والمصالح على طاولات المطاعم والنوادي الليلية..

فبإمكان أن يكتب اليوم ناقداً مجاملة عن شاعراً فارغاً ويوصله إلى الطبقة السابعة في السماء، وحين تحدث بينهما قطيعة يكسر ظهره. و ما أكثر الأنطولوجيات الشعرية التي تطبع سنوياً و تحتوي أسماء لم نسمع عنها، أسماء وضعوا فقط إكراما إما لمصلحة أو مجاملة. غالبية الرجال النقاد يكتبون عن النساء الشاعرات طمعاً في علاقة أو لغاية تتعدى حدود الأدب، أو مجاملة لشكلها إذا هي جميلة، هذه الظاهرة البذيئة التي تدفع المرأة المبدعة ضريبتها. و عندما تمتنع الشاعرة الفلانية و تصد الناقد الفلاني إما أنه يسوء سمعتها أو أنه على الأقل يصرف النظر عن مشروع كتابته عن تجربتها و يلغي الفكرة، أقول هذا الكلام عن تجربة. للأسف الشديد الأخلاق الأدبية الرصينة في وسطنا الأدبي أصبح عملة منقرضة و ليس فقط نادرة.

هذا الشيء او هذه الظاهرة إذا جاز التعبير ألحق الأذى الكبير بالأدب الكوردي في الأوساط الأدبية. بحيث أن عندنا كتاب نقاد كثر لكنهم لا يكتبون إلا بمزاجية، و حسب ما ذكرت أنفاً..

إضافة إلى قضية مهمة أخرى و هي أن الكثير من المترجمين و النقاد ممن يتقنون اللغات العربية و الأجنبية، لا يكتبون إلا عن أسماء محدودة، تربطهم بهم علاقات و محسوبية و منسوبية، أمثال اللذين يكتبون عن شيركو بيكس مثلاً، أو شاعرات أو شاعرة واحدة بعينها، و كأن الوسط الأدبي و الشعري الكردي قد خلا من بعدهم و ليس هناك من يكتب القصيدة غيرهم.. في حين أن هناك من يستحق الذكر و التقييم و تقديمه إلى الأوساط الأدبية خارج كوردستان.

و حين تسأل النقاد الكورد يلقون اللوم على الوسط الثاقفي العربي أو غير الكوردي و عدم متابعتهم، لكنهم لا ذكرون السبب الرئيسي و إنقسامهم فيما بينهم.. ثم أن التفكك و التشتت السياسي في كوردستان أيضاً كان له دوره السلبي في تشويه صورة الأديب الكردي في الخارج و التعصب الأعمى الذي يتصف به الكثير من مثقفينا في الخارج و فتح النار على غير الكرد، خصوصاً على العرب بدون إستثناء، ناسين أن وصول الأدب الكردي إلى العالمية يمر في أهم مرحلة منه بالعالم العربي و يقف فيه كثيرا.

- ما هو تقييمك لحال الأدب عامة و الشعر منه خاصة في اقليم كردستان العراق مقارنة مع الأجزاء الأخرى لكردستان الكبرى ؟

للأسف لم يعد هناك أدب يقاس بالمقاييس التي كانت تقاس به سابقاً، على الأقل المقاييس و الأخلاقية و الأعراف الأدبية. فقط إختلط الأديب الحقيقي بالأديب المزيف، إمتلأت الساحة الأدبية بأشباه الأدباء و أشباه الشعراء. في كل حي، بل في كل زقاق تجد عدة شعراء، بل في كل بيت هناك من يسمي نفسه شاعر.. في بداية جيلنا كنا ننتظر أن يقال أننا شعراء، ننتظر شهور حتى تنشر لنا قصيدة، لكن اليوم تجد حتى السمكري يقول عن نفسه أنه شاعر، و حتى الراسب في إمتحانات الأول متوسط و المفصول من الدراسة الإبتدائية يسمي نفسه ناقد و باحث و إعلامي. تماماً كالمجال الصحفي، فقد تجد في مدينة السليمانية وحدها حوالي ٥٠٠٠٠ خمسين ألف صحفي، ربما هذا الرقم مبالغ به، لكنه تصوير لحالة الفوضى التي تعاني منها المجالات الأدبية و الصحفية ، و حالة الأدب في هذه الأيام.

شخصيات كردية



ملا محمود البايزيدي

جودت هوشيار

الملا محمود البايزيدي ظاهرة فريدة في تاريخ الثقافة الكوردية فقد خدم هذه الثقافة، مؤلفا» ومترجما» للنتاجات الادبية واللغوية والتأريخية والاثنوغرافية وأسهم بقسط وافر إن لم يكن القسط الأكبر والأساسي في جمع ونسخ عدد كبير من أندر وأنفس المخطوطات الكوردية التي تعرفت الاوساط الاستشراقية من خلالها على النماذج الرفيعة من التراث الكوردي المدون وهي لاتقل أهمية وروعة عن التراث الكوردي الشفاهي، وكان تعاونه العلمي المثمر مع واحد من ابرز مؤسسي الكوردولوجيا في روسيا واوروبا وهو الكساندر زابا (١٨٠٣- ١٨٩٤) مثالا» حيا» على التفاعل الخصب بين الثقافات المختلفة، وعلى الرغم من الدور الريادي الذي نهض به البايزيدي، الا ان جوانب اساسية من سيرته ونشاطه الفكري والثقافي ماتزال مجهولة او غامضة حتى يومنا هذا، ولولا الملاحظات التي دونها الكساندر زابا وكشفت المستشرقة الروسية مركريت رودينكو (١٩٣٠ - ١٩٧٦) النقاب عنها في اواسط القرن العشرين، لما عرفنا اليوم شيئا» يذكر عن اهم شخصية ثقافية كوردية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بالرغم من كل ذلك فأن بين ايدينا آثار البايزيدي ونتاجاته الفكرية والادبية التي تتيح لنا تكوين صورة واضحة لمعالم هذا العالم الموسوعي والتعرف من خلالها على سعة علمه وثقافته وتعدد مواهبه وتنوع اهتماماته ووعيه الفكري العميق والتسامح الديني الذي كان يتحلى به ونظرته التقدمية (قياسا» الى عصره) في مجالات الفكر والثقافة بعيدا» عن التخلف والتزييف السائدين في ارجاء الامبراطورية العثمانية في القرن التاسع عشر.

واذا بحثنا في ثنايا المخطوطات الكوردية المحفوظة في خزائن بطرسبورغ عن الملاحظات والتعليقات التي دونها الكساندر زابا نجد ان البايزيدي ولد في مدينة بايزيد في اواخر القرن الثامن عشر ولايحدد

زابا سنة ميلاد البايزيدي بالضبط و يرجح ان يكون بين عامي (١٧٩٧ - ١٧٩٩) اي قبل حوالي مائتي عام ونيف (و بايزيد مدينة عريقة انجبت العديد من العلماء والشعراء الكورد وفي مقدمتهم الشاعر الخالد احمدي خاني).

أما تأريخ وفاة البايزيدي فأنه اكثر غموضا» حيث تشير المصادر الى أنه توفي في عام ١٨٦٠ ولكننا نعتقد ان ذلك غير صحيح، حيث ان ثمة مخطوطات بخط البايزيدي يعود تأريخ نسخها أو تدوينها الى عام ١٨٦٧، وعلى أية حال فأن وفاته كانت بعد العام المذكور على الارجح.

تلقى البايزيدي تعليمه الاولي في مسقط رأسه ثم رحل الى مدينة تبريز لمواصلة تحصيله العلمي، ويقول زابا ان البايزيدي حصل على معارف واسعة وعميقة في اللغات الفارسية والتركية والعربية وآدابها، اضافة الى اللغة الكوردية، كما درس العلوم الدينية والتاريخ واصبح بمضي الزمن واحدا» من أشهر علماء كوردستان في عصره، وفي عام ١٨٥٦ رحل الى مدينة ارضروم حيث بدأت أخصب وأنضج مراحل حياته، كانت أرضروم في القرن التاسع عشر هي المدينة الاهم في تركيا الآسيوية أو كوردستا ان الشمالية – الشرقية وتمر عبرها القوافل التجارية القادمة من اوروبا والمتجهة الى ايران والهند وروسيا وغيرها من بلدان آسيا. كانت المدينة (التي تتعايش فيها قوميات مختلفة: الكورد في المقام الاول ثم الترك والارمن، اضافة الى الجاليات الاجنبية تنبض بالحياة وفيها نشاط اقتصادي (زراعي وصناعي) واسع النطاق، كما كانت تزخر بمراكزها العلمية والثقافية وتتمتع بمواقع عسكري ستراتيجي بالغ الاهمية، لذا فقد اكتسبت اهمية قصوى خلال الحروب الطاحنة المتكررة بين روسيا القيصرية وتركيا العثمانية . وقد احتلها الروس لبعض الوقت ثم انسحبوا منها بموجب المعاهدة التي ابرمت بينهما وتحمل اسم المدينة، ولابد من الاشارة هنا الى ان الشاعر الروسي الكساندر بوشكين، زار ارضروم في عام ١٨٢٩ ووصفها بأنها مدينة جميلة وساحرة. لذا ليس من الصدف ان نجد الدول العظمى حريصة على ان تكون لها قنصليات دبلوماسية في هذه المدينة الكوردية، كان الكساندر زابا قنصل روسيا القيصرية في ارضروم وسميرنا (ازمير حاليا) خلال الفترة الممتدة من عام (١٨٣٦ الى ١٨٦٩) أي لفترة زمنية امدها (٣٣) عاما، وربما كانت هذه الفترة الطويلة قياسية بالنسبة للخدمة الدبلوماسية لممثلي روسيا القيصرية في الدولة العثمانية وفي الدول الاخرى عموما. كان الكساندر دبلوماسيا على مستوى عال من الثقافة ويتقن عدة لغات اوروبية وشرقية ومعجبا بالشعب الكوردي وخصاله الحميدة ومتفهما» لطموحاته المشروعة وكانت نظرته الى الامور تقدمية قياسا» الى سياسة روسيا القيصرية، ولم يكن زابا مجرد دبلوماسي بل مستشرقا لفت انتباهه ثراء الادب الشعبي الكوردي وتعدد الوانه واشكاله وتنوع مضامينه الفكرية ومستواه الجمالي الرفيع فأخذ يتعلم اللغة الكوردية ويقيم علاقات فكرية وادبية مع خيرة علماء وادباء ارضروم من الكورد (وكان معظمهم في ذلك الحين من رجال الدين) ويحاول بكل الوسائل الممكنة جمع المخطوطات الكوردية او مناشدة اصدقائه الكورد بان يقوموا بتدوين النتاجات الادبية والفولكلورية الكوردية وقد استجاب لمناشدته عدد من علماء وادباء المدينة وفي مقدمتهم البايزيدي الذي اصبح منذ قدومه الى المدينة ال! ذراع

اليمنى لزابا في جمع واستنساخ المخطوطات الكوردية وبناء على طلب زابا قام بتاليف النتاجات التي تخص الكورد في شتى مجالات الادب والثقافة وترجمة نماذج من عيون الادب الفارسي الى اللغة الكوردية، كان التعاون الفكري والثقافي الوثيق بين عالم كوردي من رجال الدين ودبلوماسي أجنبي لايعتنق الاسلام، يثير حنق وغضب المتزمتين، لذا فان البايزيدي - كما يقول زابا - لم يكن في اكثر الاحيان يوقع بأسمه الصريح على المخطوطات التي يدونها تحاشيا» لاثارة استياء المحافظين، كما ان السلطات التركية كانت تنظر بعين الريبة والشك الى العلاقات الوطيدة بين البايزيدي وزابا، حيث كانت الدولتان الروسية القيصرية والعثمانية تحاولان كسب تأييد الزعماء والشخصيات الكوردية البارزة.

حين يجري الحديث عن البايزيدي ينصرف الذهن فورا الى كتابه الشهير ((عادات ورسوماتنامه اكرادية)) أي ((عادات وتقاليد الكورد)) الذي يعد اول كتاب اثنوغرافي بقلم عالم كوردي وفي الوقت ذاته اول كتاب كوردي في النثر في غير المواضيع الدينية، وقد ألفه البايزدي في عام ١٢٧٤هـ/ ١٨٥٨-١٨٥٩ م ويتضمن وصفا لعادات وتقاليد الكورد ومعتقداتهم والمهن والاعمال التي يمارسونها وطرق بناء دور سكنهم وأساليب حياتهم ومعيشتهم والوان الفنون والهوايات والالعاب الشائعة بينهم، وقد تضمن الكتاب معلومات واقعية غزيرة، تجعل منه مرجعا» مهما» لأثنوغرافيا الكورد في كوردستان الشمالية في منتصف القرن التاسع عشر. وتوجد نسخة من مخطوطة هذا الكتاب -وهي نسخة فريدة بخط المؤلف - محفوظة في مكتبة سالتيكوف - شدرين الحكومية العامة في مدينة بطرسبورغ الروسية . وقد قامت المستشرقة الراحلة مركريت رودينكو بتحقيق المخطوطة وترجمتها الى اللغة الروسية مع مقدمة ضافية وملاحظات وتعليقات قيمة ونشرتها ضمن كتاب صدر في موسكو باللغة الروسية في عام ١٩٦٣.

ولابد من الاشارة هنا الى ان معظم المعلومات عن البايزيدي والمنشورة لحد الآن مستقاة من مقدمة رودينكو لهذا الكتاب، وملاحظاتها وتعليقاتها التي وردت ضمن دراساتها عن المخطوطات الكوردية.

كان البايزيدي عالما ضليعا في أسرار ودقائق اللغة الكوردية حيث الف كتابين عن قواعد اللغة الكوردية أولهما تحت عنوان ((رسالة تحفة النحلان في الزمان كوردان)) أما ثانيهما فهو بلا عنوان ويتضمن تصاريف الافعال الكوردية مع بعض قواعد اللغة الكوردية . وكلا المخطوطين بخط البايزيدي وقد دونهما خلال عامي ١٨٦٦-١٨٦٧ في ارضروم. أما في مجال الفولكلور فقد ترجم البايزيدي عشرات الحكايات والقصص الشعبية الشائعة في فولكلور شعوب الشرقين الادنى والاوسط، نقلا» عن اللغتين الفارسية والتركية كما ترجم من اللغة الاخيرة مئات الامثال الشائعة بين شعوب المنطقة، وتمتاز ترجمات البايزيدي بلغتها الكوردية الجميلة والبسيطة في الوقت ذاته ولاشك ان البايزيدي هو أول مترجم في تأريخ الثقافة الكوردية، حيث لم يسبقه - على حد علمي - احد في ترجمة الآثار الأدبية والفولكلورية أو أية نتاجات اخرى الى اللغة الكوردية من اللغات الاخرى، وترجمات البايزيدي كلها أمينة ودقيقة ولأثبات حرصه الشديد على الأمانة العلمية، كان يثبت الاصول الفارسية أو التركية الى جانب الترجمة الكوردية.

ودون البايزيدي قصة ((ليلى و المجنون)) نثرا في عام ١٨٥٨ في مدينة ارضروم، في حين ان هذه القصة شائعة في الآداب الشرقية (الفارسية، العربية والتركية) على شكل ملاحم شعرية وجدانية. وحبكة القصة

في اللغات الشرقية مختلفة الى هذا الحد أو ذاك عن قصة ((ليلى ومجنون)) العربية في أحداثها وتفاصيلها و أسماء ابطالها الثانويين، حيث ان كل أمة اضفت عليها طابعها الخاص، فقصة (ليلى والمجنون) الكوردية ذات طابع كوردي ولا عبرة بالعنوان. ولقد قامت المستشرقة مركريت رودرينكو بتحليل مضمون واسلوب قصة البايزيدي ومقارنتها بملحمة شعرية رائعة تحمل الاسم ذاته للشاعر الكوردي الكلاسيكي حارث البدليسي وتوصلت الى استنتاج مفاده، ان قصة البايزيدي النثرية إعادة صياغة لملحمة البدليسي الشعرية. وهي اي قصة البايزيدي أول محاولة لسرد هذه القصة نثرا» في الآداب الشرقية وربما كانت قصة البايزيدي أول قصة نثرية في الادب الكوردي اي ان بدايات النثر القصصي الكوردي ترجع الى منتصف القرن التاسع عشر وليس النصف الاول من القرن العشرين. وكما يقول بعض من يركز اهتمامه على تأريخ الادب الكوردي في كوردستان الجنوبية فقط، في حين ان شجرة الادب الكوردي لها فروع تمتد الى ارجاء كوردستان بأسرها. وكرس البايزيدي جهودا» كبيرا» لنسخ أهم المخطوطات الكوردية الكلاسيكية المهمة مثل (مم وزين) و (نوبار) لاحمدي خاني و (الشيخ صنعان) لفقي تيران ونتاجات اخرى عديدة، ولم يكن البايزيدي مجرد ناقل أو ناسخ، بل كان يكتب مقدمات مفيدة لما يترجمه أو ينقله من اللغات الاخرى، تتضمن معلومات عن المؤلفين ونتاجاتهم. فعلى سبيل المثال لا الحصر كتب البايزيدي مقدمة لمخطوطة علي الترماخي حول قواعد اللغة الكوردية. ومقدمات لمخطوطات أخرى قام بترجمتها أو نسخها. ولعل من أهم أعمال البايزيدي ترجمة الجزء الاول من كتاب (الشرفنامة) لشرف خان البدليسي و ذلك عام ١٨٥٩ وكتب لهذه الترجمة مقدمة قيمة لاتزال تحتفظ بأهميتها تحدث فيها عن المكانة الرفيعة للأمير شرف خان البدليسي وأثره التاريخي الخالد، ويعتقد بأن البايزيدي قد أنجز هذه الترجمة بناء على اقتراح الكساندر زابا الذي قام بترجمة مقدمة البايزيدي الى اللغة الفرنسية، وتقول رودينكو إن ترجمة البايزيدي للشرفنامة ترجمة أمنية ودقيقة، وقد حفز هذا العمل البايزيدي على تدوين تأريخ الكورد وكوردستا! ان ابتداءا» من المرحلة التي توقف عندها البدليسي في الشرفنامة وأطلق البايزيدي على مؤلفه التاريخي الضخم إسم (تاريخ كوردستان الجديد) اي (تاريخ كوردستان الحديث) وكأن هذا الكتاب المخطوط يتكون من حوالي الف صفحة، وقد ارسلها الكساندر زابا الى أكاديمية العلوم الروسية في بطرسبورغ في عام ١٨٦٥ لغرض تقييمه، وكانت المخطوطة بخط البايزيدي وبنسخة واحدة ولم يعرف مصيرها لحد الآن، وحبذا لو قام باحث أو مؤرخ كوردي بالبحث عنها وربما سوف يحالفه الحظ في العثور عليها، كما تم العثور على بعض أجزاء مخطوطة (تاريخ اربل) لابن المستوفي، بعد البحث الطويل عنها في المكتبات العالمية التي تهتم بأقتناء وجمع المخطوطات النادرة. وعلى هذا النحو نرى ان البايزيدي، كان عالما موسوعيا متعدد المواهب والاهتمامات والاهم من ذلك كله ان جهوده المتواصلة في التاليف والترجمة وجمع المخطوطات وتعاونه العلمي الوثيق مع الكوردولوجي البارز الكساندر زابا، كل ذلك قد حفظ لنا وللأجيال القادمة قسما كبيرا وثمينا والذي يعد الأكثر أهمية في التراث الكوردي.

محطات ثقافية

كردستان الحمراء

بقلم: خورو شورش

عندما استلم البلاشفة السلطة في بتروغراد في تشرين الثاني عام ١٩١٧م، كانت روسيا ما تزال متحالفة مع بريطانيا و فرنسا و في حرب مع ألمانيا وتركيا، ذلك العامل الذي ساهم في عدم قدرة الحكومة المركزية الجديدة لتوسع حكمها بطريقة فعالة إلى الأقاليم النائية في الإمبراطورية الروسية. كانت معظم هذه المناطق سريعة في إعلان استقلالها و من بينها ما وراء القوقاز و أسيا الوسطى.

في هذه الفترة كان الكرد يشكلون الأغلبية في تلك المناطق من غرب أذربيجان المتاخمة لأرمينيا وكان معظمهم مزارعين و وتجارا مدنيين و سنيين بالمقارنة مع الاذريين الشيعة. ففي مدينة غانجا القديمة التي أصبحت كيروف أباد فيما بعد، تم صهر الكرد بشكل كامل تقريبا. و لكن الوضع لم يكن كذلك في المنطقة الواقعة على بعد أربعين كيلو مترا في الجنوب الغربي والممتدة إلى اراكس و الحد ود الإيرانية مع ناغورني قراباغ في الشرق و مساحتها تقريبا \٥٢٠٠ كم٢\، كانت هذه المنطقة في مجملها كردية تقريبا و كانت تشمل على العاصمة لاشين مع المدن الرئيسية كا لباجار، كوباتلي، زنكيلان و التقسيمات الثانوية الادرية من كاركوشلاك، كوتورلي، مراد خانلي، كورد حاجي. شكلت هذه المنطقة بالذات فيما بعد منطقة كردستان للحكم الذ اتي المعروفة لدى الكرد باسم «كردستان الحمراء» (kurdistana sor) تضمنت الوثائق الأولى لها على رسالة من قائد الحركة القومية في كردستان الجنوبية (العراق) الشيخ محمود برزنجي إلى لينين يطلب فيها المساعدة السوفييتية للنضال ضد الامبريالية البريطانية و يلفت انتباهه إلى «الأهمية الدولية للمسالة القومية الكردية». يقال إن لينين قد

عــبر عــن اهتمامه بالمســألة إلى جانــب اهتمامه بدور (الكرد السوفييت) إضافة إلى ذلك كان يجب تأسيس كردســـتان ذات الحكم الذاتي و كان يجب تخصيص/٤٠ مليون/ روبل لهذا الغرض.

شــهد١٦ آذار ١٩٢١ م التوقيع على معاهدة عدم الاعتــداء بين تركيا و الاتحاد الســوفييتي. وبعد سنتين في ٤ تموز ١٩٢٣ م أصدرت موسكو مرسوما تصبــح بموجبه المنطقة الكرديــة التي عاصمتها لاشــين جزءا من ازربيجان السوفييتية بالاضافة الى ناغورني قرابــاغ بالرغم من وضع المنطقتين كمنطقتي حكم ذاتي.

في شــباط ١٩٢٤ م ألحقــت مقاطعــة نخجوان بحدودها مع الدول الثلاث: تركيا، إيران، أرمينيا بازربيجــان و منحت وضع جمهورية ذاتية الحكم أعلى بدرجة واحدة من (uyezed).

انشات هذه القرارات سلسلة من خمس مناطق تمتد الى الشــرق من نخجــوان في قوس على طول نهــر اراكس تشــمل على كينونــات أثنية مميزة بوضع سياسي مختلف و هي: نخجوان الاذربيجية الســوفيتية (٥٥٠٠ كــم٢) ذات «أغلبيــة كردية - أذرية» و أقلية ارمنية، والشريط الجنوبي الضيق مــن الإقليم الارمني المولف مــن كافان، غوريس، يخــز غــادزور، و منطقة كردســتان ذات الحكم الذاتــي (٥٢٠٠ كــم٢) المولفة من أربــع مقاطعات كردية، و المنطقــة الارمنية ذات الحكم الذاتي في ناغورني قراباغ (٤٤٠٠ كم٢) و عاصمتها ســتيبان كــرت حيث ازدادت الأغلبية الارمنية من ٧٠٪ الى ٩٤٪ مــا بين عامــي ١٩١٩ - ١٩٢٠ و مــن ثم بقية الاذربيجان السوفيتية.

لا يمكــن نكــران إن الوضــع كان يمكــن إن يكــون ملائما أكثر بكثير، فيمــا يتعلق بالتكوين العرقــي للمنطقة ككل، فيمــا لو بقيت نا غورني قراباغ جزءا من أرمينيا، و لكن في الوقت نفســه مــن المرجح بصعوبة إن لينــين، الذي كان طريح الفــراش و في عامــه الأخير، اســتطاع إن يتصور قدر (كردســتان الحمراء) و في ظل حكم ستالين. إن الســبب الغامض الكامــن وراء ضم المنطقة إلى أذربيجان، كان رغبة الحكومة الســوفيتية تعزيز العلاقــات الودية مــع النظام الكمالــي في تركيا. كانت كردستان قادرة على إن تبقى كمنطقة ذات حكم ذاتــي داخل أذربيجان لمدة ســنتين تقريبا حتى عام ١٩٢٥م تلك الســنة التي شــاهدت بداية انتفاضة الشــيخ سعيد في تركيا .شهدت كردستان ذات الحكم الذاتي تأسيس حكومة و مدارس كردية و كلية تدريب للمعلمين، كما تم نشر الكتب باللغة الكردية و دورية سياســية (كردستان السوفيتية) كانــت هذه الحكومة الذاتيــة قصيرة الأجل، ففي عــام ١٩٢٩ م قلصت حكومة باكو كردســتان من (uyezed) إلى (اوكــراغ - مقاطعة) و هي ادني وحدة إقليمية بالنســبة للقوميات السوفيتية غير الروســية. بعد ثماني ســنوات اختفت كردستان الســوفيتية ذات الحكم الذاتي تماما، و مرة ثانية للرغبة في تعزيــز علاقات جيدة مع تركيا حيث بقي المقاتلون الكرد مشكلة.

و يؤكــد نــادر نــادر وف في مقابلــة له و هو عضو كردي في أكاديمية كازاخســتان للعلوم ، تلك المقابلة التي ظهرت في الطبعات الأجنبية المختلفة لجريدة «أنباء موســكو» في بداية ١٩٩٠ م (من ٢٦ كانون الثاني - شــباط)، يقول الصحفي في مجمل مقدمته عن الموضوع إن ((كردستان)) تأسست في أذربيجان عــام ١٩٢٣ م بقرار من اللجنة المركزية، و بعد ذلــك بوقت قصير أصبحــت مقاطعة ذات

حكـم ذاتي و لاشـين عاصمتهـا. كان أول رئيس لأول حكومـة فيها هوغوسـي كاجيف. تم إصدار صحيفة «كردسـتان السـوفيت» وتأسسـت كلية لتدريب المعلمين في شوشا، و فتحت المدارس باللغة الكردية التي أصبحت لغة التعليم و البث الإذاعي، و في عـام ١٩٣٧ م تم ترحيـل الكرد، و من بينهم عائلة نادر وف، من أذربيجان و أرمينيا، و في عام ١٩٤٤ م تم إرسال الكرد الجورجيين إلى مستعمرات خاصة من بينهم منزل نادر وف في سيبيريا حيث تـم توطينهم، لقـد تم ترحيل الكـرد البالغين علـى انفراد و مصيرهم لا يزال مجهولا إلى اليوم. فـان الترحيـلات حدثت بتحريـض من رئيس الحكومة الأذربيجانية مـير جعفر باقروف الذي كان على اتصالات وثيقة بستالين و (OGPU)، تم إلغاء القسم الكردي في معهد الدراسات الشرقية في باكو في أواخر الستينات رغم إن الدراسات الكردية استمرت في المعهد المشابه في موسكو و لينينغراد و يريفان، و استمرت جريدة (كردستان السوفيتية) بالصدور في الثلاثينات و لكن ليس باللغة الكردية. في عـام ١٩٨٨م أعاد حوالـي/ ١٠,٠٠٠/ كردي (من المفقودين) جوازات سـفرهم الاذرية إلى موسـكو يطلبون تغيير الجنسية إلى الكردية، قدر البروفيسور شـاكرو محوي عدد الكرد في أذربيجان السوفيتية اليوم ب / ٢٥٠,٠٠٠ على الأقل/ ويرفع البروفسور ممو خالد درويشبان – عالم الأجناس الكردي من يريفـان – الرقـم إلى أكثر مـن / ٤٠٠,٠٠٠ /، في عام ١٩٨٨ م كتب درويشيان إلى غربا تشوف شاكيا: إن السـلطات المحلية منعـت تحريه عن الوضع في لاشين، في كالباجار كان قادرا عن السؤال عن الكرد لأنه تجنب السـؤال من خلال القنوات الرسـمية، يعلق بينسـون على إعداد الكرد في السـوفييت في إحصائيات أعوام ١٩٢٦- ١٩٣٩- ١٩٥٩ م (يعتبر معظم الكرد ولوجيين السوفيت إن هذه الأرقام غير وافية) ثـم يتابع ليقتطـف تقديرا وضعه اريسـتوفا في عام ١٩٥٤ م ب / ١٦٠,٠٠٠ /.

إن إعداد الكرد المرحلين غير معروفة و يمكن اخـذ فكرة باعتبار ما هو معروف عن الترحيلات من (كردسـتان الحمراء) بالمقارنـة مع ناغورني قراباغ، فهي اكـبر واقل وعورة و أكثر خصوبة و ازدحاما بالسـكان، و عدد سـكان الكرد في ما وراء القوقـاز كلهـم قريبا من المليون منهـم ٥٠٠,٠٠٠ في أذربيجـان لو لـم يتعرضـوا إلى الترحيلات و الإشـكال الأخرى من الاضطهـاد. و يعطي الكرد السـوفييت أنفسـهم تقديرات تتراوح تقريبا ما بـين ٣٠٠,٠٠٠ الى رقـم دقيـق ١,١٢٠,٠٠٠ كرديـا تم الاعتراف باللغة الكردية و بشكل مبكر جدا على أنها احد اللغات المئة و الثلاثين في الاتحاد السوفييتي كما لاحظ ذلك العالم اللغوي م. أي. عيسا يف في كتابه (مئة و ثلاثون ذات حقوق متساوية) و يعلق في عمل لاحق منشور في عام ١٩٧٧ م «اللغات القومية في الاتحاد السـوفييتي: مشـاكل و حلول» قائلا: إن معظـم اللغـات و اللهجـات الإيرانيـة ممثلة داخل الاتحاد السـوفييتي و يشمل الطاجيكية و الاوسـتيكية و الكرديـة و التاتية التي لها شـكل مكتوب و تلك التي ليس لديها شـكل مكتوب مثل التالوشية و البلوشية و.. الخ.

نشـر الخبير الفرنسي في الشؤون الكردية الأب توماس بوا دراسة عن الأدب الكردي في عام ١٩٥٥ م يقول فيها انه لا يمكن إنكار إن للسوفييت الفضل في زيادة نسبة التعليم و تشجيع الدراسات الكردية، و لكن حتى هذه الانجازات فقدت أهميتها جوهريا، بسبب المجازر، و التثاقف القسري و الترحيلات في

ظل حكم استالين و باقروف معا و إتباعهما الذين كانوا مسؤولين عن كل ذلك.

في عـام ١٩٨٩ م في ٢٠ أيـار حدثـت مظاهـرة كبيرة و منظمة من قبل الكرد في سـاحة بوشكين بموسكو، شـاركت في هذه المظاهرة مجموعات من تسـع جمهوريات سـوفيتية، كما أعلنت وسـائل الأعلام السوفيتية و من بينها التلفزيون توجهت المظاهرة الى حديقة اسماعيلوفسكي، الشيء البارز في هذه المظاهرات هو وجود نسوة من جمهوريات أسيا الوسطى حيث إن معظم الكرد البالغين كانوا من النسوة بسـبب الترحيلات و اختفاء رجالهن خلال خمسين سنة الماضية.

كان عـادل جليل من لاشـين متحدثا أخر في ساحة بوشكين، فعندما كان طفلا في العشرينيات ذهـب الى مدرسـة كردية حيث دونت السـلطات الأذربيجانيـة كلمة اذري كجنسـية له على جواز سـفره الداخلـي، في عـام ١٩٧٩ م رفـض جليـل الموافقة على ذلك و قام بجهود شـاقة مثل الكرد الآخرين في ذلك الوقت، لكـي يبدلها الى الكردية، و اخبر الحشـد إن الكـرد في أذربيجان (يرفضون إن يموتـوا)، و أضاف إن والدتـه أخبرته قبل إن يغـادر الى موسـكو (اذهب الى موسـكو يا بني إذا كانـوا ديمقراطيين حقيقيين سـوف يعيدون لنا الاستقلال، و إذا لم يكونوا كذلك سوف نتخلى عن الإيمان بالبيرسترويكا أو غورباتشوف او لينين.

بعد شهرين في ١٧ م أب، أعلن السوفييت الأعلى عـن قانون يقول إن جميع المواطنين السـوفييت الذين تم ترحيلهم في ظل حكم اسـتالين يجب إن يعـودوا الى موطنهم مع إعادة حقوقهم السـابقة لهـم، لكن هـذا المبدأ كان مجـرد قانون نظري و واجه تطبيقه مشاكل جمة. عضو المكتب السياسي جبريكوف المسـؤول عن القوميات نصح بان الكرد يجب إن يكونوا في قائمة واحدة و اجتمع الزعماء الكـرد و قاموا بتشـكيل يكبـون «yekbun» و تم انتخاب محمد سـليمان بابا يف رئيسـا و هو مهنـدس زراعـي متقاعد من باكو و الذي شـغل مناصـب هامـة في وزارة الزراعة ، و تم التحضير للمؤتمـر الـذي كان يجـب إن يعقد تحت شـعار (الكرد في الاتحاد السـوفييتي: الماضي و الحاضر)، و تـم عقد المؤتمر في المعهد الماركسـي - اللينيني و حضـره سـتمئة شـخص معظمهم مـن الكرد من تسـع جمهوريات سـوفييتية يمثلون جميع الطبقات مـن بينهم العمال و الفلاحون بالاضافة الى الانتلجنسـيا ، في غضون يومين من المؤتمر تم إلقاء ما مجموعه ثلاثـون كلمة او خطابا قصيرا و لم يكن هناك وقت للمناقشة العامة، كانت احد اللحظـات الأجمل في المؤتمر تلك المصالحة العلنية مع العناق الحار بين كل من الزعيم الكردي الشاب المسلم السني سعيد شـيخ حسن مفتي جمهورية كازاخستان السوفييتية و زعيم المجتمع الايزيدي الشـيخ بروبان مراد شـيرينوفيج من تبليسـي، فقد صرح الأول انه كردي أولا و مسـلم ثانيا، إما الثاني فقد وضع كرديته قبـل ايزيديته، كانت هناك لحظـة رائعة أخرى في المؤتمـر عندما تم إقناع زعيـم (يكبون) محمد بابا يف و الأكاديمي نادر وف إن يتعانقا و ينسـيا الخلافات التي نشأت بسـبب شـعبية الأول بين العمال و شعبية الثاني بين المثقفين.

صـدر بيـان نهائـي و اعطـي الى الصحافة و وسـائل الإعلام الأخرى في مؤتمـر صحفي، و تم إرسـال رسـالة الى الرئيس غورباتشـوف، و تمت صياغـة هذا البيـان النهائـي و توقيعه من قبل

اللجنة الإدارية ، و إن البيان قد أشار الى القرار الذي تبنته ندوة كردستان المنعقدة في لوزان بين ٢٩ – ٢٧ نيسان ١٩٩٠ م و التي حضرها حوالي ٨٠٠ كردي يمثلون جميع الجماعات السياسية.

ما ورد في البيان يمكن تلخيصه في ما يلي: إن الشعب الكردي يشكل امة مميزة و إن كردستان قد قسمت دون أي رجوع الى سكانها بين إيران و عراق و تركيا و سوريا، و إن مسالة كرد سوفييت ينبغي عرضها على الأمم المتحدة على أمل الوصول الى حل مبني على حق تقرير المصير، و لكن الاتحاد السوفييتي لم يكن مستعدا لمواجهة المسالة بأمانة، عندما تم نشر البيان في الغرب، إن كل ما تم ذكره عن ندوة لوزان او أي مؤتمر أخر بشان كردستان او اتفاقية سيفر و لوزان قد تم حذفه. لقد تم استبعاد الكرد غير السوفييت بصيغة رقيقة «حضر الموتمر الباحثون الأجانب و السوفييت المهتمون بالمسالة الكردية و علماء الاجتماع و الكتاب و المثقفون بالاضافة الى ممثلين من الانتلجنسيا الكردية من خارج الاتحاد السوفيتي» و في الختام حث القرار على تأسيس «جمعية فدرالية كردية» ليشمل ممثلين من جميع الجمهوريات السوفييتية المعنية، بالاضافة الى تأسيس مركز ثقافي كردي في موسكو و دار نشر كتمهيد لتأسيس كردستان ذات حكم ذاتي في منطقة مناسبة.

ماذا تعني لفظة الأستكراد؟

علي سيريني

يشيع في بلاد مصر والشام والعراق إستعمال كلمة الإستكراد، ويتداولها العامّة للتعبير عن موقف أو حال. ولكي يثبت المرء في هذه البلاد أنه ليس غبياً أو بهلولاً، في حديثٍ أو مجلس أو معاملة، يلفظها علناً دون تردد: أنا لست كُردياً (مانّي كردي، وفق اللفظ العامي)! وإذا أراد الواحد أن يثبت للآخر إنه ذكي وليس أحمقاً حتى تنطلي الحيلة عليه، يحذره: ما تستكردني! وإذا رأى أحدهم شيئاً غير معقولا، أو ليس بمألوف من شخص ما، يسأله مستنكراً: كُردي؟ وكلمة الإستكراد مشتقة من لفظة كُرد. ومعلوم أن الكُرد إسم هذا القوم الذي يسكن كُردستان، ويُعرف الآن بالشعب الكُردي. الإستكراد لفظة مؤذية جداً للأكراد، وهم يسمعون الناس يتبرأون منهم لكي يثبتوا أنهم ليسوا حمقى! وأثناء إقامتي في سوريا وفي لبنان لأكثر من

سبعة أعوام، كنت أسمع بشكل مستمر هذه الكلمة بين الناس. ومرة وأثناء الحديث مع شخص لبناني، لم تعجبه مسألة تحدثت بها، فاستنكر عليّ سائلاً: «شو كردي»؟! نعم كيف عرفت؟ أجبته وأردت الإستمتاع بالموقف، وبدا الرجل محرجاً!

في الواقع لا يمكن تعميم الصفات والأوصاف على الشعوب والجماعات. فليس هناك شعب ذكي وآخر أحمق. قد يكون شعبٌ ما أكثر حظاً في الحياة لعوامل وأسباب معينة، لكن الشعب الذي يعيش البؤس والحرمان، لا يعني أنه غبي أحبطه إسعاف العقل من قلّة! ولكن حتى مع هذا، فهناك شعوب أكثر فاعلية في صناعة التأريخ. والأمر قد يكون لعوامل كثيرة ومختلفة. على كل حال ليس ذلك بموضوع المقال.

الأكراد لهم تأريخهم، وقد صنعوا وساهموا في بناء التأريخ في مراحل مختلفة، وقدموا شخصيات مهمة على أصعدة شتى في التأريخ القديم والحديث، ليس على نطاق كردستان فحسب وإنما على صعيد المنطقة برمتها. فإبن صلاح الشهرزوري، والحافظ العراقي، وإبن خلكان، وأبناء الأثير، وصلاح الدين الأيوبي، وقاضي القضاة كمال الدين الشهرزوري، وأبا مسلم الخراساني، وأحمدي خاني وغيرهم كثير في التأريخ القديم كانوا أكراداً.

وفي التأريخ الحديث هناك مشاهير الأكراد مثل كريم خان زند، وبديع الزمان سعيد النورسي، والزهاوي، وإبراهيم هنانو، وعصمت إينونو، وضياء كوك ألب، وجنبلاط، والشيخ محمد سعيد رمضان البوطي، وفاضل رسول، والشيخ علي القرداغي، وبرهم صالح وقادة سياسيين وعسكريين منذ تأسيس الدولة العراقية والتركية وإلى يومنا الراهن.

وكيف إذاً يتفق وصف الغباء المعنون بالإستكراد، مع ما قدمه هذا الشعب من شخصيات مهمة على مرّ التأريخ؟!

قد يستغرب الجميع أن كلمة الإستكراد التي خرجت من عند المصريين أولاً، كانت في بداية الأمر مديحاً ولقباً يُطلق للمجاملة على غير الأكراد، تقديراً لهم ومبالغة في إحترامهم. فالأكراد الذين حكموا مصر والدول المجاورة لها أيام السلطان صلاح الدين الأيوبي، إشتهروا بالعدل والمعاملة الحسنة مع الناس. على أن الحكام والقادة قبلهم كانوا على نقيض من ذلك برفع الضرائب على العامة، وضربهم وتعذيبهم، وتوددهم للإفرنجة الذين لم يلقوا من عامة المسلمين سوى الكراهية والرفض.

الأكراد إذ لم يتساهلوا في مواجهة الصليبيين وإذاقتهم الخسران والهزائم، لانت وتواضعت نفوسهم لعامة الناس في مصر وغيرها من الأمصار.

واقترن للناس العدل والأخلاق الحسنة بالعنوان الكُردي، نظراً لكون الحكام والقادة الكبار في الدولة أكراداً. فأسد الدين شيركو، وصلاح الدين الأيوبي، وقاضي القضاة، والقاضي الفاضل، وقادة الديوان والجيش والمؤرخون في معظمهم كانوا أكراداً. ومن هنا فإن الناس البسطاء في مصر كانوا يجاملون الشرطة، وحراس السجون، والضباط الصغار في الجيش من المصريين بإطلاق اللقب الكُردي عليهم، لتبجيلهم وتعظيمهم عبر تشبيههم بطبقة الحكام والأشراف في الدولة. والسبب في أغلب الأوقات من وراء التبجيل والمديح، كان من أجل تجنب الأذى من الشرطة وحراس

السجون، وأحيانا في سبيل نيل الحاجات.

وحين كان الواحد يطلق لقب الكُردي على أي شخص في ذلك العهد، كان يعني بمثابة تشريف للمقام وتعظيم للشأن. وللكلمة اليوم عند اللبنانيين والمصريين وغيرهم مفردات أخرى من قبيل: ياخواجة، ياريّيس، ياطيب. لكن المصريين أفرطوا في إستعمال المدح لرجالهم بالوصف الكُردي، حتى كان السارق، والمحتال، والزاني، ومن إرتكبوا جرائم مختلفة يتوسلون إلى سجّانيهم وشرطتهم أن لا يعذبوهم، بإطلاق اللقب الكُردي عليهم: أنت كُردي ولا تظلم، أنت كُردي أي أنك طيب متسامح.

لكن الشرطة وحراس السجون الذين كانوا يصرّون على إذاقة هؤلاء العذاب والضرب، كانوا يردون فوراً: تستكردني، أنا لست كردياً وأشبعك الضرب!

وهكذا بمرور الزمن تبدل المفهوم الكُردي من مديح إلى معنى قبيح. وأصبح القول أنت كُردي، حيلة لنيل مرام غير مقبول. وحتى يتخلص المسؤول أو القائم على الشأن من الإحراج كان يجيب: لا تستكردني، أنا لست كُردياً! وهكذا و. ربّما . لسوء حظ الأكراد وطالعهم، أصبح عنوانهم الذي أوحى بالمجد والمديح، إلى كلمة متداولة لدى عامة شعوب المنطقة، تحمل معنى خجلوا منه كثيراً بدل أن يفتخروا به، لتقطع أسباب معرفة أصول الكلمة عندهم!

والفضل في هذا المقال يعود إلى المؤرخ العربي المعاصر محمد حرب، ومقاله في ملف خاص عن القضية الكُردية، في المجلة الدولية الفصلية برئاسة بطرس غالي، في عددها نهاية عام ١٩٩٩ بمصر، وكذلك بالإستفادة من تحفة العجائب وطرفة الغرائب لإبن الأثير، وإبن شداد في النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، والعماد الأصفهاني في خريدة القصر وجريدة العصر. ومنذ تسعة أعوام وأنا أعرف هذه المسألة، لكن الكتابة فيها تأخرت بسبب الإنشغال بمسائل وقضايا أخرى ملحّة وساخنة.



تتطلع للعودة الى السليمانية

سانحة محمد أمين زكي:
لم يتفقد اي مسؤول كوردي احوالي الى الآن ولا أعاتبهم على ذلك

كاوان أبوبكر: بيروت
الترجمة من الكردية: كامل محمد قرداغي

عندما حددت لنا الدكتورة (زالة) كريمة السيدة سانحة محمد أمين زكي بيك موعد اللقاء بأمها، قالت لنا بأنه ليس بإمكاننا ان نبقى عندها أكثر من عشرة، أو خمس عشرة دقيقة، متحججة بسوء الحالة الصحية للوالدة، و لكن عندما وصلنا اليها و تبادلنا مع السيدة الكريمة أطراف الحديث، رأينا اننا اخذنا اكثر من الوقت المخصص لنا، و اعربت السيدة الكريمة عن سرورها بلقائنا معها و زيارتنا لها، كصحافيين كورد، بالرغم من ان العمر نال منها و لم تكن قادرة على الحديث جيداً، الا انها تحدثت الينا و معالم الارتياح باينة على وجهها لأنها بعد سنوات طوال من الغربة عادت لتتحدث بلغتها الام، الكوردية و باللهجة الجنوبية المستعملة في السليمانية.

الصداقة مع السيدة (حبسة خان النقيب)

السيدة سانحة محمد هي كريمة المؤرخ الكوردي المشهور محمد أمين زكي بيك الذي تسلم مقاعد وزارية في الحكومات العراقية المتعاقبة لأكثر من (١٦) مرة و ألف كتباً عديدة حول التأريخ الكوردي. استقبلتنا في دارها الواقعة في احد أحياء بيروت و تحدثت لنا عن ذكريات طفولتها و زيارتها للسليمانية و هي برفقة والدها، قائلة: (لا أتذكر جيداً بأي سنة كانت، و لكن على الاغلب و ان لم تخني الذاكرة، فانها كانت بين عامي ١٩٣٠ و ١٩٣٢ عندها كنت ابنة سبع او ثمان سنوات، و كان والدي يعمل وزيراً للدفاع عندما اخذني معه و ذهبنا لزيارة السليمانية، و بعد ذلك بعدة سنوات تلقيت دعوة لزيارة السليمانية من جانب السيدة

حبسة خان النقيب و التي كانت تربطني معها علاقات صداقة وطيدة و كنت أحبها كثيراً، ذهبت الى السليمانية من جديد و بقيت عندها لخمسة عشر يوماً)

يناهز عمر السيدة سانحة التسعين الآن و هي أم لأبنة (الدكتورة زالة- و زالة هي تسمية كوردية تعني وردة الدفلى-Oleander) و إبن (الدكتور حسن) و تشير الى انها لم تقض اوقات كثيرة في السليمانية، لأن والدها كان كثير الانشغال في بغداد، لذا تراها لاتعرف الكثير من أهالي السليمانية، بل لديها تعارف و صداقات مع الكورد الذين كانوا يزورون بغداد في تلكم الاونة و كانوا يبيتون عندهم. و اشارت الى انها بالاضافة الى الصداقة التي كانت تربطها مع حبسة خان النقيب، كانت قد رأت كل من الشخصيات (الشيخ محمود الحفيد و الشاعر الفيلسوف بيرميرد و السيدة حلاوة خان ابنة السيد باباعلي و ناهدة سلام و المؤرخ الكوردي البروفيسور كمال مظهر).

خانزاد و الشاعر بيرميرد

حول اسمها قالت السيدة سانحة ان والده هو الذي اختار له هذا الاسم، و لكنها من جانبها لم تكن تفضل ذلك اسماً لها و انها حاولت ذات مرة ان تغيره الى (خانزاد) و لكن والده لم يشجعها على ذلك.

في سياق الحديث عن بيرميرد قالت السيدة سانحة انه كان من عمر والدها و كان له صداقة مخلصة مع والدها، مشيرة الى ان: كان الشاعر بيرميرد يحبني كثيراً، حتى انه كتب لي شعراً ذات مرة و ارسله لي مع والدي، فعلاً كان صديقاً مخلصاً لوالدي و رؤيا الثرى كل بجانب الآخر في مقبرة سيوان في السليمانية.



أسعد لحظات حياتها

تشير السيدة سانحة الى الايام التي قضتها بجانب والدها على ان تلك كانت اعز أيام عمرها و أسعد لحظات حياتها، لذا كانت حتى عند لقائنا معها تقف طويلاً عن الحديث عند ذكر اسم والدها، تنهدت قليلاً و قالت: كنت الابنة الوحيدة لوالدي مع ثلاثة أبناء، كان والدي يعزني كثيراً، لا أتذكر يوماً يكون قد غضب مني و لم يمثل عائقاً أمام تحقيق طموحي سوى مرة واحدة حيث كنت قد أكملت الدراسة الثانوية في ذلك الزمن و اقترحت عليه ان أواصل اكمال دراستي في أوربا و لكنه رفض طلبي ذلك، متحججاً بأنه لايقدر على العيش بدوني و قال لي سفرك الى الخارج يبقيني وحيداً و هذا ما لا أبغيه،كان دائم التشجيع لي على الأمور الجيدة و اهتم كثيراً باسداء النصائح لي، وأنا كنت احبه كثيراً من جانبي، لم أقدر أنا أيضاً على ان اتركه لوحده، فكم مرة كنت افكر في قرارة ذاتي : ماذا يحل لي اذا توفي والدي، كنت اخاف موته كثيراً، ولكن و للأسف عندما وافته المنية، كنا في أوربا، رجعنا الى بغداد خلال ثلاثة أيام و ذهبنا الى السليمانية و زرنا قبره برفقة والدتنا، و بعد ذلك زرت قبره مرة اخرى، هذه

المرة كانت مع السيدة حبسة خان النقيب.

كنت أفضل ان يكون زوجي كوردياً

تتحدث السيدة سانحة عن حياتها الزوجية و تقول: لوالد أطفالي علاقة قرابة مع والدتي، تعرفت عليه عندما كنا في سن الثانية عشرة من العمر، اعجبنا ببعضنا و تزوجنا، لم يكن والدي يوافق على زواجي لو لم أكن احب الرجل الذي كنت أتزوجه، لم تكن لدى اسرتنا عادة ارغام البنات على الزواج، كان زوجي عربياً و حتى انه لم يعرف يتكلم كلمة كوردية، هذا صحيح و لكنه كان يحب الكورد أكثر منا. (تضحك و تقول) كنت أود ان اتزوج كوردياً و لكني لم أجده و هكذا سار النصيب، لم احمله تكاليف المهر و الهدايا لأنني كنت أملك كل شيء.

لم يزرني أي من المسؤولين الكورد

ليست لدى السيدة سانحة معلومات وافية عن الاوضاع في كوردستان، عندما اخبرناها بوضع نصب تذكاري للسيدة حبسة خان النقيب في كوردستان اعربت عن سعادتها بالخبر قائلة: يجب ان لاينسى شخصيات مثل السيدة حبسة خان و يسعدني اقامة نصب تذكاري لها.

سألناها ان كانت تعرف احداً من الساسة و المسؤولين و الشخصيات الكوردية في اقليم كوردستان العراق، أجابت بالنفي و قالت: لا أعرف احداً منهم في الحقيقة و لايوجد بينهم من تفقد اوضاعي بالزيارة أو حتى بتوجيه رسالة أو اتصال هاتفي و لا اعاتب احداً على ذلك لأنني اعلم انهم كثيرو الانشغال، و كم كنت اتمنى ان يسأل عني احدهم، مام جلال يعرفني جيداً و ملا مصطفي سأل عني مرة عندما اقبل لبغداد و بقي هناك في فندق ما لأول مرة.

تود العودة الى كوردستان ..ولكن

كانت السيدة سانحة جالسة على كرسي ثابت، عندما كانت تتحدث الينا، كانت ابنتها الدكتورة زالة تساعدها على ارتشاف كوب من الشاي ، قالت لنا: في عام (١٩٩٠) عندما اندلعت حرب الخليج الاولى تركت العراق برفقة ابنتي زالة و كان حسن يدرس في اميركا آنذاك.

و لم تخف رغبتها في العودة الى السليمانية و لكنها كما تقول: ليس من السهل ان اعود الآن، لأنني اصبحت طاعنة في السن و صحتي لاتساعدني على العودة و السفر. و لم اقدر على العودة في السابق لأنني لم اكن قادرة على ترك أولادي هنا.

بالرغم من ان اللغة التركية هي اللغة اليومية المستعملة هنا في بيت السيدة سانحة الا انها تصر على ان بيتها هي بيت كوردية أصيلة طالما بقت رئتيها تنعم بهواء هذه الدنيا.

في مرآة النقد
محمد موكري روائياً

بشار عليوي

يشكل الأديب الكُردي «محمد موكري»، علامة فارقة في المشـهد الثقافي الكُـردي ، بوصفه ناقداً وروائيـاً بالاضافة الى كونهِ كاتباً مسـرحياً . فلهُ العديد من النتاجات التي أخذت طريقها للترجمة الى اللغة العربية، منها مسرحية (هارون الرشيد) ورواية (نباح) ترجمة «أبو شهاب».

التي وُضعـت في مرآة النقد ضمن أشـتغالات الناقد «رشيد هارون».

فضمن البرنامـج الثقافي لآتحـاد أُدباء وكُتاب محافظة بابل، أقيمت أمسية ثقافية حملت عنوان {الآشـكالية السياسـية والفنية في رواية «نباح» للآديب الكُـردي (محمد موكري)} يوم الخميس المصادف ٢٠٠٩/١/١ على قاعة نقابة فناني بابل في مدينة الحلة و أدار الامسية الشاعر مازن المعموري . حيث أشـار مدير الامسـية في تقديمهِ أن أتحاد أدبـاء بابل ومـن خلال موضوع هذه الآمسـية، ينفتح ولآول مرة على الآدب الكُردي.

أفتتـح المحاضر في حديثهِ عـن رواية (نباح) لمحمـد موكـري قائـلاً (ان النص هـو من يحيل الى المنهـج وقد يحيل عمل ادبـي ما الى منهج ما لـم يبتدع بعد، وثمة اعمـال ادبية تجعلك تعيد النظر ببعض التوصلات والاحكام النقدية لُمنظري الادب، حتى يمكن القول ان صعوبة التنظير لنص سيكتب او ندعو الاخرين لكتابته، في حين يمكننا استشراف منهج جديد ومذهبٍ مبتدع في الكتابة من خلال نتاجات تحققت فعلاً على غير الواقع.

كما لا يمكـن تجاهل نزوع بعـض الكتاب الى المزج بين الاجناس، ليـس بوازع الرغبة في المزاج وهذا ما سنتلمسـه في رواية نبـاح انما بوازع من حاجـة الداخل اليه، على الناقد ان يقرأ اسـباب المزاج، يقرأه بالطريقة نفسها التي فكر بها الكاتب اثنـاء شـروعه على النقـد ان يتلمـس الصراع النفسي والصراع الفني في العمل فلا يمكن للاديب ان يفرط بدواخله ونفسه وروحه الذي يكتب كما

لا يمكن للاديــب (المحــترف) ان يتخلى عن الفن في الكتابــة وبــازاء هذين المتطلبين يتــم اللجوء الى المــزاج لتتراءى لك ذات الشــاعر او اناه في عمل روائــي ، كما يمكن لها ان تتخفى في الشــخصيات لتعلن هذه الشخصيات عن حركتها الطبيعية كما لــو انها في الواقع ، ظروف تجعــل الروائي يكتفي بالشخصيات والابطال معبرين عنه ـ هو المتحفي ـ تحت هواجسهم وظنونهم وتطلعاتهم وانكساراتهم وهذا لتناول رواية (نباح) للروائي محمد موكري في طبعتها الثالثة).

ويعرض محمد موكري في روايته (نباج) تجربةً سياســية اتخذت من اقليم كردستان العراق مكاناً دارت عليه احداث روايتــهِ وليس موكري أول او أخر من سيعرض مثل هذه التجارب التي تتصدى للسياســات الشــوفينية وما آلت اليه من قرارات زُج بســببها البلد في حــروب خلفت ما خلفت من دمــار وتقتيل وتخريب في المدن والنفوس وأعاقت ورملــت ويتمت. فالآدب العراقي حافل بمثل هذه التجارب شــعراً وقصة ورواية، الا ان ما يمتاز به «موكري» هو الجرأة في الطرح والوصف وانما اقول بجرأة موكــري لانه لم يكتب مــن خارج الوطن ولم يكتب بعد تنحي او ســقوط السياسيين الذين انبرى لتصديهم وهذه المهمة لم يســتطعها ســوى قلائــل من الادباء ذوي المواقف الوطنية والاهداف الانسانية.

ان المــكان الذي دارت فيه احداث رواية (نباح) كان واحداً من الأسباب المؤثرة في وضوح شخصية المؤلف وحضور اناه والتحول من حرفة الروائي الى اداء شــعري وعدم امتداد احداث الرواية بالأبتعاد عــن الوصــف الزائد والبــوح متمثــلاً بالمونولوج الداخلي الذي شكل مساحة واسعة في الرواية.

((الليلة، لبثت ســاهراً، لم لتستقر على حال، كنت تســتلقي علــى قفاك وتنهــض واقفا، تذرع غرفتــك المظلمة بعد خطــوات، تارة كنت تجلس واضعا رأســك بين ركبتيك وتشبك اصابع يديك حولهمــا، وتــارة ترفع راســك وتــروح تقرأ تلك العبارات المخطوطة بالسلاسل على جدران غرفتك التي شاهدها العشرات بل المئات من قبلك وغادروها بنظرات أخيرة طافحة بالعواطف)) ص١٢-١٣.

هكــذا تبدأ رواية نباح مــن الليلة الاخيرة من حياة البطل ليلة الحكم بالاعدام في الساعة الثانية عشرة ليلاً، ومن هذه الليلة تحديدا ومن عمليات الرجــوع الى الماضي (الفلاش باك) يتضح اســلوب محمد موكري في رواية (نباح).

اما الوصف الخارجي يتناقض مع الاداء الوصفي تناقضا شديدا، قد يمكن له ان يستعين بالوصف، لكنه يجب ان يكون وصفا داخليا كي يفك معضلة التناقض تلــك. وصف يضيق دائرة الداخل، وهذا الوصــف وحــده كفيل بان يســهل فهم الانســان لنفســه وخوالجها، وفهم الانسان للاخر والوجود والعلاقــات وفي نهاية المحاضرة اشــار المحاضر الى ان رواية (نباح) علــى الرغم من انها كانت توثق في جانب من جوانبهــا وتعمل في باب المذكرات في جانب اخر، تتحرش بالشعري وتخوض في السردي في آن واحد، تبقى من الاعمال الجديرة بالقراءة، لا تســتنفذ مدياتها قراءة كالتي نحن بصددها، وقد تنطوي على اشكاليات اخرى.

وفي نهاية المحاضرة، فُتح باب الحوار والمناقشة، وكان أول المتحدثــين الناقــد «زهــير الجبوري» حيــث طرح تســاؤلاً حول الآلية التــي أعتمدها مُنتج الرواية في المزاوجــة بين الاجناس، ورواية نباح رواية واقعية وكما هو معروف ترتبط باطر

ثابتـة حول الزمـان والمكان وكلها يشـتغل عليها الروائي، أما الشـاعر «رعد كريم عزيز» فتحدث عن الرواية بوصفها صراع بين السياسـة والادب لذلك قـدم لها مام جلال الطالبانـي وهي تتكلم عـن القضية الكردية، وعنوان نباح جاء من كثرة البوح والصرخة ضـد الايديولوجية. وكان ثالث المتحدثين، الناقد «بشـار عليوي» حيث أثنى في حديثـهِ على المبـادرة الطيبة لأتحـاد أدباء بابل بأنفتاحـهِ علـى الآدب الكُـردي، مُطالباً المحاضر بضرورة تضمين دراسـتهِ ورقـةً تعريفةً بماهية الآديـب «محمد موكري» ومنجزهِ الذي كُتب كُلهِ باللغة الكُردية حصراً وترجمت نتاجاتهِ الى العربية وربما تكون الترجمة لا تُكمل ماهية الخطاب الذي أرادهُ «موكـري» لذا كان على المحاضر ألانتباه الى هذه النقطة. وكان آخـر المتحدثين الناقد «عبد علي حسـن» الذي أشر الى أن المحاضر لم يُركز في معرض حديثهِ عن الرواية، عن ألاشكاليتين التين تعنونت بهما الدراسة.

ما قاله الاصدقاء لـ «كركوك» الهاطلة في القلب



فاروق مصطفى

على الرغم من مرور ثلاثة اعوام على رحيل القاص «جليل القيسي» وترك عالمنا إلا انني احس خطواتـه وهي تـدب على طرقـات المدينة، كلما اقـترب من الأماكن التي اعتدت مشـاهدته فيها.. اشـعر حركاته وانتقالاته ونظراتـه التي يلقيها جهة اليمين او اليسار، وكأنه بصحبة الإله البابلي «مردوخ» الذي هبط كركوك في إحدى ليالي الربيع داعيا «جليلا» إلى احد احتفالاتهم الباذخة- انظر «قصة مملكة الانعكاسـات الضوئية» احسـه وهو يقطع «شـارع الجمهوريـة» او يتأنى امام مكتبة الـدار الوطنية، وحتى انا اقطع كل هذه الطرقات اتخيله منبجسـا مـن بين زخامات السـابلة وهو ذاهب الى موعد مع احد الاصدقاء او زيارة احدى مكتبات المعشـوقة «كركـوك» وكان حريصا على تجواله العصري فهو يعده احد طقوسـه اليومية، فثمـة أماكن معينة يرتادها محلات او مكتبات في ساعات العصاري الكركوكية، وأعتقد أن هذه العادة ظلت تصاحبه الى سني حياته الأخيرة.

عرفت الراحـل «جليلا» عـام ١٩٦٤ في مقهى «المدورة» وكان يسمي في تلك الأيام بمقهى النصر

ومــع (جان دمو) وكانت هــذه البداية في التعرف على بقية الصحب الذين عرفوا في الأعوام اللاحقة «جماعــة كركوك تمتنت وشــائج الصداقة بيني وبينه وقويت واســتمرت الزيارات والتجوالات في طرقــات المدينــة وكثيرا ما كنا نلتقــي في منزله القائم في محلة «شــوان» القريبة من سوق (هرج كركوك) نجتمع في داره وتخرج الاوراق المحبرة من جيوبنا وتبدأ القراءات ثم المناقشــات التي تستمر الى مابعد منتصف الليل.

الآن مع ســاعات العصارى في كركوك يشــاهد «جليــل» وهو يصعد شــارع الجمهورية او يهبط صوب ميدان «أحمد آغا» بخطواته السريعة وكأنه يريــد ان يدرك موعدا مع صديق وقد حمل معه كتابا او مجلة، واتخيله في بعض الليالي يصعد قلعة كركوك وهو يتأمل القمر النعسان الهابط الى امواه نهر «الخاصة» للاغتسال برذاذاتها الناعمة، وربما هبــط بعض اصدقائه من مملكة «بابل» القديمة لمنادمته، وكذلك بعض الشخصيات الروائية العزيزة من عند القديس «دوستويفسكي» امثال غروشكا او الأمير موشــكين أو الأب زوســيما ليدعوهم إلى منزله ويحتفل معهم بطيبــة وكرم المدينة التي احبهــا حتى النخاع، وآثر البقاء فيها حتى انطفاء الشمعة الأخيرة بين كفيه المعطاءين.

«عباس عســكر» هو الراحل الآخر الذي أحس دبيــب خطواته تضرب طرقات «شــاطرلو» وهو يغــادر داره القريبة من تلة (تعليــم تبة) للقيام بجولته الصباحية او المســائية، عهدي به يسير في الشوارع والطرقات المنتشــرة من أمام حمام (علي بك) هبوطا الى سوق القورية. كنا نلتقي في الكثير من المقاهــي الصغيرة الوادعة الســكري بضوعات شــايها المهيــل، والراحل «عباس عســكر» امتدت صداقتي معه اكثر من اربعة عقود دون ان يسيبها كــدر او يعكر صفوها شــائب. بدأت في مقهى تعب كان يستلقي على الجانب الأيسر من شارع الأوقاف، وفيما بعد هــدم، وأقيمت مكانه بناية دار العدالة الجديــدة، نذهب اليه صلاح فائق وجان دمو وأنا، مجتمعــين تندفأ بأقداح الشــاي ونفثــت ادخنة ســكائرنا واحلامنا الحافية قــم ندخل قصائدنا نقضم رغفانها ونتلمظ ادامتها وربما كتبنا قصيدة جماعيــة رتلناها في اذان كركوك الناعســة عندما يبدأ الغســق يتقدم على مناكبها، وتتفتح اقاحيها القرمزية على مدى فضاءات المدينة الرحبة.

دعانا الصديق «عباس عسكر» الى منزله - الزمن اواسط الستينات- وفي تلك الأيام كان يسكن (عرفة) وهو في ســلك التعليم وقد اشــترى السيارة الأولى في حياته، وأعتقــد ان ماركتها كانت (موســكوفيج) خضراء اللــون تجمعنــا في دار «جليل القيســي» وبرفقة صاحبي الدائميين: صلاح فائق وجان دمو وقادنا عباس عسكر الى داره وقد اصطحب (جليل) معه جهــاز التســجيل ذا البكــرات المــدورة وكنا اكتشــفنا صوت «زكي مــوران» وعندما كنا نخمر لاندري ننتشي بهذا الســائل الذي لاتنزل الأخزان ســاحته أم بصوت هذا المغني الخالد الذكر. تجتمع لك الصهبــاء مع الأوراق المزهرة بالأشــعار وصوت كهذا الصوت الذي يخترق الأشــياء والمسامات وأنت محاط بهــذا الجمع من الصحبة الطيبة تحس أنك متوج بأحلامك وحكمــك، وبهذه الصحبة الزهراء -كنــا لانحس إلا بأصواتنا التــي تعلو ولاتهدأ، هي عادة الصحب وهم يتناقشــون حول ماهية الشــعر وتقنيــات القص والدهاليز والأقبية التي تنحفر في روايات القديس دوستويفسكي.

عندما اشتد المرض على الصديق عباس في سائفة

٢٠٠٧ كنـت ازوره زيارات متقاربـة وأرى أمامي عوده يجف وبسري الإعياء في بدنه الناحل إلا انه يكثر الذكر بصداقتنا ويقول لي: تعلم عمر هذه الصداقة، وكيف انها استمرت كل هيه السنين الطوال لأننا ترفعنا على السفاسـق وتكبرنا على المنافـع وأنا أخبرك أيها العزيز بـأن صداقتنـا مازالت مسـتمرة تنبـض وتتنفس، وكلما مررت من تلك الأماكـن التي كنت التقيك فيها أشاهدك وأصافحك وأتبادل معك كلمات المحبة والتوادد واسـترجعنا ذكرى ذلك العصر الـذي صعدنا فيه الى مقـبرة «تعليم تبة» للعثور على قبر العزيز (يوسـف الحيـدري) وتلاوة آيات عطرات على روحه، إلا اننا لم نعثر القبر المنشـود ومع ذلك جلسنا عند قبر وفتحنا مصحفينا ثم بدأنا نتلو الآيات السمحاء، والربيع حولنا يتدحرج من فوق التلة بأنسامه وأعشابه وازهاره البرية كأنه كان هو الآخر يستذكر ذلك الصديق العزيز الذي تركنا فجأة في أحد الأيام.

الصديق الراحل «رعد مطشر» احسه جالسنا في محلـه المتواضع تحت فندق الميلاد وقد عودني ان يدعونـي الى محلة كلما مـررت من أمامه وانا متجـه الى الصوب الكبير، عند ذلك اعلم ان ثمة عناوين تخص جماعة كركـوك احتوتها الصحف التي وصلته وهو يستنسـخها لي بعد أن ينادمني على قدحين من الشـاي اللذيذ، اقتعد كرسيا وانا اسـمع منه آهر اصدارات الكتب والأخبار الأدبية، وأتأمـل صور الأدبـاء الأصدقاء زيـن بها جدران المحل وكذلك علـق بعض القصاصات التي تحتوي على نصوص الصحب، وقـد تعمقت علاقتنا بعد صـدور جريدة (صوت التأميم) بكركوك وخاصة بعد أن مسـك مسـؤولية الصفحة الثقافية فيها، وقد طلب الي ان اكتب استذكاراتي عن الصحب في جماعة كركوك.. وبالفعل كتبت اول مقال في عن الجماعة المذكـورة حمل عنوان «جماعة كركوك: ذكريـات وتداعيـات» وظهـرت علـى صفحات الجريدة الكركوكية، ثم طلب الي أن اكتب عن كل اصحاب الجماعة واحدا بعد آخر، فبدأت بـ(يوسف الحيدري: الاستذكارات المتجزأة) وظهر المقال على صفحـات الجريدة عينها ولكـن المقال الذي حمل عنوان: سـركون بولص في ذاكرة المدينة الأدبية» حجب عن النشـر لأسـباب خارج نطـاق قدرته. ومـن عادة الصديـق المرحوم (رعـد) الاحتفاظ بـكل النصوص التي كنا ندفعها إليه، وقد احتفظ بالنص المذكور عنده ودفعه الى النشـر بعد تغيير النظام علـى صفحـات جريدة (الواحـدة) التي أصدرها وهـي اول صحيفة تعانق النور في الوضع الجديد الذي قام بعد ٢٠٠٣/٤/٩.. ولا انسى اعارته لـي كتبا ادبية، حيـث كان يترك كتابين في محله اسـتعيرهما، وعندما اعيدهما اجـد انه ترك لي كتابين آخرين.. وكانت الكتب نادرة إبان الحصار، وهكـذا فتح لي كوى الى مشـاهد الثقافة والمعرفة وعناق آخر الإصدارات الأدبية.

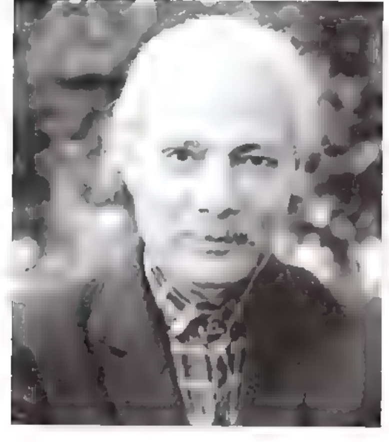
وعندما اصـدر صحيفة «العراق غدا» نشـر كتابـي المعنـون: ولجيد كركوك باقـة من ازهار الخباز» عل صفحاتهـا الثقافية مقالة اثر مقالة، وانا بدوري ظللت انشر عبرها الكثير من نتاجاتي الأدبية في هاتيك الأيام.

تـرك المرحوم ابداعاتـه في مختلف الاجناس الأدبية، ففي الشـعر «الغرقـى يجمعون المرجان» وفي القـص «حلم سـمكة» وفي الدرامـا «خيول» وكتب في نصبه الشعري (كركوك).

سلاما يا مدينة القلعة المدلاة من مفاتيح الأفق
وسوروك بالترانيك والمسرات
وزرعوا في حدائقك النجوم

فأثمرت قلعتك الموسومة كالتساؤل
فدعيني يا مدينة البياض
أنشد اغنيتي الأثيرة
فكم من مرة ضحكت،
وبكيت، ارتعشت، خفت
كخليج التفاؤل
مناديا إني احبك:
كركوك

وعندما امر من امام محله اتوقف كأن هتافا يسقط الى سمعي يهتف بي: ان تعال! التفت لعلي ابصر صديقي، وأرى بعين قلبي إيقاع سخائه الموسوق (يدوزن) كلماته إلى منادمة لم تكتمل بيننا، وقصائده التي طالما حدثني عنها تتقاطر من خلل معصمه، ترتفع وهي تعلو شجرة الكالبتوس الباذخة، المنتصبة امامنا، تحلق مع طيور الصباح إلى أمداء وآفاق نائية.



قراءة في قصة (أحماض الخوف)

للراحل جليل القيسي

تحسين گرمياني

بات النص الأدبي يشكل هوية سرّية للكاتب، كونه يتوارى فيه أو يتخذ من الشخصيات أقنعة لتحرير ما يؤرقه من هموم أو طروحات فكريه، وليس من السهولة بمكان الوصول إلى الغايات والمداليل ما لم يتم احتواء النص من عدة جوانب، والكل يدرك أن النص مهما كانت إجناسيته - شعراً أم نثراً - هو نزيف ذاكرة اكتوت بنيران معرفة صادمة تتقاطع مع ما يجري على أرض الواقع والنص - إن جاز التعبير - هو فيئ لجراحات تولدها التوترات الحياتية والأزمات النفسية، هذه الجوانب لم تهملها التحليلات النقدية النفسية،ون الظروف المحيطة بالكاتب هي الحاضنة لإفرازات العقل،والكاتب لابد من أرضية تحمل بذور أفكاره وتخصبها قبل دفعها إلى سطح الواقع ومهما حاول للنأي من واقعيته تراه يغور فيها ويضيف إليها، أن دليل الولوج إلى أي نص ابداعي يقترح استحضار جملة أمور،بيئة الكاتب.. زمن كتابة النص..توجهاته الفكرية.. أسوق هذه السطور قبل قراءة قصة (أحماض الخوف) للكاتب (جليل القيسي) لما طوت من نهج مشفّر خلاف ما عودنا عليه في قصصه المنتجة خلال السنوات الأخيرة، كونه كان يسرج عربة خياله ويمخر عباب المتاهات بحثاً عن أسماء سكنت ذات يوم في ذاكرته، جرّاء قراءاته الثرّة

وثقافته الموسوعية وأسفاره ومغامراته ،بدأ يستدرج تلك الأسماء والتي دفعت بذاكرته إلى إقامة جحيم أسئلة ما يزال يبحث عن أجوبتها عبر محاولاته التجريبية، ليقيم معها علاقات جدلية لا تخلو من المبارزة المعرفية، في هذه القصة نجد القاص يمرر نداءً مشفراً ورغم فنيّتها المتعالية، جاءت كرسالة محسوسة تنزف بمعاني وتجليات ذاتية تبتغي لفت انتباه الزملاء،تبدأ القصة (قبل أن يهبط الظلام بدقائق) وهي إشارة تعني الكثير فالوقوف على مشارف الظلام يقابله وقوف الكاتب على مشارف الحياة،خصوصاً وهو يتذمر من عزلته ومتاعبه الصحية ونسيانه من قبل رفاقه، (هيفاء تنتظر الحبيب،سماء ترسل وابل المطر،مشاجرة ما بين رجل مهلهل الثياب وشاب،قطتان تتغزلان،الرجل يقتل الشاب،تستجيب هيفاء لطرقات الباب بلهفة، الرجل يداهمها، يقتلها،ترعد السماء،تموء القطط،طرقات تتواصل على الباب)، يتبادل القاص الدور مع شخصية (هيفاء) كون المرأة أكثر فاعلية وحساسية بسبب تكوينها الفيزيولوجي،وهي أكثر ديناميكية لتوظيف الجسد لصالح التعبير، أختار (هيفاء) لتكون لسان حاله وحمّلها همومه وأفكاره وأرادها وسيلة اتصال مع من يعنيهم،ثمة إشارة (ألقت نظرة هادئة حزينة إلى السماء) هي نظرات الوداع لمن يحتضر وهي نظرات ألم لزمن يغادر،زمن تجلت فيه حياة حافلة بالمجد والرفقة، تقول (هيفاء): (بمجرد أن أسمع صوته أغفر له هجرانه)، يمنح الكاتب فرصة المغفرة رغم دنو الظلام، وهي كناية عن الموت،في وقت (أصبحت المدينة في قبضة الظلام) وتردد (هيفاء) للاستعانة بالهاتف هو تردد الكاتب وتمسكه الأخلاقي وعدم اللجوء إلى بث ما يسكنه من جراء التهميش والنسيان علناً ،فيختار النص الأدبي لتمرير رغبته،الأمل في عودة الأدباء لمعاودة الاتصال به وتسليط الضوء على ما أنجزه (قبل أن يهبط..) ملك الموت،ومثلما يتوارى القاص خلف (هيفاء) نجده يصرّح بذلك (غير أنها بكبرياء أنثى مجروحة المشاعر تصورت أن مبادرتها هذه تعني ضرباً من الاستسلام) وهي إشارة لما ذهبنا إليه بخصوص رفضه المكاشفة العلنية بما يرغبه،ولكن من المعلوم أن المرأة أسرع نفاداً للصبر، وهل يعني أن القاص الذي تماسك وحافظ على هاجسه،بدأ صبره يتهشم..؟! أن تردد (هيفاء) هو تردد القاص ويمكننا الاستدلال بما تقوله: (كيف أفهم أعماق هذا الأديب الغامضة)، وتعلمنا من خلال قصص الكاتب أنه ينشطر إلى شخصيتين،شخصية يستحضرها من الماضي ويتلبسها أمام شخصيته الواقعية ،كذلك يفعل في (أحماض الخوف)، حين يكون هو الحبيب القادم وهو (هيفاء) المنتظرة،والحبيب هم الصفوة والتي يبحث عنهم (جليل القيسي) ويراهم كما تصرح به (هيفاء) بغموضية أعماقهم كون الزمن السابق تجلى بصور حياتية ووشائج باتت مفقودة في زمن صار في قبضة الشجارات العلنية والموت السهل وبمساندة مطر يمحي اثر الجريمة،في القصة تتفاعل الدراما وفق إيقاع موسيقي وتنسجم مع التوتر المتنامي لـ(هيفاء) وهي رغبات ما قبل الموت، كون حلاوة الحياة لا تكتشف إلاّ أوان الضيق والأزمات، نكتشف جملة شهوات تتعاضد لرسم الفضاء القصصي الملغوم - شهوة امرأة تريد الاتصال بالحبيب - شهوة رجل يبغي القتل - شهوة سماء تريد تفريغ (منيها) لإخصاب الأرض - شهوة قطط تريد دحر البرد المتدفق في عروقها - شهوة ليل يزحف لقهر النهار - ووراء هذه الشهوات لابد من شهوة مقصودة،هي شهوة الكاتب والتي دفنها داخل النص لاعتبارات فنية،وترد جملة(لم يقبل الحب كل هذا الذل) ما الذي يعنيه الكاتب

بـ(الذل) وهل الإهمـال والإغفال في اعتباراته المهنية ككاتب له زملاء يساوي (الذل) فمحكومية العزلة آيلة للاحتضار واحتدام الرغبات دفعت إلى رغبة الاتصال عبر الهاتف قبل الأحجام،وما مراقبة (هيفاء) للشجار و إلتماعات نصل المديـة إلاّ مراقبة القاص لما يجري من تدهور في العلاقات وتهميش لمن نذر نفسه ووهب عصارة حياتـه لصناعة الفـرح للآخرين،وغالباً ما يلتجأ القاص للمفارقات كي يحافظ على التوتر الفني ولهفـة قارئه، وهذه المفارقات هـي جماليات قصص الكاتب عبر مسيرته الحافلة بالإبداع،ابتداءً بـ(صهيل المـارة حول العالم) مـروراً بـ(زليخا البعد يقترب) و (في زورق واحـد) وليس آخرها (مملكة الانعكاسـات الضوئية) وفحـوى معظم حوارياته ومسـرحياته، (هيفـاء) تهرع اسـتجابة لنقرات على البـاب وكلها لهفـة أن الحبيـب أخيراً قـد وصل،والقـاص يدرك اسـتحالة تحقيـق رغبته وهو يائس مـن احتمالية عودته إلى ذاكـرة الزملاء، لذلك يسـتعين بالمفارقة ويجعـل (هيفاء) تصطدم بـ(الرجـل) المهلهل الثياب والقاتل،وهو انسجام إيقاعي ما بين الظلام الذي أرخى سدوله والموت الذي اغتصب جسد الشاب وانتهاء وقود شـهوة (هيفاء) المتمثلة كما أشرنا (محكومية العزلة) للقاص وانتهاء السماء من شـهوتها،هذه التراجيديات صنعت ما يبرر النص وتحويله إلى نص إخباري تشبه إلى حدٍ مـا مدوّنة قصدية تنذر بكارثية المسـتقبل والأسباب كما أشار إليها حسياً لا صراحة في (أحماض الخـوف)، ومن المعلـوم أن ملك الموت يسـتلم ما أمر به برفق وتأني لاعتبارات غيبية،نجد القاص يرسم المشهد التمهيدي للموت أيضاً، (هيفاء) تسبح في وادي والرجل يبغي اسـتكمال مشـروعه التدميري،ويبقى السـؤال هل هـذا الفاصل يتكافأ مع حـوار الموت مع الجسـد، تسـقط (هيفاء) في فلك المـوت وبنفس آلة القتل التي فتكت بالشـاب الذي يساوي براعم الحياة الجديـدة والزمـن الجديد الذي يبغـي إزاحة أغلال الماضـي ونجد انتصار الماضي يتواصل على كل ما هو قادم طالما هناك فتور وإهمال وتغافل من لدن الناس تجـاه بعضهـم وكان القاص ممن مسـه الحيف رغم اسـتعداده التواصل لإعطاء المغفرة لمن يأتي إليه ولو بعـد حين،وموت (هيفاء) موت الرغبة،والتخلص من (هيفاء) هو التخلص من شـاهد عيان والذي يسـاوي القتل المتعمد لإبداع المبدعين وهي طريقة متفشـية تتناصر - ربما بوعي أو بلا وعي - أقلام لإهمال نتاج كاتب ما كي يطويه النسيان،نجد الفواصل المتلاحقة عند المشـهد الختامي للقصة هي قيامـة جنائزية - الـبرق والرعد - مواء القطط - رنين الجرس - هيفاء.. هيفاء.. - أليسـت هذه تشـبه حفـلات التأبين وراء المبدعين بعد نسـيانهم في الحياة..؟ وهل بات التأبين أشـبه برمي جمرات السـخرية على الجسد،لقد ظلّ المبدع (جليل القيسـي) أميناً أبيـاً لمحبوبته (القصة القصـيرة) لا مكترثـاً بالمجاملات وظلّ يشـق متون الـورق كي يوصل (صهيله..) الأدبي إلى العالم في زمن بات الإبداع سـلعة يتلاعب بها كل من هب ودب،وما (أحماض الخـوف) إلاّ واحدة من القصص التي تؤكد حضور القاص وتواجده في قلب المشـهد الحياتي رغم ما يجري من تهميش وإلغاء للمبدعين، أجدني هكذا قرأت القصة وهكذا شعرت بالشفرات السرية استنادا لما رصدته من معاناة الكاتب،عسـى أنني لم أحد عن رؤية الآخرين..!!

* (أحماض الخوف) قصة قصيرة للكاتب القصصي والمسـرحي العراقـي الراحل - جليل القيسـي، مجلة سردم العربي العدد ٢ خريف ٢٠٠٣



مقتضيات في معايير الشعر

رحاب حسين الصائغ

اللغة لها استحضار يقع خارج وداخل الممارسات الشعرية ومقتضياتها، منطق اللغة يشبه معادلات التفاعلات الكيميائية، ومفارقات الذات والحياة نضع معايير الحقيقة في الجاهز من جزئية التشكيل البياني للحدث الذي يضم جسد الشعر في القصيدة، ولأسس التجربة قفل ومفتاح، يوصل رسم حركة المعاني التي تتكون منها لغة الشاعر، وتعطي الممارسة الفعلية لمغالطات يميزها حضور الشاعر.

كما فعل الشاعر جمال غمبار، في قصيدة (النظرات) ضجتْ حدائق قلب الشاعر جمال غمبار بالنظرات، حيث دوائر الحلم، لم تنسيه أبداً أن لا جدوى من بروزوها في عالمه، كتب صرخة في وجه الأغلاط التي استباحت عذرية البراءة في دوامات الذاكرة، نفر الشعر يتخطى حاجز الجمود، بل تجاوز كل الحواجز التي تحيل الفرد للعيش تحت أي تأثير، حاول أن يعتمد في رؤاه على ذائقته التي تنطوي على إيمان بالحقيقة، الشاعر جمال غمبار في قصيدة (النظرات) يعتمد الفكرة ورسوخها بتسجيل صادق متأثراً بحدوث التقلبات المتشابكة مع الظلم والاضطهاد، بقوله:

النظرة -١-

الأيادي التي،
الأصابع التي،
أنبتت في سندانة قلبينا
بدلاً من الحقد، وعوضاً عن التدوين
تاريخا كاذبا
تبدل الجبان شجاعاً
تسلح السكاكين إلى القمر
من أجلِ الانتحار
وبدلاً من كل هذا
تلك الأيادي، تحصل على حب العنب
أنا وأنت.. وكلنا
نشبه شجرة الوطن الميئوس
في كل الأمطار، بكاء(حلبجة)

على الإنسان حب الهواء الخالي من الشوائب والكذب، لكن الشاعر دوَّن كل مشاهداته عن تلك

التنويهــات التـــي تركت على جلــد التأريخ ندب بعمق براكين هذا العالم الصخري، الشــاعر جمال غمبار، رؤياه الثابتة حــددت أوضاع تلك العوالم التـــي تدل على صياغة المفــردة بجوهرها لتذهل القارئ، بما تحمل من ضــوء على مديات الإبداع، لذا بجد انعكاسا للوعي في تقديم صياغته المعتمدة لمبدأ فكرةِ المتميز شعراً، بقوله:

النظرة -٢-

أين أحصل على الألوان، لأكتب بها
حلم سمكة في راسي؟
أين أجد الألوان لأرسم بها
عينا عوراء لوطن بعد الحرب

الشــاعر جمال غمبار. يشــير إلى فكرة الصراع النفسي ومعاناة الإنسان في الحرب وبعدها، الشاعر إنســان كثير الانفعال وعنده حضور واعي يحسن التغلــب عليه وإفراغ طاقته في اســتمالة الموضوع مــن أهدافــه الخاصــة، لآلِء التكيــف في العطاء الشــعري، وإيجاد صورة تحقق ميزات عدة، تملك درجة عاليــة في تحطيم الحواجــز، وتعمل على تغيير الصراع، إدراك دلالاته هي العامل النوعي في بناء شخصيته، بقوله:

النظرة -٣-

كهذه العيون الساكبة
يا عزيزتي، من الذي يجمعها
كهذه الأبواب الخائنة
من يتمكن من أغلاقها
وكل هذه المياه الكاذبة
كيف تدخل الأفواه!؟

إن الشاعر جمال، من منظوره للمشكلة واضحاً أنه يفهــم المنطقــة الخافية لما يــدور من دوائر الصراع، كشــاعر يكتشــفها، لأن الصــراع يأخذه للوصول إلى نقطة زمــن الحرب، في تراكم الحدث الشــاعر جمال يحرك المعنـــى في الكلمات التي هي أيضاً متناسلة من الغموض، بقوله:

وطن المهجور من الحب
وطن فارغ من العيون
من هذا الوطن المهجور
تنقلني إلى أي بحر
تضعني على أي حافة
لخريطة الكون
إنني جسم

الشــاعر جمال غمبار، يعي الكتابة مســؤولية يفقهها الشــاعر فقط، لذا نجد لغته الشعرية تعبر بأســلوب أدبي مميز، دمج التســامح مع الحضور المغاير لفلســفة «در يــدا» لأن البحــث في الواقع القلق المســتعرض لصوت التناقض، مثير لممارسة التعنت، والكلمة بحد ذاتها جســر يوصل إلى بعض الأمــان، والتفكيك ضــد البنيان هــو إلغاء يعرف بوحدة التحولات، إنها إسقاطات في اللاوعي لنبض الحيوية، لغة تفتش عن مفاصل جديدة تمضي في ممررات الحدث، بقوله:

تشبهني برتقالات الجنة المسمومة
ولكنني لا أشبههم
يا رب !
نقطة من الماء .. صحرائي واسعة
ورقة دمع
بكاء شجرتي
تنتظر فصل إزرقاق الجرح!

جمال غمبــار يبقى حامل مشــعل التجربة، وهمــوم الشــاعر مرعبــة على ضــوء الموجودات وفاعليــة اهتداءاتــه، بفضل التفاتاته، والشــاعر جمــال غمبار يملــك إمكانيــة التعبــير لدقائق

الحياة اليومية، يجد نفسه المتخيل الوجودي لهذا التحوير وما يرفع من متشابكات في نقش الوعي عنده والانعتاق عنده لدرجة السمو، والتحكم في خصائص عقله الناظر من منشور شأن الحقيقة، وإنجازاتها وإستطراقاتها، تجعله يأخذ جرعة من الشعر تهدئ طبيعة انفعالاته المتمركزة في همته الأخلاقية ومشاعره المتناغمة بشفافية. الشاعر جمال غمبار، عالج وسخر مفهومه الشعري بلغة مركزة بالتعارض والتجاوب، في نظراته الثاقبة البعد الإنسجامي للحالة المتصورة في عقله الواعي، كأنه يقول لا تعويض غير الحب ببناء سور من المحبة بعيداً عن كوابيس خيم عليها تاريخ الاستعباد، ابرز الشاعر ذلك بقصيدته عبر المرأة وعبر الوطن وعبر الاستقرار المفتقد.

المصدر: كتاب غسق الشفا يف الوردية ص ٥٧/ ترجمة جيهان عمر.

طبيعة شريحة المتقلبين في حياة الامم والشعوب

معتصم سالەیی

الكاتب المسرحي الانكليزي البارز (وليم شكسبير) انتج العديد من النصوص المسرحية الشهيرة. وتعتبر مسرحية (يوليوس قيصر) واحدة من اروع ما انتجها الشاعر المبدع. يستند الكاتب في هذه المسرحية الى الاحداث التأريخية المسجلة في كتاب (حياة العظماء من اليونان والرومان) لمؤلفه المؤرخ المشهور (بلوتارخ). بأسلوب فني مميز يظهر لنا الكاتب شكسبير، حياة بلاد روما في الفترة الفاصلة بين سنة (٤٤) الى سنة (٤٢) قبل الميلاد. يحدثنا في سياق مسرحيته عن انواع من الغدر السياسي تارة عن حسن قصد وتارات كثيرة اخرى مع اخبث النيات. كما يحدثنا في الوقت نفسه عن الجماهير وكيف كان التأثير عليها واللعب بمشاعرها، والبراعة في سلب ارادتها والتحكم في تصرفاتها.. في بداية المسرحية تطالعنا (روما) ايام بلغ فيها يوليوس قيصر ذروة حياته السياسية. ويصبح الحاكم المطلق ولا يسأل عما يفعل. ويصبح يوم قدوم القيصر كالعيد. يبتهج الشعب برؤية قيصر في موكب النصر احتفالاً بما احرزه من نصر على خصمه القائد (بومبي) وسحق جيشه

في (فارسـيليا). لا تدوم الفرحة كثيرا حتى تحاك مؤامـرة ضد قيصر من قبل اخلص اصدقائه من النبلاء. تبلـغ المؤامرة اوجها عندما تتكالب عليه اصدقـاؤه ويبـدأون بطعنه بالمدية والسـكاكين. وآخر من يهاجمه بالسكين يكون صديقه الحميم (بروتـس). وهنا يطلق يوليـوس قيصر مقولته المأثورة (حتى انت يا بروتس..!؟).

بعـد هـذه الحادثة تنقلـب مشـاعر واهواء الجماهير. وتصفق الجماهير لقتلة يوليوس قيصر. اخيراً يقف (انتونيو) احد اخلص اصدقاء يوليوس قيصر. ويلقـي كلمة التأبين امـام رفات قيصر. فمـن ناحية يقـوم بمدح قتلـة يوليوس قيصر، ومن ناحيـة اخرى يوظف امكانياتـه الخطابية الحماسـية في الاشـادة بمآثر الفقيد وانتصاراته الباهـرة وخدماتـه الجليلـة لأبناء رومـا. بهذه الطريقـة المزدوجة يسـتطيع من اثارة مشـاعر الجماهير، ودفعهـم نحو الثورة والغليان ضد قتلة قيصر...

تلـك الشـريحة المتقلبة المزاج والاهـواء التي يعرضها علينا شكسبير، لا يمكننا ان نجزم بالقول بأن تلك الشـريحة مرتبطة بحياة روما القديمة فحسـب، بل أنها تفرض وجودهـا متى ما تهيأت لهـا الظـروف الملائمة في كل مـكان وزمان. ومن جانب آخر لا يمكننا ان نجني على مجمل الشعب ونلصـق التهمـة بالجماهير العريضـة ونصفهم جزافـاً بالمتقلب المزاج والاهواء. بـل ان هناك في حقيقة الامر شـريحة معينة لا يمكن الوثوق بها والاعتمـاد على تصرفاتها وآرائها. تلك الشـريحة تسـمى باللغة العربية ب(الحثالات) أو (الغوغاء). وفي اللغة الانكليزيـة تطلق عليهم كلمة (mob) وفي اللغـة الكردية يسـمون ب(هرجي و برجي) وفي اللغة التركمانية يوصفون بعبارة (أبك كسان.. كاند سجان..)..

في صدر الاسلام كان هناك من العرب المؤمنين الاصـلاء. وفي نفس الوقت كانت هناك فئة معينة لـم يدخـل الايمـان في قلوبهم بجدارة ورسـوخ ويصفهم القرآن ب(الاعراب). وبحقهم نزلت الآية القائلـة (قالت الاعراب آمنا قـل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسـلمنا ولما يدخل الايمـان في قلوبكم..).. وقـد وصف الامـام علي بن ابي طالـب الناس في عهـده وقال (الناس ثلاثة: عالـم رباني. ومتعلم على سـبيل نجـاة. والباقي همج رعـاع ينعقون مـع كل ناعق ويميلـون مع كل ريـح)... وعلى نفس مقولة الامـام علي هناك مثل كردي يصف المتقلبين ويقول بحقهـم (لەگەڵ هەموو بايەكدا شـەن دەكەن) أي (انهم يـذرون بيدرهم مع كل هبة ريح..).

الشـاعر الهجائي الكردي (شيخ رضا الطالباني ١٨٣٧ – ١٩١٠) لـه قصيـدة رائعـة باللغة التركية، يصف فيهـا المجاميع المتقلبة مـن العراقيين، ولا نعتقد بـأن تعابيره الجارحة كانت تعني السـواد الاعظم مـن الشـعب العراقي. يقول الشـاعر في قصيدته باللغة التركية:

معتدل كيتمز هواسي كه هاووقدر كه صيجاق
نه موافقتر مزاجي اهلنه بكزر عراق
بو عراق خلقني (حجاج) اصلاح ايتمدي
هر طرفدك ملتك قانك ايدردي انهراق
حق تعالى تقسيم ايتمشدر نفاقي اون بره
طقوزك ويرمش عراقك اهلنه بالاتفاق
كيجه كوندوز جالشر كسبنده بولماز ازدياد
كيسه سي بوش، قارني آج، باش اجيق
يارين اياق

مختلف اب وهواسي دردي جوقدر رزقي از زنكي
سكران كبي، مسكيني سر كردان كزر
باطلي تصديق ايدركن حق سوزه ويرمز قولاق
بو عراق طوبراغنده سوكبي آلتون اتار
صو كنارنده صوسز خلقه صويي اولمش يصاق

قام الاستاذ الفاضل الدكتور (سامي النعيمي) مشكوراً بترجمة هذه القصيدة من اللغة التركية الى اللغة العربية فيما يلي نص الترجمة العربية:

العراق هواؤه ليس معتدلاً فتراه مرة بارداً ومرة حاراً
واهله يشبهونه فهم ليسوا متفقي المزاج
الحجاج لم يستطع اصلاحهم
وقد كان يقتلهم حيثما يظفر بهم
ان الله حينما خلق الكون قسم النفاق الى عشرة
جعل تسعة اعشاره في العراق
تراه يعمل ويكد ليلاً ونهاراً ولكن كسبه
ليس فيه زيادة ولا فضل
فكيسه فارغ وبطنه جوعان ورأسه مكشوف
ورجلاه حافيتان، ويتصرف كما يتصرف المتسول
هواؤه وماؤه متقلبان، امراضه كثيرة ورزقه شحيح
فغنيه كالسكران وفقيره ذليل ضائع
فهو يتبع الباطل اما الحق فلا يصغي اليه ولا يلتفت
ارض العراق غنية فهي كالماء الذي يسيل منه الذهب
وهم يجاورون الماء ولكنهم لا يستطيعون منه شراباً
فهو عليهم محرم وممنوع

بالرغم من ان الشاعر شيخ رضا الطالباني يستعمل في خطابه ضمير الجمع، الا انه لم يكن يعني فيما يقول مجمل الشعب العراقي، بل كان يوجه سهامه نحو المتقلبين فقط من الشعب. لأن هناك الكثير من اهل العزم من اصحاب المواقف النبيلة في المجتمع العراقي، او ربما كتب الشاعر قصيدته تحت وطأة غضب وسخط آنيين من جراء حالة طارئة معينة.. بالرغم من كل ذلك رحم الله الشاعر الهجائي واللاذع اللسان شيخ رضا الطالباني.؟!

لو قرأنا تأريخ العراق للأسف نجد تلك الشريحة المتقلبة في كل مرحلة من مراحل البلد. على سبيل المثال عندما ازيح السلطان العثماني عبد الحميد عن السلطة، كان بعض ائمة مساجد العراق يرددون على مسامع المصلين من فوق منابرهم تلك الحادثة. الجلل حسب رأيهم وعيونهم تذرف الدموع. المصلون في الجوامع اثناء صلاة الجمعة عندما سمعوا لأول مرة سنة (١٩٠٩) يقرأ اسم سلطان محمد الخامس بدلاً عن السلطان عبد الحميد، بدأوا بالبكاء وذرف الدموع.! حقا انها من سخرية القدر ان يبكي شعب على رحيل محتليه وجلاديه..!؟ في الآونة الاخيرة رأينا بعضاً من شرائح المجتمع العربي المتخندقين في بعض مناطق العراق وبعض المناطق في الدول العربية، يذرفون الدموع بسخاء ويتباكون على مقتل طاغية العصر صدام حسين.!؟ بهذه المناسبة نوجه الكلام لهؤلاء الجهلة والغافلين عن مسار التأريخ، ونقول لهم بأنه من الاولى لكم ان تذرفوا دموع الفرح على فناء صدام السفاح، الذي سبب في قتل اكثر من مليون انسان بريء. والذي سبب في تشتيت كلمة الامة من اقصاها الى اقصاها...

بعض شرائح المجتمع العراقي وليس جميعهم، كانوا يعتبرون مأكولات الجندرمة العثمانية دواء لكل داء وبأمكانها شفاء جميع الامراض والعلل..! ولما رحل العثمانيون عن العراق وحل محلهم الجيش الانكليزي. رحبت تلك الفئة المتقلبة بمجيء الجيش الانكليزي وذبحوا الذبائح امامهم واسموا الانكليز ب(ابو ناجي)..!.

عندما حدثت ثورة تموز سنة (١٩٥٨). قامت تلك الفئة المتقلبة بقتل العائلة المالكة بأكملها، ورحبوا بمجيء قائد الشعب (عبد الكريم قاسم)..! لم يدم الوضع طويلاً حتى قتل عبد الكريم قاسم ايضاً بأيدي المتقلبين..! مع قدوم حزب البعث الصدامي حزب الفئة الباغية وصعود صدام الدكتاتور الى سدة الحكم، بدأت تلك الشريحة المتقلبة من حثالات المجتمع العراقي ترحب بحرارة بصدام قاتل الشعب وتهتف بأعلى صوتها (بالروح بالدم نفديك يا صدام..).

والأن نوجه كلامنا الى جميع المتقلبين وننصحهم بأن لا يتمادوا في غيهم وعليهم ان يرجعوا الى جادة الصواب، ويتركوا أهواءهم ومزاجاتهم المتقلبة ويتقبلوا الوضع الديمقراطي الراهن. لأن من مصلحتهم ومصلحة العراقيين جميعاً ان يعيشوا بسلام ووئام في ظل الديمقراطية واجواء الحرية الراهنة، والتي لم ينعم بها العراقيون من قبل قط...

الشريحة المتقلبة من الغوغاء والحثالات لا تخص شعباً دون اخرى. ولا تخص طبقة معينة دون طبقات اخرى. وليس الفقر والثراء هو الحد الفاصل في هذا المجال. فهناك من الحثالات والغوغائيين بين طبقات الفقيرة والغنية معاً. والاصالة والايمان تظهر ايضاً بين جميع طبقات المجتمع في كل مكان وزمان وبين ظهراني جميع الشعوب والامم على حد سواء. على سبيل المثال حدثت ذات ليلة وانقطع التيار الكهربائي في احدى المدن الغربية لفترة قصيرة. حيث تمكنت قوات الشرطة في تلك الفترة القصيرة من القاء القبض على اعداد غفيرة من السراق والعابثين، من الذين انتهزوا فرصة الظلام وبدأوا بالنهب والسلب..

بهذه المناسبة ترجع بي الذاكرة الى ايام طفولتي، وذلك بعد قيام ثورة تموز وبالاخص سنة (١٩٥٩) حدثت بعض القلاقل والحودات المؤسفة في مدينة كركوك. رأيت بأم عيني الحثالات والغوغاء من مختلف قوميات كركوك يقومون بزرع بذور الفرقة والفتنة بين ابناء كركوك المتآخية. كانت نتيجة تلك الحوادث المؤسفة وقوع الضحايا من الابرياء بين صفوف جميع القوميات من الكرد والتركمان وغيرهم على حد سواء. جميع الحثالات من مختلف القوميات من الذين سببوا في حدوث تلك المآسي، تواروا عن الانظار بسرعة البرق وللأسف لم يصبهم أي اذى. بل كانت الضحايا من الكرد والتركمان الابرياء. لم يكن للكرد والتركمان والعرب وغيرهم من الشرفاء والاحزاب العريقة أي ضلع في تلك الحوادث المؤسفة. فمن المجحف الاساءة الى شعب معين واتهامه بالتسبب في تلك الحوادث. والآن اتذكر جيداً مواقف جدي من قبل والدتي في تلك المرحلة العصيبة، حيث قام بملء ارادته بحمل السلاح وتعاون مع الخيرين من الكرد والتركمان للدفاع عن ارواح واموال الناس من شرور العابثين من حثالات المجتمع.

بعد انتكاسة سنة (١٩٩١) اشتركنا في المسيرة المليونية وعبرنا الحدود ودخلنا الاراضي الايرانية. ولدى رجوعنا الى مدينة كركوك، دخلنا بيوتنا الخاوية من كل الاثاث والممتلكات، حيث نهبت جميع محتويات بيوتاتنا. وسرقت كتبنا وصورنا الشخصية والعائلية ايضاً ولم يسلم حتى المصحف الشريف من السلب والنهب..! وانني الآن لا اوجه اصبع الاتهام الى شعب معين لما حدثت من عمليات السلب والنهب والتخريب، بل اوجه اتهامي الى حزب الصدامي المنحل، ذلك الحزب الفاشي الذي

تربت على يديه عدة اجيال من الرعاع والغوغاء. واتقنت تلك الفئات المتخرجة من مدرسة صدام على العديد من فنون عمليات القتل والنهب والسلب والغدر وابادة الابرياء من الشعب العراقي المغلوب على امره.. الارهابيون الحاليون الذين يرتكبون الجرائم ويفجرون بيوت الله ويقتلون ويذبحون الناس ويفتنون اجساد الاطفال، هم جميعاً من المتخرجين المتمرسين في مدرسة صدام الاجرامية. وليس من الانصاف اتهام السنة أو الشيعة، بل يجب توجيه الاتهام الى ايتام صدام

في ذكرى الشاعر الكردي أحمد عارف

عبدالرحمن عفيف



اكارين شتاينله: أحمد عارف، بالاسم الحقيقي أحمد أونل، ولد في دياربكر في ٢١ من أبريل ١٩٢٧. أمضى طفولته في كوردستان. هناك كبر أحمد عارف تحت تأثيرات ثقافات متنوّعة، الأمر الذي أدّى إلى أنْ يتعلّم حين لم يزل بعد ولدا، إلى جانب التركيّة، اللغة الرّسميّة للدولة، الزازيّة في سيفيريك، وهي لهجة كوردية يتمّ التكلّم بها في مناطق سيفيريك- ديرسم – إلازيغ – بينغول، كذلك في كاراكجي تعلّم الكورمانجيّة، اللّهجة الكورديّة الرئيسيّة في القسم التركي من كوردستان، وتعلّم في حرّان اللّغة العربيّة.

لم يتعرّف أحمد عارف فقط اللّغات في محيطه، بل أيضا طرق الحياة ومشاكل النّاس، وتعلّم أيضا أن يحبّ هؤلاء النّاس، حيثُ يبرز ذلك

جليّا في شعره، حين يقف إلى جانب المقموعين والمضطهدين. بطريقة غير مباشرة يدافع أيضا عن الشّعب الكورديّ ضدّ العنصريّة الكماليّة، ولو أنّه لايسمّي هذا الشيء جهارا ولا يأتي في شعره باسم « كوردستان» أو» الشّعب الكوردي».

في السبعينات والثمانينات اعتزل أحمد عارف تقريبا الحياة العامة. ومجاوبا على سؤال لماذا لم يعد ينشر أيّة قصائد، يبرر أحمد عارف الأمر بأنّ معظم المجلات تنتمي إما إلى التنظيمات أو الأحزاب السياسية، وهو باسمه المعروف والمعتبر لدى الشعب، غير مستعد أن يُستغل لأغراضها ومصالحها. في السبعينات والثمانينات كان الشغل الشاغل لأحمد عارف هو الاهتمام بتربية ابنه، كان يأخذه إلى المدرسة، يطبخ له الطعام. بالإضافة إلى هذا فإنه كان في محيطه يعتبرا أخا كبيرا، يُسألُ في كلّ شؤون الحياةِ. لم يكن يذهب بعد إلى المقاهي. كان مريضا تقريبا ولم يكن يتحمل دخان السكائر، بسبب من مشاكله القلبية:» سابقا كنت أدخن وأشرب أيضا العرق... لكن لم يصبح شرب العرق عندي إدمانا. دخنّت لسنوات طوال. أخيرا تركت التدخين، وإلا لكنت ميتا منذ زمن طويل. كنت أدخن يوميا أربعة باكيتات بافرا، حتى ولو أنني كنت أضيّف الآخرين نصف باكيت، فإنّ الباقي كنت بنفسي أدخّنه.»

مات أحمد عارف في ٣ يونيو ١٩٩١ عن عمر يناهز الرابعة والستين سنة في أنقرة. سر ذلك الشوق في عنوان كتابه الوحيد: «شوقا إليك أبليتُ الزّناجير» لم يأخذه معه إلى القبرِ. قبل سنة من موته، أدلى بالتالي:» تم مراراً سؤالي وخاصة من قبل أصدقائي الشعراء، أي شوق أقصد، هل هو الشّوق إلى الحبيبة، أهو إلى مثل أعلى. لايمكن لهذا الشّوق أن يحدّد بدقّة. بالطبع فإنّه يضمّ في نفسه الحبيبة، لكن بجانب ذلك فهو الشوق إلى الحياة المثلى، حين يستطيع الشعب أن يعيش في سعادة وتكون له حياة ومستقبل مأمنان.») (مترجمة ديوان « أحمد عارف» إلى الألمانيّة)

حبّي
لم يهجرني حبّي.
كان عليّ أن أقاسيَ الجوع والعطش،
خائنا وحالكا كان اللّيل،
الروّح متروكة، الرّوح عطشةً،
الرّوح متمزّقة...
والأيدي في القيودِ،
دون تبغ وأرقا.

الفنان باكوري:

فتحت الموسيقى أمامي أبواباً واسعة للتفاعل مع قضايا شعبي

حاوره: جمال الهموندي

يعتبر الأستاذ القدير باكوري، من كبار الفنانين والمطربين الكورد الرواد في مجال التعليم الموسيقي والطرب والغناء، وهو بمثابة مدرسة للغناء والطرب الكرديين، لأدائه المتميز في الغناء والتأليف الموسيقي، وباكوري من مواليد العام ١٩٢٨ بحي (قلات) في قضاء كويسنجق، منبت رجال الفكر والسياسة والأدب والفن والشعر، عاصر باكوري، فطاحل أساتذة الغناء وقراء المقامات الكوردية والعربية، مثل سيوه وعلي مردان وطاهر توفيق وحسن زيرك وحسن جزراوي، كما عايش كل من الفنانين فؤاد أحمد، تحسين طه، قادر مردان، محمد عارف جزراوي، كريم كابان، صالح ديلان و ره شول وآخرون.

ويقول النقاد حول الفنان: إن أغاني الأستاذ باكوري نابعة من أعماق روح مرحة وصادقة، يتميز بقدرة نادرة على الأداء الغنائي الكوردي الأصيل، بصوت لن تنساه الآذان لو استمعت اليه مرة.

وأن للفنان أرشيف شخصي ثر، الى جانب أرشيف لأغان مسجلة محفوظة في أرشيف الإذاعة الكوردية ببغداد، وكذلك في أرشيف تلفزيون كركوك وفضائيات كوردستان، باختصار خدم باكوري الفن وسخر زهرة شبابه وسنوات عمره بلحظاتها وما يزال نبع فني دافق بكل

جوارحه.

في لقاء قصير معه، تحدث باكوري قائلاً:

- في الحقيقة، أن الموسيقى منحني المفتاح لكيفية السير مع جماليات الحياة والطبيعة والاحساس الجمالي بمفردات طبيعة كوردستان وحياة شعبها الودود، وفتح الموسيقى أمامي أبواباً واسعة للتفاعل مع أبناء شعبي، وسبل اقتحام ميادين الثقافة وكيفية التمتع بعالم الخيال الخصب، ولولا الموسيقى لما التقيت وصادقت وعايشت هذا الكم من أبناء شعبي الطيبين.

وأضاف باكوري: أن الموسيقى كانت أنيستي على الدوام في ليالي الوحدة وأدردش معها طوال الليالي، خصوصاً ترانيم العود، وهو صديق مخلص لا أستطيع العيش دونه، كثيراً ما أحاكي وأبادل الحديث والألفة والمحبة مع آلتي العود، وأحس أنني عدم دونه، وعودي جسد هامد بدوني، وتمنحني نغمات العود سلالم ملونة زاهية للارتقاء بهدوء وروية الى عالم آخر من خيال الصهر في النغم وطرب الروح، وأعتقد أنني بالعزف أمنح الحياة والحركة لجسد عودي.

×وحول ما يطربه من الألحان؟

قال الفنان باكوري: إن الإنسان يعيش البيئة الآنية بلحظاتها، تلك البيئة هي التي تحدد نوعية الموسيقى والغناء الناسب للتمتع بها، فأني أعيش لحظات ايقاع الموسيقى والغناء الأصيل إن كان شرقياً أوغربياً، فمثلاً: أحبذ التانغو أو سلو عندما أريد الانفراد على قمة جبل لأطير بخيالي بين جماليات الطبيعة الكوردستانية الساحرة في الربيع والخريف والشتاء والصيف، وفي بعض الأماكن أتمتع بمعزوفات جاز صاخب، وكذلك استمع الى أغاني (يا جارة الوادي)و(عندما يأتي المساء)و(الجندول)و(كليوباترا) لمحمد عبدالوهاب، وكذلك أعيش مع معزوفات لمنير بشير ووديع الصافي وملك العود فريد الأطرش ونصير شمه وحسين سبسبي وهو فنان من سوريا.

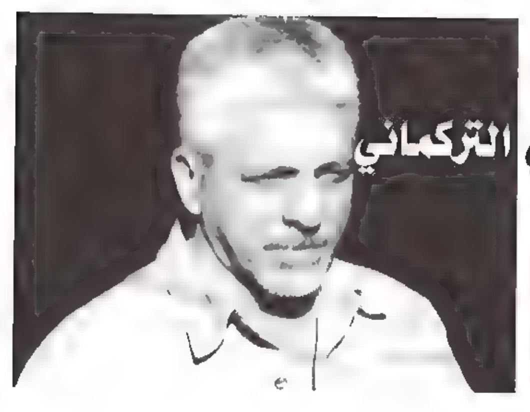
×وبالنسبة الى لقاءاته مع الفنانين العرب؟

قال : التقيت بوديع الصافي وصباح ومحمد عبدالمطلب وسميرة توفيق، ومع الأسف لم تسنح لي فرصة الالتقاء بمحمد عبدالوهاب وفريد الأطرش، وأني أحييت مع البقية التي ذكرتهم، حفلات في إذاعة بغداد والإذاعة الكوردية.

×والمطربون والموسيقيون الكورد؟

أجاب: التقيت الكثير منهم لا مجال لذكرهم جميعاً، ولكن أستمتع بنتاجات الموسيقيين الكورد أمثال معزوفات وريا أحمد، أنور قرداغي، لقمان جوهر وكامكاران، ومن القراء والمطربين، أستمع لمقامات سيوه، علي مردان، طاهر توفيق، مظهر خالقي، حسن زيرَك وماملي.

واختتم ضيفنا الفنان باكوري حديثه بالقول: أن الاستماع الى هؤلاء الفنانين والمطربين يعيدني الى ذكريات أيام حلوة قضيناها أوالتقينا فيها في جلسات فنية وترفيهية، أعتز بهم، لأن هؤلاء سيبقون خالدين في ذاكرة شعب كوردستان.



لقاء قصير مع القاص والروائي التركماني جلال بولات

حوار أجراه: عبدالستار جباري

- مـن مواليد بغـداد 1954عمل ما بين 1974-1976 في جريدة يورد التركمانية الأسـبوعية التي كانت تصدر عن مديرية الثقافة التركمانية — دار الشؤون الثقافية العامة / وزارة الثقافة والاعلام

تخـرج من معهد الفنون الجميلة / بغداد 76-1977.

قـاص و روائي تركماني له مجموعة قصصية (حطـام قلـب) صـدرت عـن مديريـة الثقافة التركمانية / بغداد في العام 1992.

له رواية بعنوان (في ظلال النار) نشرت كاملة وعلى شـكل فصـول في جريدة (يـورد) في العام 1978، ثم صدرت عن مديرية الثقافة التركمانية/ بغداد.

نشـر العديد من الدراسات والبحوث عن الأدب التركي في المجلات والصحف العراقية.

يهتم بالمسرح وهو من مؤسسي المسرح التجريبي في كركوك، وله نصوص مسرحية باللغة التركمانية والعربيـة فازت احداها بالجائزة الأولى في مهرجان المسـرح التجريبي ببغداد 1984 . مثلت العديد من نصوصه التركمانية على خشبات المسرح في كركوك.

ترجـم رواية (الأرض حديد.. السـماء نحاس) للكاتب التركي (يشار كمال) ونشرت ضمن منشورات دار المأمون للترجمة والنشر- بغداد 1991.

ترجـم وحقـق مخطوطـة (حكايـات ده ده قورقوت) نشـرت ضمن منشـورات دار الشـؤون الثقافية العامة / وزارة الثقافة في العام 2007.

عضـو اتحاد الأدبـاء والكتـاب و عضو نقابة الفنانين.

يعمـل حاليـا رئيـس تحرير مجلـة يورد- الوطن.

س: منذ متى بدأت بالترجمة؟

- منذ مطلع السبعينيات استهوتني بعض الأعمال الشـعرية ومنها آخر قصائد الشـاعر التركي ناظم حكمت كنت أقرأها بالتركية فوجدت الحاجة الى أن

أصدقائي أولا ثم القـراء بحاجة الى هذه النصوص التي أقرأها أنا وحدي، وغيري محروم منها .. لذلك أدركت مسـؤولية الترجمـة وأرى أنها مثل تضحية الجندي المجهول.. هو يموت وغيره يكسب..

س: كم من الأعمال قمت بترجمتها؟

- لا أتذكـر عددهـا ولكننـي كنـت نهما في موضوعين القراءة والترجمة.. ومكثرا في الترجمة. عرفـت في الوسـط الأدبي من خـلال ترجماتي، وعرفت في الوسـط الأدبي التركماني في العراق من خلال قصصي ورواياتي.

س: الترجمة من اللغة الأم مباشرة أم من لغة أخرى، مثـلا من الانكليزية الى العربية ثم الى التركية؟ أم من الانكليزية الى التركية مباشرة؟

- الترجمة من لغة وسـيطة هي عملية أشـبه بالطرفة التي تقول فلان ذهب إلى السـينما وجاء يحكي لـك عن الفيلم .. ويأخذ منك ثمن بطاقة الدخول . أنا قرأت بعض الأعمال التركية مترجمة من الانكليزية أو الفرنسـية الى العربية. وعندما وقعـت يدي على النص الأصلي أدركت مدى البون الشاسـع بين النص المترجم والنـص الأصلي.. كل لغـة كما تعرفـون لها خصوصيات وشـيء مميز يجعلها تختلـف عن اللغات الأخرى، وعلى المترجم أن يكـون ملماً بتفاصيـل وخصائص اللغتين لغة النـص الأصلية واللغة التي يترجـم اليها. وكذلك علـى المترجم أن يضـع ميزانا لنفسـه ويتوجب عليه أن يوازن بين قراءاته في اللغتين .. كما يجب ألا ترجـح كفة احدى اللغتين على حسـاب الكفة الأخرى.

س: هل جربت كتابة الرواية؟

- نعم ولي أعمال روائيـة كتبتها بالتركمانية مثل (ياليملار كولكةسـندة) أي (في ظلال أنصال السـيوف) أو في ظلال ألسنة اللهب. فكلمة (ياليم) لها معنايان الأول: لسـان اللهب والمعنى الثاني هو نصل السيف. ورواية (مغامرات العم شاكر) نشرت على شـكل مقاطع في جريدة يورد في التسعينيات وهي عن رجـل فيه مس من الجنـون يعتقد أن قلعـة كركوك هي جزيـرة في احـدى المحيطات وعندمـا ينظر من فوق القلعة الى المدينة يتصور بيوتهـا مياه بحر هائجة ، كمـا يتصور بالضبط مثل دونكيشوت أن القراصنة يهجمون على القلعة ويتصرف كأنه قائد بحري عليه أن يصنع السفن ويهيأ سـكان قلعته لمقاومـة القراصنة .. وعندي رواية أخرى نشرت في مجلة يورد الوطن على شكل حلقات عنوانها (بغدادقاطى) أي (الدعسوقة)..

س: هل لديك مشاريع كتابية؟

- أكتب حاليا رواية اسـمها (قرخ كيندى) أي المربعانيـة.. أربعين عصرية تسـمية من الصعب ترجمتها الى العربية أو الكردية، فليس لها مرادفة في هـذه اللغات.. هي العصريات الأربعين في أواخر الربيع حيث تسبق حلول موسم الصيف . أربعون عصرية تشهد زخات من المطر .. موضوعها محلي خصوصي، أحداثها تقع في كركوك في الأربعينيات من القرن الماضي فيها تأكيد على النسـيج المتنوع لهذه المدينة.

س: لديك الكثير مـن الأصدقاء من الأدباء الكرد، لماذا لا تشكلون جمعية أو مركزا أدبيا مشـتركا كرديا و تركمانيا حتى يكون جسرا بين الثقافتين التركمانية والكردية؟

- أنا حسب ظني أن يكون هنالك تعاون مشترك بين مؤسسات ثقافية تركمانية ومؤسسات ثقافية كردية وتسـعى جميـع الأطراف علـى التعريف بالآخـر عـن طريـق الترجمة حركـة الترجمة

بينهما واقامة الندوات المشتركة والبحث عن نقاط التقارب. فمثلا كان في كركوك شاعر كبير يعرفه الجميع هو الشيخ رضا طالباني كتب بالكردية والتركية وحتى كتب بالفارسية.. اذا رجعنا إليه وأوقظناه من رقوده لنظم فينا آخر قصائده اللاذعة وطلب الينا أن نعيده الى القبر بسرعة. الجسر كان موجودا فعلا ولكننا (وأقصد الكورد والتركمان على حد سواء) لم نحافظ عليه كما ينبغي . أولاد الحرام يدخلون بيننا دوما.. تقول أن لي أصدقاء من الأدباء الكرد.. أنا أضيف الى معلوماتك أن هنالك الكثير من الفنانين الأكراد أصدقائي ، وكنت عرابا بالنسبة اليهم، ولم نسأل بعضنا البعض من نحن؟ وماهي قوميتنا!؟ عندي أصدقاء كثيرون من الأدباء والفنانين وحتى السياسيين الأكراد وأعتز بصداقتهم.. غداًعندما تهدأ ثوراتنا الداخلية (أقصد ما يعتمل في أنفسنا من فوران) في المستقبل ربما سنصحو على أنفسنا وسنجلس الى طاولة واحدة مثلما كان يجلس البسطاء من أمثال جلال بولات مع فرقتي جميل ومدحت كاكائي وصلاح عباس ونجاة واحد سعدالله وفاروق فائق وجمال ابراهيم مدد، كنا نجلس في مقهى البرلمان ولا أحد يغضب من الآخر لأنه كردي أو تركماني.

الفنان التشكيلي ناصر خلف: كركوك هاجسي الكبير

أجرى اللقاء: رزكارشواني



كانت خربشات الطفولة وتلويث الجدران بالطبشور وأقلام الرصاص نواة ترحال يشده ولع لا تعرف حدوده من بين المولعات، كان قلم الرصاص رفيق دربه منذ أن وجدت أنامله الغضة سبيلا إلى بلورة مكوناته لدخول هذه العالم اللا نهائي .. الابتدائية لم تكن رحومة معه بل كانت مقرفة في تناول أي مسمى باعث على الرسم .. وفي المتوسطة كان شرخ التوهج يضع أحماله الناشئة أمام الراحل محمود العبيدي أول مدرس للتربية الفنية قابله في حياته، أما الثاني فكان الأستاذ موفق عبد المجيد القادم من النمسا في تلك الحقبة المظلمة فأحدث انقلابا جوهريا في حياته في اللون والتخطيط، وكان ذلك في متوسطة إمام قاسم عام ١٩٦٢، وترك كلية الفنون الجميلة وهو في المرحلة الثانية لظروف خاصة وبدأ رسالته الفنيه ذاتيا .. أنه الفنان التشكيلي ناصر خلف الذي ولد في محلة بكلر بمدينة كركوك عام ١٩٤٦ وتخرج من معهد اعداد المعلمين عام ١٩٦٨، أحب الفن

منذ نعومة أظفاره حيث شـارك في سبع معارض تشكيلية شـخصية، له اهتمامات بالأدب والثقافة ونشرت له دراسات نقدية عديدة ومقالات ثقافية ويعمـل حاليا مشـرفا فنيا في مديرية النشـاط المدرسي بكركوك وهو عضو في جمعية التشكيليين العراقيين فرع كركوك.

❖ ماذا يعني لك الفن بصورة عامة؟

- مجموعـة رؤى وأفكار وتأملات يغلفها وجع الروح الذي لا يوصف فمهما كانت القدرات سخية يقابلهـا بخل مغلول إلى العنق لان الفن طريق مد لهم ليسـت له نهاية، فالولادة التي يعتصرها الهم الإنساني هي زعيمة قيادة أفكارنا إلى بلورة المنجز الإبداعي وإخراجه للوجـود وعلى أي الخامات لا يهـم أن يكون منجزك على قمـاش من حرير أو قطعة من كيس السـمنت، المهـم هو ما تطرحه الفـن (انتظـار ما لا ينتظـر) والهـام يأتي مرة ويغيب مرات، وعلـى الفنان أن يأخذ على عاتقه ديمومة التواصل مع كل مشـهد جميل يوحي لك مـن خلال الذات، انك في حومة مكابدات تداهمك في أية لحظة.

❖ كركوك بعين الفنان ناصر خلف؟

- كركوك هي هاجسي المغلف بخواطر الطفولة والصبا والكهولة، هي موئل أحلامي ومرتع تفاعلي مع أهلها الكرام، قوميات ولغات وأفراح وأتراح من عرصة كاورباغي حتى أحياء آزادي وإمام قاسـم والمصلى والممدودة وشـفير قلعتهـا العائمة في افق المحبـة الى بريادي وجقـور وكل حاراتها وأزقتها التي تناغمت من عمري كله، كركوك هي التسامي المبهج والفلكلور الغني بأغاني علي مردان وكزجي اوغلو وملا ضيف الجبوري وعبق ماضي طفولتي وانسـياب مياه خاصة صو، مهما كانت شـحيحة وتـلألأ حصـاه الملسـاه.. إنها حاضـرة فن مورق وحضانة أمل لايوصف..

❖ حين ترسم لوحة ماذا يجيش في خيالك؟

- ان مكونات سـيكولوجية وفسـلجية كثيرة تزدحـم في خاطـر الفنـان حـين ينشـد انجاز عمـل ما، ففي دوامة العمـل أول ما يجابهني هو الاسـتغراق والتأمـل، لكن عبر متاهـة تأخذني بعيدا وإرهاص محموم يربطني الى قوانين جذب موجع وعندما تحدث حالـة من التجلي الروحي تتضمن رؤيتي الحالة بالوجود لاندمج مع المخيلة المشـحونة بالأفكار، وهذا التراكـم يتركني احيانا صريع غيبوبة مؤلمة وكأني أفك طلاسم احجيات صعبة التفسـير ولما اسـتفيق اجد قماش لوحتي مازال أبيض فأفرح كثيرا لأني توصلت الى غاية، ان الخيال أحيانا يتمادى في غيه فتارة صوفي وأخرى وحـش جميل أحاول أن أقبض على لغتي لأحيلها إلى معان تلهمها الخطوط والألوان، وعادة ما تكون تلك الرسـوم نزوعـا فكريا لـه دلالات مرتبطة بالعقل الباطن وتلا نيف اللاشعور.

❖ اللوحات التي تفضل رسمها؟

- اللوحـة هـي التي تعكس الرؤيـا الجمالية والفكرية عبر اسـتفزاز يلحق بـك عنوة يرتبط بالإحسـاس الجمالي والفني الى نشـدان الصيرورة عندها سـتجد الفنان يبحث عن ملهمات شاخصة قد يكررها في لوحاته، فالإنسـان دائما هو صراعه شـغلي الشـاغل المضطرب مع الحياة هو ما أفكر فيه.

❖ كيـف تـرى واقـع الفن التشـكيلي في كركوك؟

- أعتقـد ان ثمـة جدلية تربطنـا جميعا في وحدة هـذا الواقع بكل تفاصيلـه وهي ان الفعل

الخلاق لما نسميه إبداع موجود في كل مكان العالم، فيه الغث وفيه السمين وحالة التباين موجودة وهي معضلة لا يمكن تجاوزها إلا بوجود مؤسسات تعنى بشخصية الفنان من حيث الثقافة الجديدة وما تطرحه الإبداعات العالمية وضرورة الاطلاع عليها وقراءتها، فكثير من الأحيان ينشغل الفنانون بأمور جانبية بعيدة عن روح الفن فيخسروا الجانب الجميل من حياتهم أو يوغلوا فرشاتهم المبدعة بالنقل والتقليد والافتراق عن المواكبة والتطلع، ان ثمة فنانين مبدعون سلكوا طريق الأسلوبية والبعض لا يأبه حتى بمفهوم الفن لكن التشكيل يجد مناخه الدافئ من خلال ديمومة المعارض.

❖ أخيرا ماذا تود أن تضيف؟

- أتمنى أن يدخل أحد الفنانين إلى قبة البرلمان من دون انتخاب ليجمل رسالة الفن ويناقشها بكل حرية وكذلك عضوا في مجلس المحافظة لينشر الثقافة والفن معا على بساط الحوار الدافئ والشفاف في أول تجربة عالمية حيث يسجل في الأجندة الموضوعة بناء أول أكاديمية للفنون الجميلة في كركوك بهندسة بناء لايوصف في الشرق كله و وقاعة للمسرح والاحتفالات من طراز غير محسوب وقصر للثقافة يزدهر فيه الإبداع وتنمو فيه المواهب وتطلق أسماء المبدعين ممن رحلوا جياعا الشوارع والساحات..

نحو شعرية للسرد

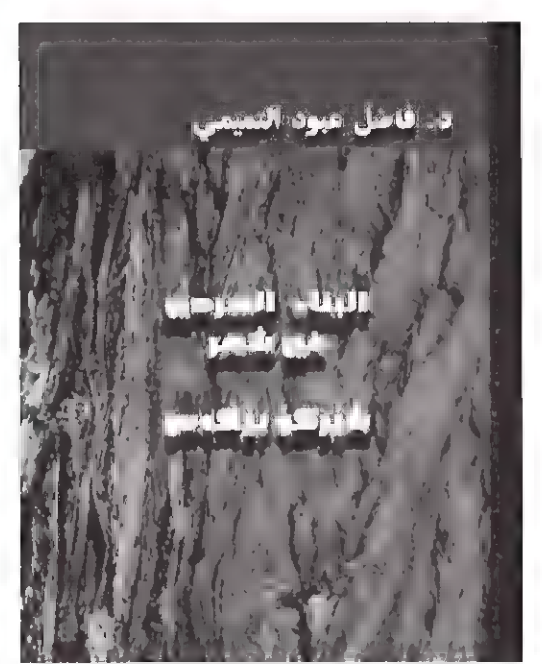
قراءة في كتاب (البناء السردي في شعر شيركو بيكەس)

د. علي متعب العبيدي
كلية التربية - جامعة ديالى

مفتتح تعريفي

(١) صدر كتاب (البناء السردي في شعر شيركو بيكه س) لمؤلفه (د فاضل عبود التميمي) في طبعته الأولى عن دار سردم للطباعة والنشر في السليمانية عام ٢٠٠٨ ويقع في (١٤٠) صفحة من القطع المتوسط، وقد تضمن أربعة فصول سبقتها مقدمة،وأعقبتها خاتمة تناول في الأول منها تمهيدا عن الشعر الكردي ثم تلاه بمبحثين تضمنا دراسة عن شيركو الشاعر، و شيركو السارد، أما الفصول الثلاثة الأخرى فقد خصصها المؤلف لدراسة البنية السردية في شعر الشاعر إذ تناول بناء الحدث،والشخصية، ثمّ بناء الزمن،والمكان ثم أساليب البناء السردي ووسائله،ولخص بعدها أهمّ استنتاجاته في خاتمة الكتاب.... وسنتابع مع الناقد طروحاته في استثمار السرد لكشف الرؤى الشعرية المقنعة بداخله.

(٢) يفتح هذا الكتاب افقاً جديداً للمثقف العربي يطل من خلاله على أدب بقي مغلقا على



غير الناطقين باللغة الكردية لا من خلال المقدمة الغنيّة التي اختصرت تاريخ الشعر الكردي فحسب وإنما من خلال تناول شاعر كردي متميّز مستكنها أغوار شعريته محاولا الكشف عن بنياته، وثيماته متابعا لتشكلاته الرؤيوية،كل ذلك جاء على وفق رؤية نقدية اعتمدت البحث عن شعرية السرد وليس العكس كما وجدنا في آثار مؤلفة من قبل.

لقد كان الناقد د. فائق مصطفى أستاذ النقد الحديث في جامعة السليمانية صادقا حين قال في معرض نقده للكتاب «انه لأمر مثير للغبطة أن ترى النقد العربي في العراق والبلدان العربية يعنى بالإبداع الكردي القديم والحديث، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الانفتاح،والتواصل الحي بين الثقافتين العربية والكردية.... كتاب الناقد والأكاديمي الدكتور فاضل عبود التميمي أعدّه كتابا رائدا في العراق في هذا الميدان. «جريدة الاتحاد» في ٢٠٠٨/٣/١٢.

يحدد الناقد التميمي مصادر رؤية الشاعر الفنية بثلاثة منابع عملت مجتمعة على بلورة أسلوبه الشعري،وخلقت شخصيته الثقافية وهي:

١-(التراث الكردي) والفلكلور الشعبي الذي أخذه من منابعه الأصيلة..

٢- الشعر العربي والثقافة الإسلامية.

٣- الثقافة العالمية.

إلا أن هذه المنابع تمرّ عند الناقد التميمي من دون أن يتعمق فيها،ربما كان سبب ذاك انه يختصر المسافات فليس من وكد كتابه تقديم دراسة حول الشعر الكردي وإنما بيان اشراقة تمهيدية يبين من خلالها موقع شيركو الشاعر الذي بحسب قول الناقد كان وريثا «لسلسلة شعرية طويلة»وكان «همّه الإضافة والتركيب وتجاوز المنجز القديم برؤيا جديدة»ص١٣، كما كان بود القارئ العربي أن يقف الناقد على قضية الترجمة ويدعو إلى تفعيلها فيما أظن، ولاسيما من المترجمين العراقيين فهي مسؤوليتهم أولاً،ثم يعقد الناقد مباحث من فصله الأول لقراءة سريعة لمجمل شعر شيركو المترجم،والجامع لمضامين طرحها الشاعر وقد ركز على قضيتين:

الأولى: النكهة العراقية في شعر الشاعر.

الثانية: البعد الإنساني المحمل برؤى الشاعر السياسية، والاجتماعية.

ملتفتا إلى رصد فلسفة الشاعر في لغته الشعرية التي يراها «لغة ومضية تتكشف في صورها مضامين كثيرة همها الاتصال بالإنسان»ص٢٠، ثم ينتقل لوضع مسباره النقدي وفقا للطبيعة التاريخية التي افترضتها طبيعة الفصل الأول ليكشف عن شيركو المؤلف ومؤثراته الأولى فينقل لنا اعترافات الشاعر عن حزمة الثقافات التي شكلت وعيه الشعري والأدبي بدءا من مخيال أبيه بيكه س الشاعر و معلم اللغة العربية

الممثلة ذاكرته بالشعر العربي قديمه وحديثه وليس انتهاءً بما احتوته ذاكرته من مرويات أمه، ومئات القصص من مدونة تراث الشعب الكردي ومروياته الشفاهية.

ويبدو أن لهذه المكونات المعرفية في توجهات الناقد التي لاءمت بين طبيعتي السرد، والشعر وهذا ما أوحى به قد حفزته لاختيار هذه البنيات منطلقا لدراسة شعرية شيركو التي أخذت بعدها الأعمق، والجديد في تسعينيات القرن الفائت بكتابته «القصائد الطوال التي سمى بعضها بالقصيدة الروائية لما لها من روح سردية تقربها من روح الرواية»ص٢٤.

يرى الناقد أن ليس من الضروري أن يمتزج الشعر بالسرد امتزاجا شكليا مجردا،وإنما الضرورة في انصهارهما في شكل حبكة تنظم الخصائص الشعرية في إطار الحكاية المسرودة ص٢٩، ويميل إلى اجتراح مصطلح «السرد الشعري» الذي هو في أدق دلالاته «شعر سردي يحتكم إلى أكثر من خصيصة نصية من أهمها خفوت الغنائية وحضور الدرامية والاشتباك بجملة من التقانات الأسلوبية التي تتوخى استعمالا خاصا للقص، وحضورا واضحا للوصف، والحوار، والتاريخ، والموروث فضلا عن حضور ما هو محكي أو مصوغ بطريقة قصصية يتقبلها الشعر الحديث بوصفه نمطا من الكتابة الكونية» ص٣٠.

إن هذا المفهوم يحفزنا إلى إعادة تصور جغرافيا الشعر العراقي، فالقصيدة العراقية الخمسينية استثمرت تقانات السرد، والرؤى الإخراجية للمسرح وجاءت القصيدة الستينية لتمزج الرؤى الشعرية بالبناء السردي، وتعمقت في مسارب من جاء بعدهم بفعل مستويات الطرح الفكرية،والبنائية التي تبناها الشعراء حتى أصبحت اليوم قضية مفروغا منها، والشاعر شيركو لا يمكن فصله عن سيرورة الشعر العراقي تحت أي حال من الأحوال.

(٣).بناء الحدث والشخصية.

بعد أن يعرّف الناقد الحدث بوصفه عنصرا بنائيا في السرد يأتي على ذكر أنواعه، وأساليب استثماره مختارا لنص،أو عدة نصوص يبين من خلالها النسق الذي يتحدث عنه ففي نسق التضمين يختار نص الكرسي الذي تضمن قصصا تنبع وتتوالد من بعضها، فنص الكرسي «مجموعة من الطبقات النصية» «المنصهرة في نسيج نص واحد تتشكل في ظل جنوسة متعددة تتراكم طبقاتها وفقا لتعدد النصوص فيها» ص٥٠ و يرى الناقد «إن انفتاح (نص الكرسي) على هذه التعددية النصية يعطي انطباعا عن ميل الشاعر شيركو إلى الاغتراف من كل الفنون دفعة واحدة» ص٥٠ «ولهذا تعددت الرؤى والأساليب في أشعاره لتشرب الفنون الداخلة» فيها ص٥١،وهذا ما يذكرنا بالنص المفتوح الذي رأى ذات مرة الشاعر خزعل الماجدي انه الوريث الطبيعي للقصيدة الحديثة.

إن بنية الحدث ليست هي المحققة لضربة النص الشعرية أن هناك ما يعاضدها في ظننا وهو يدخل أيضاً ضمن البناء السردي ونقصد هنا تحديدا تقنية المنلوج الداخلي التي يستثمرها الشاعر لإدخالنا إلى عالم الكرسي المشحون بالذكريات، وضمن نسق التتابع يختار الناقد نصين يتحقق من خلال الأول فعل الشعرية السردية من خلال مداخلة فعل التشكيل اللوني/ الكلامي الذي ينتهي بتحقيق «ضربة شعرية» على حد قوله ص٥٢.وفي دراسته لنسق البناء التداخل يختار الناقد نصا يروي الشاعر فيه دخوله إلى حفلة تنكرية ينطلق فيها مصورا وراويا لأكثر من حدث «رقص الجلاد مع الضحية و رأس بيكه س مع القمر على مائدة مستديرة ورأس جيفارا بجسم نابليون...» هذه الإحداث تنضوي ضمن بناءين كما يرى الناقد:

الأول، الحفلة التنكرية التي انتهت برؤية الشاعر لـرأس بيكه س والقمر في فضـاء الحرية المقصود وقـد مثل رؤية سـردية ليـس لها مـا يربطها دلاليا أو نصيا بتوالـي الحدث الثاني «رؤية رأس جيفارا...». إلا أن من المناسب أن نذكر أن متواليا ت الأحداث و مداخلاتهـا ببعضها وان لم ترتبط بخط سردي كما يقول الناقد وهو صحيح تماما إلا إنها انضمت إلى بعضها في خلق دلالة موحدة للنص فالشـاعر من خلال هذه المشـاهد المتنوعة يعضد فكرة واحدة أقام عليها نصه تلك هي تغير معايير الحرية والانتمـاء.... فالدلالات لم تكن متناقضة إلا على مستوى السرد.

ويختار الناقد ضمن بنية الحدث المتوازي نصا يتناول حدثـين ضمن حكايتين «حكاية (نازين) وزواجهـا من الشـخص الثـري «وحكاية (ثرور) الـذي أصبح ثلجا» فـكلا الحكايتين متعاضدتين دلاليـا «كما أن توزيعهما في شـكل سـردي واحد أيضـا»ص٥٥، في تناوله الشـخصية يتجـه الناقد إلى الكشـف عن شـخصيات الشـاعر ضمن سياقها التاريخي وبنائها السردي وتأثيرها الشعري.

الشـخصية عنـد شـيركو لم تكن شـخصية اعتدنا ولـوج عوالمها من خلال حواراتها وصفاتها الخارجية و الداخليـة وينطبق هذا الوصف على كلا الأنموذجين اللذين حددهما الناقد لشخصيات شـيركو واقصد التاريخيـة «محمـود الحفيد أو جميلة بو حيرد أو غيرها» أو شـخصياته الورقية المتخيلة «الألوان والكرسـي وغيرهـا» وإنما هي شـخصيات ذات طابـع دينامـي محـرك للنص ومسيطر عليه،فهذه الشخصيات يكون فعلها بعث النص،وتأطيره،ودعمه باتجاه شـعري ذي اقانيم سردية بدءا «برموزها وأمكنتها وانتهاءا بخاتمتها وهي تتنفس بأجواء درامية «ص٦١على حد تعبير الناقد في تحليله لشخصية محمود الحفيد.

حـين ينتقل الناقد إلى تحليل البنية الزمانية والمكانية يقدم وفقـا لمنهجه تصورا مختصرا عن تشكيليتهما السردية،والشعرية ثم يفضي لدراسة مفاصلهما عبر شعر الشاعر،ثم يحدد الناقد علاقة الشـعر بالزمن بتبنيه رأياً مفاده أن الشـعر «فن زمني»ص٧٣ ولم نستوضح منه هل الشعر بالمطلق أم الشعر السردي؟. نرى أن الشعر بالمطلق يتقاطع مع الزمن لأنه يحتويه ثم يلفظه وفق رؤى شعرية ولا يتحدد به أثناء انفتاحاته المأوّلة.

إن بنـاء الزمن عند شـيركو كما يـرى الناقد «ينطلـق من فكرة الإحسـاس به أي الإحسـاس بسـلطة تتعاقب على موجودات الطبيعة وتعمل علـى تغيير تصوراتهـا» ص٨٢ وهـذه التعاقبات تحدد وفقا لرؤية الناقد ومنهجيته من زاويتين:

الأولى: ما يفضي به الزمن السردي «عن طريق الاسترجاع، والاستباق، والحاضر.

الثانية: الإشارات الزمنية.

إن هـذه التقنيات هي نفسـها التي تعمل على انبثـاق الزمن الشـعري والتي عبر عنهـا الناقد بالرمز في تحليله لهذا المقطع:

في سنة أشهرها مغتالة
في شهراسابيعه مغتالة
في يوم ساعاته مغتالة
بعد ليلة حبلى بالرياح
بعد ليلة مقوسة الظهر تحمل ارتفاعا على ظهرها
في صبيحة مجروحة
من خلال فجر اخضر
سقطت كخيط شعاع فجري مدمى....

رؤيـة الناقد السـالفة تتسـع لحيز دراسـة المكان»على وفق انسـاق تأخذ من السـرد هيأته، ومن الشـعر تخيلاته فهي مثقلة بدلالات التغيير، و التحول،واستنطاق الحيز»ص٩١.

فالمـكان السـاكن، والمتحرك،والمتخيل لم تكن

أماكـــن مجردة أســهمت في توســيع آفــاق النص وانثيالاته فحســب وإنما «جغرافيات آهلة بالحياة والمــوت والرصــد الشــعري»ص٩٧ومن هنا أغرت الناقد بتتبعها واستكشافها ورصد أثرها في انفتاح النــص علــى رؤى تأويليــة كما فعــل في تحليله لنص» هنا «إذ واشج في مقترح قراءته» العمودية كما اســماها «بــين فاعلية المــكان بوصفه مؤثرا خارجيا،وثيمة تحيل إلى بناء دلالي مكثف (ينظر التحليل ص٩٦). فالمــكان- كما تحيل قراءة الناقد له- ذو تحولات نفســية استغلها الشاعر ليبث هما رؤيوياً إنسانياً وليس شخصيا فحسب

ينتهي الناقد في تتبع شــعرية شيركو السردية إلى أســاليب البناء السردي ووسائله ضمن مبحثين طرح في الأول الأســاليب المتشــكلة في شعر الشاعر بنمطــين رئيســين هما الســرد الذاتي والســرد الموضوعي كشــف من خــلال الأول عــن «صورة الســارد ووجوده في إطار مشــكلة خاصة تعبر عن رؤية مصاحبة للحدث فحسب وليس لها من رابط موضوعي يرتبط بالآخرين إلا بقدر تداول السرد وآلياته» ص١٠٤.

وأما السرد الموضوعي الذي انقسم عند الناقد على نمطي الراوي العليم والراوي عين الكاميرا، فقد كشف عن تغلغل البنية الســردية في أعماق النص الشعري بغية تقديم الحدث،والشخصية بكل عمقها،وطريقة تفكيرها، و تشــكلها ليتيح أمام متلقيه فرصة إعادة قراءة النص ضمن معطياته السردية.

أما في الوســائل فيتخذ من فحص بنى الحوار، والوصف سبيلا لمداخلة السرد في الشعر عاد الحوار ذا «أهمية تســهم في الإفصاح عــن الأفكار في إطار اللغة المواراة بين شــعرية التعبير وسردية الموقف «ص ١١٢، ويبدو أن مــا ركز الناقد اهتمامه عليه هــو أن الحوار في الســرد القصصي ذو بنية لغوية تعطي أبعادا للأفكار ومهمتها نقل المعنى كما يقول الناقــد فهو «ينهض على فكرة التواصل النفســي والدلالي بين الشــخصيات «في حين انه في الســرد الشــعري يتعدى هذه الوظيفة من خلال انبنائه ضمن اللغة الشعرية.

أمــا الوصف فانه قد لا يتعــدى في صيغ وروده الحــوار ولكنه مختلف الوظيفــة فهو معني بوصف مكان الحدث والشخصيات بالدرجة الأساس ما يهيئ للمتلقي رسم جغرافية النص والتحرك من خلالها.

وللقــارئ العربي الــذي لا يعرف دلالة اســم (شــيركو) ادعوه لقراءة الصفحة (٢١) من الكتاب التــي ورد فيهــا ((شــيركو الذي يعني اســمه في الكردية(الأسد)، أو أسد الجبل، أما (بيكه س) فهو لقبه الذي أخذه عن والده الشــاعر فائق بيكه س (١٩٠٥-١٩٤٨) ودلالته (بــلا احد)، أو(بلا نظير)... عن هاتــين الدلالتين قال الشــاعر مؤكداً نزعته الإنسانية في الفن، والحياة:

أنا(الأسد) في عش اسمي
لكنني لا ارغب بجهرة الأسد
لأنه شرس وعدواني
كنت أود أن يكون في اسمي
(الغزال) أو(الجدي)
أو(المهرة) أنا لقبي أيضا(بلا احد)
وهذا أيضا لا يعجبني
وهو خطأ
لان كل الشعر الجميل للدنيا
هم أقاربي)).

وفي الختــام نقول هل وجــد الدكتور التميمي ضالته(شعرية السرد)من خلال دراسته هذه؟

في حــدود وعينا أن مثل هذا العمل يقوم على جهــود جماعية متواصلة علــى نطاقي التنظير، والتطبيق وربما يكفي الناقد شروعه بذلك ليس في هذا الكتاب فقط وإنما في كتب سابقة ونأمل في كتب لاحقة.

الحرفنة الشعرية
في (شذرات) قوباد جلي زاده

لقمان محمود

استطاع الشاعر قوباد جلي زادة، إلى جانب تجارب شعرية أخرى، أن يسجل إضافة حقيقية وهامة للحركة الشعرية الراهنة في كردستان. وهنا أستطيع القول، وباطمئنانٍ كبير، أنّ " شذرات قوباد: نصوص شعرية كردية " خير دليل على قدرة الشاعر الواضحة على بناء شخصيته الشعرية المستقلة.

حيث تتسم هذه النصوص الشعرية بجمالية متفردة، ولغة تدفع بالبعد الحسي إلى ملامسة الحقيقة وإختراق تفاصيلها الطافحة بالقسوة الموحشة على مدى عمرٍ من القهر. وكل ذلك من خلال مخيلة مشحونة برؤى تدفعها إليها ذاكرة حيّة، تنهض على ملاحقة الماضي بكل همومها اليومية.

وإذا ما أردنا أن نستقصي أنموذجها الإبداعي، التي سبق أن أرجعها قوباد جلي زادة إلى اتجاهاتها الممكنة، بوصفها سيرة ذاتية لحقبة مخنوقة بدوائر زمنية تؤكد إختبار المكان لفحص الحقيقة " في أقصى قرية " كردستانية، رغبةً منه في تجسيد الواقع النضالي لشعبٍ أراد الحياة خارج قيود القتل والإقتلاع والترحيل.



وهي حقيقة تكشف عن حلم الإنسان الكردي في الحياة على أرضه دون خوف.

فلو تفحصنا قصيدة قوباد المعنونة ب " في

أقصى قرية "، نحصل على ذلك الواقع:

حتى في أقصى قرية، حين نخلد إلى النوم
احدى عينينا تغفو فقط ،
أما الثانية فتصيغ السمع
من أذنينا ترقد احداهما فحسب
أما الثانية فتغدو حارسة
ومن أنفنا، ثقب فقط يحط في حزامه ريحانة
الاطمئنان
أما الآخر فيشم صخور الدروب وأجماتها
حين نغط في النوم،
احدى يدينا فقط تشخر، أما الأخرى
فهي بندقية واقفة بثبات
احدى قدمينا تتمدد فحسب، أما الأخرى
فتستحيل كمين أسلاك شائكة،
حول القرية.
وفي أقصى قرية عصية حين نقترن معاً
لا نوقد فانوساً.

تكمن قيمة هذه القصيدة «القوبادية» في الأبعاد التي توحي بها، والعلاقات الجديدة التي تقيمها، والآفاق والعوالم التي تفتحها. إضافةً إلى احتوائها على امكانيات تعبيرية تستعين بها المعنى في أدائها بلغة جديدة، وبرؤية جديدة، وبحساسية جديدة.

واستناداً إلى القصائد، فإن قوباد جلي زادة ينحاز لكل ما هو هادئ ومؤثر وحميمي، بحرفنة شعرية نادرة، كما في هذه القصيدة:

الميت
الذي أضاع قبره
سلك الدرب المفضي إلى المدينة
مدينة
الزهر
والخبز
والنهر
لكن الدهشة عقدت لسانه
حين رأى باب منزله
مكتوباً عليه
(السجن رقم ١٠٠٠).

بهذه القصيدة يكاد قباد جلي زادة أن يكون الأبرز بين مجايليه الذي يجيد إنسيابية التنقل بين الماضي والحاضر. وبذلك نستطيع القول بأنّ مهمة الشاعر تتوضح في الهموم البشرية والانسحاقات الوجودية.

وهي معطيات واقعية، لها صور من الماضي الحقيقي، والتي ما زالت مترسبة وعالقة بالذاكرة. ومن هذه الترسبات قصيدة " قبل أن تذهب الوردة إلى المعركة " التي تمنح اللغة امكانيات أخرى كاستجابة لا شعورية لمعنى الحرب:

قصدتُ الحرب
على بعد سبعمائة متر
صوّبتُ رأساً
فقهقه رفاقي:
برافو
برافو
برافو

ذهبتُ إلى الحرب
عادت بندقيتي جريحة
دون صحبتي!

بهـذه التفاصيل التي لا تخلو من السـخط، يقف الشـاعر ليواجه الحـرب بالألـم، والذاكرة بالنسـيان، والوجـود بالفراغ، والأمـل بالخيبة. إذ لا يمكـن إظهار الكثافة المظلمـة للحرب، إلا في هـذه الكشـوفات التي ترمـز إلى أنـوار القصيدة المنعكسة، والتي حققت انحرافها عن المشهد العادي المألـوف، ودفعها عن حجـب الكثافة المادية، وذلك بدفع المفردات في تراتبية مصيرية تحقق نسـيجاً يراهن على مغايرته وتميزه بأسلوب فني يستبد بمواصفات من التوافق والانسجام والتناسق.

ومن خلال البوح بما هو كامن وراء تفاصيل هذه الحـرب، يمكننا القـول بأنّ هـذه القصائد أيضاً (ككل شـيء في كردستان) قد خاضت غمار الحرب، لإزاحـة العتمة والخراب والموت عن كاهل كردستان.

فهذه الحرب العمياء، خلقت لدى الكردي عيوناً جديدة. وأيضاً، هذه الحرب العمياء، كانت تستفز حتى الشهداء:

السادن،
حتى وراء جدار المقبرة
يطارد الشهيد
إنه يقول:
الشهيد بدمه يدنس الشاهدة
ويرعب الموتى
يقول: جرح الشهيد
بحيرة الزبالة
وموطن الذباب..!!

انهـا رؤيا كاشـفة تضـم دلالاتهـا من خلال شـحن الألفاظ والكلمات والتركيبات لعلاقات كلية ومتماسكة، يسهّل الاستدلال بأحوال الشهيد:

الشهيد حافياً
برأس ولحية ملوثتين
بجسد مثخن بالطعنات
وكفن يملؤه الثقوب.
يتمشى على الأرصفة
ويترنح..!

بهـذا الاختزال اللغوي، وبهـذه الفكرة المؤلمة، وبهـذه الكثافة التعبيرية، جسّـد الشـاعر قوباد جلـي زادة حال وأحوال الشـهيد الكردي، بكل ما ينطوي عليه الشـعر من أصالـة وحيوية وقدرة على الاستمرار في التألق والألم اللذين أهّلاه ليكون جزءاً لا يتجزأ من متن الشعر الانساني المبدع.

وأخيراً، وعبر نظـرة أبدية إلى الحياة، نجد أنّ الشـهيد يُعيد الثقة – على الـدوام – إلى الوطن. ومـن يثق بوطنه لا يعرف الضعف، ولا العجز، ولا الموت، ولا الفناء.

هامش:

الكتاب: شذرات قوباد: نصوص شعرية كردية

المؤلف: قوباد جلي زادة

المترجم: عبدالله طاهر البرزنجي

منشـورات: مركـز(كـه لا ويـز) الأدبـي والثقافي – السلسـلة الخاصة بمهرجان كه لاويز الثاني عشر، لعام ٢٠٠٨ ، السليمانية.

فيلم (لقد رأيت الشمس): قصة شعب يتوق للسلام

دلشا يوسف

نـــزل فيلم (لقــد رأيت الشــمس) للعرض في دور الســينما التركية بتاريــخ ١١ آذار. يعتبر هذا الفيلم الذي أخرجه الفنان الكردي- التركي الشهير ماحصــون قرمزي غول و كتب له الســيناريو، مــن أكثر الأفلام التركية التي وضعت الإصبع على جرح المجتمــع التركي النازف منــذ أكثر من ٢٥ عاما، بسبب الكفاح المسلح الذي بدأه حزب العمال الكردســتاني عام ١٩٨٤، و ما يزال مســتمرا حتى الآن، حيــث راح ضحيتهــا أكثر مــن ثلاثون ألف شخصا.

يحكــي الفيلم القصــة الدراميــة لأب كردي، إنضــم أحد أبنائه الثلاثة لصفــوف حزب العمال الكردســتاني و خــرج للجبــال، و الثانــي إلتحق بالجندية كواجب وطني، و الثالث أصيب بحادثة إنفجار لغم و بتر ساقه. و رغم جميع المصائب التي إنهالت على الأب، نراه متمسكا بأرضه في قريته، و يجابه و يتحدى ضغوطات قوات المليشيا المتعاونة مع الدولة، رافضا هجرة أرضه من جهة، والتواطئ بالإنضمام لصفوف المليشيات من جهة أخرى. فهو



يــرى في قريته وطنه. و لا يســتطيع التفريق في حبــه لولديه، لا الــذي إلتحق بالكفاح المســلح في الجبال، و لا الذي يؤدي واجبه في الجندية.

يقول الفنان التركي الشــهير(آلتان أركِكلي) الذي يلعــب دور الأب (داوود آلتون)في فيلم (لقد

رأيت الشـمس): كل مـا يتمنـاه الأب داوود، هو العيش مـع أولاده بهناء و في جـو مفعم بالأمن. فهو يحب الزراعة و تربية المواشـي، و لكنه يجَبر علـى ترك أرضه و ممتلكاتـه و قريته الأحب إلى قلبه من أي مـكان في العالم، و يهاجر مع عائلته إلى المنـافي. و كل من يذهب لمشـاهدة الفيلم دون أن يحمل في داخله أحكام مسبقة، سيخرج بدروس و عبر كبيرة.

و من أهم الرسـائل الأخرى التي هدف الفيلم إيصاله للمشـاهد، هـو حث الشـعوب و الثقافات المختلفة على قبول الآخر بجميع إختلافاته، يعني و لعـدم تحويل الحياة إلى جهنـم، يتوجب قبول تعايش جميع المذاهب و القوميات سـويا، و منح الحق لكل فرد التعبير عن شـعوره و أفكاره بلغته الأم و من خلال هويته الخاصة.

والفيلم يحاول من خلال حكاية الأب داوود، الحديـث عن معاناة آلاف الكرد الذين اجبروا على النزوح من قراهم وموطن أجدادهم واضطروا الى العيش في أطراف المدن الكبرى مثل اسـطنبول وفي الدول الأجنبية وفي أصعب أشكال الحياة، بحثا عن لقمـة الحياة، جاهدين إلى تكويـن حياة جديدة. كمـا و يتحدث الفيلم عن حكايـات آلاف الأمهات اللواتـي إحترقـت أكبادهن على أولادهـن الذين احدهم في صفوف الجيش والثاني في صفوف حزب العمال الكردستاني.

و الأمـر الملفت للنظر هو شـخصية الفنان ماحصـون قرمزي غول، تجاربـه و ميّزاته التي سـاهمت بالذات في نجـاح الفيلم، حيث أنه يعتبر شـابا ترعرع في دياربكر، وينتمـي الى عائلة من بينغول ذو أطفال كثيرة، وكان عمره خمسة عشرة سنة عندما أعلن حزب العمال الكردستاني الكفاح المسـلح في العام ١٩٨٤ وأثناء الإنقلاب العسـكري في ١٩٨٠/٩/١٢ كان عمره احدى عشـر عاما، وقد كبر بجانب سجن دياربكر المشـهور، وسمع كل ما كان يحدث في داخل ذلك السجن، وليس من السهل فهم معنى الحياة في دياربكر في تلك السنين،حيث كان مستقبلها غامضاً ومليئاً بمئات الجرائم التي كانت تسجل تحت إسم فاعل مجهول .

فالفيلـم محاولـة مـن الفنـان ماحصون قرمزي غول للتعبير عن عواطفه وآلامه وأحاسيسه وعشـقه وإشارات الإستفهام التي رافقت حياته و بقيت بدون حلول لفترة طويلة.

يفصـح أورال جالشـلار كاتـب العمود في صحيفة راديـكال التركية عن رأيه في فيلم (لقد رايت الشمس) قائلا:

« في السـتينيات كنـا نناقش هـل الفن لأجل الفـن أم إنه لأجل المجتمع، وبعد نقاشـات طويلة وصلنـا الى قناعة بأن الفن لأجـل المجتمع، وعند مشـاهدتي لفيلم «لقد رأيت الشـمس» لاحظت بأن هذا الفيلم لأجل المجتمع و يشـرح لنا وبشكل جميل جدا الجوانب الإنسـانية للمسألة الكوردية، التي من الصعـب أن نفهمها في الممارسـة العملية بسهولة، واستطيع القول بأن الفيلم يحمل جوانب جمالية متطورة ملائمة للعصر، وفي نفس الوقت أن الفيلم له مقاطع درامية يصعب على الإنسـان تحملها ومشـاهدتها، ويدفع بالإنسـان إلى القول: كفـى كل هذه المعاناة ويجب وضع حد لها، والقلب لايتحمـل كل هذه المشـاهد الحزينة واحدة تلوى

الأخرى.

ان هذا الفيلـــم يحاول مخاطبة عدة جهات مختلفة في آن واحد ومساعدتهم على فهم الأحداث والمعانـــاة كأمنية لإســـتخلاص الذين يدعون بأنه - لايوجد مســـألة كرديـــة في تركيا بل إنها مجرد مســـالة إرهاب - الدروس والعـــبر من أحداث هذا الفيلم.

رغم المشـــاهد الحزينة لهذا الفيلم فإنه فلم ناجح بجميع المعايير من حيث السيناريو والممثلين المشـــاركين وإســـتخدام التقنية الحديثـــة، وعند المشاهدة لاتريد أن يفوت عليك أية مشهد».

كما يقول كاتب العمود التركي الشهير (محمد علي بيراند) عن الفيلم الآتي:

« لقد أدهشني فيلم (لقد رأيت الشمس) بكل جوانبه. و أدهشني أكثر كيفية معالجته الإنسانية للقضيـــة الكردية الملغومة و المحظورة. و معالجته لقضيا أناس أبرياء وقعوا بين فكي كماشـــة الدولة الجبارة و عنف حزب العمال الكردستاني.

بإختصار شديد، أدهشني الفيلم من جميع جوانبه، الســـيناريو، المشـــاهد، كوادر التمثيل، و الحبكة.

لـــم يكبر الفنان ماحصوم قرمزي غول بهذا الفيلم فقط فحسب، بل أصبح عملاقا. فهو تعدى كونه فنانا و سينمائيا، و أصبح رجل فن سينمائي على المستوى العالمي.

و حصلنا على إنسان يملك الجرأة لقول « كفى لهذه الحرب القذرة».

إحتفاءا بشاعر الكرد الاكبر
شيركو بيكس الشاعر الهادر في أرض وادي النيل
والنصوص الجديدة تثير أنتباها...؟!!

القاهرة - خضير ميري

الشاعر في جولاته الأولى

لأكثر من يومين وأنا ألاحق جاهدا خطوات الشاعر الكردي الكبيرشيركو بيكس فلم أجده كانت صالة فندق البراميزا في مركز القاهرة قد شهدت ترددي عليه لاكثر من مرة وكنت قد حضرت قراءات لأشعارة في جلسة الأفتتاح الرئيسية في المجلس الأعلى للثقافة مفتتحا مهرجان الشعر العربي وهو يعتلي المنصة وكان صوته هادرا وأنفاسه تهمس بصوت كردي بسيط وعميق وهو يقرأ بالكردية أولا ثم يكمل باللغة العربية وكانت جولاته في القصائد القصيرة الموحية الغرائبية ذات الحس الأنساني تشير إلى خلفية كبيرة من المعاناة التي مر بها الشعب الكردي العريق وهو يركز على الذاكرة الحياتية للجبل والثلج والطفولة وأحلام الكرد وإصرارهم على إنتزاع الحرية إنتزاعا وبينما كنت أجد وأجتهد في لقائه وضرورة إلقاء السلام عليه، أجتمعت اللجنة التحضيرية لمهرجان



قصيدة النثر في القاهرة الذي كان يقام في مقر نقابة الصحفيين المصريين في شارع معروف وسط البلد وكنت عضوا مشاركا فيها ليخبرني الشاعر محمود القرني بان الشاعر الكبير شيركو بيكس قرر ان يأتي إلى الملتقى ويحي الشباب الجدد من كتاب قصيدة النثر ويقرأ قصائد، في الختام كان أضطراب بعض أعضاء اللجنة التحضيرية ملحوظا

وكان فرح الشعراء الشباب لايصدق وكنت أنا واحدا من الذين تكلموا بحماسة كبيرة عن شعرية بيكس وخصوصية تجربته وسمات العالمية في أشعاره ونصوصة العصية على التصنيف.

وفي المساء حضر الشاعر شيركو بيكس برفقة بعض من أصدقائه من الكرد، وقدمته الشاعرة السورية لينا الطيبي بتحية قلبية حارة وكان الجمهور قد أخذ يتوافد على القاعة والفارس الجبلي يعتلي المنصة ليقول كلمة لصالح الاختلاف والتجديد قائلا (أنما نحن بالأختلاف نوجد) وإنه مع الجديد والتجديد، قرأ الشاعر قصائد نثر قصيرة كانت يقاطعها التصفيق والأعجاب من قبل الحاضرين:

هو راقد في القبر
ولكن ساعة يده
في معصم شخص آخر

هو راقد في القبر
ولكن معطفه
يرتديه رجل آخر

هو نائم إلى الأبد
ولكن ساعته مستيقظة

هو لن يقوم ثانية
ولكن معطفه الآن
يطوف في شوارع المدينة
ومن عين احد ازراره
يرنو الى بيته القديم

كانت القصائد تترى وتتوالى وتتقافز مشاهدها وصورها الساخنة الوثابة (السر، القداسة، مقولة، هدية، تمثالان) وغيرها من القصائد التي تستعيد لغة الأمكنة وإيقاع الزمان ولون الأشياء وصور الطبيعة ثم يترك القصيدة الأخيرة مفتوحة لنا ولاترغب بالتكملة أو قول ما في القول من شعر حائر كما في قصيدة حيرة:

في الجبل..
حائرة هي الشجرة
أتهرب، أم تبقى متسمرة؟
في النهر..
حائر هو الماء،
ايستحيل رطوبة ،أم بخارا
في الدرب..
حائرة هي القدم،
أتتراجع ،أم تستمر؟
في البستان حائر هو الطائر..
أينكفئ، أم يحلق؟

في هذه اللحظة..
حائرة هي كلماتي،
أتكمل هذه القصيدة، أم أتركها لكم؟
فلأتركها لكم

ما أن هبط الشاعر من عرينه حتى صافحته وقلت له أريد أن أراك فقال غدا صباحا ستجدني في أنتظارك في صالة الفندق، وكان الليل طويلا والقاهرة تعج بحياة الشعر وأنفاس الشعراء عندما وطأة اقدامي صالة الفندق لاحظت دون إي عناء الشاعر يجلس على كنبة وثيرة وهو يتطلع الى

ساعة يده، أبتسم بحنو وقال لي أنا سوف انتقل من هذا الفندق الأثيرأنما اتيت الى القاهرة لأرى حياة الناس لاالطنافس والثريات والغرف الوثيرة، وقال لي الحق بي عصرا لأنني اريد التجول قليلا وأريد شراء الكتب ومعرفة مكتبات مصر أولا وانساب من بين ناظري إلى مكان مجهول آخر، وكنت اتطلع الى رقم هاتفه وهو يستلقي داخل هاتفي الصغير القلق وسرعان ما أبتلع نهار القاهرة الوقت، وانا في انتظار موعدنا، رن الهاتف في جيبي وسمعت صوته من جديد :أنا هنا في انتظارك، فطرت إليه لأجده يرتدي الكاجول البسيط والأنيق يتأبط حقيبة يدوية سوداء ورشيقة ومستعدا للصعلكة قليلا في القاهرة التي يراها للمرة الأولى، كان لايتكلم إلا نادرا وهو يرى الأشياء والمعالم المصرية، يدخن سجائره بعمق غير ميال إلى التكلف وكنت حريصا على راحته لا أريد له أن يمشي كثيرا، بينما الشاعر يسأل عن الكتب الجديدة وعن أحوال الكتاب في مصر ومعيشتهم، لابد لي من الإصغاء له بعمق وهو يتحدث عن أهمية الحياة في الشعر وعن جانب من سيرته ورحلاته في بلدان العالم البعيدة.

كان عدد غير قليل من الصحفين في القاهرة يبحثون عنه ويرغبون بأجراء مقابلات صحفيه له، بينما هو لا يميل كثيرللأستعراض أو تقديم نفسه على طبق واحد ، وكان يفكر بالمناسبة الطيبة لحضور أحتفالات نوروز التي تعقدها الجالية الكردية سنويا في مصر، وعقدنا النيه على حضورها معا، في اليوم التالي أنطلقنا في طريق طويل يؤدي الى مدينة (نصر) حيث يقام حفلا كرديا في حديقة الطفل في شارع مكرم عبيد ودخلنا الى حديقة كبيرة تذكرنا من النظرة الأولى بجمال الطبيعة الكردية وسحرها الأخاذ، وكان جمعا كبيرا من الكرد يرقصون الدبكة الكردية قبال خيمة سفرية عقدت هناك، وكان الكثير من الشخصيات العربية والمصرية جاءت لتشاطرالكرد فرحتهم وتحرق بعضا من جذوع الشجر في منقلة نحاسية تيمنا باشعال النار على قمم الجبال في كردستان العزيزة.

ما أن وصل شيركو بيكس مكان الحفل حتى انطلق الجميع لمصافحته وتقبيله وكان الشاعر محبا كبيرا ينحني على الصغير والكبيرولكنه فضل أن يجلس وحيدا ومقابل حلبة الرقص يتطلع الى الدبكات الكردية الحنونة ويسمع الأغاني الكردية الأصيلة التي كانت تنطلق من ريكوردر قوي الصوت، وسرعان ما سمعت إسمه يتردد من المايكرفون ترحيبا به ودعوة له لقراءة بعضا من أشعاره على الحاضرين، وكان لهم ما أرادوا، نهض الشاعر وحرص على قراءة كلمته للحاضرين بالكردية أولا ثم بالعربية، وراح يقرأ أشعاره داخل مهرجان شعبي هذه المرة وعلى



مسامع الكثير من الناس.

بعد أن جلسنا في احدى مقاهي القاهرة كان شيركو بيكس قد حدثني عن رغبة الدكتور جابر عصفور رئيس المركز القومي للترجمة أن يصدر مختارات له باللغة العربية تضم عدد كبير من أشعاره ويقع الكتاب في "٥٠٠"صفحة، ولكن الدكتور جابر عصفور كان على سفر والمشروع وضع في إيدي أمينة في سكرتارية المركز، كنت على دراية بأهمية مشروع كهذا في القاهرة لاسيما وأن شيركو بيكس يتمتع بسمعة ثقافية جيدة وأن هناك الكثير من الأدباء والنقاد يسعون لقراءته والأطلاع على آثاره الشعرية المهمة.

في كافتيريا المجلس الاعلى للثقافة كان الشاعر يشرب قهوته المضبوطة وهو يتطلع الى أبنية دار الاوبرا العريقة التي لطالما سمع عنها، كنت قد أعتزمت إجراء حوارا مطولا معه وكان لنا موعدا آخر في المساء وسوف ينضم ألينا الشاعر عبد الحميد الصائح الذي فاجأ الشاعر بيكس بأنه كان قد كتب عنه قصيدة طويلة في عام (١٩٩٣)ضمنها ديوان له صدر في لندن، والقصيدة تسترجع بيتا من الشعر يعود لشيركو بيكس ويقول (عندما ينطبق عقربا الساعة في منتصف الليل يتطابق الكردي مع الحزن) وكان الحزن هو زوادتنا الاثيرة.

في اللقاء الثلاثي الذي ضمنا معا في فندق الكوزموبولتيان كان الشاعر يتكلم عن أصدقائه من الشعراء العرب العراقيين كعبد الوهاب البياتي وحسب الشيخ جعفر وسعدي يوسف وهو يستذكر منفاه الأول في العراق في قرية (البغدادي) أحدى قرى مدينة الرمادي غرب العراق، وكان لقاءه الاول مع سعدي يوسف في نادي اتحاد الادباء والكتاب يوم أخبره طرفة العلاقة بالتسمية بين بغدادي مدينة الرمادي وبغدادي التي ولد فيها الشاعر الروسي الكبير مايكوفسكي، وكان الشاعر شيركو بيكس سعيدا وهو يستذكر عمق العلاقة الثقافية بين أجيال عراقية أختلفت في مواقفها السياسية والفكرية ولكنها تساوت في حجم الإضطهاد الصدامي ونالت منه جرعات مشتركة.

شيركو بيكس في آتيليه القاهرة

بعد تردد قصير أخبرني الشاعر شيركو بيكس بقبوله دعوة آتليه القاهرة "تجمع اتحاد الكتاب والفنانين المصرين" وكان الدكتور مدحت الجيار رئيس اللجنة الثقافية لا آتيليه القاهرة قد أخبرني بضرورة إقامة دعوة للشاعر في الثلاثاء اليوم الرئيسي لأماسي الاتيليه بالرغم من أن الوقت لايسمح بتقديم دعاية إعلامية كافية وكان متصورا أن الجمهور سيكون قليلا ولكن موعد هذه الأمسية كان قد طار على شفاه الريح وتجول في الحانات والإزقة القاهرية حتى فوجئ آتيليه القاهرة بعدد كبير من الحضور العرب

إضافة الى الكرد، أضطرالقائمين على المكان على جلب كراسي إضافية، قدم الأمسية الناقد المصري المعروف الدكتور مدحت الجيار وشارك فيها كل من الناقد المصري الدكتور صلاح السيروي، وكنت أنا هو المعقب الآخر حيث أفتتحت الامسية بقراءة شعرية لعدد من قصائد الشاعر القصيرة التي أجمل من خلالها شيركو بيكس مختارات من تجربته الشعرية التي تمتد الى سبعينات القرن الماضي، حيث قدم صورا ومشاهدات حية عن كردستان العراق وذلك بإلقاء حيوي، فضل الشاعر أن يقرأ قصائده وقوفا وبصوت جهور.

سبق القراءات بكلمة تحدث فيها الشاعر عن أهمية الثقافة المصرية في حياة ومكونات الشعر قائلا: حين أرجع بذاكرتي الى مصر وأنا في الثامنة من عمري، كنت مع والدي في غرفة صغيرة، وكان حينها يقرأ مجلة، كتب على غلاف الكتاب أسم مجلة الهلال ، هو أبعد حلم رمقني للمرة الأولى ومازال، مجلة من مصرعام ١٩٤٨ يطالعها الوالد الشاعر، ثم قرأنا لكتاب مصر، منهم حافظ ابراهيم و احمد شوقي وامل دنقل وصلاح عبد الصبور، واشرنا في قصائدنا الى الرموزالكبيرة المصرية منذ أن بدأت أكتب الشعر ورموز مصر الأخرى كالأهرامات والنيل الخالد، وها أناذا أجد نفسي وأنا في قلب القاهرة منبهرا أمام الاهرامات وأمشي في شوارع وطرق مشت عليها اقدام عدد كبير من المبدعين المصريين، كما أنني أدين للقاهرة التي ولدت فيها اول جريدة كردية، وأنا أجلس أمامكم في حضن مصر، وسرعان ما طلب منه أن يقرأ لنا مايشاء فقام واقفا لقراءة الشعر وهل صوته الرخيم علينا:

هذه قصة قصيرة
القبعة الموجودة على رأس القبرة
ليست لها!
ماحدث كان منذ زمن بعيد ..
في يوم خريفي قارس..
كانت القبرة تطير وتطير مخدرة الرأس
وريح حثيثة متربصة تطاردها
فسارعت لنجدتها شجرة بلوط
واقرضتها قبعة لأيام
فلبستها
ولكنها لم تنزعها
ولم تف بدينها للبلوط ابدا

وراح الشعر يعانق قلوب الناس ويفجر دهشتهم، هو شعر صوري محسوس وصادم وكان علي أن أقدم كلمة في الشاعر الكبير وكنت مرتبكا قليلا أخاف من سير كلماتي، تحدثت عن الشاعر الكبير شيركو بيكس قائلا (تاتي هذه الفرصة لي شخصيا لأكون إلى جوار شاعر كبير، اقول هو شاعر مر بظروف حياتية أستثنائية، عاش تاريخ طويل لذاكرة الجبل، هو رمز لكردستان العريق وأمتزجت الكثير من قصائده و من ذاكرته بالثلج والدماء والمعاناة ، لايختلف المتلقي المصري عن العراقي في تاريخ عزلته عن النص الكردي، فهذا الشعب له تاريخ طويل في شعريته وريادته وكتابته لفنون مختلفة من المسرح و القصيدةالملحمية والشعرالموزون والحر واالنثر العذب الجميل، وكان بعيد عن التناول والتداول والقراءة بسبب

الترجمة القليلة الى اللغة العربية .ان شعر بيكس في القصائد القصيرة لايقل اهمية عن الشعر العالمي وروائعه، أضافة الى بساطته وعمق تأثيره والتقاطه لصور حياتية حية، والشاعر في تجربته الشعرية ينحو منحى الذاكرة الحية يمتح من الدهشية والذاكرة الطفلية ويعتمد على الذاكرة والأيحاء، يخلق من القصيدة واقع آخر مواز في حلمه للواقع الذي يمشي وراءه والقصائد تحاول ان تقرب صورة بما يمكن أن نسميه بالأقتصاد الشعري وشحنها بدلالات تصل الى المتلقي بشكل فوري ولحظوي وتحوي على شحنة درامية عالية وطاقة للرسم والإغناء كما صور القصيدة والحياة في مسيرة طويلة تبذل نفسها وتمتنع عن قارئها بنفس الوقت).

كما تحدث الناقد المصري صلاح السيروي قائلا عن تجربة شركو بيكس (أنا اقرأ للشاعر من بواكير الثمانينيات قصائد أحسست بها أنها تمثل علامة شعرية باهرة وذات خصوصة، فشعريته لها نوعية خاصة تختلف عن تيارات شعرية عريقة فالخيال الشعري عنده يتراوح بين التجريد والتجسيد، أما تجسيد المجرد اللطيف الرؤوي أو تجريد ماموجود من المجسد القائم المعاش من عناصر يومية وتحميلها قيم جمالية حسب رؤية جمالية بما يمكن الشعرية اعادة تخليق العالم وتصنيع الرؤى حول الأشياء بما يمكن أن يجعل أشياء جديدة لم تخطر على بال البسطاء من الناس).

ويضيف السيروي أن بيكس يمنح حياة جديدة وتجسدات جديدة بما يمكن أن نرى العالم متجدد وأكثر غناء وبهاء وهو في مسعاه يندرج بتجريد المجسد هو ينطلق من الملحوظ والمرئي الملحوظ هذه الأشياء ذات الملموسية تمتلك حالات ودلالات يمكنها أن تخرج بها من وضعيتها المجسدة إلى أن تصبح معاني أكثر شيوعا وتحديا من موضوعات محددة معتبرا أن الشاعر يصنع بالخيال التأويلي الذي يحاول رؤية الأشياء المؤولة والتي تشير إلى أحتمالات الرؤية فأنه يطرح الخريف مثلا هو عنصر معروف لدينا وذو دلالة أنه ينتهي إلى التساقط والانطفاء إلى منحى وجودا آخر يجعل الخريف حيي من الواقع بحيث تحمل معنى وجودي وعندما يصف تمثالين أحدهما رجل من الكونكريت والمرأة من الورد وعندما ياتي الزلزال يطيح بتمثال الرجل ولكن لايطيح بالورد

المرأة تمتلك القدرة على التجدد

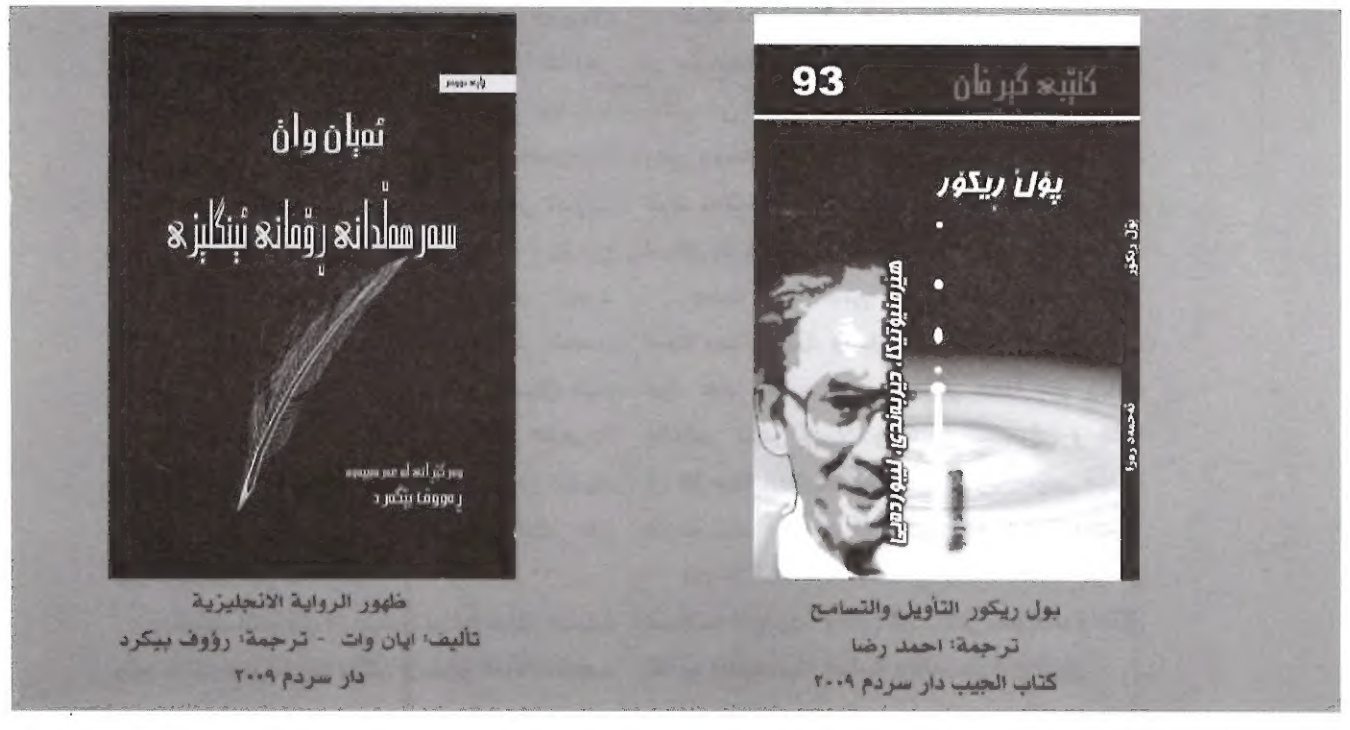
موضحا بأن المرأة في الحياة تمتلك الشيء الأكبر من شعره خاصة النساء الأرامل والعوانس وهي موضوعات أثيرة عنده و الأمر متعلق بفكرة الموت بالنسبة للمرأة إلا إنها تكتسب عنده بنية أسطورية قادرة على التجدد والتوارد المستمر.

بعدها جرت الكثير من المداخلات، منها للشاعر أمجد محمد سعيد ومداخلات للنقاد المصريين مثل عيد عبد الحليم مدير تحرير مجلة ادب ونقد، والشاعر ماهر مهران وسعدني السلموني و دعوا الى الترجمة الفورية لشعر بيكس وتخصيص ملفات قادمة لنشر شعر شيركو بيكس وتجربته الإبداعية.

ثم أختتم الشاعر الأمسية بقراءة عدد آخر من قصائده الجديدة والتي لم تنشر بعد كانت مثال للحب والإنسانية العالية وتقديس آلام البشر

في مطعم (كريون) أستغل عدد من الصحفيين وجود الشاعر للإستراحة قليلا هناك، فعقدوا معه جلسة صحفية وتشاطروا الوقت مع بعضهم وعندما شاهدت شيركو منزعجا قليلا فهو لايحب الحديث عن نفسه سرعان ما طرت به إلى مكان آخر إلى النادي اليوناني ليتنفس الصعداء هناك مع جلسة إبداعية أخرى ضمت الشاعر السوري هاني نديم الذي طلب شخصيا من الشاعر أن يقرأ قصائده عليه لأنه يريد أن يفرح وكان الموسيقار الكبير نصير شمه وزوجته الشاعرة لينا الطيبي قد انضموا الينا وراح الجميع يلتقط الصور التذكارية مع الشاعر وكان علينا أن ندع الشاعر يرتاح وأن ينهض مبكرا لأنه لا يرغب بالسهر كثيرا، في اليوم التالي كان لنا موعدا آخر في نادي الجاردن سيتي في قلب العاصمة حيث أقيمت له امسية احتفائية من قبل السيدة درية عوني بنت المؤرخ الكردي المصري محمد علي عوني(١٨٩٧-١٩٥٢). قرأ الشاعر قصائده في جلسة حميمية كان طعمها كرديا وليلها مصريا:

اليوم التالي سوف يغادرنا الشاعر الكبير شيركو بيكس إلى كردستان، ودعناه جميعا وكان الحزن يجتاحنا على فراقه، عندما ذهبت إلى وسط البلد في اليوم التالي كنت أمشي مرتبكا غير عارف بعد هل أمشي سريعا لأنني وحدي أم أبطئ بالمشي قليلا لأنتظار الشاعر شيركو بيكس وهو يخطو الى جواري، جلست في مقهى البستان في ذات الطاولة التي جلسنا عليها بالإمس وخيل الي بانني ارى دخان سجائره يتطاير في المكان.



بول ريكور التأويل والتسامح
ترجمة: احمد رضا
كتاب الجيب دار سردم ٢٠٠٩

ظهور الرواية الانجليزية
تأليف: ايان وات - ترجمة: رؤوف بيكرد
دار سردم ٢٠٠٩



Vol,6 - Spring 2009

SARDAM AL-ARABI

A quarterly Cultural magazine in Arabic issued by
Sardam Printing & Publishing House

ADMINSTRATIVE BOARD MANAGER

Sherko Bekas

EDITING DIRECTOR

Nawzad Ahmad Aswad

Consulting editor
Muhyadin Zangana

ARTISTIC DIRECTOR
Jamal Darwesh

Sardam Printing & Publishing House
www.serdamco.info

Kurdistan- Sulaimany

سعر النسخة: 2000 دينار عراقي